ديوان البوصيري

نظم

شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري

ملتزم الطبع والنشر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

ديوان البوصيري

نظم

شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري

المادحون وأرباب الهوى تبع ... لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم
الله يشهد أنى لا أعارضه ... من ذا يعارض صوب العارض العرم
وإنما أنا بعض الغابطين ومن ... يغبط وليك لا يذمم ولا يلم
مديحه لك حب صادق وهوى ... وصادق الحب يملى صادق الكلم

أحمد شوقى

تحقيق

محمد سيد كيلانى

ماجستير كلية الآداب : جامعة القاهرة

ملتزم الطبع والنشر

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

الطبعة الأولى

١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م

الإهداء

إلى أمير الشعراء ، وخليفة أحمد شوقى ، الأستاذ الجليل عزيز أباظه :

أَمِيرَ الفَنِّ والشِّعْرِ وأَعْظَمَ نابِغِى العَصْرِ
سَلِيلَ السَّادَةِ الأَطْهَا رِ آلِ أباظَةَ الغُرِّ
جَمعْتَ إلى مآثِرِهِمْ طَرِيفَ المَجْدِ والفَخْرِ
وكَمْ أَهْدَيْتَ لِلْفُصْحَى مِنَ الآلاءِ وَالْبِرِّ
وكَمْ قَدَّمْتَ لِلتَّمْثِيـلِ كُلَّ يَتِيمَةٍ بِكْرِ
تَمُتُّ إِلَى الحَقَائِقِ وَهْـىَ تُعْطِى نَفْثَةَ السِّحْرِ

* * *

أَزُفُّ إِلَيْكَ دِيوانًا يَرِفُّ كَيَانِعِ الزَّهْرِ
مُصَوَّرَةً خَوَاطِرُهُ مِنَ الإِحْسَاسِ والفِكْرِ
يُشِعُّ الدِّينُ أَضْوَاءَ بِهِ كَالأَنْجُمِ الزُّهْرِ
وَيَبْسِمُ فى حَنَايَا النَّفْـسِ مِثْلَ تَبَسُّمِ الفَجْرِ
وَمَا هُوَ غَيْرُ تَعْبِيرٍ لإِعْجَابى مَعَ الشُّكْرِ

المخلص
محمد سيد كيلانى

أول يوليه سنة ١٩٥٥

مقدمة

البوصيرى

٦٠٨ – ٦٩٦

اسمه ونسبه ولقبه ومولده :

هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن أبى سرور بن حبان بن عبد الله بن ملاك الصّنهاجى .

وقيل: محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حيانى الحبنونى الصّنهاجى أبوعبد الله شرف الدين الدّلاصى المولد ، المغربىّ الأصل ، البوصيرىّ المنشأ .

وعلى كل فقد أجمع المؤرخون على أن اسمه محمد ، واسم أبيه سعيد . ثم اختلفوا بعد ذلك فى بقية نسبه ؛ فمنهم من ينقص ومنهم من يزيد . وهم متفقون على أنه ينتمى إلى بنى حبنون ، وهم فرع من قبيلة صَنهاجة الكبيرة التى عاشت ببلاد المغرب .

وقد أشار البوصيرىّ ، إلى أصله المغربىّ معتزا به فى قوله :

فقل لنا من ذا الأديب الذى زاد به حبى ووسواسى ؟
إن كان مثلى مغربيا فما فى صحبة الأجناس من باس
وإن يكذّب نسبتى جئته بجبتى الصوف ودفاسى

وكان أبوه من ناحية بوصير ، وأمه من ناحية دلاص. أما بوصير فهى بوصير قوريدس، أو بوصير الملق . وتقع بين الفيوم و بنى سويف ، وفيها قتل مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية . وإليها ينسب أبو القاسم هبة الله بن علىّ ؛ أحد رجال الحديث المتوفى سنة ٥٩٨ هـ .

وأما دَلاص بفتح الدال، فقد ذكر ياقوت أنها كانت اسم ولاية تقع غربى النيل، مركزها مدينة دلاص ، وكانت ملحقة بالبهنسا . ومنها أبو القاسم حسان بن غالب بن نجيح الدلاصىّ ، يروى عن مالك بن أنس والليث بن سعد . وكان ثقة . وتوفى بدلاص سنة ٢٢٣ هـ .

وقد أراد الشاعر أن يخلع على نفسه لقب الدلاصيرىّ ، وهى كلمة منحوتة من لفظتى دلاص و بوصير . قال ابن تغرى بردى : « وكانت له ـ يعنى البوصيرىّ ـ أشياء مثل هذا يركّبها من لفظتين ، مثل قوله فى كساء له: كساط . فقيل له : لماذا تسميه بذلك ؟ فقال : لأنى تارة أجلس عليه ، وتارة أرتديه، فهو كساء وبساط »، إلا أن هذا اللقب ظل مجهولا، ولم يشتهر إلا بالبوصيرىّ، ويكنى بشرف الدين .

وقد ذكر المقريزىّ، أن البوصيرىّ ولد بناحية دَلاص، فى حين أن ابن تغرى بردى ذكر أن مولده ببهشيم من أعمال البهنسا . واتفق هذان المؤرخان على أنه ولد فى يوم الثلاثاء أول شوال . ولم يقطع المقريزىّ بالسنة التى ولد فيها الشاعر ، فذكر ماقيل من أنه ولد سنة ٦٠٧ أو ٦٠٨ أو ٦١٠ هـ . أما ابن تغرى بردى فذكر أن ميلاده كان فى سنة ٦٠٨ وتبعه فى ذلك صاحب شذرات الذهب وابن حجر الهيتمى .

ثقافته :

ليس لدينا من أخبار البوصيرىّ ما يكشف لنا كيف قضى طفولته أو صباه . غير أنه يمكن القول إنه بدأ حياته الدراسية كما كان يبدؤها معاصروه ، وذلك بحفظ القرآن . ثم جاء إلى القاهرة، والتحق بمسجد الشيخ عبد الظاهر[(١)]، حيث درس العلوم الدينية، وشيئا من علوم اللغة كالنحو والصرف والعروض، كما درس الأدب، وجانبا من التاريخ الإسلامى ، و بخاصة السيرة النبوية . وربما يكون قد درس فى مساجد أخرى غير مسجد الشيخ عبد الظاهر .

وقد حدث أن الملك الصالح نجم الدين الأيوبىّ الذى تولى ملك مصر سنة ٦٣٧ هـ أخرج ثلاثة آلاف دينار لتوزع على طلبة المدارس ، وعهد فى توزيعها إلى أحد الفقهاء ، فلم يوزع شيئا على طلبة مسجد الشيخ عبد الظاهر . فنظم البوصيرىّ قصيدة على لسان هذا المسجد ، بين فيها

(١) بحثنا عن ذكر لهذا المسجد فى كتب التاريخ فلم نعثر على شىء .

أن المال الذى أخرجه السلطان قد اختلس . ومن هذه القصيدة نفهم أن الشاعر كان يطلب العلم فى المسجد المذكور . فلو فرضنا أن السلطان أخرج هذا المال فى العام الذى تولى فيه ، وهو عام ٦٣٧ لكان البوصيرىّ إذ ذاك فى الثلاثين من عمره تقريبا .

ثم أقبل على التصوف ، فدرس آدابه وأسراره . وقد تلقى ذلك عن أبى العباس المرسى ، الذى خلف أبا الحسن الشاذلى فى طريقته . وكان بين البوصيرىّ وشيخه علاقة حب . وقد تأثر البوصيرىّ بهذه التعاليم ، وظهر أثر ذلك فى شعره واضحا .

وقد عرضت عليه وظيفة الحسبة ، وهذه الوظيفة لاتسند إلا لمن ألمّ بمبادئ الفقه .

ثم إنه اشتغل كاتبا فى بلبيس . فلا بد أن يكون قد ألمّ بالأعمال الحسابية التى ينبغى أن تتوافر فيمن يعين فى مثل هذه الوظيفة .

وكان يطالع المؤلفات التى يضعها النصارى واليهود تأييدا لأديانهم . وقد رأى فيها إنكارا لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام . فدعاه ذلك إلى دراسة الإنجيل والتوراة دراسة دقيقة كما درس تاريخ ظهور المسيحية . ثم أخذ يرد على أصحاب هذه الديانات ، محاولا إقناعهم بأن الأناجيل التى بين أيديهم لاتدل على ألوهية عيسى وإنما تدل على نبوته . وأن هذه الأناجيل تخبر بظهور نبى من أبناء إسماعيل . ثم استنكر ما تنسبه التوراة إلى الأنبياء من ارتكاب المعاصى .

وإلى جانب ماتقدم ، كان البوصيرىّ يجيد فن الخط . وقد ذكر ابن حجر الهيتمىّ أن البوصيرىّ كان من عجائب الله فى النثر والنظم . ولكنا لا نعرف عن نثره شيئا ، وما كتبه تعليقا على قصيدته « المخرج والمردود على النصارى واليهود » لايدل على براعة فى النثر .

أما الذين أخذوا عن البوصيرىّ : فمنهم أبو حَيان الأندلسىّ المتوفى سنة ٧٢٥ هـ بالقاهرة . وأبو الفتح بن سيد الناس اليعمَرىّ المتوفى سنة ٧٣٤ ، وعز الدين بن جماعة المتوفى سنة ٧٣٥ هـ . ويبدو أنهم أخذوا عنه شعره ونوادره . وكان يجلس أحيانا فى جامع الظاهر ، وينشد مدائحه النبوية على الحاضرين .

وعلى كل فمن الراجح أن البوصيرى لم يصب حظا كبيرا من الدراسة المنظمة ، لأنه مع كثرة المدارس فى عهده لم تسند إليه وظيفة التدريس فى أى مدرسة . وقد فتح كتابا لتحفيظ القرآن . وهذا عمل لا يزاوله إلا من أوتى قليلا من الثقافة .

صفاته وأخلاقه :

وُصِف البوصيرى بأنه مختصر الجرم ، ومعنى هذا أنه كان قصيرا نحيفا ؛ ومن أجل هذا كان موضع دعابة الناس ، يسخرون منه أحيانا ، وتقتحمه عيونهم .

وقد أشار إلى ذلك بقوله :

ورب أديب ذى لسان كمبرد بدا من فم كالكير أو هو كير
أراد امتحانا لى فزيف لفظه نتان بدا من نظمه وخرير
إذا ما رآنى عافنى واستقلنى كأنى فى قعر الزجاجة سور
ويعجبه أنى نحيف وأنه سمين يسر الناظرين طرير

الخ . . .

فمن هذه الأبيات وغيرها ، ندرك موقف الأدباء من البوصيرى الذى كان ضيق الصدر ، لا يحتمل أن ينقد أحد شعره . وكان يطلق لسانه فى كل من يتعرض لشعره بنقد . ومن أمثلة ذلك ، قوله فى هجاء زين الدين بن الرعاد أحد شعراء ذلك العصر :

لقد عاب شعرى فى البرية شاعر ومن عاب أشعارى فلا بد أن يهجا
وشعرى بحر لا يوافيه ضفدع ولا يقطع الرعاد يوما له لُجّا

وقد نقل المقريزى ، عن صاحب مسالك الأبصار ، عن الشهاب محمود ، وهو معاصر للبوصيرى ، أن صاحبنا كان على غزارة فضله ممقوتا ، لإطلاق لسانه فى الناس بكل قبيح ، وذكره لهم بالسوء فى مجالس الأمراء والوزراء . فلا عجب أن كرهه الناس أجمعون ، حتى تمنوا له الموت . والدليل

على ذلك ، أنه مرض مرة ، وأغمى عليه لمدة طويله ، فأشاع الناس أنه مات ، وتناقلوا خبر موته . ولـكنه برئ وسجل فرحه بشفائه ، وعرّض بأعدائه الذين أشاعوا خبر موته بقوله :

عاشَ من بعد مَوْتِهِ البُوصيرىْ ... وحياةُ الـكلابِ مَوْتُ الحمير

عاشَ قَوْمٌ مُذْ قيل إنىَ قد مـــتُّ فماتُوا قبلِى بوخزِ الصدُورِ

لست ممن يموت أو يقدمونى ... وأبكّى عليهم فى القبور

وصحيح بأننى كنت قد مـــتُّ وأحيانيَ جود هذا الوزير

فلم يكن البوصيرىّ مكروها من كتاب النصارى واليهود وحدهم، بل كان مكروها من الناس أجمعين ، حتى من أقرب الناس إليه ، وهى زوجته .

ولما كان ببلبيس ، كان كتاب النصارى يدارونه خشية لسانه ، ويحملون إليه الهدايا فى أعيادهم . وقد حدث أن أهملوه فى أحد الأعياد ، فهجاهم بقوله :

يهود بلبيس كل عيـد ... أفضل عندى من النصارى

أما ترى البغل وهو بغل ... فى فضله يفضل الحمـارا

فلما سمع النصارى هذين البيتين ، عتبوا عليه وهددوه ، فاضطر إلى أن يقول :

ما للنصـارى إلى ذنب ... وإنما الذنب لليهـود

وكيف تفضيلهم وفيهم ... سر الخنـازير والقرود

وقد كان البوصيرىّ كثير السؤال للناس . فمنهم من كان يحسن إليه اتقاء لسانه ، وهو مع ذلك كان يسيء الأدب فى السؤال . فمن ذلك قوله يطلب كنافة من القاضى عماد الدين :

ما أكلنا فى ذا الصيام كنافه ... آه وا بُعْدُهَا عَلَىَّ مسافهْ

قال قوم إن العماد كريم ... قلت هذا منكم حديث خرافه

واستطرد بعد ذلك فى أبيات كلها تشنيع على القاضى المذكور . فاعجب من شخص يهجو الناس ليتصدقوا عليه بشىء من مطاعمهم .

وكان له صديق اعتاد أن يبعث إليه شربة فى كل سنة . فتأخر عنه فى إحدى السنين . وكان من عادة البوصيرىّ إذا عمل فيه إنسان معروفا فى مناسبة من المناسبات ، أن يعد هذا واجبا مقدسا يلزمه القيام به نحوه ، وويل لمن يتأخر ، فإنه يطلق فيه لسانه . فلا هو يذكر ما وصله به من بر ، ولا هو يلتمس عذرا لمن يتأخر عنه . وهذا ماحدث لهذا الصديق الذى كان يحسن إلى الشاعر بشربة . فإن البوصيرىّ لم يهمله ، بل بعث إليه طالبا منه أداء هذا الواجب ، فوصف ما يعانيه من ألم ، وعاتبه على إهماله فى إرسال الشربة ، ثم ذكر أنه فى ضيق شديد ، وختم قصيدته بما نعفّ عن ذكره .

والواقع أن طبقة فقراء الصوفية فى ذلك العصر ، فرضوا أنفسهم على الناس فرضا ، وعاشوا عالة على المجتمع . فأراد البوصيرىّ أن يحذو حذوها ، ولكنه لم يتقن الفنّ الذى مكن الصوفية من العيش على حساب غيرهم . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنه ، كان كما وصفه مؤرخوه ، سليط اللسان ، ويظهر ذلك واضحا فيما نظمه من هجاء .

وكان البوصيرىّ يقف دائما إلى جانب ذوى السلطان ، مؤيدا لهم سواء ، أكانوا على الحق أم على الباطل . فوقف إلى جانب العنصر التركىّ ، ومدح المماليك مدحا فيه غلو كبير ، وهجا العرب هجاء مرا . ولما فرغ علم الدين سنجر الشجاعيّ من إقامة مجموعة المبانى المنصورية ، أفتى بعض العلماء ومنهم الشيخ محمد المرجانى بعدم جواز الصلاة فى الجامع المنصورى ، وذلك لما وقع على الناس من عسف وسخرة حين بنائه . وقد ألح الشجاعىّ ، الذى كان مرهوب الجانب من الناس لشدة بطشه ، على المرجانى أن يلقى ولو درسا واحدا فامتنع . قال المقريزىّ ، بعد أن ذكر ذلك : « ولكن البوصيرىّ مدحه » ، فلم يكن البوصيرىّ يعرض نفسه لغضب الأمراء مهما فعلوا .

ويبدو من شعره أنه كان يحب حياة الدّعة والتعطل ، وأنه كان يرى من حقه على الناس أن يحملوا إليه كل مايحتاج إليه من أسباب العيش .

ولم يذكر له المقريزيّ سوى منقبة واحدة . وهى أنه كان كريما. ولعل كرمه هذا، أو سوء تدبيره للمال ،كان من أسباب إملاقه .

أما للصوفية ، فإنهم ذكروا للبوصيريّ مناقب كثيرة ، منها أنه بلغ مقام الغَوْثية الـكبرى، وكان إذا مشى فى الشوارع أسرع إليه الناس يقبلون يديه حتى الصغار، وكانت تنبعث من جسده رائحة طيبة ، وكان يرتدى الملابس الجميلة ، منوّر الشيبة ، بسام الثغر متواضعا ، زاهدا ، ذا عفة ووقار ، إلى غير ذلك مما لا دليل عليه من شعره أو من أقوال المؤرخين الثقات .

تصرفه وعمله :

يبدو أن البوصيرى نشأ فى أسرة فقيرة ، ولذلك اضطر إلى السعى لطلب الرزق منذ صِغَرِهِ ، فزاول كتابة الألواح التى توضع شواهد على القبور .

ثم أخذ يتقرب من بعض الأمراء والوزراء، و يمدحهم بشعره، فعرض عليه أن يكون محتسب القاهرة . فاعتذر عن قبول هذه الوظيفة ، وشرح لنا أسباب امتناعه فى قصيدة طويلة مطلعها :

لاتظلمونى وتظلموا الحسبه   فَلَيْسَ بينى وَبَيْنَهَا نِسبَهْ
غيرىَ فى البيعِ والشِّرا دَرِبٌ   وليسَ فى الحالتَيْنِ لِى دُرْبَهْ

فهو كما يقول يجهل هذا النوع من العمل . وليست له خبرة بأحوال الأسواق ، ولا بأنواع التجارة ، وألاعيب التجار ، وما يتعلق بالبيع والشراء من مقاييس ، ومكاييل ، وموازين، وغير ذلك .

ومضى ، فى هذه القصيدة ، يصور لنا أعمال المحتسب ، وطوافه فى الأسواق ، وجلوسه فيها وما يوقعه على الناس من العقوبات ، فقال :

أجلس والناس يُهْرَعون إلى   فعلىَ فى السوق عصبةً عصبهْ
أُوجع زيدا ضربا وأشبعه   لكما كأنى مرقص الدبهْ
ويكسب الغيظ مقلتىَّ وخَدَّىّ احمرارا   كزامر القربهْ

فهو لا يريد أن يرهق نفسه ، ولا أن يشتم ويضرب . وهو يخشى أن يكون ظالما فى عمله ، لأنه يكره الظلم .

وقد عرّض بأحد المحتسبين المعاصرين له ، وذكر لنا ما جره عليه سوء عمله . فيبدو أن صاحبنا خشى أن يصيبه مثل ما أصاب ذلك الرجل . وعلاوة على ما تقدم ، فإن شخصا يسمى « الفخر الفيشى » كان ينافسه فى الحصول على هذه الوظيفة . فرأى البوصيرىّ أن يتقى شر هذا المنافس ، وأن يبتعد عن الحسبة ومتاعبها . وقنع بما يكسبه من كتابة الألواح ، ونظم الشعر . وفى ذلك يقول :

ماسوى حرفة الكتابة لى منْ وطر أبتغى ولا إربهْ[1]
والشعر ميزانه أقومه وليس تنقام منه لى حَدْبهْ

وإلى جانب ذلك ، فإنه أخذ يتغنى بإتقانه للأعمال الحسابية إلى درجة أنه لم يخطئ قط . قال :

إنى امرؤ حرفتى الحساب فلا يدخل ريب علىّ فى حِسبهْ
ولا تَرد الكتاب جائزة على حساب منى ولا شطبهْ
يشرَق منى بريقه رجل يشرب مال العمال فى شُربهْ

ويبدو أنه لم يجد عملا حسابيا فى القاهرة . فاضطر إلى قبول وظيفة فى بلبيس . ولم يكن الرجل ماهرا فى الأعمال الحسابية كما ادعى ، بل كان كما روى المقريزىّ ، قليل المعرفة بها .

ولذلك كثر عنده الخطأ . وكان كتاب النصارى ؛ وهم أعلم منه بالحساب ؛ يكتشفون هذه الأخطاء ، ويقررون عدم صلاحية البوصيرىّ لما أُسند إليه . فأخذ يدافع عن نفسه ، ويرمى هؤلاء الكتاب بالجهل ، ويذكر أنه أعلم منهم . فمن ذلك قوله :

يغالطنى بعض النصارى جهالة إذا أوجب الملغَى وألغى الموجَّبا
وما كان من عد الثلاثة واحدا بأعلم منى بالحساب وأكتبا

---

(١) سقط هذا البيت من ص ٥٢ من الديوان ، فنلفت نظر القارىء إلى ذلك .

ثم انهال عليهم بالشتائم ، ورماهم بكل موبقة . فنشب عداء بينه و بينهم ، إلا أن الفقر اضطره إلى مصابرتهم على مَضَض . وكان نصارى بلبيس ، مع ذلك، يحاولون إرضاءه بالهدايا .

و يبدو أنه كان موضعا لدعابة الكتاب . وقد حدث أن ناظر الشرقية استعار حمارة البوصيرىّ ، فأعجبته، فاحتفظ بها، و بعث إليه مِئَتَى درهم. ولكن البوصيرىّ كان حريصا على حمارته ، فكتب على لسانها قصيدة إلى ناظر الشرقية، تدل على ماطبع عليه من ميل إلى الدعابة، فردها الناظر إليه، ولم يأخذ الدراهم منه .

قضى البوصيرىّ أعواما فى بلبيس، متمتعا بطيب العيش ، متنقلا بين المدن والقرى التابعة لتلك المنطقة. فرأى البتيات، والحراز ، ونبتيت وشبرا البيوم، وحاجر، وقليوب، و بنها، وأتريب، وشمنديل ، وسعدانة ، وغيرها . وقد علقت بذهنه ذكريات جميلة عن تلك الأيام التى قضاها بين الريف، فنوه بها فى شعره . فقال بعد أن سرد أسماء هذه القرى :

أَقر تلك القرى السلام فإن أعـــيتك منها عبارة فإشارهْ
أذكرتنا عيشا قديما نزعنا ه لباسا كالحلة المستعارهْ

و يقول المقريزى : إن البوصيرىّ كان يعانى صناعة الكتابة الديوانية ، و يتصرف فى المباشرات ، وباشر فى الشرقية ببلبيس ، ورمى المباشرين بأوابد .

وصناعة الكتابة التى يذكرها المقريزىّ هى كتابة الحساب . وكانت وظيفة البوصيرىّ صغيرة ، لأن نزاعه مع الكتاب ، يدل على أنه كان واحدا منهم ، ور بما كان تنقله بين المدن والقرى التى ذكرها فى شعره بحكم عمله .

ثم حدث أن عين للشرقية ناظر جديد ، اسمه ابن عمران ، وقد صوره البوصيرىّ فى صورة الجبار المتغطرس ، فقال :

وابن عمران وهو شر متاع للورى فى بِطانة وظِهاره
يتجنى بسوء خلق على النا س ونفس ظلومة كفاره

وهذان البيتان من قصيدة رفعها البوصيرىّ إلى الصاحب بهاء الدين بن حنا . وفى هذه القصيدة ، صور لنا معركة حدثت بين بعض الموظفين فى بلبيس سالت فيها الدماء .

و يبدو أن الشاعر لم تطب نفسه بالعيش فى هذا الجو، فترك وظيفته، وقرر أن يسلك مسلك الصوفية . ولكن كيف يتيسر له ذلك وهو رب أُسرة كبيرة ؟ قال :

أحسب الزهد هينا وهو حرب لست فيـــه ولا من النَّظارهْ

وقال :

ولوأننى وحدى لـكنت مريدا فى رباط أو عابدا فى مغاره(١)

وقد صور فى هذه القصيدة ، ما يعانيه من بؤس وحرمان وذكر أن أولاده فى حالة جوع شديد . وأخذ يستدر عطف ابن حنا ، و يستغيث به ليحسن إليه ، و ينقذه من هذه الضائقة .

وقد ذكر مؤرخو البوصيرىّ أنه اختص بالصاحب زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع . وهذا الوزير بقى فى منصبه من سنة ٦٥٦ ﻫ إلى سنة ٦٥٩ .

فالراجح أن البوصيرىّ ذهب إلى بلبيس بعد عزل ابن الزبير ، أى فى سنة ٦٥٩ .

و يبدو أن إقامته فى بلبيس لم تطل . وذلك لأن السلطان الظاهر أدخل فى سنة ٦٦٣ تعديلا على نظام القضاء، بأن عين قاضيا لـكل مذهب من المذاهب الأربعة، وللبوصيرىّ أبيات فى هذا الصدد ، تدل على أنه كان مقيما بالقاهرة .

ومع أن عصر البوصيريّ امتاز بكثرة الوظائف والموظفين ، و بخاصة وَظائف التدريس ، إلا أنه لم يظفر بعمل يعيش منـه ، فاضطر إلى أن يفتح كتابا لتحفيظ القرآن . وقد أشار إلى ذلك بقوله :

قد صار كتابى و بيتى من بنى غيري وأبنائى كبُرْجِ حمـام

ولعلّ ربحه من هذا الـكتاب كان زهيدا ، فاضطر إلى إغلاقه ، وخرج من القاهرة سعيا وراء الرزق ، فذهب إلى المحلة ، ومدح ناظرها . و يبدو أن هذا الناظر قرر له إعانة شهرية ،

(١) الشطر الأول من هذا البيت غير موزون ، والشطر الثانى من الخفيف ، وهكذا جاء فى مخطوطات الديوان .

ولكنه ، كعادته ، لم يستطع أن يكسب عطف الكتاب، و بخاصة النصارى ، فأخروا عنه مرتبه حتى مضت عدة شهور دون أن يعطوه شيئا. فأثر هذا فى نفسه تأثيرا شديدا، وانهال على هؤلاء الكتاب بهجاء مقذع ، ووصف ما لاقاه من الجوع ، بسبب تأخرهم فى صرف ما تقرر له فمن ذلك قوله :

وقد قيل كُتاب النصارى مَناسِرٌ فما مثل كتاب المحلة مَنْسِر
فبرّد فؤادى بانتقامك منهم فقد كاد قلبى منهم يتفطر
منعت بهم حظى شهورا ولم أصل إلى حظهم حتى مضت لى أشهر
وحسبك أنى منهم متضور وكل امرئ منهم كذا يتضور

وقد بقيت جوانحه تنطوى على الحفيظة الشديدة لنصارى المحلة . وظهر أثر ذلك فى شعره . فمن قوله فى مدح الصاحب شمس الدين عيسى الذى ولى وزارة الصحة سنة ٦٧٨ .

إن النصارى بالمحلة ودُّهم لو كان جامعها يكون كنيسا

ومنها :

من لم يقم لى منهم بوظيفتى جرّسته بملامتى تجريسا

وفى المحلة ، تعرف ببعض الأدباء، ومنهم زين الدين بن الرعاد، الذى أشرنا إليه سابقا، وقلنا إنه نقد شعر البوصيرىّ، وأن البوصيرىّ لم يحتمل هذا النقد فهجاه .

وحدث أن دعاه بعض أصدقائه للذهاب إلى أحد الحمامات فى المحلة، حيث زلت به قدمه، فأصيب بكسر فى ساقه . وفى ذلك يقول :

كونوا معى عونا على الأيام لا تخذلونى يابنى عرام
إن كان يرضيكم وحاشا فضلكم ضرى ، فحسبى زلقة الحمام

وكثيرا ما وجدنا البوصيرىّ يشكو من هذا الكسر فى شعره . ولما وقعت له هذه

الإصابة انتقل إلى سخا ، وأقام بها بعض الوقت . ولم يكن من السهل أن يلتئم كسره إذ كان كبيرا ، وفى ذلك يقول :

ونهتنى عن المسـير إليهم شدة البأس من سخا فى مسير

ويقول فى نفس القصيدة وهى فى مدح تاج الدين حفيد بهاء الدين بن حنا :

من لشيخ ذى علة وعيال ثقلت ظهره بغير ظهير

وقد صور فى هذه القصيدة ما وصل إليه من ضيق . فقد ازدرته الولاة ، وهجره أصحابه وضنوا عليه بالعون . قال :

وازدرتنى بعض الولاة وقد أصـبح شعرى فيهم كخبز الشعير

رجع البوصيرىّ إلى القاهرة وأعاد فتح كتابه . وكان دأب رجال الصوفية فى ذلك الوقت أن يكثروا من التنقل من بلدة إلى أخرى . وكانت الاسكندرية إذ ذاك موطنا لقوم من الصوفية الوافدين من بلاد المغرب . وكان أبو العباس المرسى شيخ البوصيرىّ يزور الإسكندرية من حين إلى حين . وقد استقر بها أخيرا إلى أن مات سنة ٦٨٦ ﻫ .

فمن المحتمل أن يكون البوصيرىّ قد دفعه الفقر إلى مغادرة القاهرة ، والذهاب إلى الإسكندرية . ويغلب على الظن أن سفره كان قبل وفاة أبى العباس أى قبل سنة ٦٨٦ ﻫ . ولكن هل استقر البوصيرىّ فى الاسكندرية أو كان يتنقل بينها و بين القاهرة ؟ لقد نظم أبياتا فى فتح عكا تدل على أنه كان مقيما بالقاهرة . وهذا حدث سنة ٦٩٠ ﻫ . ثم إن المقريزى ذكر أنه توفى بالمارستان المنصورىّ بالقاهرة . وروى العياشىّ الرحالة المغربىّ الذى جاء إلى القاهرة سنة ١٠٧٣ ﻫ ، أنه زار قبر شرف الدين البوصيرىّ بناحية الإمام الشافعىّ . وعلى كل حال فليس فى شعر البوصيرىّ ما يدل على سفره إلى الاسكندرية ، ومن المؤكد أنه لم يزاول عملا خطيرا هناك ، لأنه كان شيخا كبيرا ، ضعيفا سقيما .

ولا شك فى أن البوصيرى أخفق فى حياته العملية . وذلك ، لأن الانسجام كان مفقودا بينه و بين الناس . وقد عرفنا من أخلاقه ما يكفى لإدراك سر إخفاقه .

مذهبه الديني وتصوفه :

فى سنة ٦٦٣ هـ غير السلطان الظاهر نظام القضاء ، فجعل القضاة أربعة ، لكل مذهب قاض ؛ بعد أن كان يتولى القضاء قاض واحد ، ينتمى إلى المذهب الشافعى .

وقد أنكر بعض الفقهاء على السلطان ذلك ، لأنهم رأوا فيه تفرقة لكلمة المسلمين . وقد روى أن بعضهم رأى السلطان الظاهر فى النوم ، فسأله عن حاله ، فقال : « ما رأيت أشد علىّ من ولاية قضاة أربعة . وقيل لى فرقت الكلمة » . ولكن البوصيرىّ لم يجد بأسا فى هذه التفرقة ، بل وجد فيها توسعة ويسرا . وقال إن بنية الإسلام كانت مريضة ، فصحت بهذا العمل ، وإن اختلاف الآراء لاخطر له ، ما دام الدين واحدا ، والكل يأخذ عنه :

بهم بنية الإسلام صحت وكيف لا تصحّ وهم أركانها والطبائع
فهم رخصا أبدوا لنا وعزائما هُدينا بها فهى النجوم الطوالع
فلا تبتئس أَن وسع الله فى الهدى مذاهبنا بالعلم والله واسع
تفرقت الآراء والدين واحد وكل إلى رأى من الحق راجع
فهذا اختلاف جر للخلق راحة كما اختلفت في الراحتين الأصابع

والرخص التى يشير إليها البوصيرىّ ، هى ما يحلله مذهب وتحرمه بقية المذاهب . وقد نهى الفقهاء عن تتبع الرخص .

وقد صار هذا الرأى عقيدة عند المسلمين فيما بعد ، وسندهم فى ذلك حديث معناه أن اختلاف أمتى رحمة . وقد أنكر ابن تيمية وأتباعه هذا الرأى ، وطعنوا فى صحة الحديث المتقدم ، وقالوا إن الاختلاف نقمه . هذا مذهب البوصيرىّ الفقهى .

* * *

أما موقفه من الفرق الدينية فقد عَبَّر عنه بقوله :

وتبارأنا من النَّصْب والرفْض وأوجبنا لكل جنابا

فهو لا من الناصبة الذين يكرهون آل على ، ولا من الروافض الذين يسبون ويكفّرون أبا بكر وعمر وعثمان .

ويقول فى قصيدة أخرى :

أئمة الدين كل فى محاولة　　　إلى صواب اجتهاد منه موكول
ليقضىَ الله أمرا كان قدَّره　　　وكل ما قدر الرحمن مفعول

وهذا شأن المتصوفة الذين يحترمون الصحابة أجمعين . وقد تغنى البوصيرىّ كثيرا بفضائل أبى بكر وعمر وعثمان وبقية العشرة المبشرين بالجنة . ولكنه عرّض بالأمويين ، وهو يوافق الشيعة فيما يزعمون من أن معاوية دسّ السم للحسن . وفى ذلك يقول :

أترجون من أبناء هند مودةً　　　وقد أرضعتهم دَرَّ بغضتها هندُ

ويقول :

من شهيدين ليس ينسينى الطَّفُّ　　　مصابيهما ولا كَرْبلاء
ما رعى فيهما ذمامك مرءو　　　س وقد خان عهدك الرؤساء

إلى قوله :

رب يوم بكربلاءَ مسىء　　　خففت بعض وزره الزوراء

وفى هذا البيت إشارة إلى انتقام العباسيين من بنى أمية . وربما أورد هذه الإشارة ، مجاملة للخليفة العباسى الذى كان يُقيم بالقاهرة إذ ذاك . وفيما عدا ذلك لانجد له أية إشارة إلى الخلافة العباسية ، فكأنه لم يعترف بهذا الخليفة الذى كان على مقربة منه .

* * *

وله قصيدة أنشدها أمام ضريح السيدة نفيسة مطلعها :

جنابكِ منه تستفاد الفوائد　　　وللناس بالإحسان منكِ عوائد

يذكر البوصيرىّ فى هذه القصيدة أنه ركع أمام ضريح السيدة نفيسة ، وعفّر وجهه بترابها . ويقول إنها سليلة خير العالمين التى لم يجحد فضلها أحد . وقد ورثت صفات المصطفى وعلومه . ومن علمها أخذ العلماء ، ومن زهدها استمد الزهاد . ويقول إن هذه العلوم أخذت تنتقل فى الأئمة من سلالتها الذين :

إذا مامضى منهم إمام هُدًى أتى   إمام هدى يدعو إلى الدين راشد

ويذكر أن قلبه مفعم بحب بنى الزهراء ، وأنه يدافع عنهم ويجادل من أنكر فضلهم ؛

وإن اعتقادا خاليا من محبة   وحب لكم آل النبى لفاسد

ثم حمل على خصوم بنى الزهراء ، الذين غصبوهم حقهم . وقال إنه كلما تذكر المظالم التى وقعت عليهم ، أصابه حزن عميق ، وألم شديد . ووجه اللوم العنيف لأولئك الذين قعدوا عن نصرة الحسين . وشبّه الفتنة التى حدثت بين المسلمين عقب مقتل عثمان بالفتنة التى حدثت بين بنى إسرائيل بعد أن فارقهم موسى . قال :

فيافتنة بعد النبى بها غدا   يُهَدَّم إيمان وتبنى مساجد
وما فتنت بعد ابن عمران قومُهُ   بما عبدوا إلا ليهلِك عابدُ

ثم قال إنّ ماحدث لآل البيت كان بإرادة الله وقضائه ، وإن الله اختار لهم السعادة، وقدر لأعدائهم الشقاوة . ومدح الله آل البيت فى كتابه بأن أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . وأخذ يطرى السيدة نفيسة ، فذكر أنها هى العروة الوثقى ، والرتبة العليا ، والغاية القصوى لمن قصدها واستنجد بها ، وأنها منبع الكرم . ولولا وجودها ما اخضرّ يابس . ثم شكا إليها ما يجده من الضيق والبلاء ، وتوسل إليها أن تدركه وتنقذه مما يعانيه .

ولما انضم إلى الشاذلى وأصبح من أتباعه ، أخذ ينافح عن الصوفية ضد طبقة الفقهاء ، ويعرّض بهذه الطبقة تعريضا فاحشا . ثم وصف أبا الحسن بأنه قطب الزمان وغوثه وإمامه ، وعين الوجود ، ولسان سر الموجد، وأنه ورث علومه عن النبى، فساد معاصريه، حتى قصروا عن اللحاق به . وأن تعاليم الشاذلى مؤيدة بروح القدس .

فتاقَّ ما يلقى إليـك فنطقه نطق بروح القدس أىّ مؤيد

ولما مات الشاذلىّ بصحراء عيذاب سنة ٦٥٦ هـ ، عهد برياسة الطريقة إلى تلميذه المخلص أبى العباس المرسىّ ، وهو من الأنصار . وقد مدح البوصيرىّ أبا العباس بشعر جيد ، منه قصيدة مطلعها :

كتب المشيبُ بأبيض فى أسود بغضاء ما بينى وبين الخرّد

شبه فيها الشاذلى بموسى وأبا العباس بيوشع . والصوفية يقولون إن النبى لا يأتى بشريعة جديدة ، وإنما يجىء مؤيدا لشريعة من قبله ومصدقا لها . وذلك بعكس الرسول . وفى ذلك يقول البوصيرىّ :

اليوم قام فتى على بعده كيما يبلغ مرشدا عن مرشد
فـكأن يوشع بعد موسى قائم بطريقه المُثْـلَى قيام مؤكد

وقد ألف ابن عطاء الله السكندرى ، وهو صديق البوصيرىّ ، وزميله فى الأخذ عن أبى العباس ، كتابا فى مناقب شيخه سماه [لطائف المنن ، فى مناقب أبى العباس المرسى وشيخه أبى الحسن] وقد سجل البوصيرىّ فى قصيدته المتقدمة بعضا مما ذكره ابن عطاء الله من مناقب هذين القطبين . وهكذا اشترك البوصيرىّ مع زميله فى الدعاية للطريقة الشاذلية . ولـكنّ ابن عطاء الله لم يعرّض بالفقهاء ويلصق بهم المثالب ، مثلما فعل البوصيرىّ ، الذى كان ينتهز كل فرصة للتشهير برجال القضاء .

وفى هذه القصـيدة ، يشرح البوصيرىّ آداب المريد ، التى تقوم على الطاعة العمياء لشيخه . قال :

فاصحب أبا العباس أحمد آخذا يد عارف بهوى النفوس منجد
فإذا سقطت على الخبير بدائها فاصـبر لمرّ دوائه وتجـلد

ومن مناقب أبى العباس التى ذكرها ابن عطاء الله أنه كان يرحب بالمريدين ، ويسرع إلى لقائهم ، ويشرح لهم تعاليمه . وفى ذلك يقول البوصيرىّ :

جعلته لم يرَ للحقيقة طالبا إلا يمد إليــه راحة مجتدى

ألفاظه مبذولة بذل الحيا ومصونة صون العذارَى الخرّدِ

ثم أخذ يعرّض بالفقهاء الذين يأخذون علومهم من الـكتب ، فى حين أن أبا العباس جمع علوم الحقيقة والشريعة ؛ وأنه يسبح فى ملـكوت الله .

ساحت رجال فى القفار وإنه ليسيح فى ملكوت طرف مُسْهَدِ

ثم أشاد فى أبيات كثيرة بالأنصار ، ووصف أبا العباس بأنه سيف من سيوفهم . قال :

سيف من الأنصار ماض حدُّه فاضرب به فى النائبات وهدِّد

ولهذه القصيدة ، شرح اسمه « البرد القشيب ، فى تفسير كتب المشيب » لابن محجوب المعتقلاوى ، من علمـاء أوائل القرن الحادى عشر ؛ منه نسخة خطية بدار الـكتب تحت رقم ٩٣٠٤ — أدب .

* * *

وقد أراد البوصيرىّ أن يكون صوفيا فأخفق ، وهو كرجل لم يستطع أن يتشرب تعاليم الشاذلىّ . وإننا لنجد فى أخلاقه وحياته المنزلية ما لا يتفق مع أخلاق الصوفية . ثم إنه كان رب أسرة كبيرة ، فاضطر أن يمدح الأمراء والوزراء ، وقد يكون فيهم الظالم الذى يستحق القدح ، وليس هذا من شأن الصوفية ، الذين كان الحـكام يتزلفون إليهم . وعلاوة على ما تقدم ، فإن البوصيرىّ كان تغلب عليه الدعابة ، وقد عرف بها بين الناس ، حتى فضله بعضهم على الجزار ، أحد من اشتهروا بالدعابة فى ذلك الوقت . وكل هذا وغيره لا يتفق مع طابع التصوف .

أما البوصيرىّ كشاعر ، فإنه تأثر بالتصوف إلى حد كبير .

حياته فى منزله :

يبدو من شعر البوصيرىّ أن حياته فى منزله كانت جحيما لايطاق ، وهو لايلوم نفسه ولا يحملها شيئا من التبعة فى ذلك ، بل يلقى كل اللوم على زوجته . وذنبها الأول فى نظره أنها كانت ولودا ، فأثقلت ظهره بالأولاد . وكثيرا ما شكا فى شعره من ذلك . فقال :

إليـــك نشكو حالنا إننا عائلة فى غاية الـكثرهْ

وقال :

إن زرتها فى العام يوما أنتجت وأتت لســتة أشهر بغلام
أوكل ما حلمت به حملت به من لى بأن الناس غير نيـام
أصبحت من حملى همومهم على هرَمى كأنى حامل الأهرام

وهكذا كان البوصيرىّ متبرما بكثرة أولاده . فتمنى لو كانت زوجته عقيما، أو أنه كان خادما فى منزل ، أو أنه عدلَ عن الزواج إلى ارتــكاب الفاحشة ، أو جارى بعض الصوفية فى الشذوذ الجنسى. وذكر أنه سافر إلى المحلة ، سعيا وراء ما يكفى أولاده، فلم يعجبهم سفره ولا إقامته بينهم. قال :

فارقتهم طلبا لرزقهم فلا صَرْفى يسرهم ولا استخدامى

ولأن البوصيرىّ كان مقتَّرا عليه فى الرزق ، ظلت الخصومة محتدمة بلا انقطاع بينه و بين زوجته .

وحدث أن ذهبت تلك الزوجة لزيارة أختها ، وشكت إليها ما تعانى من الضيق . فحرضتّها أختها على طلب الانفصال عنه ، وأشارت عليها إن أبى أن يطلقها ، أن تنهال عليه بالضرب ، وتشد لحيته، وتنتفها شعرة شعرة، وأخذت أختها تهون من قدر البوصيرىّ، حتى اقتنعت الزوجة، وصممت على تنفيذ ما أشارت به أختها . فلما جاءت إلى المنزل و بدأت تشتبك مع زوجها

أظهر لها الحدة والغضب ، فما كان منها إلا أن أمسكت آجرّة وقذفت بها رأسه . واستمرت المعركة بينهما تارة باليد ، وأخرى باللسان ، من أول الليل حتى مطلع الفجر . وقد روى لنا هذه القصة ، فى قصيدة مدح بها الصاحب بهاء الدين بن حنا ، مطلعها :

يأيها المولى الوزيرُ الذى أيامه طائعـــة أمْرَهْ

وفى هذه القصيدة يصور لنا حياة أولاده تصويرا مؤلما ، فهم من شدة الجوع ، عبرة لمن أبصرهم ، وإن شربوا فمن البئر ، لأنه لازير عندهم ، ولا طعام لهم سوى الخبيزة يسلقونها فى الماء . فإذا اجتمعوا حولها ، قال لهم تنزهوا فى الماء والخضرة ، وقد أقبل عليهم العيد ، ولا قمح عندهم . وإذا أبصروا كعكعة فى يد طفل ، أو تمرة ، شخصت إليها أبصارهم ، وأرسلوا شهقة تتبعها زفرة . وهو إذ يرى أولاده على تلك الحال تأخذه الحسرة ، ويشتد ألمه ، لما هم فيه من حرمان ، ويذكر أن أولاده يتجمعون حوله ، ويسألونه عن سبب امتناعه عن إحضار طعام لهم ، ويعجب من فطنة هؤلاء الأطفال وذكائهم مع صغر سنهم ، ثم يخلص من ذلك إلى طلب الإحسان .

ويذكر فى قصيدة أخرى ، أن عنده بنتا خطبت وستزف إلى بعلها ، وأنها تطالبه بإعداد ما يلزم من متاع ، مع أنه لايملك فى بيته حصيرا . ويقول إن حياته أصبحت كدرا ، وإن أصدقاءه هجروه وقاطعوه ، وأبوا مساعدته بخلا منهم .

وعلى الجملة ، فإن هذه الحياة ، القاسية التى ترتكز على الفقر والشيخوخة ، وما صحبها من أسقام ، كانت موضوعا للشاعر ، يعرضه فى مدائحه ، ليستدرّ عطف ممدوحيه .

وقد نقل المقريزىّ ، أن الشهاب محمودا ، حينما قدم مصر ، أراد الاجتماع بالبوصيرىّ . فلم يلبث أن طرق الباب عليه طارق ، وإذا به البوصيرىّ . قال : « ثم أدخلته الدار ، فتحادثنا ، وشكا إلىّ فاقة عظيمة ، وضرورة زائدة ، ثم أطلق لسانه فى الحكام والكتاب » ، فأشار عليه الشهاب محمود ، بأن ينظم قصيدة فى مدح الوزير القائم فى الحكم إذ ذاك ، عسى أن يجيزه . ففعل وكان أن ظفر بصلة .

فمن هنا نعلم أن الرجل لم يكن مبالغا فيما صوّر به حياته القاسية . والعجب بعد ذلك لمن يعتقد أن البردة تجلب الرزق ، وتطرد الفقر .

أما الذنب الآخر الذى يؤاخذ به زوجته ، فهو شكواها من أنه لايشبع لها رغباتها الجنسية . وقد ذكر ذلك فى عدة قصائد : فمن قوله :

حسبت علتى تزول فقالت   يا كثير التهوين والتهوير
كل داء له دواء فعجل   بمداواة داء عضو خطير

وقوله :

وبليتى عِرْس بليت بمقتها   والبعل ممقوت بغير قيام
جعلت بإفلاسى وشيبى حجة   إذ صرت لا خلْفى ولا قُدَّامِى
بلغت من الكبر العِتِيَّ ونكست   فى الخَلْق وهى صبية الأرحام

الخ ...

وفى أواخر أيامه انتابته الأسقام، فكان يصاب بالإغماء لمدة طويلة ، حتى يظن أنه مات ، ويذكر أنه مصاب بالبِرْسام ، وهو التهاب فى الصدر . قال :

لو لم أرض عقلى بمكتب صبيةٍ   حميت علىّ عوارض البِرسام

وكان من عادته ، كما مر بنا ، أن يتناول شربة فى كل عام ، وربما فعل ذلك لاضطراب فى معدته . وليس فى شعره ما يدل على أنه أصيب بالفالِج ، وإنما هناك ما يدل على أنه أصيب بكسر :

* * *

ولنقف فى حياة البوصيرىّ عند هذا الحد ، فإن المقدمة لاتتسع لأكثر من هذا . ولنبدأ الكلام على شعره فى المديح النبوىّ .

إذا ألقينا نظرة تاريخية على المدائح النبوية عند البوصيرى ، وجدناها تنقسم قسمين : قسما نظمه قبل أداء فريضة الحج ، وقسما نظمه بعد أداء الفريضة .

ومن المؤكد أنه لم يذهب إلى الحجاز قبل سنة ٦٥٤ ، لأنه فى هذه السنة نظم فى مدح الرسول قصيدة دالية ، سماها « تقديس الحرم، من تدنيس الضرم » وكناها بأم نارين . وكان سبب نظم هذه القصيدة : ما ذكره المقريزى من ظهور نار فى المدينة ، نتيجة لهزات أرضية عنيفة . وبعد أن خمدت ، اشتعلت نارأخرى فىمسجد الرسول ، نتيجة لسقوط مسرجة القيِّم . فلما طارت هذه الأخبار فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، أحدثت ألما شديدا فى النفوس،انعكس صداه على ألسنة الشعراء ، ومنهم البوصيرى ، الذى نظم قصيدة مطلعها :

إلهى على كل الأمور لك الحمدُ فليس لما أوليتَ من نعمٍ حَدُّ

ونظم قصيدة حائية مطلعها :

أمدائح لى فيك أم تسبيحُ لولاك ما غفر الذنوب صفوح

وقد ختم هذه القصيدة كما ختم التى قبلها، بإظهار شوقه إلى زيارة الرسول .

وقبيل ذهابه إلى الحج ، نظم لاميته فى الرد على النصارى واليهود . وفى نهايتها مدح الرسول ، وأعرب عن عزمه القاطع على الرحيل إلى الحجاز ، لزيارة الرسول، وذكر أنه سيدع التسويف . قال :

فلأُقطعنّ حبال تسويفى التى منعت سواى إلى حماه وُصولَا
حتى أضمّ بطيبةَ الشَّمْل الذى أنضى إليها العِرْمِسَ الشِّمْليلا

* * *

ومن أهم قصائده التى نظمها قبل الحج ، قصيدته التى عارض بها كعب بن زهير ، وسماها [ذخر المعاد ، فى معارضة بانت سعاد] وقد سبقه إلى معارضة كعب ، شعراء أهمهم ابن الساعاتى المتوفى سنة ٦٠٤ ﻫ . وكان من عادة الشعراء الذين يتصدون لمعارضة كعب،أن يسيروا على نهجه

فيبدءون قصائدهم بالغزل، أما البوصيرىّ، فإنه خرج عن الطريق المألوف، وافتتح قصيدته بالوعظ والإرشاد، وزجر النفس، وحضها على الزهد فى الدنيا والاستعداد للآخرة، وانتهى إلى إظهار شوقه العظيم إلى زيارة الضريح النبوىّ .

هذه هى المدائح النبوية، التى نظمها الشاعر قبل أن يذهب لأداء فريضة الحج. فلما صحت عزيمته على السفر، وامتطى بعيره متجها إلى الحجاز مع الركب، نظم قصيدة عبر فيها عما يشعر به من الفرح العظيم مطلعها :

سارت العيسُ يُرَجِّعن الحنينا ويجاذبن من الشوق البُرِينا

وأخيرا وصل الشاعر إلى المدينة فوقف أمام الضريح النبوى، وأنشد قصيدة مطلعها:

وافاك بالذنب العظيم المذنبُ خجلا يعنِّفُ نفسَه ويؤنبُ

ثم نظم قصيدة مطلعها :

بمدح المصطفى تحيا القلوب وتُغْتَفَرُ الخطايا والذنوبُ

ولما فرغ من أداء الفريضة، وهم بمغادرة الأراضى الحجازية، نظم قصيدة مطلعها :

أزمعوا البين وشدُّوا الركابا فاطلبِ الصبرَ وخلِّ العتابا

ولما عاد الشاعر من الديار الحجازية، واستقر فى القاهرة، شرع فى نظم قصيدة طويلة سماها [أم القرى، فى مدح خير الورى] وهى المعروفة بالهمزية، مطلعها :

كيفَ ترقَى رقيك الأنبياء ياسماءً ما طاولتها سماء

وقد ذكر فى هذه القصيدة، الأماكن التى سلكها حين ذهابه إلى الحجاز . ومنها نعلم أنه لم يركب البحر، بل اتخذ طريق البر، الذى يبدأ من بِرْكة الحج خارج القاهرة، ثم يتجه شمالا بشرق، ويلتف حول خليج العقبة، ثم يمم جنوبا مارا بالعوجاء، والحوراء، وينبع، وحُنين، وبدر، والصفراء، وبزوة، ورابِغ، والجُحْفة، إلى أن يصل إلى الزاهر خارج مكة .

وقد حازت الهمزية إعجاب الأدباء، فأقبل بعضهم على شرحها .

والآن نتكلم على أهم قصيدة نظمها البوصيرى فى هذا الباب وهى البردة . وأول من حدثنا عنها هو ابن شاكر الكتبى، المتوفى سنة ٧٦٤ ه إذ ذكر قصة إصابة البوصيرى بالفالج ، ونظمه لهذه القصيدة وشفاءه، و إنشادها للنبى الذى أعجب بها، وألقى عليه بردة . ثم أورد قصة إصابة سعد الدين الفارقى برمد أشفى منه على العمى ، لولا أن وضع قصيدة البردة على عينيه ، فنجا من شر هذه الآفة .

ثم جاء المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ وابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ فأوردا هذه القصة بنصها ، كما هى عند ابن شاكر .

والملاحظ أن عصر البوصيرى ، كان يزخر بالخُرافات . وكان الصوفية أجمعون يدّعون أنهم يرون النبى يقظة ومناما ، و يخاطبونه و يخاطبهم ، وقد سبق أن ذكرنا أن البوصيرى أصيب بكسر . وفى ذلك يقول :

ما ضركم جبرُ الكسيرِ وحسْبُهُ ما يلتقى فى الجبر من آلامِ

ومع أن الشاعر هنا يتلاعب بالألفاظ ، إلا أننا نستطيع أن ندرك أنه كان مصابا بكسر. وقال :

ماحال من مُنِعَ الركوبَ وطرفُه يشكو إليه رِباطَه محبوسًا

والطَّرْف هنا بمعنى الساق . فهو يقول إنه عجز عن الركوب، لأن ساقه المكسورة ، كانت قد لفت عليها الأربطة ، فتعذرت عليه الحركة . وعلاوة على ما تقدم فإن الفالج لا يربط . ومن هنا نستطيع أن ننفى إصابته بالفالِج نفيا تاما .

وأمر آخر نستطيع أن نبطل به دعوى إصابته بالفالج ، وهو ما أشار إليه فى الأبيات التى يشكو فيها من زوجته الولود ، والتى يقول فيها :

أو هذه الأولاد جاءت كلها من فعل شيخ ليس بالقوّام

فهو يقول، إنه مع وجود هذه العلة ، كان يباشر زوجته ، و ينجب منها . فكيف تكون

هذه العلة فالجا أبطل نصفه ؟! هذا وقد ذكرنا من قبل، أن البوصيرى كان مصابا بعدة أمراض. فلو كانت البردة تصلح للعلاج من الأمراض، لكان الأولى أن يتعالج بها صاحبها.

وقد ذكر ابن حجر الهيتمى، قصة الفالج، ثم أردفها بما نصه: «وقيل إنه اشتد رمده، بعد نظمها، فرأى النبي، صلى الله عليه وسلم، فى النوم، فقرأ عليه شيئا منها، فتفل فى عينيه فبرئ لوقته» وإذا أخذنا بما يرويه ابن حجر، انتهينا إلى أن البوصيرى، لم يصب بفالج، وأن ما يقال من أن النبي ألقى عليه بردة، لم يحدث قط.

ولا شك فى أن كل ما قيل حول البردة، فهو مختلق ومن نسج الخيال. ولقد أمعنوا فى الكذب والاختلاق، فذكروا أن البوصيرى، لما وصل إلى قوله: «فمبلغ العلم فيه أنه بشر» توقف. فقال له النبي: قل يا إمام. فقال البوصيرى: إنى لم أوفق للمصراع الثانى. فقال النبي: قل يا إمام «وأنه خير خلق الله كلهم» فأدرج البوصيرى هذا المصراع فى قصيدته. وهذا كله إفك وبهتان. وإلا فكيف استطاع البوصيرى أن ينظم القصيدة كلها وعجز عن هذا الشطر، وتوقف فيه، حتى قام ينشدها أمام الرسول ؟! والعجب من قوم لم يتورعوا عن الكذب على رسول الله! هذا وقد ورد عجز البيت المتقدم بنصه، فى إحدى قصائد الصَّرْصَرِى المتوفى سنة ٦٥٦ التى يقول فيها:

محمد خير خلق الله كلهم وهو الذى لفخار المجد ينتسِبُ

* * *

فكيف إذا أخذت البردة اسمها ؟ لقد اعتاد الشاعر أن يطلق على مدائحه النبوية أسماء معينة. فقصيدة اسمها «ذخر المعاد، على وزن بانت سعاد»، وقصيدة اسمها «تقديس الحرم، من تدنيس الضرم» وكنيتها «أم نارين»، وثالثة اسمها «أم القرى، فى مدح خير الورى»، ورابعة اسمها «المخرج والمردود، على النصارى واليهود».

وواضح أن هذه الأسماء، لاتخفى وراءها أسرارا، ولم يقصد بها أكثر من معناها الظاهر.
وقد أطلق البوصيرى على القصيدة التى نحن بصددها، اسم [الكواكب الدرية، فى مدح خير البرية]. فليس ببعيد أن يكون البوصيرى، قد كناها بالبردة، لاشتمالها على مناقب الرسول. وحينئذ يكون قد قصد المعنى المجازى، لا أكثر.

وقد شبه البوصيرى مدائحه النبوية بالبردة، لأنها حوت محاسن الرسول. قال:

حاك من صنعة القريض برودا لك لم تحك وشيها صنعاء

وأحيانا يشبهها بالحلة، فيقول:

ها حلة بخلال منك قد رقمت مافى محاسنها للعيب تخليل
ألبستهامنك حسنافازدهت شرفا بها الخواطر منا والمناويل

وقد ذكر الشاعر كلمة « بُرْدة »، فى غير المناسبات السابقة. ومثال ذلك قوله:

تعذَّر فى المشيب وكان عيا وبرد شبابه ضاف قشيب

وقوله:

نسجت برود بلاغتيه وأبدت الـ إبداع فى الآساد والآجام

وقد شبه نفسه بكعب. ولكعب كما نعلم، قصيدة اسمها « البردة ». فمن الراجح أن البوصيرى، أراد أن تكون له قصيدة تحمل اسم قصيدة كعب، وذلك من باب التبرك.

وللبردة، اسم آخر هو البروة. وذلك لأن البوصيرى، كما يزعمون، برئ بها من علته.

وقد سميت كذلك، بقصيدة الشدائد. وذلك لأنها، فى زعمهم، تقرأ لتفريج الشدائد، وتيسير كل أمر عسير.

ولم يكتف بعض المسلمين بما اخترعوا من قصص حول البردة، بل وضعوا لقراءتها شروطا لم توضع مثلها لقراءة القرآن. منها: التوضؤ، واستقبال القبلة، والدقة فى تصحيح ألفاظها

و إعرابها ، وأن يكون القارئ عالما بمعانيها ، إلى غير ذلك . ولا شك فى أن هذا كله من اختراع الصوفية ، الذين أرادوا احتكار قراءتها للناس . وقد ظهرت منهم فئة عرفت بقراء البردة ، كانت تستدعى فى الجنائز والأفراح ، نظير أجر معين .

ووضعوا لها من المناقب والفضائل ما لا يقع تحت حصر . فهى تشفى من عدة أمراض . وتفرّج الشدائد، وتسهل كل أمر عسير . وقد استغلّ المشعوذون والدجالون قصيدة البردة ، لابتزاز الأموال ، والاحتيال على صغار الأحلام ، وضعفاء العقول. واتخذوا منها تمائم وتعاويذ ، وشرعوا يوهمون الأغرار بفوائد هذه التمائم ومنافعها ، و يتقاضون على ذلك ما يملأ جيوبهم .

وقد ترتب على ما تقدم ، أن سار ذكر البردة فى الآفاق شرقا وغربا ، وحفظها الخاص والعام ، وتغنى بها الناس فى الموالد والأذكار، وأكثروا من تلاوتها فى شتى المناسبات . قال ابن حجر الهيتمىّ : « كيف وقد ازدادت شهرتها إلى أن صار الناس يتدارسونها فى البيوت والمساجد كالقرآن » . وقد ترجمت إلى بعض اللغات الشرقية والغربية ، وأقبل الشعراء عليها ، فمنهم من يشطرها ، ومنهم من يعجِّزها ، ومنهم من يخمِّسها، ومنهم من يسبِّعها، ومنهم من يتسِّعها، ومنهم من يعشِّرها ، ومنهم من ينهج نهجها ، وأوسعها الكتاب شرحا وتعليقا .

أما سبب ذيوع تلك القصيدة ، فيرجع الفضل فيه إلى الصوفية الشاذلية الذين ينتمى إليهم البوصيرىّ . و إلى المغاربة منهم بنوع خاص . فإن هؤلاء المغاربة ، كانوا زمن الدولة الفاطمية يتمتعون برغد العيش . فلما ذهبت تلك الدولة ، أرادوا أن يحتفظوا بمستواهم المادىّ ، فاشتغلوا بالسحر والشعوذة ، واتخذوا من البردة مجالا لنشاطهم ، فوضعوا لها المناقب على نحو ما تقدم . واحتكروا نسخها وتأجيرها ، وقراءتها فى حلقات الأذكار ، والمآتم والأفراح . وكان من دأب هؤلاء المغاربة ، أن ينتقلوا من مدينة إلى أخرى ، ومن إقليم إلى آخر، فعملوا على نشرها فى جميع أنحاء العالم الإسلامى .

وقد ظلت البردة،بالرغم من طعن ابن تيمية فيها، مقدسة عندالمسلمين. ثم قام محمدبن عبدالوهاب

فى نجد ، فأعاد هو وتلاميذه الطعن فيها ، و بينوا ما اشتملت عليه من شرك أكبر فى زعمهم .
وقد أنكر ابن تيمية على البوصيرى قوله :

دعْ ما ادعته النصارى فى نبيهمِ ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
فإن فضلَ رسول الله ليس له ... حدّ فيعرب عنه ناطق بفم
وانسُب إلى ذاته ماشئت من شرف ... وانسب إلى قدره ماشئت من عظم
لو ناسبت قدرَه آياتُه عظما ... أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

وذلك لأن البوصيرى ، وإن كان قد أسقط الربوبية عن النبى ، إلا أنه غالى فى مدحه غلوا أضاع معه قيمة إسقاط الربوبية .

* * *

وقد امتاز البوصيرى فى مدائحه النبوية بقوة الأسلوب ، وحسن الصياغة ، وجودة المعانى وجمال التشبيهات ، وروعة الصور .

والصوفية ، يزعمون أن النبى حىّ فى قبره ، يسمع ما يخاطب به ، وما يقال فى مدحه . لذلك اجتهد البوصيرى فى الفوز بإعجاب الرسول ، حتى تغفر له ذنوبه ، وينجو من عذاب النار ، ويدخل الجنة . ولا شك فى أن محاولته محاكاة كعب وحسان ، كانت حافزا له على الإجادة فى هذا الباب . وقد لعبت العاطفة الدينية الصادقة ، دورا هاما فى هذا الصدد ، وكذلك روح التصوف الذى عرف بها البوصيرى .

وإنك لتجد الشاعر يجادل النصارى واليهود فى أثناء المدائح النبوية ، جدالا منطقيا وتاريخيا ، مع الإشارة إلى بعض النصوص الواردة فى التوراة والإنجيل ، ويصوغ ذلك صياغة جيدة ، مطبوعة بالطابع الموسيقى ، الذى ينبغى أن يكون عليه الشعر . ومن تأمل قصيدته [المخرج والمردود] أدرك صحة ما نقول .

وامتاز البوصيرى فى مدائحه النبوية ، بحسن اختياره للألفاظ المناسبة للمقام . ومثال ذلك قوله فى وصف جند الرسول :

كأنما الدين ضيفٌ حل ساحتهمْ بكل قَرْم إلى لحم العــدا قَرِمِ
يجر بحر خميس فوق سابحــة يرمى بموج من الأبطال ملتطم
من كل منتدب لله محتسب يسطو بمستأصل للـكفر مصطلم

الخ . . .

فالشاعر، استخدم كلمات جزلة ، وذات رنين خاص يناسب مقام الحرب . وبهذه المناسبة، نذكر أننا لم نجد شاعرا اهتم بوصف جند الرسول ، وبرع فى ذلك مثل مابرع البوصيرىّ .

هذه إشارة عابرة عن الأسلوب . أما من ناحية المعانى ، فإننا نلاحظ تـكرارها ، نظرا لتـكرار ذكرالمعجزات . ولـكنه كان يصوغها فى كل مرة صياغة جميلة ، ويضعها فى ثوب جديد، فتبدو فى نظرنا ، وكأننا لا عهد لنا بها من قبل . ومثال ذلك ، قوله فى اختفاء النبىّ فى الغار وهو :

وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طَرْف من الـكفار عنه عَمِى
فالصدق فى الغار والصديق لم يَرِمَا وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأُطُمِ

وفى هذه الحادثة نفسها ، يقول قصيدته التى عارض بها كعبا :

واغيرتا حين أضحى الغار وهو به كمثل قلــبى معمور ومأهول
كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصــديق ليثان قد آواهما غِيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على وهن فياحبذا نسج وتجليل

عناية ضلَّ كيد المشركين بها ... وما مكايدهم إلا الأضاليل
إذ ينظرون وهم لايبصرونهما ... كأن أبصارهم من زيغها حول

والصورة الأولى أقوى وأشد تأثيرا فى النفس . وقوله «وما حوى الغار من خير ومن كرم» أقوى من قوله :

كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصّديق ... ليثان قد آواهما غيل

ومصدر قوته يرجع إلى ما فيه من صدق ؛ فالثابت أن أبا بكر كان خائفا . وأن النبى هدأ من روعه ، وقد حكى القرآن ذلك فى قوله « إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا » والثابت كذلك أن العنكبوت والحمام قد لعبت دورا هاما فى صرف أنظار المشركين عن الغار . وقوله :

وقاية الله أغنت عن مضاعَفَةٍ ... من الدروع وعن عالٍ من الأُطُمِ

أقوى بكثير من قوله :

عناية ضل كيد المشركين بها ... وما مكايدهم إلا الأضاليل

وقوله : « وكل طرف من الكفار عنه عمى » أقوى من قوله « كأن أبصارهم من زيغها حُول » . هذا ولكل من الأبيات الأولى والثانية إيحاء خاص فى النفس .

وقد أشار البوصيرىّ إلى إعجاز القرآن فى الهمزية واللامية ، ولكن المعنى تبلورَ فى ذهنه ، واتسع وقوى ، فجاء به فى البردة على نحو رائع إلى حد بعيد ، وهذا هو مظهر الجدة الذى أشرنا إليه ، فلم يكن التكرار عنده عبثا ، يأتى به لملء الفراغ ، بل كان لعرض فكرة قد ازدادت وضوحا فى ذهنه ، وهذا مما يشوقنا إلى قراءة قصائده ، والوقوف عند المعانى المشتركة فيها ، والموازنة بينها ، واستنباط أوجه القوة على اختلاف درجاتها ، وانظر إلى مافى أبيات البردة من التشبيهات القوية ، والصور الرائعة ، والحكم الخالدة .

ولسنا فى حاجة إلى القول بأن الشعراء الذين مدحوا الرسول بعد البوصيرى سطوا على معانيه ، التى وردت فى الهمزية والبردة ، وسطوا على ألفاظه وعباراته .

* * *

أما البوصيرىّ كشاعر ينظم فى الأغراض المختلفة، فإننا لانجد فى ديوانه من تلك الأغراض سوى المدح ، والهجاء ، والرد على النصارى واليهود ، والدعابة .

وتمتاز مدائح البوصيرىّ بميزة قلما نجدها عند غيره من الشعراء . هذه الميزة هى ظهور البيئة المصرية فيها ظهورا واضحا ، مثال ذلك قوله :

وأقبلت تحيي الأرض من بعد موتها ... وفى الجود ما يحيي الموات وينشر

فهاهى تحكى جنة الخلد نزهة ... ومن تحتها أنهارها تتفجر

وأعطيت سلطانا على الماء عاليا ... به يزخر البحر الخضمّ ويسجر

فياصالحا فى قسمة الماء بينهم ... ولا ناقة فى أرضهم لك تعقر

ففى بلد من حكمك الماء راكد ... وفى بلد من حكمه يتحدر

فهذا له وقت وحد معين ... وهذا له حد ووقت مقدر

فالممدوح اهتم بشئون الرىّ ، فحفر الترع وأنشأ الجسور، وضبط مياه النيل، فلا تفتح الأحواض إلا فى وقت معين ، ولا تقفل إلا فى زمن محدد . ثم إن هذا الممدوح اهتم بتوزيع الماء على الزراع توزيعا عادلا، انعدمت أو قلت معه أسباب الشكوى .

ومعلوم أن حياة الأرض فى مصر تقوم على مياه النيل ، وقد عاش الشاعر فى الريف مدة من الزمن ، فعرف حاجة الفلاحين إلى حاكم يهتم بمثل هذه الشئون .

لذلك تغنى بما قام به الممدوح فى هذا الصدد، مطنبا إطنابا يدل على ارتياحه وتقديره لهذا العمل العظيم ، فى وقت اشتدت فيه حاجة الفلاح لهذه الإصلاحات .

والأمر الثانى الذى يهم الفلاح هو العمل على نشر الأمن ، والقضاء على اللصوص الذين يغيرون على المواشى و ينهبونها ، وعلى المحاصيل فيسرقونها ، فإذا جاء حاكم وعمل على استتباب الأمن، وقطع دابر اللصوص، فإن الألسنة تلهج بالثناء عليه، وهذا الحاكم الذى يمدحه البوصيرى قد قام بهذا العمل العظيم ، وسهر على حفظ الأمن ، وقد أشاد البوصيرى بذلك فقال :

فطهر وجه الأرض من كل فاسد   وما خلته من قبله يتطهر
ومهده للسالكين من الأذى   فليس به الأعمى إذا سار يعثر
أنام الرعايا فى أمان وطرفه   لما فيه إصلاح الرعية يسهر

ومن مظاهر البيئة الريفية فى مدائحه قوله :

والمال يجنى كما تجنى الثمار بها   حتى كأنّ بنى الدنيا له شجر
وتابعت بعضها الغلات فى سفر   بعضا إلى شون ضاقت بها الخدر
وسيقت الخيل للأبواب مسرجة   لم تحص عدا وتحصى الأنجم الزهر
والهجن تحسبها سُحْبا مفوفة   فى الحق منها فضاء الجو منحصر

فالجنى والثمار والأشجار والغلات والشون والخيل والهجن ، كلها من وحى الريف .

وفى مدائحه صور وتشبيهات ريفية مبتكرة ، لم يسبق إليها ، ومثال ذلك قوله :

كأنه الدلو يعلو حين تملؤه   ماء ويفرغ ما فيه فينحسر
والدهر يرفع أطرافا كما رفعت   أذنابها لقضاء الحاجة البقر

وله قصيدة بدأها بذكر مدن الشرقية وقراها ، والتحسر على الأيام السعيدة التى قضاها بين ربوعها .

* * *

وتظهر فى مدائحه آثار التصوف بصورة واضحة ، مثال ذلك قوله فى أحد ممدوحيه :

معنى الوجود الذى تم الوجود به ... وهل بغير المعانى قامت الصور

وقوله :

ولم تفته من الأوراد ناشئة ... فى ليـلة قام يحييها ولا سحر
يطوى النهـار صياما وهو مضطرم ... والليـل يطوى قياما وهو معتكر

وهذه من صفات الممدوح عند المتصوفة ، وقد أسندها الشاعر إلى ممدوحيه بجانب المناقب الأخرى ، فإن مدح الإنسان بالعدل والكرم والشجاعة ، لم يكن كافيا فى ذلك العصر الذى انتشر فيه التصوف ، فكان لابد من إسناد صفات الصوفية إلى الحكام والوزراء . انظر إليه حين يمدح أحد الوزراء فيقول :

وصل النهار بليـله فى طاعة ... وصلاته موصـولة بصـيام
كحلت بتقوى الله مقلته التى ... لم تـكتحل أجفانها بمنـام
يمسى ويصبح طاويا أحشاءه ... كرما على سَغَب وحرّ أُوام
عجبا له يطوى حشاه على الطوى ... وتحضه التقوى على الإطعام
نزعت وما همت به النفس التى ... نزعت من الشهوات نزع همام
فتنعم الأرواح ليس بمدرك ... إلا بترك تنعم الأجسـام
قرن الوزارة بالولاية فهـو فى ... حل من التقوى ومن إحرام

وهذه صورة قطب من أقطاب الصوفية ، لا صورة أحد الوزراء الذين يقومون بالحكم ، فروح التصوف التى غلبت على عقلية الناس فى ذلك العصر ، جعلت البوصيرىّ يصور ممدوحه فى صورة من يقوم الليل كله، مصليا متعبدا لاينام قط ، ولا يغفل عن ذكر الله ، ويديم الصيام

فيترك معدته خالية على حين هو يطعم الناس، وهو بذلك قد ابتعد عن الشهوات التى ينغمس فيها غيره ، ثم أورد الشاعر رأى المتصوفة فى أن الأرواح لاتتمتع بالنعيم إلا إذا أعرض الإنسان عن لذات الدنيا ، وسلك مسلك الورعين المتنسكين ، الذين يؤثرون العيش الخشن ، فهذا الوزير ، كما يبدو من شعر البوصيرىّ ، صوفى ، قرن الوزارة بالولاية، وحل فى التقوى وأحرم بها .

ومن مناقب الممدوح فى ذلك الوقت مايجود به على المتصوفين من عطاء ، وفى ذلك يقول البوصيرىّ :

وما يزال يعين الطائعين إذا تطوّعوا بجميل أو إذا نذروا

ومن أعان أولى الطاعات شاركهم فى أجر ما حصروا منـــه وما تجروا

فما أتى الناس من فرض ومن سنن ففى صحيفته الغراء مســـتطر

فحج وهــو مقيم والحجاز به قوم يقيمون لاحجوا ولا اعتمروا

وهذا من آراء المتصوفة التى نشروها إذ ذاك ليرغبوا الناس فى إعانتهم ، فهم يزعمون أن الذى يمدهم بالعطاء ، ينتفع بصلاتهم وصيامهم وحجهم ، بأن يرجع إليه ثواب ذلك حتى ولو كان ممن لايؤدون هذه الفرائض ، وهذا مما لم يعرفه المسلمون الأولون ، وهو من غير شك من اختراع المتصوفة ، والذى عليه المسلمون أن الإحسان لايعفى فاعله من القيام بالفرائض .

ومن آثار التصوف فى مدائحه ذكره للفقر والفقراء ، مثال ذلك قوله :

قد أغنتِ الفقراء وافتقرتْ لهم هممُ الملوك فما تزال مؤمله

والفقراء هنا هم المتصوفة ، فالممدوح قد أغناهم بالعطاء ، وهمم الملوك مفتقرة إلى هؤلاء الفقراء

واستعمل كلمة « الفقر » بمعناها المتعارف ، وهذا أيضا من أثر التصوف . والتصوف واضح فى قوله من قصيدة يمدح بها الصاحب زين الدين أحمد :

وفى علوم الأولين حقوقها والآخرين وفاء من لم يجحد
أفضى به علم اليقين لعينه ورآه حاسده بعينى أرمد
كشف الغطاء له فليس لحائر فى دينه من أمره متردد
قد كان يحكم فى الأمور بعلمه شهد الحق لديه أم لم يشهد
لولا يخاطبنا بقدر عقولنا جاءت معارفه بما لم نعهد

وهذه من مناقب الوزراء فى ذلك الوقت ، فصفات المدح التى عرفت من قبل تتضاءل حتى تكاد تختفى فى بعض مدائح البوصيرى ، وتحل محلها صفات الأقطاب الذين كشف عنهم الغطاء ، فأدركوا خفيات الأمور ، والوزير المتصف بهذا يحكم بما يقضى به علمه بهذه الخفيات فهو ليس فى حاجة إلى من يبصره بالحق ، أو ينبهه إلى الخطأ ، فأين صفة العدل أو الكرم بجانب هذه الصفات التى خلعها الشاعر على ممدوحيه ؟

وقد مدح أبا العباس المرسى بقصيدة مطلعها :

كتب المشيبُ بأبيض فى أسود بغضاءَ ما بينى وبين الخردِ

والقصيدة كلها فى التصوف والإشادة بمناقب المرسى والتعريض بالفقهاء الذين يأخذون علومهم من الكتب ، فى حين أن المرسى يأخذ علومه من الله ، وعن الله ، وشرح لآداب المريد

والشاعر لايمل من وصف أحوال المستخدمين ، وما كانوا عليه من فساد ، وما انتشر بينهم من رشوة واختلاس وتزوير . يذكر هذا فى كثير من مدائحه ، ويظهر غيرته على الرعية وأموالها ، ويستنكر مايقع عليها من ظلم ، حتى إنك لاتجد شاعرا أسرف فى ذكر الرعية ، والرعاة ، والراعى ، ورعى ، ويرعى ، والأمة ، والسياسة ، مثل ما فعل البوصيرى ؛ فمن ذلك قوله :

يرعون أموال الرعية بالأذى لو يحلبون لأشبهوا الجاموسا

وقوله :

عم الرعيــة والأجناد مَعْدَلَةً ... فمـا شكا نفرا من عدله نفر

وقوله :

لولاك ماعدلوا من بعـد جورهم ... على الرعايا ولا عفوا ولا انحصروا

وقوله :

ومن السياسة أن تـكون مراعيا ... للصالحـين تبرهم وتسوســا

وقوله :

وكم سعدت بالطالع السعد أمـة ... وكم شقيت بالطالع النحس معشر

* * *

وفى مدائح البوصيرىّ مبالغات هى مما بقى من الصفات التى كان يخلعها الشعراء على الأئمة فى العصر الفاطمى ، وتظهر هذه الناحية عند الشاعر بوضوح فى مدائحه لآل حنا الذين ينتسبون إلى آل البيت .

وكثيرا ما يمزج البوصيرىّ مدائحه بالدعابة المضحكة التى تترك أثرها فى النفس ، ويصور حياته وما فيها من ضيق و بؤس ، و بيته وقد خلا من الطعام والفراش والضروريات ، وأولاده الجياع العراة ملتفين حوله فى صورة مؤلمة ، و يطنب فى ذلك ليستدر عطف الممدوح ، وقد يسوق فى أثناء ذلك قصة وقعت له مع زوجته، أو مع بعض الناس فى أسلوب ساخر، وقالب مجسم حى ، حتى كأنك ترى بعينك ما يقع عليه ، و يمزج الجد بالهزل و يتبرم بالشيخوخة والمرض ، وكثرة ، الأولاد وتنكر الأصحاب، و ينتهى من ذلك إلى طلب الإحسان ، فـكانت مدائحه وبخاصة التى نظمها فى أواخر حياته ، يغلب عليها هذا اللون ، ولذلك كانت بالاستجداء أشبه منها بالمدح ، هذا موجز عن فن المدح عند البوصيرى .

* * *

ننتقل بعد ذلك إلى فن هجاء المستخدمين الذى اشتهر به الشاعر فى عصره و بعد عصره .
وقد ذكر المقريزى أن البوصيرى « كان قليل المعرفة بصناعة الكتابة ، وكان يباشرها و يبغض طائفة الكتاب ، و يضطر إلى أن يعاشرهم ، ولا يزال رزقه مقترا عليه، و يرى الكتاب فى النعمة يتقلبون» . وقد يكون هذا الدافعَ الأولَ للبوصيرى على التنديد بهذه الطائفة، و بخاصة أنه فى هجائه للمستخدمين يوازن بين ماهم فيه من نعيم ، و بين ماهو فيه من جحيم ، مثال ذلك قوله :

ملأت بيوتهم الغلال فلم تجد   منها كبيتى فارغا مكنوسا

وقوله :

بأى أمانة و بأى ضبط   أرد عن الخيانة فاسقينا
ولا كيسا وضعت عليه شمعا   ولا بيتا وضعت عليه طينا

ولكن الفكرة تطورت عنده ، فبعد أن كانت متعلقة بمصلحة ذاتية ، أصبحت متعلقة بالمصلحة العامة ، و بعد أن كان يتألم من أجل نفسه، أصبح يتألم من أجل الرعية، وما يقع عليها من مظالم ، انظر إلى قصيدته التى مطلعها :

انظر بحقك فى أمر الدواوين   فالكل قد غيروا وضع القوانين

ومنها :

اكشف بنفسك أسوانا ومن معها   من الصعيد بلا قوم مساكين

فما الذى دفع الشاعر إلى الحملة على مستخدمى أسوان ، مع بعد المسافة بينه و بينهم ؟
لابد أن يكون قد سمع بما وقع على الرعية من الأذى والظلم ومصادرة الأموال ، فنظم هذه القصيدة الطويلة، وهى تنم عن ثورة نفسية جاشت بين جوانح الشاعر، فانهال على موظفى أسوان بالمطاعن، حتى إنه لم يترك منقصة إلا نسبها إليهم .

و يعلن البوصيرى فى قصيدة أخرى عن استعداده لجهاد هؤلاء المستخدمين إذا نصرته الرعية ، قال :

وإن تنصرونى قمت فيهم مجاهدا   فإنهم لله أعصى وأكفر

ويذكر أن حديثه عن المستخدمين ، حديث العارف الخبير ، لأنه عاشرهم أعواما ، فوقف على أسرارهم ، ويقول إنه لم يجد واحدا منهم متصفا بالأمانة والنزاهة ، بل وجدهم كلهم على غير الصراط المستقيم ، قال :

ثكلت طوائف المستخدمينا   فلم أر فيهم رجــلا أمينا

ولم يقصر حملته على كتاب النصارى ، بل حمل على الكتاب المسلمين كذلك ، قال :

وكيف نلوم فساق النصارى   إذا خانت عدول المسلمينا

ثم ذكر بعض المستخدمين المسلمين ، ووصفهم بأنهم من كبار اللصوص المتخصصين فى سرقة الغلال من الحقول ، وهم لا يستترون بل يكشفون عن سرقاتهم، بما يلبسون من حرير ، وما يشربون من خمر ، وما يقتنون من العبيد والجوارى .

وربما كانت تعود عليه فائدة لو أنه اقتصر على التنديد بالكتاب النصارى ، وسالم الكتاب المسلمين ، ولكن الرجل لم يفعل ذلك ، لأنه كان يستهدف المصلحة العامة ، ومن أجل تلك المصلحة وحدها قرن حملته على المستخدمين بالحملة على الفقهاء ، فمن ذلك قوله :

تحيلت القضــاة فخان كل   أمانته وسمــوه الأميــنا
وكم جعل الفقيه العدل ظلما   وصــير باطــلا حقا مبينا
وما أخشى على أموال مصر   سوى من معشر يتأولونا

وانظر إلى مافى البيت الأخير من تقديم مصلحة مصر على كل اعتبار ، فلم يذكر مصلحة ذاتية تهمه، وإنما ذكر مصلحة مصر ، فى وقت لم تعرف فيه سوى المصلحة الذاتية ، وهذه من غير شك وثبة من وثباته ، لا يسعنا إلا أن ننحنى أمامها إجلالا وإكبارا .

ومن أسباب حملته على الفقهاء ، وجود التنافس الشديد بين هذه الطبقة وطبقة ، المتصوفة

التى ينتمى إليها البوصيرى ، فالفقهاء ينكرون على المتصوفة مزاعمهم وآراءهم التى ينشرونها بين العامة، ولم يرتاحوا لإقبال الملوك على إنشاء التكايا لهؤلاء المتصوفين، ووقف الأوقاف الواسعة عليها ، ولم يعجبهم النفوذ القوىّ الذى تمتع به هؤلاء القوم فى أوساط العامة والخاصة ، لذلك كانت الخصومة عنيفة بين الطرفين، وليس هناك من شك فى أن حملة البوصيرىّ على الفقهاء كانت صدى لتلك الخصومة العنيفة .

وليس معنى ما تقدم أن الفقهاء كانوا كلهم أبرارا . كلا ! فإن عدوى الفساد قد سرت إلى كثير منهم ، وقد ساعد نظام الأوقاف الذى انتشر فى ذلك العصر انتشارا واسعا على إفساد بيئة الفقهاء ، وكانت نظارة هذه الأوقاف تسند إلى رجال القضاء الذين كان منهم من يساعد الأمراء على اغتصابها عن طريق الاستبدال ، فيأخذون القصور العامرة مقابل الخرائب ، والأراضى الزراعية مقابل الأراضى البور ، وقد اتخذ البوصيرىّ من هذا وغيره مادة للطعن فى هذه الفئة ، وتصويرها تصويرا لا يخلو من مبالغة .

☆ ☆ ☆

أما رده على النصارى واليهود فيرتكز على :

١ — رفض الفكرة الأساسية التى تقوم عليها الديانة المسيحية، وهى فكرة ألوهية عيسى، ومحاولة دحض هذه الفكرة دحضا عقليا ومنطقيا .

٢ — رفض فكرة الأقانيم الثلاثة التى يدين بها النصارى ، وقد ناقش الشاعر هذه الفكرة مناقشة مشوبة بالسخرية .

٣ — رفض فكرة الفداء ، و بالتالى القول بصلب ، المسيح ، مستندا فى ذلك أيضا على العقل والتاريخ

☆ ☆ ☆

ننتقل بعد ذلك إلى فن الدعابة التى اشتهر بها البوصيرى ، فنقول إن الشعراء فى ذلك الوقت انصرفوا إلى مدح الوزراء والسلاطين وكبار الحكام، أو بتعبير أدق إلى استجدائهم ، ولم يكونوا قادرين على هجاء من يمتنع عن إعطائهم ، فعمدوا إلى استدرار عطف الممدوح عن طريق تصوير حياتهم القاسية تصويرا قوامه الدعابة الساخرة ، فمن ذلك قول البوصيرى :

لهم من الخُبَّيْزِ مسلوقة في كل يوم تشبه النشره
أقول مهما اجتمعوا حولها تنزهوا فى الماء والخضره

الخ ...

فانظر إليه وقد صور حياته فى صورة ضاحكة ساخرة ، وتأمل قوله « تمتعوا بالماء والخضرة » وانظر كيف عرّض بنفسه على لسان أخت زوجته ، وكيف صور نفسه مهزوما مغلوبا على أمره أمام زوجته ، التى قذفته بآجرة فأدمت رأسه ، فهذه الصور ، وإن أضحكتنا إلا أنها تجعلنا نعطف على الشاعر ونرثى لحاله .

وللبوصيرى دعابات قصد بها مجرد الزراية ، وأتى فيها بصور هزلية مضحكة ، وهو يميل فى الدعابة إلى أسلوب الحوار وإلى سرد القصص ، وأحيانا إلى إجراء الكلام على ألسنة بعض الحيوانات ، فنظم قصيدة على لسان بغلة ، وأخرى على لسان حمارته .

وقد حدث أن قوما حكم عليهم بأن تحلق نصف لحية كل منهم ، فنظم الشاعر فى ذلك أبياتا نذكر منها :

ثم قالوا عن ذقون حلقت قلت لابد لها أن تخلفا
إن حلق الذقن خير للفتى يا بنى الأعمام من أن تنتفا
والذى حلق أنصاف اللحى كان فى الأحكام عدلا منصفا
حلق النصف بذنب حاضر وعفا بالنصف عما سلفا

فانظر إلى هذه السخرية التى أصاب بها الشاعر الحاكم ، فجعله عادلا ، لأنه لم يأمر بحلق اللحية كلها ، وإنما حلق نصفها جزاء ما ارتكبه المحكوم عليهم من الإثم ، وترك النصف لآخر ، لأنه تفضل فعفا عما سلف للمحكوم عليهم من الذنوب ، وطبيعى أن الحاكم لم يفكر فيما ذهب إليه الشاعر ، ولو أنه حلق اللحية كلها لكان أعدل ، أما أنه ترك نصفها فذلك إمعانا فى التنكيل ، لما يظهر من قبح المحكوم عليهم ، ولما يجره هذا من لفت الأنظار إليهم، والإغراق فى الضحك منهم، فما كان من البوصيرىّ إلا أن قلب القضية ، فجعل الإفراط فى الظلم منتهى العدل، والقسوة رحمة ، والإساءة إحسانا ، ولهذا النوع من السخرية وقع عظيم فى النفس ، و بوساطته يستطيع الكاتب أن ينال من الطغاة دون أن يلحقه أذى ، وقد اشتهر بعض كبار أدباء أوربة بإجادة هذا الفن ، ولم يقصر البوصيرىّ فيه .

* * *

أما بعد ، فهذه مقدمة درسنا فيها بإيجاز حياة البوصيرى وشعره ، فمن أراد المزيد فليقرأ كتابنا « البوصيرى : دراسة ونقد » الذى أرجو أن أتمكن من نشره قريبا .

ديوانه

لاشك فى أن شهرة البوصيرى بقصيدتيه « البردة » و « الهمزية » جعلت الناس ينسون بقية شعره ، فلم يهتم بديوانه أحد ، و يبدو أن الشاعر نفسه لم يجمع شعره فى ديوان .

والبوصيرىّ شاعر مصرىّ مثّل عصره خير تمثيل ، لذلك رأيت أن أهتم بنشر شعره .

وقد وجدت فى دار الكتب المصرية نسختين خطيتين من ديوانه ، إحداهما تحت رقم ٢٣١١ — أدب ، والثانية تحت رقم ٨٢٦ شعر تيمور .

أما النسخة الأولى فإنها مجهولة الأصل، مع أنها حديثة العهد ، إذ كان الفراغ من كتابتها سنة ١٣٢٦ ﻫ .

وجاء على غلافها ما نصه :

« ديوان شرف الدين أبى عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حبان ابن صنهاج بن هلال الصنهاجى البوصيرى أو الأبوصيرى ثم الدّلاصىّ المتوفى سنة ست مئة وأربع وتسعين ، رحمه الله رحمة واسعة » .

وفى نهايتها ما نصه : « قد وقع الفراغ من كتابة هذا الديوان لأربع ليال خلون من شهر ذى الحجة سنة ألف وثلاث مئة وستة وعشرين للهجرة » .

وهذه النسخة واضحة الخط ، كثيرة الأخطاء النحوية ، والقصائد فيها مرتبة القوافى على حروف الهجاء .

* * *

أما النسخة التيمورية ، فقد نقلت عن نسخة قديمة محفوظة بالمكتبة المرجانية ببغداد ، ويبدو أنها مجهولة الأصل والتاريخ ، لأن الناسخ لم يثبت تاريخ الفراغ من النسخة التى نقل عنها، ولم يعن الناسخ لهذا المخطوط بإيراد الهمزية أو البردة ، أو اللامية التى رد بها البوصيرىّ على النصارى واليهود ، بل أورد مطلع كل قصيدة من هذه القصائد ، وبدأ المخطوط بالقصيدة الحائية التى مطلعها :

أمدائح لى فيك أم تسبيح ‏ ‏ ‏ ‏ لولاك ما غفر الذنوب صفوح

وقد ذكر أنه أغفل نقل هذه القصائد ، لشهرتها وذيوعها .

وفى أول هذا المخطوط ، نجد الديباجة التى وردت فى نسخة دار الكتب، مع زيادات طفيفة أشرت إليها فى الهامش .

وعلى غلافها ما نصه :

« ديوان البوصيرىّ عليه الرحمة » .

وفى نهايتها :

قال جامعه الأستاذ السيد محمود شكرى الآلوسىّ : هذا آخر ما أردنا نسخه من ديوان العارف بالله ، كنز الفضل والأدب والعرفان ، العلامة الشهير بالبوصيرىّ ، مادح النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد صلاة الجمعة ، لعشرين خلت من ربيع الثانى من سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية ، وكانت نسخة الديوان المنقول عنها فى غاية التحريف والغلط ، وقد بذلت الجهد فى تصحيحها ، والحمد لله على التمام .

وبعد هذا نجد الناسخ قد ألحق بالديوان ما كتبه البوصيرىّ نثرا ، وزاده على قصيدته : « المُخْرَج والمردود ، على النصارى واليهود » .

والنسخة التيمورية جيدة الخط نادرة الأخطاء .

* * *

وقد انتفعت فى تحقيق شعر البوصيرى بالكتب الآتية :

١ — منظومة الإمام البوصيرى فى الرد على النصارى واليهود .

مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٤٤ علم الكلام .

٢ — البرد القشيب فى تفسير كتب المشيبَ ، لعمر بن محجوب المعتقلاوى مخطوط رقم ٩٣٠٤ — أدب — دار الكتب المصرية .

وقد انتفعت بهذا المخطوط فى تحقيق القصيدة التى نظمها البوصيرىّ فى مدح أبى العباس المرسىّ ، وتعزيته فى شيخه أبى الحسن الشاذلى والتى مطلعها :

كتب المشيب بأبيض فى أسود بفضاء ما بينى و بين الخرد

وقد اعتنى المعقلاوىّ ، وهو من علماء أوائل القرن الحادى عشر بشرح الناحية الصوفية في هذه القصيدة .

٣ — المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية لإسماعيل النبهانى ، وقد وجدت فى هذه المجموعة أن لامية البوصيرى فى الرد على النصارى واليهود ، تختلف اختلافا كبيرا عن رواية الديوان فى ترتيب أبيات القصيدة ، كما أن بها زيادة تقرب من خمسين بيتا ، فأتيت بهذه الأبيات الزائدة ووضعتها بين أقواس مشيرا فى الهامش إلى عدم ورودها فى أصل الديوان ، ولعل معظم هذه الأبيات الزائدة ليست من شعر البوصيرىّ ، وإنما هى دخيلة عليه من تشطير بعض الشعراء .

٤ — وانتفعت بكتب أخرى منها المخطوط ومنها المطبوع .

وقد رمزت لديوان البوصيرىّ نسخة دار الكتب بالحرف : « د » ، وللنسخة التيمورية بالحرف: «ت» ، وللمجموعة النبهانية بالحرف: «م» ، ولمخطوط «البرد القشيب» بالحرف «ك» ، وذكرت المراجع الأخرى بأسمائها .

ووجدت للبوصيرىّ شعرا لم يرد فى ديوانه ، بل ورد فى كتب أخرى ، فأثبته مشيرا أمام كل قصيدة إلى الموضع الذى نقلتها عنه .

ولا يسعنى إلا أن أقدم جزيل شكرى للسيد العالم الجليل أستاذى مصطفى السقا على معونته التى أسداها إلى فى تحقيق هذا الديوان .

كما أشكر للسادة ناشرى هذا الديوان « أصحاب شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده عظيم عنايتهم بإخراجه ، وتشجيعى على نشره بدارهم ، التى مازالت تعمل على نشر نفائس الآداب العربية ، والثقافة الإسلامية منذ قرن من الزمان . وأخص بالذكر السيد رستم الحلبى مدير المطبعة على معونته الفنية .

أما بعد ، فأرجو أن ينتفع القارئ بهذا الديوان ، والله الموفق ؟

القاهرة فى { ٢٦ ذى القعدة سنة ١٣٧٤ هـ
١٦ يوليو سنة ١٩٥٥ م

محمد سيد كيلانى

فهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه العالم العلامة ، الرُّحَلة الفهامة ، تاج الأُدباء ، وواحد الفضلاء ، مفيد الطالبين ، وعمدة المحققين ، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله ابن حَيَّانى ابن صَنهاج بن مَلاك الصَّنهاجىّ الحَبْنُونىّ البُوَيْصيرىّ أو الأبوصيرىّ أو البوصيرىّ ، ثم الدَّلاصى رحمه الله[1] ، يمدح سيد الكونين ، نبىّ الساعة ، وصاحب الشفاعة ، المخصوص بالمقام المحمود[2] ، والحوض المورود ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم :

كيف تَرَقَى رُقِيَّكَ الأنبياءُ ... يا سماءً ما طاوَلَتْها سماءُ

لَمْ يُساوُوكَ فى عُلاكَ وقَدْ حا ... لَ سناً مِنـك دونَهم وسَناءُ[3]

إنمـا مَثَّلُوا صِفاتِك للنـا ... سِ كما مثَّلَ النجومَ المـاءُ[4]

---

(١) ت : رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وبرد بشآبيب الرضوان مضاجعه ، يمدح سيد الأكوان، وخلاصة بنى عدنان .

(٢) ت : واللواء المعقود، والحوض المورود، صلى الله تعالى وسلم عليه، وزاده شرفا وكرما لديه، وآله الطيبين ، وصحبه التابعين أجمعين آمين ، من الخفيف :

كيف ترقى رقيك الأنبياء ... إلى آخر القصيدة . . .

وقال عفا الله عنه من البسيط :

أمن تذكر جيران بذى سلم ... إلى آخر القصيدة . . .

وقال رحمه الله تعالى وأسكنه الجنة،وهذه القصيدة سماها المخرج والمردود،على النصارى واليهود،وهى من الكامل :

جاء المسيح من الإله رسولا ... إلى آخر القصيدة . . .

وقال رضى الله عنه وأرضاه؛ من الكامل :

أمدائح لى فيك أم تسبيح ... لولاك ما غفر الذنوب صفوح

وبهذه القصيدة تبدأ النسخة التيمورية كما ذكرنا .

(٣) السنا : الضوء ، والسناء : الرفعة . (٤) مثلوا : صوروا .

أنتَ مِصباحُ كلِّ فضلٍ فما تَصْـــدُرُ إلا عن ضوْئِكَ الأضـواءُ
لكَ ذاتُ العلومِ من عالِمِ الغَيْـــبِ ومنها لآدمَ الأسمـاءُ
لم تزَلْ فى ضمائرِ الـكونِ تُختا رُ لك الامهاتُ والآباءُ
ما مضتْ فَترةٌ من الرُّسْلِ إلَّا بَشَّرَتْ قومَها بِكَ الأنبيـاءُ
تتباهى بكَ العصـورُ وتَسْمو بكَ علْياءُ بعدَها عليـاءُ
وبَدا للوُجُودِ منك كريمٌ من كريمٍ آباؤه كُرماءُ(١)
نَسَبٌ تحْسِبُ العُـلاَ بِحُلاَهُ قَلَّدَتْهَا نجومَهـا الجوزاءُ(٢)
حبذا عِقْدُ سُؤْدُدٍ وفَخَـارٍ أنتَ فيـــه اليتيمةُ العصماءُ(٣)
ومُحَيًّا كالشمسِ منكَ مُضِيءٌ أسفَرَتْ عنه ليـــلةٌ غرّاءُ(٤)
ليـلةُ المولدِ الذى كان للدِّيـــنِ سرورٌ بيومِهِ وازْدِهاءُ(٥)
وتوالَتْ بُشْرَى الهواتفِ أن قدْ وُلِدَ المصطفى وحُقّ الهَنـاءُ(٦)
وتَدَاعَى إيوانُ كِسْرَى ولوْلَا آيةٌ مِنكَ ما تَدَاعَى البنـاءُ(٧)
وغَدَا كلُّ بيتِ نارٍ وفيهِ كُرْبَةٌ مِنْ خُمودِها وبَلاءُ
وعيونٌ لِلفُرْسِ غارَتْ فهل كا نَ لنيرانِهِمْ بهـا إطْفاءُ
مَوْلِدٌ كان منهُ فى طالعِ الـكُفْـــرِ وبالٌ عليهِـمُ ووباءُ
فهنيئاً به لآمِنَـةَ الفَضْـــلُ الذى شُرِّفَتْ به حوّاءُ

---

(١) د : فتبدأ للجود ، والتصحيح عن م . (٢) د : حسب . والتصحيح عن م .
(٣) العصماء : البيضاء .
(٤) أسفرت : أضاءت . والغراء البيضاء المقمرة ، وهى ليلة ميلاده صلى الله عليه وسلم .
(٥) ازدهاء : خفة الطرب . (٦) الهواتف : جمع هاتف ، وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه
(٧) د : تدعاه ، تدعى . والتصحيح عن م .

مَنْ لِحَوَّاءَ أنها حملَتْ أحْـمَدَ أو أنهـا به نُفَسَاء

يومَ نَالت بوَضْعِهِ ابنَةُ وَهْبٍ مِنْ فَخَارٍ مالم تَنَلْه النِّساء

وأَتَتْ قومَها بأفضـلَ مما حَمَلَتْ قبلُ مريمُ العـذراء

شمَّتَتْه الأمـلاكُ إذ وضَعَتْهُ وشَفَتْنَا بِقَوْلِهَا الشَّـفّاء(١)

رافعاً رأسَه وفى ذلك الرَّفْـعِ إلى كل سُؤْدُدٍ إيمـاء(٢)

رامِقاً طَرْفُه السماءَ وَمَرْمى عينِ مَنْ شأْنُهُ العُلُوُّ العَلاَء(٣)

وتَدَلَّتْ زُهْرُ النُّجومِ إليـهِ فأضاءت بِضوئِهـا الأرجاء

وتراءت قصـورُ قَيْصَر بالرُّو مِ يراها مَن دارُه البَطْحاء(٤)

وبَدَتْ فى رَضَاعِه مُعجزاتٌ ليس فيها عنِ العيون خَفاء

إذْ أَبَتْهُ لِيُتْمِهِ مُرْضِعـاتٌ قُلْنَ مافى اليتيمِ عنا غَنَاء

فأتتهُ من آلِ سـعدٍ فتاةٌ قد أبَتْهَا لِفقْرِهَا الرُّضَـعاء

أرْضَـعتْهُ لِبَانَهَا فَسَقَتْهَا وَبنِيها أَلْبانَهُنَّ الشَّاء

أصبَحَتْ شُوَّلًا عِجافا وأمسَتْ ما بِها شائلٌ ولا عَجْفاء(٥)

أَخْصَبَ العَيْشُ عِنْدَها بعدَ مَحْلٍ إذ غَدَا للنبيِّ منهـا غِـذاء

يالهَا مِنَّةً لقدْ ضُوعِفَ الأجْـرُ عليها من جِنْسِها والجزَاء

وإذا سَخَّرَ الإِلهُ أُناساً لسعيدٍ فإنهـم سُعَـداء

---

(١) التشميت : أن يقال للعاطس : رحمك الله ، والشفاء : قابلة النبى ، أم عبد الرحمن بن عوف .

(٢) إيماء : إشارة . (٣) الرامق : الناظر .

(٤) البطحاء : مكة . (٥) الشائل : التى جف لبنها . والعجفاء : الهزيلة .

حَبَّـةٌ أنْبَتَتْ سَنَابِلَ والعَصْـــفُ لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضُّعفاء[1]
وأتَتْ جَدَّهُ وقـد فَصَلَتْهُ وبِها مِنْ فِصَالِهِ البُرَحَاء[2]
إذ أحاطتْ به ملائـكةُ اللــــهِ فظنَّتْ بأنهـم قُرَنَاء[3]
ورأى وَجْدَها به ومِنَ الوَجْـــدِ لهيبٌ تَصْلَى به الأحْشاء[4]
فارَقَتْهُ كُرْهاً وكان لدَيْهَا ثاوِياً لا يُمَلُّ مِنْـهُ الثَّواء[5]
شُقَّ عَنْ قَلْبِهِ وَأُخْرِجَ مِنْهُ مُضْغَةٌ عِنْدَ غَسْلِهِ سـوداء
خَتَمَتْهُ يُمْنَى الْأَمِينِ وقد أو دِعَ مالم تُذَعْ له أنْبَاء[6]
صانَ أسرارَه الخِتَامُ فلا الفَضْـ ضُ مُلِمٌّ به ولا الإفضـاء[7]
أَلِفَ النُّسْـكَ والعبادةَ والخَلْـــوَةَ طِفْلاً وهكذا النُّجَباء
وإذا حلَّتِ الهِدَايَةُ قَلْباً نَشِطَتْ في العبادةِ الأعضاء
بَعثَ اللهُ عنـدَ مَبْعَثِهِ الشُّهْـــبَ حِراساً وضاقَ عنها الفضاء
تَطْرُدُ الجِنَّ عن مقاعدَ للسَّمْـــعِ كما تَطْرُدُ الذِّئابَ الرِّعاء
فمحَتْ آيةُ الـكَهانَةِ آيا تٌ مِنَ الوحْيِ مالَهُنَّ امّحاء
ورأتْهُ خديجةٌ والتُّقى والــــزُّهْدُ فيـه سجيَّةٌ والحياء
وأتاها أن الغَمامةَ والسر حَ أظَلَّتْهُ منهما أفيـاء[8]
وأحاديثُ أنَّ وَعْدَ رسولِ اللـــهِ بالبعثِ حانَ منه الوفاء

---

(١) د : الضعف ، والتصحيح عن م . والعصف : ورق النبات اليابس . يستشرف : يتطلع .

(٢) البرحاء : شدة الأذى . (٣) قرناء : شياطين . (٤) تصلى : تحرق .

(٥) الثواء : الإقامة . (٦) الأمين : جبريل . (٧) الفض : الكسر . والإفضاء : الإشاعة

(٨) السرح : الشجر الكبير . والأفياء : جمع فيء ، وهو الظل .

فدَعتْهُ إلى الزواجِ وما أحْـسنَ ما يبلغُ المُنَى الأذكياء
وأتاهُ في بيتِها جَبْرَئيلٌ ولِذِي اللُّبِّ في الأمورِ ارْتياء[1]
فأماطتْ عنها الخِمارَ لتَدْرِي أهُوَ الوحْيُ أم هو الإغماء
فاختفى عند كشفِها الرأسَ جبْريلُ فما عادَ أو أُعيدَ الغِطاء
فاستبانت خديجةٌ أنه الكنْزُ الذي حاولَتْه والكِيمِياءُ[2]
ثم قام النبيُّ يدعو إلى اللهِ وفي الكُفرِ نَجْدَةٌ وإباء[3]
أُمَماً أُشرِبَتْ قلوبُهُم الكُفرَ فدَاءُ الضلالِ فيهم عَياءُ
ورأينا آياتِه فاهتدَيْنا وإذا الحقُّ جاء زالَ المِراء
رَبِّ إنَّ الهُدى هُداكَ وآيا تُكَ نورٌ تَهْدِي بها من تشاء
كم رأيْنَا ما ليس يَعْقِلُ قد أُلْهِمَ ما ليس يُلْهَمُ العُقلاء
إذ أبى الفيلُ ما أتى صاحبُ الفيلِ ولم ينفعِ الحِجا والذكاء
والجماداتُ أفصحت بالذي أُخْرِسَ عنه لأحمدَ الفُصحاء
ويْحَ قومٍ جَفَوا نَبيًّا بأرضٍ أَلِفَتْهُ ضِبابُها والظِّباء
وسَلَوْهُ وحَنَّ جِذْعٌ إليه وقَلَوْهُ ووَدَّهُ الغُرَباء
أخرَجوه منها وآواهُ غارٌ وحَمَتْهُ حَمامةٌ وَرقاء
وكَفَتْه بِنَسْجِها عنكبوتٌ ما كفَتْهُ الحَمامةُ الحصْدَاء[4]
واختفى منهمُ على قُرْبِ مَرْآهُ ومن شِدَّةِ الظُّهورِ الخفَاء

---

(١) ارتياء : تفكر .
(٢) الكيمياء : الإكسير الذى يوضع على النحاس و القصدير ، فيقلبه ذهبا ، كما يزعم القدماء .
(٣) النجدة : الشدة .
(٤) الحصداء : كثيرة الريش .

ونحَا المصطفى المدينــةَ واشتا قتْ إليــه من مكةَ الأنحاء
وتغنّتْ بمَدْحِهِ الجنُّ حتَّى أطرَبَ الإنسَ منه ذاكَ الغِناء
واقتفى إثْرَهُ سُراقَةُ فاستَهْــوتهُ فى الأرضِ صافِنٌ جرْداء(١)
ثم ناداهُ بعــدَ ما سِيمَتِ الخسْـــفَ وقد يُنْجِدُ الغريقَ النِّداء(٢)
فطوَى الأرضَ سائرا والسموا تِ العُــلا فوقَها له إسراء(٣)
فصِفِ الليــلةَ التى كان للمُخْـــتارِ فيها على البُراقِ استواء
وترَقَّى به إلى قابِ قوْسَيْـــنِ وتلكَ الســيادةُ القَعْساء(٤)
رُتَبٌ تَسقُطُ الأمانىُّ حَسْرَى دونَها ما وراءهن وراء
ثم وافَى يحَدِّثُ الناسَ شُــكْرًا إذ أتتــه من ربِّه النَّعْــماء
وتحَدَّى فارتابَ كلُّ مُريبٍ أوَ يَبْقَى مع السُّيُولِ الغُثــاَء(٥)
وهْوَ يدعو إلى الإِلٰه وإن شَـــقَّ عليــه كفرٌ به وازدِراء
ويدُلُّ الورَى على اللهِ بالتّوْ حيدِ وَهْوَ المَحجَّةُ البَيْــضاء(٦)
فَبِمَا رحمــةٍ مِنَ اللهِ لانَتْ صَخرةٌ مِنْ إبائِهم صَمَّــاء
واستجابَتْ له بنصرٍ وفَتْحٍ بعد ذاكَ الخضراء والغــبراء(٧)
وأطاعَتْ لأَمْرِهِ العَرَبُ العَرْ باء والجاهليَّــةُ الجهــلاء
وتوالَتْ للمصطفى الآيةُ الــكبْـــرَى عليهمْ والغــارةُ الشَّــعْواء

---

(١) استهوته : هوت به . الصافن : الفرس الكريم . جرداء : قصيرة الشعر .
(٢) سيمت الخسف : أى قاربت الفرس أن يخسف بها ، وتغوص فى الأرض ، وكانت غاصت إلى ركبها .
(٣) طوى : قطع . استواء : استقرار .
(٤) قاب قوسين : مابين مقبضها عند الرمى ، وهو وسطها و بين آخرها ، أى المحل الذى يشد فيه الوتر . فلكل قوس قابان : والقعساء : الثابتة الدائمة .
(٥) الغثاء : القش على وجه السيل .
(٦) المحجة : الطريقة .
(٧) الخضراء : السماء .

فإذا ما تلا كتابا من اللـه تَلَتْهُ كَتِيبَةٌ خضراء[١]
وكفاهُ المستهزئينَ وكم سا ءِ نبيًّا من قومِه استهزاء
ورماهم بدَعْوَةٍ من فِناءِ الـبَيْتِ فيهـا للظالمين فَنـاَء
خمسةٌ كلُّهم أصيبوا بداء والرَّدَى من جنودِهِ الأدوَاء
فدَهَى الأسودَ بنَ مُطَّلِبٍ أىٌّ * عمًى ميِّتٌ به الأحياء
(ودَهَى الأسودَ بنَ عبدِ يغوثٍ أنسَقاهُ كأْسَ الرَّدَىاسْتِسْقاء)[٢]
وأصابَ الوليدَ خَدْشَةُ سَهْمٍ قَصَرَتْ عنها الحَيَّةُ الرَّقْطاء
وقَضَتْ شَوْكَةٌ على مُهْجَةِ العا صِى فَللهِ النَّقْعَةُ الشَّوْكاء[٣]
وعلا الحارثَ القُيُوحُ وقد سا لَ بهـا رأسُه وساء الوِعاء
خمسةٌ طُهِّرَتْ بِقَطْعِهِم الأر ضُ فَكَفُّ الأذى بهم شَلَّاء
فُدِيَتْ خمسـةُ الصَّحيفةِ بالخمـسةِ إن كان بالكرام فِداء
فِتْيَةٌ بَيَّتُوا على فِعلِ خَيْرٍ حَمِدَ الصبحُ أمرَهم والمَسـاء
يا لَأمرٍ أتاهُ بعـدَ هِشامٍ زَمْعَةٌ إنه الفـتَى الأتَّاء
وَزُهَيْرٌ وَالمُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ وأبو البَخْتَرِيِّ مِنْ حيث شاءوا
نَقَضُوا مُبْرَمَ الصَّحيفةِ إذ شَـدَّت عليهـم من العِدا الأنداء[٤]
أذْكَرَتْنَا بِأَكْلِها أكلَ مِنْسا ةِ سُلَيمانَ الأَرْضَةُ الخرساء[٥]

---

(١) الكتيبة الخضراء: المدججة بالسلاح . (٢) هذا البيت ساقط من د ،ومثبت فى م .

(٣) النقعة : الموت والشوكاء : الخشنة .

(٤) الصحيفة: التى تعاهد فيها الكفار علىمقاطعة بنىهاشم . شدت : هممت . الأنداء: جمع نادى ،أى من فيها.

(٥) المنساة : العصا . . والأرضة الدويبة التى تأكل الورق والخشب .

وبها أخبرَ النبيُّ وكم أخـ ـرجَ خَبْئًا له الغُيُوبُ خِبـاء(١)
لا تَخَلْ جانِبَ النبيِّ مُضاماً حينَ مَسَّتْهُ منهم الأسْواء
كلُّ أمرٍ نابَ النبيِّين فالشِّـدَّةُ فيه محمودةٌ والرَّخاء
لو يَمَسُّ النُّضَارَ هُونٌ مِنَ النا رِ لما اختيرَ للنُّضَارِ الصِّلاء(٢)
كم يَدٍ عن نَبيِّهِ كَفَّهَا اللـهُ وفى الخَلقِ كَثْرَةٌ واجتراء
إذ دعا وحْدَهُ العبادَ وأمْسَتْ منه فى كلِّ مُقْلَةٍ أَقْذَاء
هَمَّ قومٌ بِقَتْلِهِ فأبَى السَّيْـ فُ وفاءً وفاءتِ الصَّفْواء(٣)
وأبو جهلٍ اُذ رأى عُنُقَ الفَحْـلِ إليه كأنهُ العنقاء
واقتضاهُ النبيُّ دَيْنَ الإراشِيِّ وقد ساء بيعُهُ والشِّرَاء(٤)
ورأى المصطفى أتاهُ بما لَمْ يَنجِ منه دونَ الوفاء النَّجاء
هوَ ماقد رآهُ من قبْلُ لكنْ ما عَلَى مِثْلِهِ يُعَدُّ الخطاء
وأَعَدَّتْ حَمَّالَةُ الحطَبِ الفِهْـرَ وجاءت كأنها الوَرْقاء(٥)
يومَ جاءت غَضْبَى تقولُ أفى مِثْـلِيَ مِنْ أحمدٍ يُقالُ الهجاء(٦)
وتولَّتْ وما رأته ومِنْ أيْـنَ تَرَى الشمسَ مُقْلَةٌ عمياء
ثم سَمَّتْ له اليهوديَّةُ الشا ةَ وكم سامَ الشِّقْوَةَ الأشقياء
فأذاعَ الذِّراعُ مافيهِ من شـرٍّ بِنُطْقٍ إخفاؤُهُ إبداء

---

(١) الخبء : المخبأ . والخباء : بيت من الشعر .
(٢) الهون : الإهانة . والصلاء : الوضع على النار .
(٣) فاءت : رجعت . والصفواء : الحجارة ، جمع صفاة .
(٤) اقتضاه : طلب منه . والإراشى : رجل باع أبا جهل إبلا ، فماطله فى دفع ثمنها .
(٥) حمالة الحطب : زوجة أبي لهب . والفهر : الحجر الذى يملأ الكف . والورقاء : الحمامة .
(٦) إشارة إلى ما ورد فى سورة تبت .

وبِخُلْقٍ مِنَ النبيِّ كريمٍ لَمْ تَقَاصَصْ بِجُرحها العَجْماء[١]
مَنَّ فَضْلاً عَلَى هَوَازِنَ إذْ كا نَ له قبلَ ذَاكَ فيهِم رِبَاء[٢]
وأتى السَّبيُ فيه أُختُ رَضاعٍ وَضَعَ الكُفْرُ قَدْرَها والسِّباء[٣]
فَحَباها بِرًّا تَوَهَّمَتِ النا سُ به أنَّما السِّباء هِداء[٤]
بَسَطَ المصطفى لها من رِداءٍ أيُّ فضل حَوَاهُ ذاكَ الرِّداء
فَغَدَتْ فيه وهْيَ سيِّدَةُ النِّسْوَةِ والسيِّدَاتُ فيه إماء
فتَنَزَّهْ في ذاتِهِ ومعانيهِ استماعاً إنْ عَزَّ منها اجتِلاء[٥]
واملأْ السَّمْعَ من محاسنَ يُمْلِيها عليك الإنشادُ والإنْشاء
كلُّ وَصْفٍ له ابتَدَأْتَ به استَوْعَبَ أخبارَ الفضلِ منه ابتداء
سَيِّدٌ ضِحْكُهُ التَّبَسُّمُ والمَشْيُ الهُوَيْنَا ونومُهُ الإغفاء
ما سِوَى خُلْقِهِ النسيمُ ولا غَيْرَ مُحَيَّاهُ الرَّوْضَةُ الغَنَّاء
رحمةٌ كلُّهُ وحَزْمٌ وعَزْمٌ وَوَقارٌ وعِصْمَةٌ وحَياء
لا تَحُلُّ البأساء منه عُرَا الصَّبْرِ ولا تَستَخِفُّهُ السَّرَّاء
كَرُمَتْ نَفْسُهُ فما يَخْطُرُ السُّوءُ على قَلْبِهِ ولا الفحشاء
عَظُمَتْ نِعْمَةُ الإلهِ عليه فاستقَلَّتْ لِذِكْرِهِ العُظَمَاء
جَهِلَتْ قومُهُ عليه فأَغْضَى وأخو الحِلْمِ دأْبُه الإغْضاء
وَسِعَ العالَمين عِلْمًا وحِلْمًا فهْو بحرٌ لم تُعْيِهِ الأعباء

(١) لم تقاصص : لم يقتص منها . والعجماء : البهيمة . (٢) الرباء : التربية .
(٣) أخت رضاع : هي الشيماء أخت النبي من الرضاع .
(٤) حباها : أعطاها . والهداء : تقديم العروس إلى زوجها . (٥) الاجتلاء : النظر .

مستقلٌّ دُنْيَاكَ أن يُنْسَبَ الإمســـاكُ منها إليـه والإعطاء
شمسُ فضلٍ تَحَقَّـقَ الظنُّ فيه أنه الشمسُ رِفْعَةً والضِّياء
فإذا ما ضحا محـا نورُه الظِّـ ـلَّ وقد أَثْبَتَ الظِّلَالَ الضَّحَاء(١)
فـكأنَّ الغمامةَ استَوْدَعَتْهُ مَنْ أَظَلَّتْ مِنْ ظِلِّهِ الدُّفَفَاء(٢)
خَفِيَتْ عِنْدَهُ الفضائلُ وانجا بَتْ به عن عقولِنَا الأهْوَاء
أَمَعَ الصُّبحِ للنجومِ تَجَلٍّ أمْ مع الشمسِ للظلامِ بَقاء
مُعجزُ القَوْلِ والفِعالِ كريمُ الخَلْـ ـقِ وَالخُلْقِ مُقْسِطٌ مِعْطاء
لا تَقِسْ بالنبيِّ فى الفضلِ خَلْقًا فهو البحر والأنامُ إضاء(٣)
كلُّ فضل فى العالَمين فمن فَضْـ ـلِ النبيِّ استعارَهُ الفُضَـلاء
شُقَّ عَنْ صَدْرِهِ وشُقَّ لَهُ البَدْ رُ وَمِنْ شَرْطِ كلِّ شَرْطٍ جَزاء(٤)
وَرَمَى بالحصَى فأَقْصَدَ جَيْشاً ما العَصَا عِنْدَهُ وَمَا الإلقاء(٥)
ودعا للأنامِ إذ دَهَمَتْهُم سَنَةٌ مِنْ مُحولِهـا شَهْباء(٦)
فاستَهَلَّتْ بالغَيْثِ سَبْعَةَ أيَّا مٍ عليهم سـحابةٌ وَطفـاء(٧)
تَتَحَرّى مَواضِعَ الرَّعْيِ وَالسَّقْـ ـيِ وحيث العِطاشُ تُوهَى السِّقاء(٨)
وَأَتى الناسُ يَشْتَـكُونَ أَذَاها وَرَخَاءٌ يُؤْذِى الأَنَامَ غَلَاء
فَدَعَا فانْجَلَى الغَمَامُ فَقُلْ فِى وَصْفِ غَيْثٍ إقلاعهُ استسقاء
ثم أَثْرَى الثَّرَى فقرَّتْ عُيونٌ بقُراهَا وأُحْيِيَتْ أحْياء(٩)

---

(١) ضحا : ظهر نوره للشمس . (٢) الدففاء : المراد بهم الجماعة من أصحاب الرسول يسيرون معه .
(٣) الإضاء: جمع إضاة، وهى الغدران . (٤) الشرط: الشق . والجزاء مايجزى به، وفى كل منهما تورية.
(٥) أقصد : أصاب . العصا: قصد بها عصا موسى . (٦) الشهباء : المجدبة .
(٧) استهلت : أمطرت . وطفاء : مسترخية الجوانب لكثرة مائها .
(٨) تتحرى : تتبع . والسقاء : القربة . (٩) الأحياء : القبائل .

فترى الأرضَ غِبّهُ كسماءٍ ... أشْرَقَتْ مِنْ نجُومِهاَ الظلماَء
تُخْجِلُ الدُّرَّ واليواقيتَ من نَوْ ... رِ رُباَها الْبيضاء والحمراء
لَيْتَهُ خَصَّنِي برُؤْيَةِ وَجْهٍ ... زَالَ عن كلٍّ من رآه الشقاء
مُسْفِرٌ يَلْتَقِي الكَتِيبَةَ بَسّاً ... مًا إذا أسْهم الوُجُوهَ اللِّقاء(١)
جُعِلَتْ مَسْجِدًا له الأرضُ فاهْتَزَّ ... به للصلاةِ فيها حِرَاء
مُظْهِرٍ شَجّةَ الجبينِ عَلَى البُرْ ... ءِ كما أظهرَ الهلالَ البَرَاء(٢)
سُتِرَ الحسْنُ منه بالحسنِ فاعجَبْ ... لجمالٍ له الجمالُ وِقاء
فهْوَ كالزّهْرِ لاحَ من سَجَفِ الأكـ ... ـمامِ وَالعودِ شُقَّ عنه اللِّحَاء(٣)
كَادَ أنْ يُغشِيَ العُيونَ سناً مِنْـ ... ـهُ لِسِرٍّ فيه حَكَتْهُ ذُكاء
صانَهُ الحسْنُ وَالسّكِينَةُ أنْ تَظْـ ... ـهرَ فيه آثارها البأساء
وتَخالُ الوجوهَ إنْ قابلَتْه ... ألْبَسَتْهَا ألوانهَا الحِرْباء
فإذا شِمْتَ بِشْرَهُ وَنَدَاه ... أذْهَلَتْكَ الأنوارُ والأنواء
أوْ بتقبيلِ راحةٍ كانَ لِلّـ ... ـهِ وَباللهِ أخذها والعطاء
تَتّقِي بأسَها الملوكُ وَتحظَى ... بالغِنَى من نوَالها الفقَرَاء
لاتَسَلْ سَيلَ جُودِها إنما يَكْـ ... ـفيك مِنْ وكْفِ سُحْبِها الأنداء(٤)
دَرّتِ الشاةُ حينَ مرّتْ عَلَيها ... فلها ثَرْوَةٌ بها وَنَماء
نَبعَ الماء أثمرَ النخلُ فى عا ... مٍ بها سَبّحَتْ بها الحَصْباء

(١) أسهم : غير .
(٢) شجة الجبين : جرحه، وقد شج جبين النبي فى غزوة أحد . والبراء : أول ليلة من الشهر .
(٣) السجف : الستر . والأكمام جمع كم : وهو وعاء الزهر . واللحاء : قشر الشجر .
(٤) الوكف : المطر الشديد .

أَحْيَتِ الْمُرْمِلِينَ مِنْ مَوْتِ جَهْدٍ أَعْوَزَ الْقَوْمَ فِيهِ زادٌ وماء(١)
فتغَدَّى بالصَّاعِ أَلْفٌ جِياعٌ وترَوَّى بالصَّاعِ أَلفٌ ظِمَاء
وَوَفى قدرُ بَيْضَةٍ مِنْ نُضَارٍ دَيْنَ سَلْمَانَ حِينَ حانَ الوفاء
كانَ يُدْعَى قِنًّا فأُعْتِقَ لَمَّا أَيْنَعَتْ مِنْ نَخيلِه الأَقْنَاء(٢)
أفلا تَعْذُرُونَ سَلْمَانَ لَمَّا أَنْ عَرَتْه مِنْ ذِكْرِه الْعُرَوَاء(٣)
وَأَزَالَتْ بِلَمْسِهَا كلَّ دَاءٍ أَكْبَرَتْه أَطِبَّةٌ وَإِسَاء
وعُيُونٌ مَرَّتْ بها وَهْيَ رُمْدٌ فَأَرَتْهَا مَالَمْ تَرَ الزَّرْقَاء
وأَعَادَتْ عَلَى قَتَادَةَ عَيْنًا فَهْيَ حتى مماته النَّجْلاء(٤)
أَوْ بِلَثْمِ التُّرابِ مِنْ قَدَمٍ لاَ نَتْ حَيَاءً من مَشْيِهَا الصَّفْوَاء
مَوْطِئُ الأَخْمَصِ الَّذِي منه للقلـ ـبِ إذا مَضْجَعِي أَقَضَّ وِطاء(٥)
حَظِيَ المسجدُ الحرامُ بِمَمْشا ها ولم يَنْسَ حَظَّه إِيلِيَاء(٦)
وَرِمَتْ إِذْ رَمَى بها ظُلَمَ الليـ ـلِ إلى الله خوفُه والرجاء
دَمِيَتْ في الوَغَى لِتَكْسِبَ طِيبًا ما أراقتْ من الدَّمِ الشُّهداء
فهْيَ قُطْبُ المحرابِ والحربِ كم دا رت عليها في طاعة أرحاء(٧)
وَأَرَاهُ لو لم يُسَكِّنْ بها قبـ ـلُ حِراءً ماجَتْ بِهِ الدَّأْمَاء(٨)
عَجبًا للكُفَّارِ زادوا ضلالًا بالذي فيه للعقول اهتداء

---

(١) المرملون : الذين لا زاد لهم . والجهد : القحط الشديد .
(٢) القن : الرقيق . والأقناء: جمع قنو ، وهو عذق النخلة الذى يحمل الثمر .
(٣) العرواء : رعدة الحمى . (٤) النجلاء : الواسعة .
(٥) الأخمص : أسفل القدم . وطاء : فراش . (٦) إيلياء : بيت المقدس .
(٧) أرحاء : طواحين . (٨) الدأماء : البحر .

والذى يسألون منه كتابٌ مُنْزَلٌ قد أتاهم وارتقاء
أولم يَكفِهِمْ من اللهِ ذِكْرٌ فيه للناس رحمةٌ وشفاء
أعْجَزَ الإنسَ آية منه والجن فهلّا يأتى بها البُلَغاء
كلّ يوم تُهْدِى إلى سامِعِيهِ مُعجزاتٍ من لفظِه القُرَّاء
تَتَحَلَّى به المسامِعُ والأفواه فهْوَ الحُلِيُّ والحَلْوَاء(١)
رَقَّ لَفْظا وراق معنًى فجاءتْ فى حُلاها وحَلْيِها الخنساء
وأرَتْنَا فيه غوامضَ فضلٍ رِقَّةٌ مِنْ زُلالها وَصَفاء
إنما تُجْتَلَى الوُجُوهُ إذَا ما جُلِيَتْ عَنْ مِرْآتِهَا الأصْداء
سُوَرٌ منه أشْبَهَتْ صُوَرًا مِنَّا ومِثْلُ النَّظائر النُّظَراء(٢)
والأَقاويلُ عندهمْ كالتماثيلِ فلا يُوهِمَنَّكَ الخطباء
كم أبانَتْ آياتُهُ من علومٍ عن حُروف أبانَ عنها الهجاء(٣)
فهْى كالحبِّ والنَّوَى أعجبَ الزُّرَّاعَ منهُ سنابلٌ وَزَكاء(٤)
فأطالوا فيه التردُّدَ وَالرَّيْبَ فقالوا سِحرٌ وقالوا افتراء
وإذا البيِّنَاتُ لَمْ تُغْنِ شيئا فالتماسُ الهُدَى بهِنَّ عَناء
وإذا ضلَّتِ العُقُول على عِلْمٍ فماذا تقوله النُّصَحاء
قومَ عيسى عاملْتم قومَ موسى بالذى عامَلَتْكُمُ الحُنَفاء(٥)
صَدَّقوا كُتْبَكُمْ وكذَّبْتُمُ كُتْبَهُمُ إنَّ ذا لَبِئْسَ البَواء(٦)

---

(١) تتحلى: من الحلو والحلوى، ففيه تورية . (٢) النظائر والنظراء: الذين يشبه بعضهم بعضا .

(٣) الهجاء : التهجى . (٤) الزكاء : النماء .

(٥) الحنفاء : المسلمون. يقول: إن المسلمين صدقوا كتبكم وكذبتم كتبهم . (٦) البواء : المكافأة .

نَ جحدنا جُحُودَكم لاستوينَا أوَ للحقِّ بالضَّلالِ استواء
مَالَكُمْ إخْوَةَ الكِتابِ أُناساً ليس يُرْعى للحقِّ منكم إخاء
يَحْسُدُ الأولُ الأَخيرَ ومازا لَ كذا المُحْدَثُونَ وَالقُدَمَاء
قد عَلِمْتُم بِظلمِ قابيل هابيـلَ ومظلومُ الإخْوَةِ الأَتْقياءَ
وسمِعتُمْ بكَيْدِ أبناءِ يعقو بَ أخاهم وكلُّهم صُلَحَاء
حِينَ ألْقَوْهُ فى غَيابَةِ جُبٍّ وَرَمَوْهُ بالإفْكِ وَهْوَ بَراء
فتأسَّوْا بِمَنْ مَضَى إذْ ظَلَمتمْ فالتَّأَسِّى لِلنَّفْسِ فيه عَزَاء[(١)]
أَتُرَاكُمْ وَفَّيْتمُ حينَ خَانُوا أم تُرَاكُمْ أحْسَنْتم إذْ أساءوا
بَلْ تَمادَتْ عَلَى التَّجاهُلِ آبا ءُ تَقَفَّتْ آثارَهَا الأَبناء[(٢)]
بيَّنَتْهُ تَوْراتُهُمْ وَالأَناجِيـلُ وَهم فى جُحُودِهِ شُرَكاء[(٣)]
إنْ تقولوا ما بيَّنَتْهُ فمَازَا لَتْ بها عن عيونهم غَشْوَاء[(٤)]
أو تقولوا قد بيَّنَتْهُ فما لِلْـأُذْنِ عما تقوله صَمَّاء
عَرَفُوهُ وَأَنْكَرُوهُ وَظُلْماً كَتَمَتْهُ الشَّهادَةَ الشُّهدَاء
أَوَ نُورُ الإِلٰهِ تُطفِئُهُ الأَفْـواهُ وَهْوَ الذى به يُسْتَضاء
أَوَلا يُنْكِرُونَ مَنْ طَحَنَتْهُمْ برَحاها عَنْ أمْرِهِ الهَيجاء
وَكَساهم ثَوْبَ الصَّغارِ وقد طُلَّت دِمًا منهم وصِينَتْ دِماءَ[(٥)]
كيف يَهدِى الإلٰه منهم قلوبا حَشْوُها من حبيبه البَغْضاء

---

(١) تأسوا : اقتدوا . (٢) تمادت : استمرت . وتقفت : تتابعت .

(٣) الضمير فى بينته : راجع على النبى محمد صلى الله عليه وسلم (٤) غشواء : ظلمة . (٥) طلت : أهدرت .

خبِّرونا أهلَ الكتابَيْنِ من أيـ ـنَ أتاكُم تثليثكم والبَداء[١]
ما أتى بالعقيدتَيْنِ كتابٌ واعتقادٌ لا نصَّ فيه ادِّعاء
والدَّعاوى ما لم تقيموا عليها بيِّناتٍ أبناؤُها أدْعِياء[٢]
ليت شعرى ذِكرُ الثلاثةِ والوا حِدِ نقْصٌ فى عدِّكم أم نماء
كيف وحَّدْتم إلهًا نفى التو حيدَ عنه الآباء والأبناء
أإلهٌ مُرَكَّبٌ ما سمعنا بإلهٍ لذاتهِ أجْزاء
ألِكُلٍّ منهم نصيبٌ منَ المُلْـ ـكِ فهلَّا تميَّزُ الأنصباء
أم هُمُ حَلَّلُوا بها شِرْكَةَ الأبـ ـدانِ أمْ هُمْ لبعضهم كُفَلاء
أتراهم لحاجةٍ واضطرارٍ خلَطُوها وما بَغَى الخُلطاء[٣]
أهُوَ الرَّاكِبُ الحمارَ فياعَجْـ ـزَ إلهٍ يَمَسُّهُ الإعْياء
أمْ جميعٌ عَلَى الحمارِ لقد جَلَّ حِمارٌ بجمْعِهم مَشَّاء
أم سِواهم هُو الإلهُ فما نِسْـ ـبَةُ عيسى إليه والإنْتماء
أم أردتُم بها الصفاتِ فلمْ خُصَّـ ـتْ ثلاثٌ بوصفِه وثُناء
أم هُوَ ابن لله ما شاركته فى معانى النُّبُوَّةِ الأنبياء
قتلَتْهُ اليهودُ فيما زَعمْتُمْ ولِأمْواتِكم به إحياء
إنَّ قَوْلاً أطْلَقتُمُوهُ عَلَى اللـ ـهِ تعالى ذِكْرا لقَوْلٌ هُراء
مِثْلَ ماقالتْ اليهودُ وكلٌّ لَزِمَتْهُ مقالَةٌ شَنْعاء
إذْ هم استَقْرَءوا البَداءَ وكم سا قَ وَبالاً إليهم استِقْراء

---

(١) البداء: هو ظهور مصلحة لله فى شىء بعد خفائها عنه . (٢) يقول إن هذه الدعاوى باطلة .
(٣) الخلطاء : الشركاء .

وَأَرَاهم لم يجعلوا الواحِدَ الـــقهَّارَ فى الخَلْقِ فاعلاً ما يشاء
جوَّزُوا النَّسْخَ مِثْلَمَا جوَّزُوا المَسْـــخ عَلَيْهِم لو أنهم فُقهاء(١)
هُوَ إلاَّ أن يُرْفَعَ الحكمُ بالحكْـــمِ وخَلْقٌ فيـــه وأمرٌ سَواء
ولُحكمٍ من الزمانِ انتهاء ولُحكمٍ من الزمانِ ابتـــداء
فَسلُوهم أكان فى مسخهمْ نَسْـــخٌ لآيات الله أم إنشاء
وَبَدَاءٌ فى قوْلهِمْ نَدِمَ اللّـــهُ عَلَى خَلْقِ آدمٍ أمْ خطاء
أم محَا اللهُ آيَةَ الليل ذُكْراً بعدَ سَهْوٍ ليوجَدَ الإمْســاء(٢)
أم بدا للإلٰهِ فى ذَبْحِ إسْحا قَ وقد كان الأمر فيـه مَضَــاء
أوَما حَرَّمَ الإلٰهُ نِــكاحَ الأُخْـــتِ بعدَ التحليلِ فَهْوَ الزِّناء
لاتُــكَذِّبْ إنَّ الْيَهُودَ وقد زا غُوا عن الحقِّ مَعْشَرٌ لُؤَماء
جَحَدُوا المصطفى وآمنَ بالطا غُوتِ قومٌ هُمْ عندهمْ شُرَفاء
قَتلوا الأنبياءَ واتَّخَذُوا العِجْـــلَ ألاَ إنهم هم السُّفهاء
وسَفيهٌ من ساءه المنُّ والسَّلْـــوَى وأرضاهُ الفُومُ وَالقِثَّاء(٣)
مُلِئَتْ بالخبيثِ منهم بُطُونٌ فَهْيَ نَارٌ طِباقُها الأمعاء
لو أُرِيدُوا فى حالِ سَبْتٍ بخيرٍ كان سَبْتا لديهمُ الأَربعاء(٤)
هُوَ يومٌ مُبارَكٌ قِيلَ للتصـــريفِ فيه من اليهود اعتداء(٥)

---

(١) النسخ: تبديل الحكم. والمسخ: تبديل الصورة. يقول إن جواز المسخ، وقد وقع من اليهود، يستلزم جواز النسخ الذى ينكرونه. (٢) ذكر بضم الذال: علم.

(٣) المن: الترنجبين، وهو حلو كان ينزل على بنى إسرائيل فى التيه من السماء. والسلوى: طير السمانى. والفوم: الثوم.

(٤) السبت: معناه القطع. والأربعاء: هو اليوم الذى خلق الله فيه النور.

(٥) هو راجع على السبت. والتصريف: البيع والشراء.

فَبِظُلْمٍ منهم وكُفْرٍ عَدَتْهُم طَيِّبَاتٌ فى تَرْكِهِنَّ ابْتِلاء(١)
خُدِعوا بالمنافقين وهل يَنْـــفُقُ إلَّا على السفيهِ الشَّقاء(٢)
واطمأنوا بِقَوْل الَاحزاب إخوا نِهِمُ إننا لكم أولياء
حالَفوهم وخالفوهم ولَمْ أَدْ رِ لِماذا تخالَفَ الحلفاء
أسلَمُوهم لأَوَّلِ الحَشْرِ لا مِيـــعادُهم صادقٌ ولا الإيلاء(٣)
سكَنَ الرُّعْبُ والَخرابُ قلوبا وَبُيُوتا منهم نعاها الجلاء
وَ بيوْمِ الَاُحزابِ إذْ زاغتِ الْأَبْـــصَارُ فيهم وضلتِ الآراء
وتَعَدَّوْا إلى النبىّ حدودًا كان فيها عليهم العُدَوَاء(٤)
وَنَهتْهُم وَما انتهت عنه قوم فأُبيــدَ الأَمَّارُ والنَّهــاء
وتعاطَوْا فى أحمدٍ مُنْكَرَ القَوْ لِ وَنُطقُ الأَراذِلِ العَوْراء
كلُّ رِجْسٍ يَزِيدُه الخُلُقُ السُّو ءُ سِفاها والمِـلَّةُ العَوْجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القوْ مِ وَما ساق لِلْبَذِىِّ البَذَاء
وجَد السَّبَّ فيه سُمًّا وَلم يَدْ رِ إذِ المِيمُ فى مواضِعَ بَاء
كانَ مِنْ فيه قتلُه بيَدَيْهِ فهو فى سوءِ فِعلِه الزَّبَّاء
أوْهُوَالنحلُ قَرْصُهَا يَجْلُبُ الحَتْــفَ إليها وما له إنْكاء(٥)
صَرَعَتْ قومَهُ حبائِلُ بَغْى مَدَّها المكرُ منهم والدَّهاء
فأتتهمُ خيلٌ إلى الحرب تختا لُ وللخيْلِ فى الوغَى خُيَلاء

(١) عدتهم : فاتتهم .
(٢) يقول إن اليهود خدعهم المنافقون من الأوس والخزرج .
(٣) أسلم المنافقون اليهود فى أول حشرهم، أى جمعهم وإجلائهم من جزيرة العرب إلى الشام . والميعاد: الموعد .
(٤) العدواء : الهلاك .
(٥) الإنكاء : التأثير القوى .

قَصَدَتْ فيهم القنا فقوافِي الطَّعْنِ منها ما شانها الإيطاء[(١)]
وَأثَارَتْ بأرضِ مكةَ نَقْعاً ظُنَّ أن الغُدُوَّ منها عِشاء
أحْجَمَتْ عندهُ الحجُونوأكْدى عِنْد إعطائه القليلَ كَدَاء
وَدَهَتْ أوْجُهاً بها وبيوتاً مُلّ منها الإكفاء والإقواء[(٢)]
فَدَعَوْا أحْلَمَ البريّةِ والعفْوُ جوابُ الحليمِ والإغْضاء
ناشدوه القُرْبَى التى من قُرَيْش قطعَتْهَا التِّراتُ والشَّحْناء[(٣)]
فعفا عَفْوَ قَادِرٍ لم يُنَغِّصْهُ عليهم بما مضى إغراء
وإذا كان القَطْعُ وَالوصلُ لِلَّهِ تَساوَى التَّقْرِيبُ وَالإقْصاء
وسواء عليه فيما أتاهُ مِنْ سِواهُ المَلامُ وَالإطْراء
وَلَوَ أنَّ انتقامَهُ لِهَوَى النَّفْسِ لَدامَتْ قطيعةٌ وَجَفاء
قام لِلّهِ فى الأُمورِ فأرْضَى اللّهَ منه تبايُنٌ وَوَفاء
فِعْلُهُ كلُّهُ جَمِيلٌ وَهل يَنْضَحُ إلاّ بمَا حَوَاهُ الإناء
أطْرَبَ السامعينَ ذِكْرُ عُلاَهُ يا لَرَاحٍ مَالَتْ بهَا النُّدَماء
النبيُّ الأمىُّ أعلمُ مَنْ أسْنَدَ عنه الرُّوَاةُ وَالحكماء
وَعَدَتنِي ازْدِيارَهُ العامَ وَجْنا ءُ وَمَنَّتْ بِوَعْدِهَا الوجْناء

(١) قصدت : أرادت الطعن . وقصدت من القصيد وهو الشعر ، ففيه تورية . والقافية بمعنى آخر البيت ، وبمعنى ماوراء العنق ، ففيه تورية . والإيطاء : تكرير القافية فى الشعر ، وتتابع الطعن هنا على المجاز ، ففيه تورية .

(٢) الإكفاء فى الشعر : المخالفة بين حروف أواخره . ومعناه هنا : انكفاء تلك الوجوه على الناس لتحميها . والإقواء فى الشعر اختلاف حركات إعراب روى القافية بين رفع وخفض . ومعناه كذلك خلو الدار من السكان ، فهى كلتا الكلمتين تورية .

(٣) الترات جمع ترة : وهى الثأر .

أفلاَ أنْطَوِى لها فى اُقْتضائِيـــه لِتُطْوَى ما بَيننَا الأفلاء(١)
بأُلُوفِ البَطْحاءِ يُجْفِلُهَا النيـــلُ وقد شَفَّ جَوْفَهَا الإظْماء(٢)
أَنـكَرَتْ مِصْرَ فهىَ تنفِرُ ما لا حَ بِناءٌ لِعَيْنِها أوْ خَلاء
فأَقضَتْ عَلَى مبارِكِها بِرْ كَتُهَا فالبُوَيْبُ فالخضْراء(٣)
فالقِبابُ التى تَلِيها فبئْرُ النَّـخْلِ وَالرَّكْبُ قائِلُونَ رِوَاء
وَغَدَتْ أَيْلَةٌ وَحِقْلٌ وَقُرٌّ خَلْفَها فَالْمَغَـارَةُ الْفَيْحَاء
فعيونُ الأَقْصَابِ يَتبعُها النَّبْــكُ وَيتْلو كُفَافَةَ العَوْجاء
حاوَرَتْهَا الحوراء شَوْقا فينبو عُ فَرَقَّ اليَنْبُوعُ وَالحَوْراء
لاحَ بالدَّهْنَوَيْنِ بَدْرٌ لهـا بَعْــدَ حُنَيْنٍ وَحَنَّتِ الصَّفْرَاء
وَنضَتْ بَزْوَةٌ فرابِغُ فالجُحْــفَةُ عنهـا ما حاكه الإنضـاء(٤)
وَأَرَتْهَا الخَلاصَ بئْرُ عَلِيٍّ فَعِقَابُ السَّوِيقِ فالخَلْصاء
فهْىَ من ماء بئْرِ عُسفَانَ أوْمِنْ بَطْنِ مَرٍّ ظمآنةٌ خَمْصَـاء(٥)
قَرَّبَ الزَّاهِرَ المسـاجِدُ منهـا بُخطاهـا فالبُطْء منهـا وَحاء(٦)
هذه عِدَّةُ المنـازِلِ لا ما عُدَّ فيــه السِّماكُ وَالعَــوَّاء(٧)
فـكأَنى بهـا أُرَحِّلُ منْ مَكّـــة شمساً سماؤُهـا البَيْــداء
مَوْضِعُ البَيْتِ مَهبِطُ الوَحْىِ مأْوى الرُّ سْلِ حيثُ الأنوارُ حيثُ البَهاء
حيثُ فرضُ الطَّوَافِ والسَّعْىُ والحَلْـــقُ وَرَمْىُ الجمار وَالإهــداء
حَبذا حَبَّذَا معاهِدُ منهـا لم يُغيِّرْ آياتِهِنَّ البِــلاء

---

(١) أضم نفسى على تلك الوجناء . (٢) يجفلها : يزعجها . وشف : أنحل .
(٣) البركة وما بعدها : أسماء منازل الحج من مصر إلى مكة . (٤) نضت : خلعت . والإنضاء : الهزال .
(٥) خمصاء : جائعة . (٦) الوحاء : السرعة . (٧) السماك والعواء : من منازل القمر .

حَرَمٌ آمِن وَبَيْتٌ حَرامٌ وَمَقَامٌ فيــه المُقَامُ تَــلاء(١)
فقضَيْنا بهـا مَناسـكَ لا يُحْمَـــدُ إلّا فى فِعْلِهِنَّ القَضاء
وَرَمَيْنا بهـا الفِجَاجَ إلَى طَيْـــبَةَ والسَّيْرُ بالمطـايا رِماء(٢)
فأصَبْنا عَنْ قَوْسِها غَرَضَ القُرْ بِ وَنِعْمَ الخَبِيئَةُ الـكَوْمَاء(٣)
فرأينا أرضَ الحَبيبِ يَغُضُّ الطَّـــرْفَ منها الضياء وَالَّلألاَء
فـكأَنَّ البَيْدَاء مِنْ حيثُ قا بَلَتِ العَينَ رَوْضَةٌ غَنَّاء
وكأَنَّ البِقاعَ زرَّتْ عليهـا طرَفيْها مُلاَءةٌ حَمْـراء
وكأَنَّ الأَرجاء تَنشُر نَشْر الْـــمِسْكِ فيهـا الجَنُوبُ وَالجِرْبياء(٤)
فإذا شِمْتَ أو شَمِمْتَ رُبَاهـا لاحَ منهـا برقٌ وفاحَ كِباء(٥)
أىَّ نُورٍ وَأىَّ نَوْرٍ شَهِدْنا يَوْمَ أبْدَت لَنـا القِبـابَ قُباء
قَرَّ منها دَمْعِي وفَرَّ اصْـطِبَارِى فدُمُوعِى سَيْلٌ وصَبْرِى جُفاء
فترى الرَّ كْبَ طائرِينَ من الشَّوْ قِ إلى طَيْبَةٍ لَهُمْ ضَوْضـاء
وكأَنَّ الزُّوَّارَ مَامَسَّتِ البَأْ ساء منهم خَلْقاً ولا الضرَّاء
كلُّ نَفْسٍ منهـا ابتهال وسؤْلٌ ودُعاء وَرَغْبَة وَابْتغاء
وَزَفيرٌ تَظُنُّ منه صُدُورًا صادحاتٍ يَعْتَــادُهُنَّ زُقاء(٦)
وَبُكَاء يُغرِيهِ بالعينِ مَدٌّ وَنحيبٌ يَحُثُّه اسْـتِمْلاء
وجُسومٌ كَأَنَّمَا رَحَضتْهَا مِنْ عظيم المَهابَةِ الرُّحضاء(٧)

---

(١) التلاء : الجوار . (٢) الرماء : الرمى ، شبه الإبل بالسهام .
(٣) الغرض : مايرمى بالسهام . والغرض : المقصد ، ففيه تورية . والخبيئة : الذخيرة . والكوماء : الناقة العظيمة السنام . (٤) الجربياء : ريح الشمال . (٥) شمت : نظرت . والكباء : عود البخور .
(٦) الزقاء : صوت الطيور . (٧) رحضتها : غسلتها . والرحضاء : العرق الكثير فى أثر الحمى .

وَوجُوهٌ كأَنَّما أَلْبَسَتْها مِنْ حياءٍ ألوانَهـا الحِرْباءُ
وَدُمُوعٌ كأَنَّما أرسلَتْها مِنْ جُفُونٍ سحابةٌ وَطفاءُ
فحَطَطْنا الرِّحالَ حيثُ يحطُّ الْـــوِزْرُ عنَّا وَتُرْفَعُ الحوْجاءُ(١)
وَقَرَأْنا السلامَ أكْرَمَ خَلْقِ اللَّـــهِ مِنْ حيثُ يُسْمَعُ الإِقْراءُ
وَذَهِلْنَا عنــد اللِّقَاءِ وكم أذْ هَلَ صَبًّا من الحبيبِ لِقَاءُ
وَوَجمْنَا مِنَ المَهَابَةِ حتَّى لا كلامٌ منــا ولا إيمــاءُ
وَرَجَعْنا وَللقُلوبِ التــفاتا تٌ إليــه وللجُسوم انْثِنــاءُ
وَسَمَحْنا بمــا نُحِبُّ وقــد يَسْـــمَحُ عند الضرورةِ البُخــلاءُ
يا أبا القاسمِ الذى ضِمنَ إقسا مِ عليه مَدْحٌ لهُ وَثَنــاءُ
بالعلومِ التى عليــكَ مِنَ اللَّـــهِ بلا كاتِبٍ لهـا إمْلاءُ
ومسيرِ الصَّــبا بنصْرِكَ شَهْرا فــكأَنَّ الصَّــبا لَديكَ رُخاءُ
وعَلِيٍّ لَمَّــا تفَلْتَ بعَيْنَيْـــهِ وكِلتاهما مَعًا رمْــداءُ
فَغَدا ناظِرًا بِعَيْنَىْ عُقَابٍ فى غَزَاةٍ لهـا العُقَابُ لِواءُ(٢)
وَبرَيْحانَتَيْنِ طيبُهُما مِنْـــكَ الذى أوْدَعَتْهُما الزَّهْراءُ(٣)
كُنْتَ تُؤْوِيهِما إليــكَ كما آ وَتْ من الخطِّ نُقْطَتَيْها الْيــاءُ
مِنْ شهيدَيْنِ ليس يُنْسِينيَ الطَّفُّ مُصابَيْهما وَلا كَرْبَلاءُ(٤)
مَا رَعَى فيهما ذِمامَكَ مرءو سٌ وَقد خانَ عَهْدَكَ الرُّؤساءُ(٥)

---

(١) الحوجاء : الحاجة . (٢) العقاب : طائر . والعقاب الثانى : اسم لراية النبي السوداء .
(٣) الريحانتان : هما الحسن والحسين سبطا الرسول .
(٤) الشهيدان : هما الحسن والحسين ، فالأول مات مسموما ، والثانى قتل فى الطف . (٥) الذمام : العهد .

أَبْدَلوا الوُدَّ وَالحفيظَةَ فى القُرْ بَى وَأَبْدَتْ ضِبَابها النَّافِقَاء[١]
وَقَسَتْ منهم قلوبٌ عَلَى مَنْ بَكَتِ الأَرضُ فقدَهم والسماء
فابْكِهِمْ ما استَطَعْتَ إنَّ قليلاً فى عَظِيمٍ مِنَ المُصابِ البُكاء
كلَّ يومٍ وَكلُّ أرضٍ لِكَرْبِى منهمُ كَرْبَلاَ وَعاشوراء
آلَ بَيْتِ النبىِّ إنَّ فُؤَادِى ليسَ يُسْلِيهِ عَنكم التَّأْسَاء
غيرَ أَنِّى فَوَّضْتُ أَمْرِى إلى اللَّـهِ وَتَفْوِيضِىَ الأُمورَ بَراء[٢]
رُبَّ يومٍ بِكَرْبلاَءَ مُسِيءٍ خَفَّفَتْ بعض وِزْرِهِ الزَّوْراء[٣]
والأَعادِى كَأَنَّ كلَّ طَرِيحٍ منهمُ الزِّقُّ حُلَّ عَنْه الوِكاء[٤]
آلَ بيتِ النبىِّ طِبْتُمْ فطابَ الْـمَدْحُ لِى فيكمُ وَطابَ الرِّثاء
أنا حَسَّانُ مَدْحِكم فإذَا نُحْتُ عليكمْ فإنَّنِى الخنساء
سُدْتُمُ الناسَ بالتُّقَى وَسِواكُمْ سَوَّدَتْهُ البَيْضاء والصَّفْرَاء
وَبأَصحابكَ الذين هُمُ بَعْـدَكَ فينا الهُداةُ وَالأَوْصِياء
أَحْسَنوا بعدكَ الخِلاَفَةَ فِى الدِّيـنِ وَكلٌّ لِما تَوَلَّى إزَاء[٥]
أغنياءٌ نزاهَـةً فُقَرَاءٌ عُلَمَاءٌ أَئِمَّةٌ أُمَرَاء
زَهِدُوا فى الدُّنَا فما عُرِفَ المَيْـلُ إليْهَا منهم وَلا الرَّغْبَاء
أَرْخَصُوا فى الوغَى نُفُوسَ مُلُوكٍ حارَبُوها أَسلاُبهـا إِغْلاء
كُلُّهُمْ فى أحكامه ذو اجتهادٍ وَصَوابٍ وَكُلُّهمْ أكفاء

(١) جحر تتخذه اليرابيع . وقوله أبدلوا الود : فيه إشارة إلى آية « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى » . (٢) براء : أى براءة من حولى وقوتى .
(٣) يقول: إن بنى العباس قد خففوا من المصاب العظيم الذى وقع على آل البيت بانتقامهم من بنى أمية .
(٤) الوكاء: ما يشد به رأس الزق . يقول إن الأعداء قد سالت دماؤهم . (٥) إزاء : أهل لما تولاه .

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ وَرَضُوا عَنْــهُ فَأَنَّى يَخطو إليهم خَطَّاء
جاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعدِ قوم بِحَقٍّ وَعَلَى المَنْهَجِ الحَنِيفِيِّ جاءُوا
ما لموسى وَلا لِعِيسى حَوارِيُّــونَ فى فَضْلِهِم وَلا نُقَبَاء
بِأَبِي بَكْرٍ الذى صَحَّ لِلنَّا سِ به فى حياتك الاقْتِدَاء
والمُهَدِّي يَوْمَ السَّقِيفَةِ لَمَّا أَرْجَفَ الناسُ ، أنه الدَّأْدَاء(١)
أَنقذَ الدينَ بعدَ ما كان للدِّيـــنِ عَلَى كلِّ كُرْبَةٍ إِشْفاء(٢)
أنفَقَ المالَ فى رِضاكَ وَلا مَنٌّ وَأَعطَى جَمًّا وَلا إكْداء(٣)
وأبى حَفْصٍ الذى أظهر اللـــهُ به الدينَ فارعَوى الرُّقَباء
والذى تَقْرُبُ الأَبَاعِدُ فى اللَّـــهِ إليــه وتَبْعُدُ القُرَبَاء
عُمَرَ بنِ الخطاب مَنْ قَوْلُهُ الفَصْــلُ وَمَنْ حُكْمُهُ السَّوِيُّ السَّوَاء
فَرَّ منه الشيطانُ إذْ كانَ فارُو قًا فلِلنَّارِ مِنْ سَنَاهُ انبِراء
وَابْنِ عفَّانَ ذِي الأيادى التى طا لَ إلى المصــطفى بها الإِسْدَاء
حَفَرَ البئْرَ جَهَّزَ الجيْشَ أَهْدَى الْـــهَدْيَ لما أَنْ صَدَّهُ الأَعْداء
وَأَبَى أنْ يَطُوفَ بالبيتِ إذْ لمْ يَدْنُ منـــه إلى النبيّ فِناء
فجَزَتْهُ عنها بِبَيْعَةِ رِضْوا نٍ يَدٌ مِنْ نَبيهِ بَيْــضَاء
أَدَبٌ عنده تَضَاعَفَتِ الأعـــمالُ بالتَّرْكِ حَبَّــذَا الأُدَباء
وَعَلِيٍّ صِنْوِ النبيّ وَمَنْ دِيـــنُ فُؤَادِي وِدادُهُ وَالوَلَاء
وَوَزِيرِ ابن عَمِّهِ فى المعالِي ومِنَ الأهلِ تُسْعِدُ الوُزَرَاء

---

(١) الداداء : الليالى المظلمة فى آخر الشهر ، يريد أن الفتن ستنزل بالمسلمين مثل ظلام الليل آخر الشهر .
(٢) الإشفاء : الإشراف على الشيء . (٣) الإكداء : قطع العطاء .

لم يَزِدْهُ كَشْفُ الغِطَاءِ يَقِيناً بَل هُوَ الشمْسُ ماعليه غِطاء
وبباقِي أَصحابِكَ المُظْهِرِ التَّرْ تِيبِ فينا تَفْضِيلُهم والوَلاَء
طَلْحَةَ الخيرِ المُرْتَضِيهِ رَفيقًا وَاحِدًا يومَ فَرَّتِ الرُّفقَاء(١)
وَحَوَارِيِّكَ الزُّبَيْرِ أَبى القَرْ مِ الذى أَنْجَبَتْ بِه أَسماء
وَالصَّفِيَّيْنِ تَوْءمِ الفضلِ سَعْدٍ وسَعِيدٍ إِنْ عُدَّتِ الأَصْفِيَاء
وابْنِ عَوْفٍ مَنْ هَوَّنَتْ نفسُهُ الدُّنْـيَا بِبَذْلٍ يُمِدُّه إِثْرَاء
والمُكَنَّى أبا عُبَيْدَةَ إِذْ يَعْـزِى إِليـه الأَمانةَ الأُمَنَاء
وَبِعَمَّيْكَ نَيِّرَىْ فَلَكِ المَجْـدِ وكلٌّ أَتاهُ منـك إِتاء(٢)
وبأُمِّ السِّبْطَيْنِ زَوْجِ عَلِيٍّ وَبَنِيها وَمَنْ حَوَتْهُ العَبَاء(٣)
وَبأَزْواجِكَ اللَّواتى تَشَرَّفْـنَ بأَنْ صانَهُنَّ منـك بِناء(٤)
الأمانَ الأمانَ إِنَّ فُؤَادِى من ذُنُوبٍ أَتَيْتُهُنَّ هَواء(٥)
قدْ تَمَسَّكْتُ مِنْ وِدَادِكَ بالحَبْـلِ الذى اسْتَمْسَكَتْ به الشفعاء
وَأَبى اللهُ أنْ يَمَسَّنِىَ السُّوءُ بحالٍ وَلِى إِليـكَ الْتِجاء
قد رَجَوْناكَ للأُمورِ التِى أَبْـرَدُها فِى فُؤَادِنا رَمْضاء(٦)
وَأَتَيْنا إِليـكَ أَنضاءَ فَقْرٍ حَمَلَتْنا إِلى الغِنَى أَنْضـاء(٧)
وانْطَوَتْ فى الصُّدُورِ حاجاتُ نفسٍ مالها عَنْ نَدَى يدَيْكَ انْطِواء

---

(١) إشارة إلى غزوة أحد . (٢) الإتاء : النماء وما يخرج من الشجر من الأثمار .

(٣) إشارة إلى ما قيل من أن النبى لف الحسن والحسين بعباءة من صوف حين نزلت آية « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » وأهل العباء هم النبى وعلى وفاطمة والحسن والحسين .

(٤) البناء : الدخول بالزوجة ، ويحتمل معنى آخر وهو ، أبنية الرسول ، ففيه تورية . (٥) هواء : خال .

(٦) الرمضاء : الحجارة الحامية من حر الشمس . (٧) الأنضاء : المهازيل ، جمع نضو ، بالكسر .

فأغِثْنا يامَنْ هُوَ الغَوثُ والغَيْـثُ إذا أجْهَدَ الورَى اللأْواء
والجَوَادُ الذي به تُفْرَجُ الغُمَّـةُ عنا وتُكشَفُ الحوْباء[(١)]
يا رحيمًا بالمؤمنين إذا ما ذَهِلَتْ عن أبنائها الرُّحَماء
يا شفيعًا في المُذنبين إذا أشْـفَقَ مِنْ خَوفِ ذَنْبِه البُرَآء
جُدْ لعاصٍ وَما سِواىَ هُوَ العا صِى وَلكنْ تَنَكُّرِى استِحْياء
وتدَارَكْهُ بالعنايةِ مادا مَ له بالذِّمامِ منك ذَماء[(٢)]
أخَّرَتْهُ الأعمالُ والمالُ عَمَّا قدَّمَ الصَّالحونَ والأغنياء
كلَّ يومٍ ذُنُوبُه صاعداتٌ وعليها أنفاسُهُ صُعَدَاء[(٣)]
أَلِفَ البِطْنَةَ المُبَطِّئَةَ السَّيْـرِ بدار بها البِطانُ بِطَاء[(٤)]
فَبَكى ذَنْبَهُ بِقَسْوَةِ قَلْبٍ نَهَتِ الدَّمْعَ فالبُكاء مُكاء[(٥)]
وغدَا يَعْتِبُ القَضاءَ ولا عُذْ رَ لِعاصٍ فيما يَسُوقُ القَضـاء
أوْثَقَتْهُ مِن الذُّنُوبِ دُيُونٌ شَدَّدَتْ فِي اقْتضائها الغُرَماء[(٦)]
مالَهُ حِيلَةٌ سِوَى حِيلةِ المُو ثَقِ إمَّا تَوَسُّلٌ أوْ دُعَاء
رَاجِيًا أنْ تعودَ أعمالُه السُّو ءُ بغُفْرَانِ اللهِ وَهْيَ هَبَاء
أوْ تُرَى سَيِّئاتُهُ حَسَـنَاتٍ فيقَالُ اسْتحالتِ الصَّهْباء[(٧)]
كلُّ أمْرٍ تُعْنَى به تُقْلَبُ الأعْـيانُ فيـه وتَعْجَبُ البُصَراء
رُبَّ عَيْنٍ تَفَلْتَ فى مائِها المِلْـحِ فأضْحَى وَهْوَ الفُراتُ الرَّوَاء[(٨)]

---

(١) الحوباء : النفس . استعملها بدل الحوب ، بالضم ، وهو الجهد والحاجة أو الغم والهم .
(٢) الذماء : بقية الروح . (٣) الصعداء : النفس المتواتر الممدود .
(٤) البطنة : النهم فى الطعام والشراب . وبطين : كبير البطن . وبطاء : جمع بطىء .
(٥) المكاء : الصفير . (٦) الغرماء : أصحاب الديون .
(٧) استحالت الصهباء : أى صارت خلا ، فتحل للشرب . (٨) الفرات : العذب . والرواء : المروى .

آهِ مما جنَيْتُ إنْ كانَ يُغْنى ... أَلِفٌ مِنْ عَظيمِ ذنْبٍ وهاء
أرتجِى التَّوْبَةَ النَّصُوحَ وفِى القَلْـ ... ـبِ نفاقٌ وفى اللسانِ رِياء
ومتى يَسْتَقِيمُ قَلْبى ولِلْجِسْـ ... ـمِ اعْوِجاجٌ مِنْ كِبْرَتِى وانْحِناء
كُنْتُ فى نَوْمَةِ الشَّبابِ فما اسْتَيْـ ... ـقَظْتُ إلاَّ ولِمَّتى شَمْطاء[(١)]
وتمادَيْتُ أقْتفِى أثَرَ القَوْ ... مِ فطالَتْ مَسافةٌ واقْتِفاء
فوَرا السائرينَ وهْوَ أمامِى ... سُبُلٌ وَعْرَةٌ وأرضٌ عَراء
حَمِدَ المُدْلِجونَ غِبَّ سُرَاهُم ... وكَفى مَنْ تَخَلَّفَ الإبْطاء[(٢)]
رحْلَةٌ لمْ يزَلْ يُفنِّدُنى الصَّيْـ ... ـفُ إذَا مَا نَوَيْتُها والشِّتاء[(٣)]
يَتّقى حرُّ وجْهِىَ الحرَّ والبَرْ ... دَ وقَدْ عَزَّ مِنْ لَظى الاتِّقاء[(٤)]
ضِقْتُ ذَرْعا مِمَّا جَنَيْتُ فيوْمِى ... قَمْطَرِيرٌ ولَيْـلَتى دَرْعاء[(٥)]
وَتذَكَّرْتُ رَحْمَةَ اللهِ فالبِشْـ ... ـرُ لِوَجْهِى أنَّى انتَحى تِلْقاء[(٦)]
فألَحَّ الرَّجاء والخوفُ بالقَلْـ ... ـبِ ولِلْخَوْفِ والرَّجا إحْفاء[(٧)]
صَاحِ لاتأسَ إنْ ضَعُفْتَ عَنِ الطَّا ... عَةِ واسْتأْثرَتْ بها الأَقوِياء
إنَّ لِلهِ رَحمةً وأحَقُّ النَّـ ... ـاسِ منـه بالرَّحمةِ الضُّعَفاء
فابقَ فى العُرْجِ عندَ مُنْقَلَبِ الذَّوْ ... دِ فِفى العَوْدِ تَسْبقُ العَرْجاء[(٨)]
لاتقُلْ حاسدًا لِغَيْرِك هذا ... أثمرَتْ نَخْلُهُ ونَخلِى عَفاء[(٩)]

---

(١) اللمة : الشعر المجاوز لشحمة الأذن . والشمطاء : المختلطة السواد بالبياض .
(٢) الإدلاج : السير أول الليل . وغب سراهم : عاقبته .
(٣) يفندنى : يكذبنى . (٤) حر وجهى : ما يبدو منه .
(٥) قمطرير : شديد . والدرعاء : المظلمة . (٦) انتحى : توجه .
(٧) إحفاء ، منازعة . (٨) العود : قافلة الإبل . (٩) عفاء : لا ثمر لها ، كأنها الدار المقفرة .

وأْتِ بالمُسْتطاعِ مِنْ عَمَلِ البِـرِّ فقدْ يُسقِطُ الثِّمارَ الإِتاء[١]
وبِحُبِّ النبيِّ فابْغِ رِضَى اللّٰـــهِ فَفِي حُبِّهِ الرِّضا والحِباء[٢]
يا نبيَّ الهُدَى اسْتغاثَةَ مَلْهو فٍ أضَرَّتْ بحالِهِ الحوْباء
يَدَّعِى الحبَّ وهْوَ يأمُرُ بالسُّو ءِ ومَنْ لِى أنْ تَصْدُقَ الرَّغْباء[٣]
أىُّ حُبٍّ يَصِحُّ منه وطَرْفِى لِلْكَرَى «واصِلٌ» وطَيْفُكَ راء[٤]
ليتَ شِعرِى أذاكَ مِنْ عُظْمِ ذَنبٍ أمْ حُظُوظُ المُتَيَّمِينَ حُظَاء[٥]
إنْ يكُنْ عُظْمُ زَلَّتِى حَجْبَ رُؤْيَا كَ فقدْ عَزَّ داءَ قلبِى الدَّواء
كيف يَصْدا بالذَّنْبِ قلبُ مُحِبٍّ وله ذِكْرُكَ الجميلُ جِلاء
هــذه عِلَّتِى وأنتَ طبيبى ليسَ يَخْفَى عليك فى القلبِ داء
ومِنَ الفَوْزِ أنْ أبُثَّكَ شَكْوَى هِىَ شَكْوَى إليكَ وهْىَ اقْتضاء
ضُمِّنَتْها مَدَائِحُ مُستطابٌ فيكَ منها المَدِيحُ والإصغاء
قلما حاوَلَتْ مَدِيحَكَ إلاَّ سَاعدَتْهَا مِيمٌ ودالٌ وحاء
حَقَّ لِى فيكَ أنْ أُسَاجِلَ قَوْماً سَلَّمَتْ منهم لَدَلْوِى الدِّلاء[٦]
إنَّ لِى غيرةً وقد زَاحَمَتْنى فى معانى مَدِيحِكَ الشُّعراء
ولقلبى فيكَ الغُلُوُّ وأنَّى لِلِسانى فى مَدْحِكَ الغُـلَواء[٧]
فأَثِبْ خاطِرًا يَلَذُّ له مَدْ حُكَ عِلْماً بأنه اللَّأْلاء[٨]

---

(١) الإتاء : ريع النخلة وزكاؤها وكثرة ثمرها . (٢) الحباء : العطاء .
(٣) الرغبة فى التوبة . (٤) واصل بن عطاء الذى كان لاينطق بالراء .
(٥) حظاء : جمع حظوة ، وهى المكانة . (٦) أساجل : أفاخر .
(٧) الغلواء : مجاوزة الحد . (٨) اللألاء : الفرح التام .

حاكَ مِنْ صَنْعَةِ القَرِيض بُرُودًا   لَكَ لم تَحْكِ وشْيَها صَنْعَاء
أعجزَ الدُّرَّ نَظمُهُ فاستوتْ فيـــهِ اليَدَان الصَّناعُ والخَرْقَاء
فَأَرْضَهُ أفصحَ امرئٍ نطقَ الضَّا   دَ فقامتْ تغَارُ منها الظاء
أبذِكْرِ الآياتِ أُوفيكَ مَدْحًا   أيْنَ مِنى وأيْنَ منها الوفَاء
أمْ أُمَارِى بِهِنَّ قَوْمَ نَبِيٍّ   ساءَ ما ظَنَّهُ بِيَ الأغبياء
ولَكَ الأُمَّةُ التى غَبَطَتها   بكَ لَمَّا أتَيتها الأنبياء
لَمْ نَخفْ بَعْدَكَ الضَّلالَ وفينَا   وَارِثُو نُورِ هَدْيِكَ العُلَمَاء
فانقضَتْ آىُ الانبياءِ وَآيا   تُكَ فى الناسِ مالهُنَّ انقْضاء
والكراماتُ منهمُ مُعجزاتٌ   حازَهَا مِنْ نَوَالِكَ الأولياء
إنَّ مِنْ مُعجزاتِكَ العجزَ عَنْ وصْـــفِكَ إذْ لا يَحُدُّهُ الإِحصــاء
كيفَ يَسْتَوْعِبُ الكلامُ سجايَا   كَ وَهَلْ تَنْزِحُ البحارَ الرِّكَاء (١)
ليسَ مِنْ غايَةٍ لِوَصفِكَ أبْغِيـــها   وللقَوْلِ غايَةٌ وانتهاء
إنما فضلُكَ الزَّمانُ وآيا   تُكَ فيما نَعُـدُّهُ الآنَاء
لمْ أُطِلْ فى تَعْدادِ مَدْحِكَ نُطْقِى   ومُرادِى بذلك اسْتقصاء
غير أنِّى ظمآنُ وَجْدٍ ومَالِى   بِقَلِيلٍ مِنَ الورودِ ارْتِواء
فسلامٌ عليك تَتْرَى مِنَ اللَّـــهِ   وَتَبْقَى به لَكَ البَأْواء (٢)
وسلامٌ عليـكَ منكَ فما غَيْـــرُكَ منه لكَ السلام كِفاء
وَسَلامٌ مِنْ كلِّ ما خلقَ اللهُ   لِتَحْيا بذِكْرِكَ الأمـلاء (٣)

---

(١) الركاء جمع ركوة ، وهو إناء صغير من الجلد يشرب فيه الماء . (٢) البأواء : الفخر .
(٣) الأملاء: جمع ملأ ، وهو الجماعة .

وَصلاةٌ كالمِسْكِ تحمِلهُ مِنى   شَمالٌ إليكَ أو نَكْباء[١]
وَسلامٌ عَلَى ضَرِيحِكَ تخضَلُّ   به منه تُرْبَةٌ وَعْساء[٢]
وَثناءٌ قَدَّمْتُ بينَ يَدَىْ نَجْـ   ـوَاىَ إذْ لم يكن لدَىَّ ثراء[٣]
ما أقَامَ الصلاةَ مَنْ عَبَدَ اللَّـ   ـهَ وقامتْ بِربِّها الأشياء[٤]

وقال ؛ قافية الباء ؛ من بحر المديد :

أزمَعوا البَيْنَ وشَدُّوا الرِّكابا   فاطلب الصبرَ وخَلِّ العِتابا
ودنا التَّودِيعُ مِمَّنْ وَدِدْنا   أنَّهم داموا لدينا غِضابا
فاقْرِ ضَيْفَ البَيْنِ دمعاً مُذالًا   يا أخا الوَجْدِ وقلْباً مُذابا
فمَنِ اللائمُ صَبًّا مَشُوقاً   أنْ بَكى أحْبَابهُ والشَّبابا
إنما أغْرَى بِنا الوَجْدَ أنَّا   ما حَسَبْنَا لِفِرَاقٍ حِسابا
وَعُرَيْبٌ جَعَلُوا بالمُصَلَّى   كلَّ قلبٍ يومَ ساروا نِهابا
عَجَباً كيف رضُوا أنْ يَحِلُّوا   مِنْ قلوبٍ أحرقوها قِبابا
أضْحَتِ الأرض التى جاوَرُوها   يَحْسُدُ العَنْبَرُ منها الترابا
لاتُكَذِّبْ خَبَراً أنَّ سَلْمَى   سَحَبَتْ بالتُّرْبِ ذَيْلا فَطابا
وَكَسَتْهُ حُلَلَ الرَّوْضِ حتى   تَوَّجَتْ منها الرُّبَا وَالهِضابا
ابْتَسمَتْ عَنْ مِثْلِ كَأْسِ الْحُمَيَّا   نظَمَ الماءُ عليها حُبابا
سُمْتُهَا لَثْمَ الثنايا فقالتْ   إنَّ مِنْ دُونِكَ سُبْلا صِعابا

---

(١) النكباء : الريح .   (٢) تخضل : تبتل . والوعساء : الرملة اللينة .
(٣) النجوى . المناجاة .   (٤) قامت بربها : بقيت .

حَرَستْ عَقْرَبُ صَدْغَيَّ خَدِّى ... وحَمَتْ حَيَّةُ شَعْرِى الرُّضابا
ويحَ مَنْ يَطْلُبُ مِنْ وَجْنَتَيَّ الْـوَرْدَ أَوْ مِنْ شَفَتَيَّ الشَّرابا
حَقَّ مَنْ كانَ لهُ حُبُّ سَلْمَى ... شُغُلا أَنْ يَسْتَلِذَّ العـذابا
وَلِمَنْ يَمدَحُ خَيْرَ البرايا ... أَنْ يرَى الفقْرَ عَطاءً حِسـابا
وَكفانى باتِّباعِى طَرِيقاً ... رَغِبَ الْمُخْتـارُ فيها رِغابا
كلما أُوتِيتُ منها نَصِيباً ... قُلْتُ إنى قدْ مَلَكْتُ النِّصـابا
يا حَبِيبـاً وَشَفِيعًا مُطاعًا ... حَسْبُنَا أَنَّ إِليـك الإِيابا
لمْ نَقُلْ فيكَ مقالَ النَّصـارَى ... إذْ أَضَلُّوا فى المَسيحِ الصَّوابا
إنمـا أَنتَ نَذِيرٌ مُبِينٌ ... أَنزَلَ اللهُ عليـك الكِتابا
بِلسانٍ عربىٍّ بَلِيـغٍ ... أَفْحَمَ العُربَ فَعَيَّتْ جوابا
يُطْمِـعُ الأَسماعَ فيـه بياناً ... وَسنا طِبِّهِ عَلَى العَقْلِ يابا
حوَتِ الكُتْبُ لُبَـاباً وَقِشْراً ... وَهْوَ حاوٍ مِنَ الأَلْبابِ لُبـابا
يَجْلِبُ الدُّرَّ إلى سامِعِيه ... كَلِمٌ لم يُرَ فيـه اجْتِلابا
أَشْرَقَتْ أنوارُه فرأَيْنا الرَّأْ ... سَ رَأْساً وَالذُّنابِى ذُنابا[1]
وَرأَى الكُفَّارُ ظِلاًّ فَضَلُّوا ... وَيْحَهُمْ ظَنُّوا السَّرابَ الشَّرابا
وإذا لمْ يَصِحَّ بالْعِلْمِ ذَوْقٌ ... وُجِدَ الشَّهْدُ مِنَ الجهْلِ صـابا
كيف يهدى اللهُ منهم عنيـدًا ... كلمـا أَبْصَرَ حقًّا تغَابى
وَإِذَا جِئْتَ بآياتِ صِدْق ... لم تَزِدْهم بِكَ إلاَّ ارْتِيابا

---

(١) الذنابى : الذنب .

أنتَ سِرُّ اللهِ فى الخَلْقِ وَالسِّـــرُّ عَلَى العُمْيِ أشَدُّ احْتِجَابا
عاقِبٌ ماحٍ مَحَــا اللهُ عَنَّا بِكَ ما نَحْذَرُ منـــه العــقابا
خَصَّهُ اللهُ بِخُلْقٍ كـريـمٍ وَدَعَا الفَضلَ له فاسْتَجابا
وَله مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ ما شَرَّ فَ قَوْسَيْنِ بذكـرٍ وَقابا
مِنْ دُنُوٍّ وَشُهُودٍ وَسِرٍّ بانَ عنه كلُّ وَاشٍ وَغابا
وَعلومٍ كَشَفَتْ كلَّ لَبْسٍ وَجَلَتْ عَنْ كلِّ شمسٍ ضَبابا
لَمْ ينَلْهَا باكْتِسَابٍ وفضلُ اللـــهِ ماليسَ ينَالُ اكْتِسَابا
وَإذَا زَارَ حبيبٌ مُحِبًّا لاتَسَلْ عن زائرٍ كيفَ آبا
كلُّ مَنْ تابَعه نالَ منـــه نَسبَاً مِنْ كلِّ فضْلٍ قِرابا
شَرَّفَ الأنسابَ طُوبى لأَصْلٍ وَلِفرْعٍ حازَ منـه انتسابا
دينُه الحَقُّ فَدَعْ ما سِواه وَخُذِ المَـــاءَ وَخَلِّ السَّرابا
جَعَلَ الزُّهْدَ له والعطايا والتُّقَى والبَأْسَ والبِرَّ دَابا
أنقَذَ الهَلْكَى ورَبَّى اليَتَامَى وفَدَى الأَسْرَى وفَكَّ الرِّقابا
بَصَّرَ العُمْىَ فياليْتَ عَيْنِي مُلِئَتْ مِنْ أَخْمَصَيْه تُرابا
أَسْمَعَ الصُّمَّ فَمَنْ لِي بِسَمْعِي لو تَلَقَّى لفْظَهُ المُستطابا
ودَعا الهَيجاء فارْتاحتْ السُّمْـــرُ اهْتِزازًا والسُّيوفُ انتِدَابا(١)
تَطْرَبُ الخيْلُ بِوَقْعٍ فَتَخْتا لُ إلى الحربِ وتَعْدو طِرابا
مِنْ عِتَاقٍ رَكِبَتْهَا كُمَاةٌ لم يخافوا لِلْمَنُون ارْتِكابا

---

(١) الانتداب : الإسراع بالإجابة .

كلُّ نَدْبٍ لوْ حَكَى غرْبَهُ السَّيْـــفُ لَماَ استصحبَ سَيْفٌ قِرَابا[١]
قاطعَ الأهلِينَ فى اللهِ جَهْرًا   لمْ يَخَفْ لَوْماً ولم يَخشَ عابا
لمْ يُبالِ حينَ يَغْدُو مُصيباً   فِي الوغَى أو حين يَغدو مُصابا
مِنْ حُماةٍ نَصَرُوا الدِّينَ حتى   أصْبَحَ الإسلامُ أحْمى جَنابا
رَفعُوا الإِسلامَ مِنْ فوقِ خَيْلٍ   أرْكبَتْ كلَّ عُقابٍ عُقابا
خضَبُوا البيضَ مِنَ الهام حُمْرًا   ما تَزالُ البِيضُ تَهْوَى الخِضابا[٢]
لمْ يُرِيدُوا بِذُكُورٍ جَلَوْهَا   لِلحُرُوبِ العُونِ إلاَّ الضِّرَابا
أرْغَمَ الهادى أُنوفَ الأعادى   بِرِضَـاهم وأَذَلَّ الرِّقابا
فأطاعتـه الملوكُ اضـطِرارًا   وأجابتْه الحصـونُ اضطرابا
وصناديدُ قُرَيْشٍ سَـقاها   حَتفَها سَقْىَ اللِّقاحِ السِّقابا[٣]
حَلَبُوا شَطْرَيْهِ فِي الجودِ والبأْ   سِ فأَحْـلَى وأَمَرَّ الحِلابا
وجدُوا أَخْلاَفَ أخلاَقِهِ فِي الْـــخِصْبِ والجدْبِ تعافُ الخِصابا[٤]
دَرُّهَا أطيبُ دَرٍّ فإنْ أمْـــكَنَكَ الحلْبُ فَرَاعِ العِطابا[٥]
جَيَّشَ الجيْشَ وسَرَّى السَّرايَا   ودَعا الخيْلَ عِتاَقا عِرابا
وهْوَ المَنْصُورُ بالرُّعْبِ لو شا   ءَ لأَغنى الرُّعْبُ عنها ونَابا
لو ترى الأَحزابَ طاروا فِرارًا   خِلْتَهُمْ بينَ يديهِ ذبابا
أوَلَمْ تَعجبْ له وهْوَ بَحْرٌ   كيف يسْتَسْقى نَداهُ السَّحابا

---

(١) الندب : الخفيف ، النجيب .
(٢) البيض الأولى : السيوف ، والثانية : النساء البيض .   (٣) اللقاح : النوق الوالدة . والسقاب : أولادها.
(٤) الخصاب : التمر الرديء جمعه خصبة .   (٥) راع العطابا : احترس حتى لا تعطب .

كانتِ الأَرضُ مَواتاً فأَحْيا   بالْحَيا مِنهـا المواتَ انسكابا
نَزَعَتْ عنهـا مِنَ المَحْلِ ثَوْبا   وكَسَتْها مِنْ رِياضٍ ثِيـابا
سَيِّدٌ كيفَ تأَمَّلْتَ معنا   هُ رأَتْ عَيْناكَ أمرًا عُجابا
مَنْ يَزُرْهُ مُثْقلاً بالخطايا   عادَ مَغْفُورَ الخطايا مُثابا
ذِكْرُه فى الناسِ ذِكْرٌ جَميلٌ   قالَ لِلْكَوْنَيْنِ طيبا فطَابا
وسِعَ العالَمَ[1] عِلْمًا وجُودا   فدعا كُلًّا وأَرْضَى خِطابا
فَتَحَلَّتْ منـه قومٌ عُقُودًا   وتحلّت منـه قومٌ سِخابا[2]
ليتَنى كنتُ فيمن رآهُ   أَتَّقِى عنـه الأذى والسِّبابا
يومَ نالَتْهُ بإفْكٍ يَهودٌ   مِثْلَما استَنْبَحَ بَدْرٌ كِلاَبا
فادْعُنى حسَّانَ مَدْحٍ وزِدْنى   إننى أَحسَنْتُ عنـه المَنَابا
يا رسولَ اللهِ عُذْرا إذَا هِبْـتُ   مَقَاماً حَقُّه أنْ يُهابا
إننى قُمْتُ خطيبا بِمَدْحيـكَ   ومَنْ يَمْلِكُ منـه الخطابا
وتَرَامَيْتُ به فى بِحارٍ   مُكْثِرا أمواجَها والعُبابا
بِقَوافٍ شُرِعَتْ للأعادِى   وجَدُوها فى نفوسٍ حِرَابا
هِىَ أَمْضَى مِنْ ظُبَى البِيضِ حَدًّا   فِى أعادِيكَ وأَنْكَى ذُبابا[3]
فارْضَهُ جُهْدَ مُحِبٍّ مُقِلٍّ   صانَه حبُّكَ مِنْ أنْ يُعابا[4]
شابَ فى الإسلامِ لكنْ له فيكَ   فؤادٌ حُبُّه لنْ يُشابا

---

(١) د : العالمين . وهذه رواية م .   (٢) السخاب : قلادة من سك وقرنفل ومحلب بلا جوهر . والسك : نوع من أخلاط الطيب ، يعجن ويجفف ويجعل كالخرز .

(٣) الذباب : حد السيف ، وأنكى فى العفو وأتقن .   (٤) د : فارضه جهد جهدى محب . وهذه رواية م .

يَتَمَنَّى بالأمانيِّ إِنَّــهُ قبلَ مماتٍ أنابا

كلما أَوْسَعَهُ الشَّيْبُ وَعْظا ضَيَّقَ الخوفُ عليه الرِّحابا

ضَيَّعَ الحَزْمَ وفيه شبابٌ وأتى مُعْتَذِرا حِينَ شابا[1]

وغدا مِنْ سُوءِ ما قد جَنَاهُ نادِماً يَقْرَعُ سِنًّا وَنابا[2]

أفلا أرجو لذَنْبِي شَفِيعا ما رَجاهُ قَطُّ راجٍ فخابا

أحمدُ الهادى الذى كلما جِئْتُ إليه مُسْتَثِيبا أثابا

فاعذِروا فى حُبِّ خيرِ البرايا إِنْ غَبطْنا أو حَسَدْنا الصِّحَابا

إِنْ بدا شمسا وصاروا نجوما وطَمَى بحـرا وفرُّوا ثِغابا[3]

أَقْلَعَتْ سُحْبُ سُفْنِهِمْ سِجالا مِنْ علوم وَوَرَدْنا انصِبابا

وَغَدَوْنا بينَ وَجْدٍ وَفَقْدٍ يَعْظُم البُشْرَى به وَالْمُصابا

وَتَبارَأْنَا من النَّصْبِ وَالرَّفْضِ وَأَوْجَبْنا الكلِّ جَنابا

إِنَّ قوما رضِيَ اللهُ عنهم مالنا نُلْقِى عليهم غِضَابا

إننى فى حُبِّهِم لا أُحابى أحدا قطُّ وَمنْ ذَا يُحابَى

صلوات اللهِ تَتْرَى عليه وعليهم طيِّباتٌ عِذابا

يفْتَحُ اللهُ علينا بها مِنْ جُودِهِ والفَضْلِ بابا فبابا

ماانْتَضَى الشَّرْقُ من الصُّبْحِ سَيْفاً وَفَرى مِنْ جُنْحِ لَيْلٍ إهابا

(١) د : معذرا . (٢) د : منيبا أنابا . والتصحيح فى (١ ، ٢) عن م .

(٣) الثغاب : جمع ثغب ، بسكون الغين وتحريكها ، وهو المطمئن من المواضع فى أعلى الجبل ، يستنقع فيه ماء المطر .

وقال أيضا عفا الله عنه(١) :

بِمَدْحِ المصطفى تَحيا القلوبُ ... وَتُغْتَفَرُ الخطايا وَالذُّنوبُ
وَأَرجُو أَنْ أَعِيشَ به سعيدا ... وأَلقاهُ وليس عَلَيَّ حُوبُ(٢)
نبيٌّ كامل الأوصافِ تَمَّتْ ... محاسِنُه فقيل له الحبيبُ
يُفَرِّجُ ذِكْرُهُ الكُرُباتِ عنا ... إذا نَزَلَتْ بساحَتِنا الكُروبُ
مدائحُه تَزِيدُ القَلْبَ شَوْقاً ... إليه كأنها حَلْيٌ وَطيب(٣)
وأَذْكُرُهُ وَلَيْلُ الخطْبِ داجٍ ... عَلَيَّ فتَنْجَلِي عنى الخطوبُ
وصَفْتُ شمائلا منه حِساناً ... فما أدرى أمدحٌ أمْ نَسيبُ
وَمَنْ لى أنْ أرى منه مُحَيًّا ... يُسَرُّ بحسنِهِ القلْبُ الكئِيبُ
كأنَّ حديثَه زَهْرٌ نَضِيرٌ ... وحاملَ زَهْرِهِ غُصْنٌ رَطيب
ولِي طَرْفٌ لِمَرْآهُ مَشوقٌ ... وَلِي قلبٌ لِذِكْراهُ طَرُوب
تَبَوَّأَ قابَ قوسَيْنِ اخْتصاصا ... ولا واشٍ هناكَ ولا رقيب(٤)
مَناصِبُه السَّنِيَّةُ ليسَ فيها ... لإنسانٍ ولاَ مَلَكٍ نَصِيب
رَحِيبُ الصَّدْرِ ضاقَ الكَوْنُ عما ... تَضَمَّنَ ذلك الصدْرُ الرحيب
يُجَدِّدُ فى قُعودٍ أوْ قِيامٍ ... له شَوْقِ المُدَرِّسُ والخطيب
عَلَى قَدَرٍ يُمِدُّ الناسَ عِلْماً ... كما يُعْطِيك أدْوِيَةً طبيب(٥)
وتَسْتَهْدِى القلوبُ النُّورَ منه ... كما استهدَى مِنَ البَحْرِ القَلِيبُ(٦)

---

(١) ت : وقال رضى الله عنه ، يمدح النبى صلى الله عليه وسلم من الوافر .
(٢) الحوب : الإثم . (٣) الحلى : الحلىّ . (٤) كناية عن شدة القرب المعنوى .
(٥) القدر : التقدير . (٦) القليب : البئر .

بَدَتْ للناسِ منه شُموسُ عِلْمٍ طَوالِعَ ما تزُولُ ولا تَغيبُ
وأَلهمَنَا به التَّقْوَى فَشَقَّتْ لنا عمَّا أَكَنَّتْهُ الغُيُوب[1]
خلائِقُهُ مَوَاهِبُ دُونَ كَسْبٍ وشَتَّانَ المَوَاهِبُ والكُسُوب
مُهَذَّبَةٌ بنورِ اللهِ ليستْ كأخلاقٍ يُهَذِّبُهَا اللَّبِيبُ
وآدابُ النُّبُوَّةِ مُعجزاتٌ فكيف يَنالهُا الرجُلُ الأديب
أَبَيْنَ مِنَ الطِّباعِ دَمًا وفَرْثًا وَجاءت مثلَ ما جاء الحليب[2]
سَمِعْنا الوَحْىَ مِنْ فِيه صريحًا كغادِيَةٍ عَزَالِيها تَصُوبُ[3]
فلا قَوْلٌ ولا عَمَلٌ لَدَيْها بفاحِشَةٍ ولا بِهَوًى مَشُوب[4]
وبالأهواءِ تَخْتَلِفُ المساعى وتَفْتَرِقُ المذاهِب والشُّعوب
وَلما صار ذاكَ الغيْثُ سَيْلاً علاهُ مِنَ الثَّرَى الزَّبَدُ الغَرِيب
فلا تَنْسُبْ لِقَوْلِ اللهِ رَيْباً فما فى قولِ رَبِّكِ ما يَرِيب
فإنْ تَخْلُقْ لهُ الأعداء عَيْباً فَقَوْلُ العَائِبِينَ هو المَعيب
فَخالِفْ أُمَّتَىْ موسى وعيسى فما فيهمْ لخالِقِهِ مُنِيب
فَقَوْمٌ منهم فُتِنُوا بِعِجْلٍ وَقَوْمًا منهمْ فَتَنَ الصَّليب
وأَحْبارٌ تَقُولُ لَهُ شَبِيهٌ ورُهْبَان تَقُولُ لَهُ ضَرِيبُ
وإِنَّ محمدا لرَسولُ حَقٍّ حَسيبٌ فى نُبُوَّتِهِ نَسِيب
أَمِينٌ صادِقٌ بَرٌّ تَقِىٌّ عليمٌ ماجِدٌ هادٍ وَهُوب
يُرِيكَ عَلَى الرِّضَا وَالسُّخْطِ وَجْهاً تَرُوقُ به البَشَاشَةُ والقُطوب

---

(١) أكنته : سترته . (٢) الفرث : السرجين ما دام فى الكرش .
(٣) الغادية : السحابة : وعزاليها : أفواهها . وتصوب : تسيل . (٤) مشوب : مخلوط .

يُضِيء بِوَجْهِهِ المِحْرابُ لَيْلاً ... وَتُظْلِمُ فى النهارِ به الحُروب

تَقَدَّمَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ نَبِيٍّ ... نَمَاهُ وهكذا البَطَلُ النَّجِيب

وصَدَّقَهُ وحَكَّمَهُ صَبِيًّا ... مِنَ الكُفَّارِ شُبَّانٌ وشِيب

فلما جاءهم بالحقِّ صَدُّوا ... وصَدُّ أُولئك العَجَبُ العَجيب

شريعتُهُ صراطٌ مُستقيمٌ ... فليسَ يَمَسُّنا فيها لُغوب(١)

عليكَ بها فإنَّ لها كِتابًا ... عليه تَحْسُدُ الحَدَقَ القلوبُ

يَنُوبُ لها عَنِ الكُتْبِ المَوَاضِى ... وليسَتْ عنه فى حالٍ تَنُوب

أَلَمْ تَرَهُ يُنَادِى بالتَّحَدِّى ... ولا أحدٌ بِبَيِّنَةٍ يُجِيب

وَقد كَشَفَ الغِطَاءَ لنا وشُقَّتْ ... عَنِ الحُسْنِ البَدِيعِ به جُيوب

وَدَانَ البَدْرُ مُنْشَقًّا إليه ... وأفْصَحَ ناطِقاً عَيْرٌ وَذيب

وجِذْعُ النَّخْلِ حَنَّ حَنِينَ ثَكْلَى ... لهُ فأَجابهُ نِعْمَ المُجيبُ

وقد سَجَدَتْ لهُ أغصانُ سَرْحٍ ... فلِمْ لا يؤمِنُ الظَّبْيُ الرَّبيبُ(٢)

وكَمْ مِنْ دَعْوَةٍ فى المَحْلِ منها ... رَبَتْ وَاهْتَزَّتِ الأرضُ الجَدِيب

وَروَّى عَسْكَرًا بحَلِيبِ شاةٍ ... فعاوَدَهُمُ بهِ العَيْشُ الخصيب

وَمَخْبولٌ أتاهُ فثابَ عَقْلٌ ... إليه وَلَمْ نَخَلْهُ له يثُوب

وما ماءٌ تَلَقَّى وهْو مِلْحٌ ... أُجاجٌ طَعْمُهُ إلَّا يَطيب

وعينٌ فارقَتْ نظَرًا فعادت ... كما كانتْ ورُدَّ لها السَّليبُ

ومَيْتٌ مُؤْذِنٌ بِفِراقِ رُوحٍ ... أقامَ وسُرِّيَتْ عنه شَعُوب

---

(١) اللغوب : التعب . (٢) السرح : جمع سرحة ،وهى الشجرة الكبيرة الواسعة الظلال .

وثغرُ مُعَمَّرٍ عمْرًا طويلاً تُوُفِّى وهْوَ مَنْضُودٌ شَنِيب[1]
ونَخْلٌ أثمَرَتْ فى دُونِ عامٍ فَعَادَ بِهاعَلَى الْقِنْوِ العَسِيبُ[2]
ووفّى منــهُ سَلْمانٌ دُيُوناً عليــه ما يُوفِّيها جَرِيب
وجَرَّدَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ سَيْفاً فقِيلَ بِذاكَ لِلسَّيْفِ القَضِيب
وهَزَّ ثَبِيرُ عِطْفَيْهِ سُرورًا به كالغُصْنِ هَبَّتْهُ الجَنُوبُ
ورَدَّ الفيــلَ والأحزابَ طَيْرٌ وريحٌ ما يُطاقُ لهـــا هُبُوب
وفارَسُ خانها ماءٌ ونارٌ فغِيضَ المـــاء وانطَفأَ اللَّهِيب
وقد هَزَّ الحسامَ عليـــه عادٍ بيَوْمٍ نَوْمُه فيـــه هُبوب
فقامَ المصطفى بالسيفِ يَسْطو عَلَى السَّاطى به ولهُ وثُوب
ورِيعَ لهُ أبو جهلٍ بِفَحْلٍ يَنُوبُ عَنِ الهِزَبْرِ لهُ نُيُوب
وشُهْبٌ أُرْسِلَتْ حَرَساً فخُطَّتْ عَلَى طِرْسِ الظَّلَامِ بها شُطوب
ولَمْ أرَ مُعجزاتٍ مِثْلَ ذِكْرٍ إليــه كلُّ ذِى لُبٍّ يُنِيب
وما آياتُه تُحْصَى بِعَــدٍّ فَيُدْرِكَ شَأْوَها منى طَلوب
طَفِقْتُ أعُدُّ منها مَوْجَ بَحْرٍ وقَطْرًا غَيْثُه أبدًا يَصُوب[3]
يَجُودُ سَحابُهُنَّ ولا انْقِشَاعٌ ويَزْخَرُ بَحْرُهُنَّ ولا نُضُوب
فَراقَكَ مِنْ بَوَارِقِهاَ ومِيضٌ وشاقَكَ مِنْ جَوَاهِرِها رُسوبُ
هــدانا لِلْإلهِ بهــا نَبِيٌّ فضائِله إذا تُحْـكَى ضُروب

---

(١) الشنب : حدة الأسنان وبريقها .

(٢) القنو : عذق النخلة الذى فيه التمر . والعسيب : جريدة النخل .
وفى (د) : وعاد بها على العفو العثيب . والتصحيح عن م . (٣) يصوب : يسيل .

وأخبَرَ تا بعيهِ بغائباتٍ وليس بكائن عنه مَغيب
ولا كَتبَ الكتابَ وَلا تَلاه فيُلْحِدَ في رسالته المُرِيب
وَقد نالوا عَلَى الأُمم المَوَاضى به شَرَفًا فكلُّهُمُ حَسيب
وما كأميرِنا فيهم أميرٌ ولا كنقيبِنا لهمُ نقيب(١)
كأنَّ عليمَنا لهمُ نبيٌّ لدعوتِهِ الخلائقُ تستجيب(٢)
وَقد كُتِبَتْ علينا واجباتٌ أَشَدُّ عليهمُ منها النُّدوب(٣)
وما تتَضاعفُ الأغلالُ إلَّا إذا قَسَتِ الرِّقابُ أوِ القلوب
ولما قيلَ للكفارِ خُشْبٌ تَحَكَّمَ فيهمُ السيفُ الخشيب(٤)
حَكَوْا في ضَرْبِ أمثلةٍ حَمِيرا فواحِدُنَا لألفِهِمُ ضَرُوب
وما عُلَماؤُنا إلا سُيوفٌ مَواضٍ لاتُفَلُّ لها غُروب(٥)
سَراةٌ لم يَقُلْ منهم سَرِىٌّ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ يَوْمٌ عَصِيب
وَلَمْ يَفْتِنْهُمُ ماءٌ نَميرٌ مِنَ الدنيا ولا مَرْعًى خصيب
ولم تُغْمَضْ لهمْ ليلاً جُفونٌ ولا أَلِفَتْ مَضاجِعَها جُنُوب
يَشُوقُكَ منهمُ كلُّ ابنِ هَيْجَا عَلَى اللَّأْوَاء مَحْبُوبٌ مَهيب(٦)
له مِنْ نَقْعِها طَرْفٌ كَحِيل ومِنْ دَمِ أُسْدِها كَفٌّ خَضِيب
وتنهالُ الكتائبُ حينَ يَهْوِى إليها مثلَ ما انهال الكثيبُ
على طُرُقِ القَنا للموْتِ منه إلى مُهجِ العِدا أبدا دَبيب

(١) د : فيهم . (٢) د : كأن عليمنا فيهم . وفيه تلميح إلى حديث روى عن النبى وهو : علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل . (٣) الندوب : الشقوق ، جمع ندب . (٤) الخشيب : الصقيل .
(٥) الغروب : جمع غرب وهو حد السيف . (٦) اللأواء : الشدة . وفى د : الآراء .

يُقَصِّدُ في العِدا سُمْرَ العَوالى فيَرْجِعُ وهْوَ مسلوبٌ سَلوبُ(١)
ذَوابِلُ كالعقُودِ لهــا اطِّرادٌ فليسَ يَشُوقُها إلاّ التَّريبُ(٢)
يَخِرُّ لرُمْحِهِ الرُّومِيُّ أنَّى تَيقَّنَ أنه العُودُ الصَّليبُ
ويَخْضِبُ سَيْفَهُ بِدَمِ النَّواصى مَخافَةَ أنْ يُقالَ به مَشيبُ(٣)
له فى الليــلِ دَمْعٌ ليسَ يَرْقا وقلبٌ ما يَغِبُّ له وجِيبُ(٤)
رســولَ اللهِ دعوةَ مُستقيلٍ مِنَ التقصــيرِ خاطِرُهُ هَيُوبُ(٥)
تَعَذَّرَ فى المَشيبِ وكانَ عَيًّا وَبُرْدُ شبابِهِ ضــافٍ قشيبُ(٦)
ولا عتْبٌ على مَنْ قامَ يَجْلو محاسِنَ لاتُرَى معها عيوبُ
دَعاكَ لــكلِّ مُعْضِلَةٍ أَلَمَّتْ به واــكُلِّ نائبــةٍ تَنُوبُ
وللذَّنبِ الذى ضاقتْ عليــه به الدنيا وجانبُها رَحيبُ
يُراقِبُ منه ما كَسَبَتْ يَداه فيَبْــكيه كما يَبْكى الرَّقوبُ
وَأَنَّى يَهتدى للرشْدِ عاصٍ لغاربِ كلِّ مَعْصِيةٍ رَكُوبُ
يَتُوبُ لسانُهُ عَنْ كلِّ ذَنبٍ وَلم يَرَ قلبَهُ منــه يَتُوبُ
تَقاضَتْهُ مواهِبُكَ امْتِداحاً وَأَوْلى الناسِ بالمَدْحِ الوَهوبُ
وَأَغْرانى به داعِى اقْتِراحٍ عَلَيَّ لِأَمْرِهِ أبدَا وُجُوبُ
فقلتُ لِمَنْ يَحُضُّ عَلَيَّ فيــه لعلَّكَ فى هواهُ لِى نَسيبُ

---

(١) يقصد : يكسر . وسمر العوالى : الرماح . (٢) ذوابل: الرماح الرقيقة . والتريب: عظام الصدر .

(٣) النواصى: جمع ناصية، وهى مقدم الرأس . (٤) رقأ الدمع: سكن و جف. وغب القوم: أتاهم يوما بعد يوم . والوجيب: خفقان القلب .

(٥) استقال : طلب الإقالة من الذنب .

(٦) تعذر : تأخر . وعى : حصر .

دَلَلْتَ عَلَى الهَوَى قلبي فَسَهْمِي ‏ ‏ ‏ وَسَهْمُكَ فى الهَوَى كلٌّ مُصيب
لجودِ المصطفى مُدَّتْ يَدانا ‏ ‏ ‏ وَما مُدَّتْ لهُ أيدٍ تَخِيب
شفاعَتُه لنا ولكلِّ عاصٍ ‏ ‏ ‏ بِقَدْرِ ذُنوبِه منها ذَنوبُ(١)
هُوَ الغَيْثُ السَّكُوبُ نَدًى وعِلْماً ‏ ‏ ‏ جَهِلْتُ وما هُوَ الغَيْثُ السَّكُوبُ
صلاةُ اللهِ ما سارت سحابٌ ‏ ‏ ‏ عليه وما رَسا وَثَوَى عَسِيبُ(٢)

وقال أيضا ؛ فى مدحه صلى الله عليه وسلم(٣) :

وَافاكَ بالذنبِ العظيمِ المُذْنِبُ ‏ ‏ ‏ خَجِلاً يُعَنِّفُ نفسَهُ ويُؤَنِّب
لم لايَشُوبُ دُمُوعَه بدِمائِه ‏ ‏ ‏ ذُو شَيبةٍ عَوْرَاتُها مَا تُخْضَب(٤)
لَعِبَتْ به الدنيا ولولا جَهْلُه ‏ ‏ ‏ ما كان فى الدنيا يخوضُ ويَلعَب
لَزِمَ التَّقَلُّبَ فى مَعاصِى رَبِّهِ ‏ ‏ ‏ إِذْ باتَ فِى نَعْمائِه يَتَقَلَّب
يستغفرُ اللهَ الذُّنوبَ وقلبُه ‏ ‏ ‏ شَرِهًا على أَمْثالِها يَتَوَثَّب
يُغرِى جَوَارِحَهُ عَلَى شَهَواتِهِ ‏ ‏ ‏ فَكَأَنَّهُ فيما استَباحَ مُكَلِّب(٥)
أَضْحَى بِمُعْتَرَكِ المَنايا لاهِياً ‏ ‏ ‏ فَكَأَنَّ مُعْتَرَكَ المَنَايا مَلْعَب
ضاقَتْ مذاهبُه عليه فما لَه ‏ ‏ ‏ إلاَّ إلى حَرَمٍ بِطَيْبَةَ مَهْرَبُ
مُتَقَطِّعُ الأسبابِ مِنْ أعمالِهِ ‏ ‏ ‏ لكنه بِرَجائِه مُتَسَبِّب
وقَفَتْ بجاهِ المصطفى آمالُه ‏ ‏ ‏ فكأنه بذنوبه يَتَقَرَّبُ

---

(١) ذنوب : نصيب . ‏ ‏ ‏ (٢) ثوى : أقام . وعسيب : جبل .

(٣) ت : وقال رضى الله تعالى عنه ، فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم والقصيدة من الكامل .

(٤) يشوب : يخلط . (٥) الجوارح : الأعضاء ، وتكون بمعنى ذوات الصيد من السباع والطير . ففيها تورية والمكلب : معلم الكلاب الصيد .

وَبَدا له أنَّ الوُقُوفَ ببابِهِ باب لِغُفْرانِ الذُّنوبِ مُجَرَّب
صلَّى عليه اللهُ إنَّ مَطامِعى فى جُودِهِ قد غارَ منها أشعَب
لِمَ لايغارُ وقد رآنى دونَه أدركْتُ مِنْ خَيْرِ الوَرَى ماأطلُب
ماذا أَخافُ إذا وَقَفْتُ ببابِهِ وصحائفى سُودٌ ورَأْسِى أشْيَبُ
والمصطفى الماحى الذى يمحو الذى يُحْصِى الرقيبُ على المُسِىء ويَكْتُبُ
بَشَرٌ سَعيدٌ فى النُّفُوسِ مُعَظَّمٌ مِقْدارُه وإلى القلوبِ مُحَبَّبُ
بجمالِ صُورَتِهِ تَمَدَّحَ آدَمٌ وبيانِ مَنْطِقِه تَشَرَّفَ يَعرُب
مِصباحُ كلِّ فضيلةٍ وإمامُها وَلِفَضْلِهِ فَضْلُ الخلائِقِ يُنْسَبُ
رِدْ واقْتَبِسْ مِنْ فَضْلِهِ فبحارُه ما تَنْتَهِى وشُموسُهُ ما تَغْرُب
فلكلِّ سارٍ مِنْ هُداهُ هِدايَةٌ ولكلِّ عافٍ مِنْ نَداهُ مَشْرَبُ(١)
وَلِكلِّ عَيْنٍ منه بَدْرٌ طالع ولكلِّ قلبٍ منه لَيْثٌ أَغْلَبُ
مَلَأَ العوالِمَ عِلْمُهُ وثَناؤُهُ فيه الوُجُودُ مُنَوَّرٌ ومُطَيَّب
وَهَبَ الإلٰهُ لهُ الكمالَ وإنَّهُ فى غَيْرِهِ مِنْ جِنْسِ ما لايُوهَبُ
كُشِفَ الغطاء لهُ وقد أُسْرِى به فعُلومُهُ لاشىء عنها يَعزُبُ(٢)
وَلِقابِ قَوْسَيْنِ انْتَهَى فمحلُّهُ مِنْ قابِ قَوْسَيْنِ المَحَلُّ الأقْرَبُ
ودَنا دُنُوًّا لايُزاحِمُ مَنْكِباً فيه كما زَعَمَ المُكَيِّفُ مَنْكِبُ(٣)
فاتَ العبارَةَ والإشارَةَ فضلُهُ فعليكَ منه بما يُقالُ ويُكْتَبُ
صَدِّقْ بما حُدِّثْتَ عنه فى الوَرَى بالغَيْبِ عنه مُصَدِّقٌ ومُكَذِّب

---

(١) العافى : طالب الرزق . (٢) يعزب : يبعد . (٣) المكيف : المجسم لله .

واسمَعْ مناقِبَ للحبيبِ فإنها ... فى الُحسنِ مِنْ عنقاءِ مُغْرِبَ أَغْرَبُ
مُتَمَكِّنُ الأَخلاقِ إلاَّ أنه ... فى الُحكمِ يَرْضَى للإِلٰهِ ويَغْضَب
يَشْفِي الصُّدُورَ كلامُه فدواؤُه ... طَوْرًا يَمُرُّ لها وطَوْرًا يَعذُب
فاطْرَبْ لتَسْبيحِ الحصَى فى كَفِّهِ ... فمِنَ السَّماعِ لِذِكْرِهِ ما يُطرِب
والجِذْعُ حَنَّ لهُ وباتَ كمُغرَمٍ ... قَلِقٍ بِفَقْدِ حَبيبه يَتَكَرَّب
وَسَعَتْ له الأحجارُ فهْىَ لأَمرِهِ ... تأْتى إليـه كما يشاء وتَذْهَبُ
واهْتَزَّ مِنْ فَرَحٍ ثَبِيرٌ تَحْتَهُ ... وَمِنَ الجبالِ مُسَبِّحٌ ومُؤَوِّبُ
والنَّخلُ أَثْمرَ غَرْسُهُ فى عامهِ ... وَبَدَا مُعَنْدَمُ زَهْوِهِ والُمذْهَبُ
وَبَنانُهُ بالماءِ أَرْوَى عَسْكَرًا ... فكأنه مِنْ دِيمَةٍ يَتَصَبَّب
والشَّاةُ إذْ عطِشَ الرَّعِيلُ سَقَتْهُمُ ... وهمُ ثلاثُ مِئينَ مما يَحْلُبُ
وشفَى جميعَ الُمؤْلَماتِ بريقهِ ... ياطِيبَ ما يَرْقِى به ويُطَيِّب
ومَشَى تُظَلِّلُهُ الغَمامُ لِظِلِّها ... ذَيْلٌ عليه فى الهواجِرِ يُسْحَبُ
وَتَكَلَّمَ الأطفالُ والمَوْتى لَهُ ... بعجائبٍ فلْيعجَبِ الُمتعجِّب
والجِذْلُ مِنْ حَطَبٍ غدا لِعُكاشَةٍ ... سَيفًا وليس السيفُ مما يُحْطَب
وعَسِيبُ نَخْلٍ صارَ عَضْبًا صارِمًا ... يَوْمَ الوَغَى إذْ كل عَيْنٍ تُقْلَب
وأَضاءَ عُرْجُونٌ وَسَوْطٌ فى الدُّجَى ... عَنْ أمرِهِ فكأَنَّ كُلاًّ كَوْكَب
وكأَنَّ دعوتَهُ طليعةُ قَوْلِ كُنْ ... ما بَعْدَها إلا الإجابةَ مَوْكِب
تَحْظَى بها أبناءُ مَنْ يدعو لَهُ ... فكأَنها وقْفٌ عَلَى مَنْ يُعقِب
للناسِ فيهـا وابلٌ وصواعقٌ ... نَفْسٌ بها تَحْيا ونَفْسٌ تعْطَب

والمَحْلُ إِذْ عَمَّ البِـــلادَ بَلاؤُهُ ... والرِّيحُ يُشْمِلُ بالسَّمُومِ و يُجْنِبُ(١)
واسْتَسْلَمَ الوَحْشُ المَرُوعُ لِصَيْدِهِ ... جُوعاً وصَرَّ مِنَ الحرورِ الجُنْدُب
والذِّئْبُ مِنْ طولِ الطَّوَى يَبْكى عَلَى ... رِمَمِ المَواشى وابنُ دايةَ ينعَب(٢)
والناسُ قد ظنُّوا الظُّنُونَ كأَنَّما ... سَلَبَتْ قلوبَهم الرياحُ القُلَّبُ
لم تبكِ للأرضِ السماءُ به ولا ... رَقَّتْ لِشَائمِها البروقُ الخُلَّب
فَدَعَوْكَ مَخْبُوءًا لـكلِّ كَرِيهَةٍ ... جَلَّتْ كما يُخبأ الحسامُ ويُنْدَب
فَرَفَعْتَ عَشْراً مِنْ أَنامِلَ داعياً ... فانْهَلَّ أُسبوعا سَحابٌ صَيب
فطغَى عَلَى بُنْيانِ مكةَ ماؤُه ... أَوكادَ يَنْبُتُ فى البُيوتِ الطُّحْلُب
لولاَ سأَلتَ اللهَ سقْيا رَحْمَةٍ ... ماتَتْ به الأحياءُ مما يَشربوا
فإذا البلادُ وكلُّ دارٍ رَوْضَةٌ ... فيما يرُوقُ وكلُّ وادٍ مُعْشِب
قدجئتُ أَسْتَسْقِى مكارِمَكَ التى ... يَحْيا بها القَلْبُ المواتُ ويُخصِب
يامَنْ يُرَجَّى فِى القيامةِ حيث لا ... أُمٌّ تُرَجَّى للنّجاةِ ولا أبُ
يافارِجَ الـكُرَبِ العِظامِ وَواهِبَ الْـــمِنَنِ الجِسامِ إليكَ منكَ المهرَب
هَبْ لِى مِنَ الغُفْرانِ رَبِّ سعادةً ... ما تُسْتَعادُ ونعْمةً ما تُسْلَب
أَيَضيقُ بِى أمرٌ وبابُ المصطفى ... فى الأرضِ أوسَعُ للعُفاةِ وأرْحَب
لا تَقْنَطِى يا نَفسُ إِنَّ تَوَسُّلِى ... بالمصطفى المختـارِ ليسَ يُخَيَّب
أَنَّى يَخيبُ وقد تَعَطَّرَ مَشْرِقٌ ... بِمَدائحى خيرَ الأنامِ ومَغْرِب
آلَ النبىِّ وَمن لهم بالمصطفى ... مَجْدٌ على السَّبْعِ الطِّباقِ مُطَنِّبٌ(٣)

---

(١) يشمل : يصير شمالا . ويجنب : أي يصير جنوبا . (٢) ابن داية : الغراب .
(٣) السبع الطباق : السماوات . وطنبه تطنيبا : مده بأطناب ، وهى الحبال ، التى تشد بها الخيمة .

حُزْتُمْ عظيما مِنْ تُراثِ نُبُوَّةٍ ما كان دونكُمُ لها مَنْ يَحجُبُ
اللهُ حَسْبُكُمُ وَحَسْبِي إِننى فِي كلِّ مُعْضِلَةٍ بِكُمْ أَتحَسَّبُ[(١)]
يا سادتى حُبِّي لكم ما تَنقَضِي أعمارُه وحِبالُه ما تُقْضَبُ[(٢)]
مِنْ مَعْشَرٍ نَزَلوا الفَلاَ لُخصونُهُم بِيدٌ بأطْرافِ الرِّماحِ تُؤَشَّبُ
ما فيهمُ لسِنانِ عَيْبٍ مَطْعَنٌ كَلاَّ ولا لُحسامِ رَيْبٍ مَضرِب
وَعَلَى الخصاصَةِ يُؤْثِرُونَ بزادِهِم وَيَلَذُّ مِنْ كَرَمٍ لهم أنْ يَسْغَبُوا[(٣)]
لا تَنزِعُ اللُوَّامُ أثْوابَ النَّدَى عنهم ويُخْصِبُ جُودُهم أنْ يُجْدِبوا
جُبِلُوا على سِحرِ البَيانِ لجاءهم حَقُّ البيانِ عَنِ الرِّسالةِ يُعرِب
فاستسلَموا للعَجْزِ عنه وذو النُّهَى تَأْبَى نُهاهُ قِتالَ مَنْ لا يُغلَب
جاءتْ عجائبُهُم أمامَ عجائِبٍ أُمُّ الزَّمانِ بِهِنَّ حُبْلَى مُقْرِب[(٤)]
ما بالُ مَنْ غَضِبَ الإِلهُ عليهم حادوا عن الحقِّ الُمبِينِ ونَكَبُوا
كَفَرَتْ عَلَى عِلمٍ بهم علماؤُهم جَرِبَ الصَّحِيحُ وَلَمْ يَصِحَّ الأجرب
هَلاَّ تَمَنَّى المَوْتَ منهمْ معشرٌ جَحَدُوه فامْتَحنوا الدَّواءَ وَجرَّبُوا
أفيُؤْمِنون بِهِ وَمِمَّنْ جاءهم بالبَيِّناتِ مُقَتَّلٌ ومُصَلَّبُ
عَبَدُوا وموسى فيهمُ العجلَ الذى ذُبِحُوا به ذَبْحَ العُجولِ وَعُذِّبوا
وَصَبَوْا إلى الأوثانِ بعدَ وَفاتِه وَالرُّسلُ مِنْ أَسَفٍ عليهم تَنْدُبُ
وَإذا القلوبُ قَسَتْ فليس يُلِينُها خِلٌّ يَلُومُ ولا عَدُوٌّ يَعتِبُ

---

(١) احتسبت بالشيء : اعتددت به .
(٢) تقضب : تقطع .
(٣) الخصاصة : الفقر . والسغب : الجوع .
(٤) المقرب : قريبة الولادة .

وَأخو الضَّلَالَةِ قالَ عيسى ربُّه وَنَبِيُّهُ فأخُو الضَّــلالِ مُذَبْذَب[١]
ويقولُ خالِقُه أبوهُ وإنه رَبٌّ وإنسانٌ ألاَ فتعجَّبوا
أبِهَذِهِ العَوراتِ جاءتْ كُتْبُهُم أمْ حَرَّفوا منها الصَّوابَ وَوَرَّبُوا[٢]
فاعوجَّ منها ما استقامَ طلوعُه فـكأنها بينَ النُّجومِ العَقْرَب
عَجَباً لهمْ ما باهَلوه ولِم أبَتْ أَحْبارُ نَجرانَ الذِينَ تَرَهَّبُوا[٣]
ولقــد تَحَدَّى بالبيانِ لقَومِهِ وإليهمُ يُعزَى البيانُ ويُنْسَب
فتَهَيَّبُوه وما أتَوْهُ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْــله وبيانُهم يتَهَيَّب
مَنْ لمْ يُؤَهِّلْهُ الإلٰهُ لحالَةٍ فاتَتْهُ وهْوَ لِنَيْلِها مُتَأَهِّب
عَجَبًا لهــم شَهِدُوا له بأَمانةٍ حتى إذا أَدَّى الأَمانَةَ كَذَّبوا
وارتابَ فيــه المشركون ولَمْ يزَلْ بالصِّدْقِ عنــد المشركينَ يُلَقَّبُ
جَحَدُوا النبيَّ وقد أتاهم بالهُدَى لَوْلاَ القضاءُ سأَلْتَهُمْ ما المُوجِب
لِلهِ يومُ خروجِهِ مِنْ مكةٍ كخروجِ موسى خائفاً يَتَرَقَّب
والجِنُّ تُنْشِدُ وحْشَةً لِفِراقِهِ شِعْرًا تَفِيضُ به الدُّموعُ وتُسْكَب
والغارُ قد شَنَّتْ عليــه غارةً أعداؤُه حِرْصًا عليــه وأجلبُوا
أرأَيتَ مَنْ يَجْفو عليــه قَوْمُه تَحنُو عليه العنـكبوتُ وتَحْدَب
إنْ يكفروا بكتابِه فـكتابُه فلَكٌ يَدُورُ على الوُجُودِ مُكَوْكَب
قامت لنــا وعليهمُ حُجَجٌ به فبَــدا الصَّباحُ وجَنَّ منه الغَيْهَب

---

(١) مذبذب : حيران أو متردد . (٢) التوريب : العدول عن الشيء بالمعارضات .
(٣) المباهلة : الملاعنة . وهذا البيت ورد في م هكذا :

عجبا لهم عرفوا النبي وأعرضوا عما يقول من الصواب وأضربوا
ما بالهم ما باهلوه ولِمْ أبت أحبار نجران الذين ترهبوا

فتصادمَ الحقُّ المُبينُ وإفكُهُمْ ... فإذا النُّفُوسُ على الرَّدَى تَتَشعَّبُ
فدَعَوا نَزالِ فأَوقدَتْ نيرانَها ... سُمْرُ القَنا والعادِياتُ الشُّزَّبُ (١)
فإذَا بِدِينِ الكُفْرِ يَندُبُ فَقْدَهُ ... ذُرِّيَّةٌ تُسْبَى ومالٌ يُنْهَبُ
غالَتْ بُغاتَهُمُ بُزَاةُ كَرِيهَةٍ ... أظفارُها فى كل صَيْدٍ تَنْشَبُ
حتى بكى عَمْرًا هِشامٌ فِى الثَّرَى ... مِنْ ذِلَّةٍ وَنَعَى حُيَيًّا أَخْطَبُ (٢)
لاتُنْكِرُوا بُغضِي عَدُوَّ المُصطفى ... إنى بِبُغْضِهِمُ لهُ أتَحَبَّبُ
أقْسَمْتُ لاتَنفَكُّ نارُ قَرِيحَتى ... أبدا عَلَى أعدائه تَتَلَهَّبُ
هــذا ونُطقِى دائما بمدِيحِهِ ... أذْكَى مِنَ الوَرْدِ الجَنِىِّ وأطْيَبُ
أُهْدِى له طِيبَ الثَّناءِ وإنه ... لَيُحِبُّ أَنْ يُهْدَى إليه الطَّيِّبُ
أُثْنِى عليــه تَشَوُّقًا وتَعَبُّدًا ... لا أننى لِصِفاتِهِ أَسْتَوْعِبُ
مُسْتَصْحِباً حُبِّي وإيمـانى لهُ ... وكِلاَهُما مِنْ خَيْرِ ما يُسْتَصْحَبُ
أشْتاقُ للحَرَمِ الشَّرِيفِ بِلَوْعَةٍ ... فى القلبِ تَحْدُو بى إِلَيْهِ وتَجْذِبُ
مالى سِوَى ذِكْرِى لهُ فى رِحْلَتى ... زادٌ وَلا غيرُ اشتِياقِى مَرْكَبُ
وَتَحِيَّةٍ منى إليــه يَرُدُّها ... منــه علىَّ مُسَلِّمٌ ومُرَحِّبُ
صلَّى عليــه اللهُ إنَّ صلاتَهُ ... فَرْضٌ عَلَى كلِّ الأنامِ مُرَتَّبُ
ما حَنَّ مُشْتاقٌ إلى أوطانِهِ ... مِثْــلِى ورَاحَ بِوَصْفِها يَتَشَبَّبُ

---

(١) العاديات الشزب : الخيل العتاق السريعة العدو .

(٢) عمرو بن هشام: هوأبوجهل . وحيى بن أخطب من رؤساء اليهود .

قال رحمه الله (١) مهنئا فخر الدين عثمان بقدومه ؛ ويعرّض فى هجاء بعض النصارى :

أريحُ الصَّبا هبَّتْ عَلَى زَهَرِ الرُّبَا ... فأصبحَ منهـا كل قُطْرٍ مُطَيبا
أم الرَّاحُ أهدَتْ للرِّياحِ خُمارَها ... فأسْكَرَ مَسْرَاها الوُجُودَ وطَيَّبا
أَلَمْ تَرَنى هزَّ التَّصابى مَعاطِفِى ... وراجَعَنى ما راقَ مِنْ رَوْنَقِ الصِّبا
فَمَنْ مُخْبِرى ماذا السُّرورُ الذى سَرَى ... فلا بدَّ حَتْماً أنْ يكونَ لهُ نَبا
فقالوا : أعاد اللهُ للناسِ فَخْرَهُمْ ... ولِيًّا إلى كلِّ القلوبِ مُحَبَّبا
فقلت: أفخرُ الدِّينِ عثمانُ ؟ قال لى: ... بَلَى ! ؟ قُلْ له أهْلاً وَسَهْلاً وَمَرحَبا (٢)
وقال الورَى للهِ دَرُّكَ قادِماً ... سُقِينا به من رحمـةِ اللهِ صَيِّبا (٣)
ونادَى مُنادٍ بينهم بِقُدُومِهِ ... فَرَهَّبَ منهـم سامعين ورَغَّبا
فأَوْسَعَهُمْ فضـلاً فآمَنَ خائفاً ... وأنْصَفَ مظلوماً وأخْصبَ مُجْدِبا
وقد أخَذَتْ منه البسيطةُ زِينَةً ... فَفَضَّضَ منها الزهرَ حَلْيًا وذَهَّبا
فيافرحَةَ الدُّنيا وفرحَةَ أهلِها ... بِيَوْمٍ لهُ مِنْ وجْهِ عثمانَ أعربا (٤)
وشاهد منـهُ صُورةً يُوسُفِيَّةً ... تباهَى بها فى الحسنِ والبَأْسِ مَوْكِبا
مُفَوَّضُ أمْرِ العالمينَ لِرَأْيِهِ ... فـكان بهمْ أولَى وأدرَى وأذْرَبا (٥)
أعِيدُوا على أسماعِنا طِيبَ ذِكْرِهِ (٦) ... لِيُطْفِئَ وجْدًا فى القلوبِ تَلَهَّبا
ولا تَحْجُبُوا الأبصارَ عَنْ حُسْنِ وجهِهِ ... فقدْ كانَ عنهـا بالبِعادِ مُحَجَّبا

---

(١) ت : وقال رضى الله تعالى عنه، من الطويل . (٢) ت : قلت أهلا وسهلا ومرحبا .

(٣) ت : سقانا به . (٤) ن : عن وجه . (٥) أذرب : أمضى وأحد .

(٦) هو فخر الدين عثمان ، استادار الملك الكامل . توفى سنة ٦٢٩ هـ . السلوك للمقريزى « القسم الأول الجزء الأول ص ٢٤٤ ط دار الكتب سنة ١٩٣٤ » .

وَلِيَّ إذا ضاقتْ يَدِى وَذ كَرْته ... مَلَـكْتُ نِصَابًا أوْ تَوَلَيْتُ مَنْصِبا[١]

تَوَسَّلْ به فى كلِّ ما أنتَ طالبٌ ... فـكم نلتُ منـه بالتوسُّلِ مَطْلبا

وَعِشْ آمِنًا فى جاهِهِ إنَّ جاهَهُ ... لِقُصَّادِهِ راضَ الزمانَ وهَذَّبا

تَغرَّبْتُ يَوْماً عَنْ بِلَادِى وزُرْته ... فَنِلْتُ غِنًى ما نالَهُ مَنْ تغرَّبا

على أننى مازِلْتُ مِنْ بَرَكَاتِه ... غنيًّا وفى نَعْمائه مُتَقَلِّبا

وكُنْتُ لِمَا يَرْضاه بالغيبِ فاعِلاً ... وكُنْتُ لِما لمْ يَرْضَهُ مُتَجنِّبا

ولا كانَ دِينارِى مِنَ النُّصْحِ بَهرَجًا ... لَدَيْهِ ولا بَرْقِى مِنَ الوُدِّ خُلَّبا

أمَوْلاىَ أنْسَيْتَ الوَرَى ذِكْرَ مَنْ مَضَى ... وأغنى نَداكَ المادحينَ وأتعبا

وَلِى أدبٌ حُـرٌّ أُحَرِّمُ بَيْعَه ... وما كانَ بيْعُ الحُرِّ للحُرِّ مَذْهَبا

وقد أهجرُ العَذْبَ الزُّلَالَ على الصَّدَى ... إذَا كَدَّرَتْ لِى السَّمْهَرِيَّةُ مَشْرَبا[٢]

وَأنْصِبُ أحْيانًا شِباكَ قَناعَةٍ ... أصِيدُ بِهـا نُونًا وضَبًّا وجُنْدَبا

ومَهْما رآنى شَاعِرٌ مُتَأَسِّدٌ ... تَذأَّبَ منها خِيفَةً وتَثَعْلَبا

أُراقِبُ مَنْ عاشَرْتُ منهم كأنَّنى ... أُراقِبُ كلبًا أوْ أُراقِبُ[٣] عَقْرَبا

كأنى إذا أَهْدِيهِمُ[٤] عَنْ ضَلالِهِمْ ... أُبَصِّرُ أعْمَى أوْ أُقَوِّمُ أحْدَبا

فلا بُورِكَ المُسْتَخْدَمون عِصابَةً ... فـكمْ ظالمٍ منهم علىَّ تَعَصَّبا

إذا ما بَرَى أقلامَهُ خِلْتُ أنه ... يَسُنُّ لَهُ ظُفُرا ونابًا ومِخْلَبا

يغالِطُنى بعضُ النَّصارَى جَهالَةً ... إذَا أوْجَبَ المُلْغَى وألْغَى المُوجَّبا[٥]

(١) النصاب : من كل شئ : الأصل والمرجع ، ومنه نصاب الزكاة ، وهو قدر من المال إذا بلغه وجبت على مالكه زكاته ، نحو مئتى درهم ، وخمس من الإبل . والمنصب فى كلام المولدين : مايتولاه الرجل من العمل ، كأنه محل لنصبه . وفى الكلام القديم بمعنى الأصل والحسب والشرف .

(٢) فى د : إذا كدرت فى الماء فيه مشربا . وكذلك فى الأصل الذى نقلت عنه النسخة التيمورية . ولكن الآلوسى رأى أن الشطر غير مستقيم ؛ فوضعه على النحو المذكور ، وأشار إلى ذلك فى الهامش .

(٣) د : أقارب (٤) فى الأصل : أهديهم . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٥) د : إذ وجب الملغى وألغى الموجبا . والموجب ، بتشديد الجيم للوزن : اللازم .

وما كانَ مَنْ عدَّ الثَّلاثَة واحدًا بأَعْلمَ مِنِّى بالحِسابِ وأَكْتَبا
وما الحَقُّ فى أفواهِ قومٍ كأنها أوان حَوَتْ ماء خَبيثًا مُطَحْلَبا
مُفَلَّجَةٍ أسنانُها فكأَنها أصابَ بها الزِّنْجارُ أحْجارَ كَهرَبا[1]
كأنَّ ثَنَاياهُمْ من الخُبثِ الذى تحَصْرَمَ فى نيَّاتِهِمْ وتزَبَّبا
عجبْتُ لِأمْرٍ آلَ بالشَّيْخِ مُخْلِصًا[2] إلى أنْ يُعرَّى كاللصُوصِ ويُضرَبا
بَكَيْتُ لهُ لَمَّا كَشَفْتُ ثيابَهُ وأبْصرتُ جسمًا بالدِّماءِ مُخَضَّبا
وَحلَّفتُهُ باللهِ ما كانَ ذَنْبُهُ فأقْسَمَ لِى باللهِ ما كانَ مُذْنِبا
ولكنْ حبيبٌ راحَ فِىَّ مُصَدِّقًا كلامَ عَدُوٍّ ما يزالُ مُكَذِّبا
فقلت : ومن كان الأميرُ حبيبَه فلا بد أنْ يَرْضَى عليه ويَغْضَبا
فصبْرًا جميلاً فالمقدَّرُ كائنٌ فقد كانَ أمرًا لم تَجِدْ منه مَهرَبا
فإبليسُ لَمَّا كانَ ضِدًّا لِآدمٍ تَخَتَّلَ فِى عِصْيانِهِ وتَسَبَّبا[3]
وقد كانت العُقْبَى لآدمَ دونَه فتابَ عليه اللهُ مِنْ بعْدُ وَاجْتبى[4]
ومِنْ قبلِ ذَا قد كنتُ إذ كنتَ ذاكرًا نَهيْتُكَ أنْ تَلْقَى الأميرَ مُقَطِّبا
دَعاكَ إلى أمرٍ مُهِمٍّ فجِئْتَهُ كأنَّكَ فى عُرْسٍ أتَيْتَ مُشَبِّبا
فلا تَنْسَ فينا للأَمير قضيَّةً فتَفْتَحَ بابًا لِلْعِتابِ مُجرَّبا
وإياكَ أنْ تُبْطِى عَلَىَّ براتِبى فيَبْقَى عليكَ اللَّومُ منه مُرَتَّبا
وَخَفْ صارِمًا هزَ المَديحُ فِرِنْدَهُ[5] حَبيبٌ إليه أنْ يُهَزَّ ويُنْدَبا

---

(١) الزنجار : هو صدأ النحاس . والكهربا : الكهرمان ، وهو صمغ شجرة معروفة . والفلج فى الأسنان بفتحتين : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات ، وبابه طرب . (٢) هكذا بالأصل .
(٣) تختل : أظهر الختل ، وهو الخداع . وتسبب : أوجد أسبابا .
(٤) د : وجنبا . (٥) فرند السيف : بريقه و لمعانه .

فلا فارَقتْ منـــه السَّعادَةُ قائما ‏ ‏ وَلا فلَّتْ منه الحوادِثُ مَضرِبا

ولا زالَ دينُ اللهِ يرْضَى الذى قَضَى ‏ ‏ به فى بَنِي الغالِى ويأبى الذى أبَي [١]

وقال ، عفا الله عنه [٢] ، يمدح بعض الأمراء :

لا تَظلمو نِى وتَظلموا الحِسْــبَهْ ‏ ‏ فليسَ بينى وبينها [٣] نِسْبَهْ

غيْرىَ فى البَيْعِ وَالشِّرا دَرِبٌ ‏ ‏ وليس فى الحالتيْنِ لى دُرْبَهْ

فهو أبو حَبَّةٍ كما ذَكَرُوا ‏ ‏ لايَتغاضَى للنـاسِ [٤] فى حَبَهْ

وَقامَ فِى قومِهِ لِيُنْذِرَهم ‏ ‏ فهْوَ بإنذارِ قومِهِ أشْــبَهْ

والناسُ كالزَّرْعِ فى منابتِهِ ‏ ‏ هـــذا له تُرْبَةٌ وذا تُرْبَهْ

تاللهِ يرْضَى فضــلى ولا أدَبى ‏ ‏ ولا طِباعِي فى هــذهِ السُّبَّهْ

أجْلِسُ والناسُ يُهْرَعُونَ إلَى ‏ ‏ فِعْلِيَ فى السُّوقِ عُصْبَةً عُصْبَهْ

أُوجِـعُ زَيْدًا ضَرْبًا وَأُشْبِعهُ ‏ ‏ سَبًّا كأنى مُرَقِّصُ الدُّبَّهْ

وَيُكْسِبُ الغَيْظُ مقْلَتَيَّ وخَدَّيَّ ‏ ‏ احْمِرارًا كزامِرِ القِرْبَهْ

وَآمُرُ النـاسَ بالصّلاحِ وَلاَ ‏ ‏ أُصْلِحُ نَفْسِي ، حُرِمْتُها حِسْبَهْ

لَمْ أرَ فى قُبْحِ فِعْلِها حَسَنًا ‏ ‏ كالكلبِ فى السُّوقِ يُلْقِحُ الكَلْبَهْ

وَماكفَاها حتى يُخَيِّلَ لِي ‏ ‏ أن اتِّباعَ أهْوائِها [٥] قُرْبَهْ

أعُوذُ باللهِ أنْ أكُونَ كَمَنْ ‏ ‏ تَغلِبُهُ فى الرَّقاعَةِ الرَّغبـهْ

---

(١) ت ، د : بنى الفال . ولا يستقيم الوزن بذلك . فلعلها ؛ بنى الغالى : وهم من النصارى ، الذين يعرض بهم فى قصيدته . (٢) ت : وقال لما أمره السابقى بولايته الحسبة ، وامتنع منها ، وعانده فيها الفخر الفيشى . (٣) د : بينه . (٤) فى الأصل : لا يتقاضى الناس . تحريف .
(٥) ت : أتباعى اهدائها ، د : اتباع إهدائنا . وقد رجحت ما أثبته .

يمشى بها والصِّغارُ تُنْشِدُهُ : أَميرُنا زارَنا بِلاَ رِكْبَهْ[1]
وما يزالُ الغُـــلامُ يَتْبَعُهُ بِدِرَّةٍ مِثْلِ رَأْسِهِ صُلْبَــــهْ
وَهْوَ يقولُ : افْسَحوا لِمُحْتَسِبٍ قد جاءكُم[2] مِنْ دِمَشْقَ فى عُلْبَهْ
لاتَنْقَفِلْ يا فُلاَنُ فِى بَلَدٍ لَمْ[3] تَنْقَفِلْ منـكَ بينهمْ ضَبَّهْ
فمَنْ تَباهَى بأَنهُ وتِدٌ فليَحْتَمِلْ[4] دَقَّ كلِّ مِرْزَبَّه
ما بالُه خايَلَ الزمانَ بهــا كَمْ كانَ لِلَّيْلِ فيـكَ مِنْ صَبَّه
وقائلٍ لَمْ يَقُلْ أَتاهُ كَذَا يَسْفَهُ فى قولِهِ ولا يُجْبَه
معناه مَنْ لَمْ يكنْ كوالدِهِ فَهْوَ لَقيطٌ رَمَتْ به قَحْبَه
قلتُ لهم عنـدَ صاحبِي حُمُقٌ فى كُلِّ حينٍ يُلْقِيهِ فى نَكْبَه
حَصَّلَ مالًا جَمًّا وعَدَّدَهْ مِنْ أصْلِ مالِ الزَّكاةِ والوَهْبَه
وَصارَ عَدْلًا وعاقِدًا وَأَمِينَ الْــحُـكْمِ[5] مَنْ دُونَ العُدولَ فى حِقْبَه
مُنَبِّهُ[6] قومَهُ على شُغُلٍ وساعَدَ الوقْتُ سَعْدَ مَنْ نَبَّه
وَخِفْتُ مِنْ عَتْبِهِمْ عَلَىَّ كما خافَ العَتاهِى العَتْبَ مِنْ عُتْبَه
فَطَارَ بُرْغُوثُهُ[7] لخِفَّتِهِ وَرامَ يَحْـكِى الأَسودَ فى الوثْبَه
فَلَمْ يَرِمْ إِذْ رَمَتْهُ بِطْنَتُهُ[8] إلى وُهودِ[9] الخُمولِ مِنْ هَضْبَه
أغرَقَهُ[10] جَهْلُهُ وما سُتِرَتْ[11] قَطُّ[12] لَهُ سُرَّةٌ ولا رُكْبَه

---

(١) ت : أميرنا زورنا بركبه . (٢) د ، ت : كم جاءكم . (٣) ت ، د : قد .
(٤) د : فليتحمل . (٥) من : ساقطة من ت ، د : العدل ، وهذه رواية ت ،
(٦) ت ، د : نبه . (٧) د : من غوثه . (٨) ت : قطنته .
(٩) ت : وهاد . (١٠) ت : أغره . (١١) ت : ستر له .
(١٢) ساقطة من الأصل .

وَعادَ تَمْوِيهُهُ[١] عليـــه وكَمْ   أَخجلَ شَيْبُ الذُّقونِ مَنْ خَضبَه
وراحَ مِثْلَ النَّواتِ[٢] فى سُفُنٍ   خَيْرٌ لَهُ مِنْ سُـلافَةٍ عَطْبَه
وَساءَنِى ما جَرَى عليه مِنَ الذِّسْـــوَةِ يومَ الخميسِ فى التُّرْبَه
فلا تَسَلْنِى فما حَضَرْتُ لهـا   لـكِنْ سمِعْتُ الصِّياحَ والنُّدْبَه
وقالتِ الناسُ عنــد ما وَرَدَتْ   لِعَزْلِهِ الـكُتْبُ هانَتِ الوَجْبَه
فالحمـــدُ للهِ فاْحمَدُوهُ مَعِى   على خَلاصِى مِنْ هــذهِ النِّسْبَه
اليومَ حَقَّقْتُ أنَّ أمْرَكَ بالحِسْـــبَةِ [لِى] ليسَ كان لِى لُعْبَـــهْ
يا ماجِدًا ما يَزالُ يُنْقِذُ مَنْ   رَماهُ رَيْبُ الزَّمانِ فِى كُرْبَه
إِنِّى امْرُؤٌ حِرْفَتِى الحِسَابُ فلاَ   يَدْخُلُ رَيْبٌ علَيَّ فى حِسْبَه
ولا تَرُدُّ الـكُتَّابُ جائزَةً   على حِسابٍ[٣] مِنِّى وَلا شَطْبَه
يَشْرَقُ منى بِرِيقِهِ رَجُلٌ   يَشرَبُ مالَ العُمالِ فِى شَرْبَه
وَالشِّعْرُ مِيزَانُهُ أُقَوِّمُهُ[٤]   وليس تَنْقامُ منه لى حَدْبَه
فإِننى[٥] لا أرَى[٦] المديحَ به   لِلْمـالِ بلْ لِلْوِدادِ والصُّحْبَه
وَالشِّعْرُ عندى[٧] أَخُو العَدَالَةِ لاأحـــسِبُ أَقوالَهُ[٨] ولا كَسْبَه
فَلمْ أَكُنْ أَتْبَعُ العَذُولَ إِلَى   عَقْدٍ إذا ما دُعاؤُهُ خُطْبَه
مِنْ كلِّ مَنْ لايخافُ عاقِبَةً   كأنه فى ذهابِه عُقْبَــه
يَذْبحُه ظُـلْمُه وَيَنْحَرُهُ الْـــجَهْلُ بِلا شَفْرَةٍ وَلا حَرْبَه

---

(١) د : توهمه . (٢) ت : النوتى . (٣) د : حسابى : (٤) د ، ت : أقومها .
(٥) د : فانى . (٦) ت : لا أدري . (٧) ساقة من د ، ت : وبدونها لا يستقيم الوزن .
(٨) ت : أقوامه .

كَمْ غَيَّةٍ قدْ أَتاكَ بها الشـــاهِدُ فى سَلَمٍ وَفى كَذِبَه

يُنيلُ نَيْلَ الفُسوقِ مِنْ فِمِــهِ لا باركَ اللهُ فيــهِ مِنْ جَعْبَه

فليسَ لِى فى الشُّهودِ مِنْ(١) أَرَبٍ إِذْ وُصِفُوا كاليهودِ بالأُرْبَه

فارْحَمْ لبيباً يوْماً(٢) دَعاكَ وقد بَلَّغَتِ(٣) الجوعُ رُوحَهُ اللَّبَّه(٤)

لوْ عُمِّرَ ابنُ المِعمار خَوَّلَهُ نِيابَةَ الخِدْمَتَيْنِ والُخطْبَه

ولمْ يَدَعْهُ كَلاًّ(٥) عَلَى أَحَـــدٍ بغَيْرِ نَفْعٍ كأنهُ وَلْبَــه(٦)

حاشاكَ يا مَنْ أبوابُهُ وَطَنِى تَخْتَارُ لِى أَنْ أموتَ فِى الغُرْبَه

وأَنَّ حالِى وحالَ عائلَتِى لا يَحْمِلونَ النَّوَى ولا الغُرْبَه

إِنْ كانَ أَرْضَى الزَّمانَ فُرْقَتُنا فاغْضَبْ على صَرْفِهِ لنا غَضْبَه

فأَنْتَ مِنْ مَعْشَرٍ تُطِيعُهُمُ الْـــأيَّامُ عنْ رَغْبَةٍ ولا رَهْبَه

وَمِنْ مَلِيكٍ مافَوْقَ رُتْبَتِهِ على عظيمِ اتِّضاعِهِ رُتْبَــه

ما مَلِكُ الرُّومِ فى جَلالَتِه أَحَقَّ منــه بالطَّيْرِ والقُبَّه

أَنْتَ الأميرُ المُعيدُ أَلْسُنَنا كالعُودِ منــه بذِكْرِهِ رَطْبَه

والسابِقُ الأَوَّلِينَ فى كَرَمٍ لَمَّا جرَى والكِرامُ فى حَلْبَه

والهازِمُ الجيْشَ والكتائبَ بالطَّعْــنَةِ يوْمَ الوَغَى وبالضَّرْبَه

والطاهرُ الذَّيْلِ والطَّوِيَّةِ أَوْ يَكْفِى السَّعِيدَ الحَراكَ والنَّصْبَه(٧)

مَنْ خُلْقُهُ كالنَّسِيمِ يَنْشُرُ إِنْ هَبَّ عليــه مِنْ نشرِهِ هَبَّه

---

(١) من : ساقطة من د ، ت . وقد أضفتها لوزن الشعر . (٢) إذا : ساقطة من د ، ت : والزيادة من عندى للوزن . (٣) د ، ت : من شدة الجوع . والجوع : المخمصة .

(٤) اللبة: المنحر . (٥) كلا: عبأ . (٦) يريد كأنه والبة، وهى فراخ الزرع، وقيل الزرعة تنبت من عرق الزرعة الأولى . (٧) النصبة : المرة من النصب ، أى التعب .

ومَنْ إذا ذَكَرْتَ سُؤْدُدَهُ ... يَهُزُّنى عنــدَ ذِكرِه طَرَبُه
صَلاحُهُ اسْتَخدَم الزَّمانَ لَهُ ... فصارَ يَمْشِي قُدَّامَهُ حَجَبُه

قافية الحاء . قال يمدحه ، صلى الله عليه وسلم ، وهى من الـكامل(١) :

أَمَدَائِحٌ لِى فيــكَ أمْ تَسْبِيحُ ... لوْلاكَ ما غَفَرَ الذنوبَ مَدِيحُ
حُدِّثْتُ أنَّ مَدَائحِي فى المُصطفَى ... كَفَّارَةٌ لِىَ وَالحَدِيثُ صَحِيحُ
أَرْبِحْ بِمَنْ أهْدَى إليــه ثَنَاءَهُ ... إنَّ الـكريمَ لَرَابِحٌ مَرْبُوح
يا نَفْسُ دُونَكِ مَدْحَ أحْمَدَ إنَّهُ ... مِسْكٌ تَمَسَّكَ رِيحُهُ والرُّوحُ
ونَصِيبُكِ الأوْفَى مِنَ الذِّكرِ الذى ... منــه العَبيرُ لِسامِعِيهِ يَفوح
إنَّ النبيَّ محمَّــدًا مِنْ رَبِّهِ ... كَرَمًا بكلِّ فضــيلةٍ مَمْنُوح
اللهُ فَضَّــلَهُ ورَجَّحَ قَدْرَه ... فَلْيَهْنِهِ التَّفضــيلُ والتَّرْجِيح
إنْ جاءَ بعْــدَ المُرسلينَ فَفَضْلُهُ ... مِنْ بعدِه جاءَ المَسيحُ وَنُوح
جاءوا بِوَحْيِهِمُ وجاء بِوَحْيِهِ ... فـكأنه بين الـكواكبِ يُوح(٢)
حارَتْ عقولُ الناسِ فى أوْصافِهِ ... وتَبَـلَّدَتْ ولها بهـا تنقِيحُ
أنَّى يُـكَيِّفُها امرؤٌ ويَحُدُّها ... بالقولِ وهْىَ لِذَا الوُجُودِ الرُّوح
رَدتْ شهادَتَهَ أُناسٌ مالهمْ ... طَعْنٌ عليــه بها ولا تجْرِيح
ولقدْ أتى بالبينــاتِ صَحِيحَةً ... لو أنَّ ناظِرَ مَنْ عصاهُ صحيح
عرَفوهُ مَعْرِفَةَ اليَقِينِ وأنْـكَرُوا ... إنَّ الشَّقِيَّ إلى الشــقاء جَموح

(١) ت : وقال ، رضى الله عنه وأرضاه، من الكامل . (٢) يوح : الشمس .

فأَبادَ مَنْ أبْدَى مُخالَفَةً لهُ   فالسَّيْفُ مِنْ تعَبِ الخِلافِ قَرِيحُ
وجَلاَ ظلامَ الظُّلمِ لَمَّا أوْمَضَتْ   ومَضَتْ لديهِ صحائفٌ وصَفِيح(١)
شيئانِ لاينفي الضلالَ سِواهُما   نورٌ مُفاضٌ أوْ دَمٌ مَسفُوح
عَجَباً لهُمْ لِمْ يُنكِرُونَ نبوَّةً   ثبتَتْ ولم يُنفَخْ بآدمَ رُوح
مالى اشْتغَلْتُ بزَجْرِهِمْ فكانني   بينَ الطَّوائفِ طارقٌ(٢) منْبوح
لاتُتْعِبَنَّ بذِكْرِهِمْ قَلْباً غدا   ولهُ بذِكْرِ مُحمَّدٍ تَرْوِيح(٣)
وَانْشُرْ أحاديثَ النَّبيِّ فكلُّ ما   تَرْوِيهِ مِنْ خَبَرِ الحبيبِ مَلِيح
واذْكُرْ مَناقِبَهُ التى ألفاظُها   ضاقَ الفضاءُ بذكرها واللُّوح(٤)
أعَجِبْتَ أنْ غدَتِ الغمامةَ آيَةً   لِمُحمَّدٍ يغْدُو بها ويرُوح
أوْ أنْ أتَتْ سَرْحٌ إليه مُطِيعَةً   فكأنَّما أتَتِ الرِّياضَ سُرُوح(٥)
ولِمَنْبَعِ المَاءِ المَعِينِ براحَةٍ   راحِ الحصَى ولهُ بها تسْبيح
أوْ أنْ يَحِنَّ إليه جِذْعٌ يابِسٌ   شوْقاً ويَشْكو بثَّهُ وينُوح(٦)
حتى دَنا منه النبيُّ ومَنْ دَنا   منه نأى عَنْ قلبِهِ التَّبْرِيح
وَبِأنْ يُكَلِّمَهُ الذِّرَاعُ وكيفَ لا   يُفضِي إليه بِسِرِّهِ ويَبوح
وبِأنْ يرَى الأعْمَى وتَنقَلِبَ العَصا   سَيْفاً ويَحيا المَيْتُ وهْوَ طَرِيح
وبأنْ يُغاثَ الناسُ فيهوقد شكَوْا   مَحْلاً لِوَجْهِ الأرضِ منه كُلُوح(٧)

---

(١) أومضت: لمعت . ومضت : من المضاء والحدة . (٢) الطارق : الآتى ليلا .
(٣) ترويح ، من الراحة . (٤) اللوح : الهواء . (٥) السروح : الدواب السارحة : جمع سرح، وقد تكون بمعنى الأشجار الكبيرة . (٦) البث : الحزن .
(٧) الكلوح : العبوس .

وَبأنْ يَفيضَ لَهُ وَيَعْذُبَ مَنْهَلٌ قد كانَ مُرًّا ماؤُه المَنْزُوحُ
يا بَرْدَ أَكْبادٍ أصابَ عِطاشَها ماءٌ بريق مُحَمَّدٍ مَجْدُوح(١)
صَلّى عليه اللهُ إنَّ صَلاتَهُ غَيْثٌ لِعِلّاتِ الذّنوبِ مُزِيح
أسْرَى الإلٰهُ بِجِسْمِهِ فكأنَّهُ بَطَلٌ على مَتن البُراق مُشيح(٢)
وَدَنَا فلا يَدُ آمِلٍ مُمْتَدَّةٌ طَمعًا وَلا طَرْفٌ إليه طَموح
حتى إذا أوْحَى إليه اللهُ ما أوْحَى وَحانَ إلى الرُّجوع جُنُوح(٣)
عادَ البُرَاقُ بِهِ وثَوْبُ أديمِهِ لَيْلًا بماء حَيائِه مَنْضوح(٤)
فَذَرُوا شَياطِينَ الأُلى كَفَرُوا به يُوحُوا إليهم ما عسَى أَنْ يُوحوا
تاللهِ ما الشُّبُهاتُ مِنْ أقوالِهِمْ إلاّ كما يَتَحَرَّكُ المَذْبُوح
كَمْ بَيْنَ جِسْمٍ عَدَّلَتْ حَرَكاتِهِ رُوحٌ وَعُودٍ مَيَّلَتْه الرِّيح
لَوْلا النَّبيُّ مُحَمَّدٌ وَعُلُومُه لَمْ يُعْرَفِ التَّحْسِينُ وَالتَّقْبِيح
عَقَدَ الإلٰهُ به الأمورَ فَلَمْ يَكُنْ لِسِواهُ إمْساكٌ وَلا تَسريحُ
ضلَّ الّذينَ تَألَّهوا أحبارَهم ليُحَرِّمُوا ويُحَلِّلُوا ويُبيحُوا
يا أُمَّةَ المُخْتارِ قد عُوفِيتُمُ مما ابْتُلُوا وَالمُبْتَلَى مفضوح
فاسْتَبْشِرُوا بِشرا الإلٰهِ وَبَيْعِكُمْ منه فميزانُ الوفاء رَجيح
وَتَعَوَّضوا ثَمَنَ النُّفوسِ مِنَ الهُدَى فَمِنَ الهُدَى ثَمَنُ النُّفوسِ رَبيحُ
يامَنْ خَزائنُ جُودِهِ(٥) مملوءَةٌ كَرَمًا وبابُ عَطائِه مَفتُوح
نَدْعُوكَ عَنْ فَقْرٍ إليكَ وحاجَةٍ وَمَجالُ فضلِكَ لِلْعُفاةِ(٦) فَسِيح

---

(١) المجدوح : الممزوج . (٢) المشيح : الجاد فى الأمور .
(٣) جنح إلى الشيء : مال إليه . (٤) الأديم : الجلد . ونضحه بالماء: أى رشه.
(٥) د : خزائن ملكه . (٦) د : للعباد .

فاصفحْ عَنِ العَبْدِ المُسِيءِ تَكَرُّمًا ... إنّ الكريمَ عَنِ المُسِيءِ صَفُوحُ
وَاقبلْ رسولَ اللهِ عُذْرَ مقصِّرٍ ... هُوَ إنْ قَبِلْتَ بِمَدْحِكَ المَمْدُوح
فى كلِّ وَادٍ مِنْ صِفاتِكَ هائِمٌ ... وَبِكُلِّ بَحْرٍ مِنْ نَدَاكَ سَبُوح
يَرْتاحُ إنْ ذُكِرَ الحِمَى وَعَقِيقُهُ ... وَأَراكُه وثُمامُهُ وَالشِّيح[(١)]
شَوْقًا إلى حَرَمٍ بِطَيْبَةَ آمِنٍ ... طابَتْ بذلكَ رَوْضَةٌ وضريح
إنى لأرْجُو أنْ تَقَرَّ بِقُرْبِهِ ... عَيْنِى وَيُؤْسَى قَلْبِىَ المَجْرُوح[(٢)]
فاكْحَلْ بِطَيْفٍ منه طَرْفًا جَفْنُهُ ... بِدُموعِهِ حتى يَرَاهُ قَرِيح[(٣)]
فلقدْ حَبانِى اللهُ فيكَ مَحَبَّةً ... قَلْبى بها إلا عليكَ شَحِيح
دَامَتْ عَلَيْكَ صلاتُه وسلامُه ... يَتْلُو غَبُوقَهُمَا لَدَيْك صَبُوح[(٤)]
ما افْتَرَّ ثَغْرٌ للأزاهِرِ أَشْنَبَ ... وانْهَلَّ دَمْعٌ لِلسَّحَابِ سَفُوح

قافية الدال : وقال[(٥)] يمدح أهل البيت عليهم السلام :

جَنابكِ منه تُسْتَفادُ[(٦)] الفوائدُ ... وَلِلناسِ بالإحسانِ منكِ عوائدُ
فَطُوبَى لِمَنْ يَسْعَى لِمَشْهَدِكِ الذى ... تكادُ إلى مَغْنَاهُ تَسْعَى المَشاهدُ
إذا يَمَّمَتْهُ القاصِدُونَ تَيَسَّرَتْ ... عليهمْ - وإن لم يسألوكِ - المَقاصدُ
تَحَقَّقَتِ[(٧)] البُشْرَى لِمَنْ هُوَ راكِعٌ ... يُرَجِّى به فضلاً وَمَنْ هُوَ ساجِدُ
فَعَفَّرَتِ الشُّبانُ وَالشِّيبُ أَوْجُهًا ... بِهِ وَالعَذارَى حُسَّرٌ وَالقَواعِدُ

---

(١) الأراك : شجر معروف . الثمام والشيح : من النبات . (٢) يوسى : يداوى .

(٣) القريح : الجريح ، د : حتى يراح . (٤) الغبوق : شرب آخر النهار . والصبوح : شرب أوله . والمعنى هنا ، أن يردد الصلاة على النبى صباح مساء .

(٥) ت : وقال ، عفا الله عنه ، من الطويل . (٦) د : تستفيد . (٧) د : تحققه .

هُوَ المَنْهَلُ العَذْبُ الكَثِيرُ زِحامُهُ ... فَرِدْهُ فَما مِنْ دُونِ وِرْدِكَ ذائدُ
أَتيتُ إليه والرَّجاء مُحَلَّأٌ ... فما عُدْتُ إلاَّ والمُحَلَّا واردُ[1]
فيالَكَ مِنْ يَأسٍ بَلَغْتُ بِه المُنَى ... وعُسْرٍ لأَقْفالِ اليَسارِ مَقالِدُ
أَلَذُّ مِنَ الماءِ الزلاَلِ مَوَاقِعا ... عَلَى كَبِدِ الظَّمْآنِ وَالماء بارِد
سَلِيلَةَ خَيْرِ العالَمِينَ «نفيسةٌ» ... سَمَتْ بِكِ أعراقٌ وطابَتْ محاتِد[2]
إذا جُحِدَتْ شمسُ النَّهارِ ضِياءَها ... فَفَضْلُكِ[3] لمْ يَجْحَدْهُ في الناسِ جاحِدُ
بآبائِكِ الأطهارِ زُيِّنَتِ العُلا ... فَحَبَّاتُ عِقْدِ المَجْدِ منهم فَرائِد
وَرِثْتِ صفاتِ المصطفى وَعلومَهُ ... فَفَضْلُكُما لولاَ النُّبُوَّةُ وَاحِدُ
فلم يَنْبَسِطْ إلاَّ بعِلْمِكِ عالم ... وَلَمْ يَنْقَبِضْ إلاَّ بِزُهْدِكِ زاهِد
مَعارِفُ ما يَنْفَكُّ يُفْضِي بِسِرِّها[4] ... إلى ماجِدٍ مِنْ آلِ أَحْمَدَ ماجِدِ
يُضِيء مُحَيَّاهُ كَأَنَّ ثَنَاءَهُ ... إلى الصُّبْحِ سارٍ أَوْ إلى النَّجْمِ صاعد
إذا ما مَضَى منهم إمامُ هُدًى أتى ... إمامُ هُدًى يَدْعُو إلى اللهِ رَاشِدِ
تَبَلَّجَ مِنْ نورِ النُّبُوَّةِ وجْهُهُ ... فمنه عليه للعُيُونِ شَوَاهِد
وفاضَتْ بِحارُ العِلْمِ مِنْ قَطْرِ سُحْبِها ... عليه فطابَتْ لِلْوِرادِ المَوارِدُ
رَأى زِينَةَ الدُّنيا غُرورًا فعافَها ... فليس له إلا على الفضلِ حاسِدِ
كأنَّ المعالى الآهلاتِ بغَيْرِهِ ... رُبوعٌ خَلَتْ مِنْ أهلِها ومَعاهِدِ
إذَا ذُكِرَتْ أعمالُه وَعُلومُه ... أقَرَّ لها زَيْدٌ وَبَكْرٌ وَخالدُ

---

(١) محلأ : مصدود: من حلأه : بمعنى صده .
(٢) ت: محامد .
(٣) ت : لفضلك .
(٤) د : ييسرها .

وَمايَسْتَوِى فى الفضلِ حالٍ وَعاطِلٌ ... وَلا قاعِدٌ يومَ الوغَى وَمجاهِـد
فَقُلْ لِبَنِى الزَّهْراءِ والقَوْلُ قُرْبَةٌ ... يَكِلُّ لسانٌ فيهمُ أَوْ حصائدُ[1]
أَحَبَّــكُمُ قلبى فأصبحَ مَنْطِقى ... يُجَادِلُ عنــكم حِسْبَةً ويُجالِدُ
وهل حُبُّــكُمْ لِلنَّاسِ إلاَّ عَقِيدَةٌ ... على أُسِّها فى اللهِ تُبْنَى القَواعِد
وإنَّ اعتقادا خالياً منْ مَحَبَّةٍ ... وَوُدٍّ لــكُمْ آلَ النبىِّ لفاسِد
وَإنى لأَرْجو أَنْ سَيُلْحِقُنِى بِكُمْ ... ولائى فَيَدْنو المَطْلَبُ المُتباعِد
فإنَّ سَرَاةَ[2] القَوْمِ مِنهم عَبيدُهُمْ ... وَإنَّ حُرُوفَ النُّطْقِ منها الزوائد
فَدَتْــكُمْ أُناسٌ نازَعُوكُمْ سِيادَةً ... فلمْ أَدْرِ ساداتٌ هُمُ أمْ أَساوِدُ
أَرادُوا بكم كَيْدًا فــكادوا نُفُوسَهُمْ ... بكم وعَلَى الأَشْقَى تَعودُ المــكَايِدُ
فإنْ حِيزَتِ الدُّنيا إليهمْ فإنَّ مَنْ ... نَفَى زَيْفَها سَلْماً[3] إليهمْ لناقِدُ
ولو أَنــكمْ أَبناؤُها ما أبَتْــكُمُ ... وَما كانَ مَوْلودٌ لِيَأْباهُ والِدُ
إذَا ماتَذَكَّرْتُ القضايا التى جرتْ ... أُقِضَّتْ عَلى جَنْبَىَّ منها المَراقِد
وَجَدَّدَتِ الذِّكْرَى علَىَّ بَلابِلاً ... أُكابِدُ منها فى الدُّجَى ما أُكابِدِ
أَفِى مِثْلِ ذاكَ الخَطْبِ ما سُلَّ مُغْمَدٌ ... وَلا قامَ فى نَصْرِ القَرابَةِ قاعِد
تعاظَمَ رُزْءًا فالعُيونُ شواخِصٌ ... لَهُ دَهْشَةً والثاكِلاتُ سَوَامِدُ[4]
وَطُفِّفَ[5] يومَ الطَّفِّ كَيْلُ دِمائِكُمْ[6] ... إذ الدَّمُ جارٍ فيــه والدَّمْعُ جامِدُ
فيافِتْنَةً بعْدَ النبىِّ بهــا غَدَا ... يُهَدَّمُ إيمانٌ وَتُبْنَى مساجدُ

---

(١) حصائد الألسنة : هو ما قيل فى الناس باللسان . والأصل : لــكل لسان فيهم أو حصائد ، ففيه أقواء
(٢) ت : صدور . (٣) السلم : السلام ، ضد الحرب .
(٤) سوامد : جمع سامدة ، وبابه : دخل ، ومعناه اللاهية ، ويقصد هنا التى شغلها الحزن .
(٥) طفف : زاد على حده . والطف : المكان الذى قتل فيه الحسين بن على قرب الــكوفة .
(٦) د ، ت : ذمائــكم ، بالذال المعجمة ، ونظن الصواب ما أثبتناه .

وَما فتِنَتْ بعدَ ابنِ عِمْرانَ قَوْمُهُ ... بما عَبَدُوا إلاَّ لِيَهْلِكَ عابِدُ
كذاكَ أرادَ اللهُ منكُمْ ومنهمُ ... وليس له فيما يُرِيدُ مُعانِدُ
وَلولَمْ يكنْ فِي ذَاكَ مَحْضُ سعادَةٍ ... لكمْ دونَهمْ لَمْ يُغْمِدِ السَّيفَ غامِدُ
وَأَنتُمْ أُناسٌ أُذْهِبَ الرِّجْسُ عنهمُ ... فليسَ لهم خَطْبٌ وإنْ جَلَّ جاهِدُ
إذا ما رَضُوا لِلهِ أَوْغَضِبُوا لهُ ... تَساوَى الأَدَانِى عندَهمْ وَالأباعِدُ
وَسِيَّانِ مِنْ جَمْرِ العِدَا مُتَوَقِّدٌ ... عَلَى بَهْرَمانِ الصِّدْقِ منكم وخامِدُ
وَفَدْتُ عليكم بالمَدِيح وكلُّكم ... عليه كتابُ اللهِ بالمَدْحِ وَافِدُ
وَقدَ بيَّنَتْ لِى هل[1] أَتى كَمْ أَتى بها ... مكارمُ أخلاَقٍ لكم ومَحامِدُ
فلَوْلا تَغاضِيكم لنا فى مديحِكم ... لَرُدَّتْ علينا بالعيوبِ[2] القصائد
وَلَمْ أَرْتَزِقْ مِنْ غيركُمْ بِتِجارَةٍ ... بَضَائعُها عندَ الأَنامِ كَواسِدُ
عَمَدْتُ لِقَوْمٍ منهمُ فكأَنَّنى ... عَلَى عَمَدٍ لايَرْجِعُ القَوْلَ عامِدُ
أَأَطْلُبُ مِنْ قَوْمٍ سِواكُمْ مُساعِدًا ... وَقد صَدَّهم حِرْمانُهُمْ أنْ يُساعِدُوا[3]
وَمَنْ وَجَدَ الزَّنْدَ الذى هُوَ ثاقِبٌ ... فلنْ يَقْدَحَ الزَّنْدَ[4] الذى هو صالِدُ
وَحَسْبِى إذا مَدْحُ ابْنَةِ الحسَنِ التى ... لها كَرَمٌ مَجْدٌ طَرِيفٌ[5] وَتالِدُ
وَإنِى لُمهْدٍ مِنْ ثَنائى قلائدًا ... إليها حلاَلٌ هَدْيُها وَالقلائدُ
هِىَ العُرْوَةُ الوُثْقَى، هِىَ الرُّتَبُ العُلَا ... هِىَ الغايَةُ القُصْوى لِمَنْ هُوَ قاصِدُ
كأنى إذا أنشَدْتُ فى الناسِ مَدْحَها ... لِمَا ضَلَّ مِنْ ذِكْرِ المكارِمِ ناشِدُ

---

(١) سورة الإنسان وأولها : «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » . ولعله يشير إلى قوله تعالى فيها : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ... الخ» ، فقد روى أنها نزلت فى على بن أبى طالب.

(٢) د : فى العيوب . (٣) د ، ت : يساعد فأضفت إليها واو الجماعة.

(٤) الزند : العود الذى يقدح به النار ، وهو الأعلى . والزندة ، السفلى ، فيها ثقب . والصالد : الخالى من الثقب . (٥) الطريف : المستحدث . وهو ضد التالد : القديم . وابنة الحسن : هى السيدة الورعة التقية العالمة ، نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن على بن أبى طالب . توفيت بمصر سنة ٢٠٨ هـ . ودفنت بمشهدها المعروف ، وفيها قال البوصيرى هذه القصيدة.

أَسَيِّدَتى ها[1] قد رَجَوْتُكِ مُعْلِناً ... بِمَا أَنَا مِنْ دُرِّ المناقِبِ نَاضِدُ[2]
وَأَعْيُنُ آمالى إِليــكِ نواظِرٌ ... بِمَا أَنَا مِنْ عاداتِ فضلِكِ عائدُ
وَما أَجْدَبَتْ قَوْمٌ أَتى مِنْ لَدُنْهِمُ ... لِمَرْعَى الأمانى مِنْ جنابِكِ رائد
ولولاَ نَدَى كَفَّيْكِ ما اخضَرَّ يابسٌ ... وَلا اهتزَّ مِنْ أَرضِ المكارِمِ هامِدُ[3]
إِلَى اللهِ أَشْكُو يا بنةَ الحسَنِ الذى ... لَقِيتُ وإِنى إِنْ شَكَوْتُ لحامد
ومالِيَ لا أَشْكُو لآلِ مُحمَّــدٍ ... خُطُوبًا بها ضاقتْ علىَّ المراصِــدُ
وَمَنْ لِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَنِّىَ صارفٌ ... ومَنْ لهُمُومِ القَلْبِ عَنِّىَ طارِدُ
تسلَّطَ شَيْطَانٌ مِنَ النَّفْسِ غالِبٌ ... علىَّ وَشَيْطَانٌ مِنَ البُؤْسِ مارِدُ
فياوَيْحَ قَلْبٍ ما تَزَالُ سماؤُهُ ... بهــا لِشَياطِينِ الْخطوبِ مَقاعِدُ
فياسامِعَ الشَّــكْوَى وَيا كاشِفَ البَلا ... إِذَا نزَلَتْ فى العالَمِينَ الشَّدائد
وَيامَنْ هَدَى الطِّفْلَ الرَّضِيعَ وَلَمْ تَؤُبْ ... إِليهِ قُوَى عَقْلٍ ولا اشْتَدَّ ساعدْ
وَيامَنْ سَقَى الوَحْشَ الظِّماءَ وَقدحَمَتْ ... مَوَارِدَها مِنْ أَنْ تُنالَ المَصايِد
ويامَنْ يُزَجِّى[4] الفُلْكَ فى البَحْرِ لُطْفُه ... وهنَّ جِوارٍ بَلْ وهُنَّ رَوَاكِدُ
وَيامَنْ هُوَ السَّبْعَ[5] الطَّوابِقَ رافعٌ[6] ... وَمَنْ هُوَ للأَرضِ البسيطةِ ماهِدُ
وَيامَنْ تُنادِينا خَزَائِنُ فضلِهِ ... إِلى رِفْدِهِ إِنْ أَمْسَكَ الفضلَ رافِدُ
فلا البابُ[7] مِنْ تلكَ الخزائنِ مُغْلَقٌ ... وَلا خيرَ مِنْ تلكَ الخزائنِ نَافِدُ
دَعَوْناكَ مِنْ فَقْرٍ إِليــكَ وَحاجةٍ ... وَكلٌّ بمــا يَلْقَاهُ للصَّبْرِ فاقِدُ

---

(١) هل : تحريف . (٢) نضد الشيء : وضع بعضه على بعض ، وبابه ضرب .
(٣) أرض هامدة ، أى لا نبات بها . (٤) ت : يجرى .
(٥) ت : للبسبع . (٦) ت : دافع . (٧) د : فلا باب .

وَأَفضتَ بمـا فيها إليكَ ضمائرٌ[١] وأنتَ على مافى الضمائرِ شاهدُ
دَعَوْناكَ مُضطَرِينَ يارَبِّ فاستَجِب فإنكَ لمْ تُخلفُ لَديكَ المواعدِ
فليْسَ لنا غوْثٌ سِواكَ وَملْجأٌ نُراجِعُهُ فى كَرْبِنا ونُعاوِدُ
فَقَدِّرْ لنا الخيرَ الذى أنتَ أهلُهُ فما أحَدٌ عمَّا تُقَدِّرُ حائدُ
وَصَفحًا عَنِ الذنبِ الذى هوَسائقٌ[٢] لِنارِكَ إلاَّ إنْ عفَوْتَ وَقائد
وَصِلْ حَبْلَنا بالمصطفى إنَّ حَبْلَهُ لنا صِلةٌ يارَبِّ منكَ وعائد
عليـه صلاةُ اللهِ ماأَحمدَ السُّرَى إليـه وَذَلَّتْ لِلْمَطِيِّ فَدَافِدُ[٣]

وقال فى مدح[٤] السيد المصطفى ؛ صلى الله[٥] عليه وسلم ؛ واعتذر فيها عن النار التى ظهرت فى أرض الحجاز؛ والنار التى احترق منها الحرم الشريف[٦]؛ وردَّ على النصارى واليهود، وسمّاها: « تقديس الحَرَم ، من تدنيس الضَّرَم » ، وكناها بأم النارين[٧] .

إلهى على كلِّ الأمورِ لكَ الحمْدُ فليْسَ لِما أوْليْتَ مِنْ نِعمٍ حَدُّ
لكَ الأمرُ مِنْ قَبْلِ الزَّمانِ وبعْدِهِ ومالكَ قَبْلٌ كالزَّمانِ وَلا بَعْدُ
وحُكْمُكَ ماضٍ فى الخلائقِ نافذٌ إذا شئتَ أمرًا ليس من كَوْنِهِ بُدُّ
تُضِلُّ وتَهْدِى مَنْ تَشاء مِنَ الْوَرَى وَما بيدِ الإنسانِ غىٌّ ولا رُشْدُ
دَعُوا مَعْشَرَ الضُّلَّالِ عَنَّا حَديثَكم فلا خَطَأٌ مِنْهُ يُجابُ ولا عَمْدُ

---

(١) د : ضمائرى . (٢) د ، ت : سابق ، ونظن الصواب ما أثبتناه . (٣) ت : الفدافد .
(٤) ت : وقال رضى الله تعالى عنه . (٥) ت : صلى الله تعالى عليه وسلم .
(٦) ظهرت هذه النيران بالمدينة سنة ٦٥٤ هـ بسبب هزات أرضية . ثم حدث بعد ذلك أن احترق المسجد النبوى والحجرة النبوية ، لسقوط مسرجة القيم ، كما ذكر ذلك المقريزى فى السلوك .
(٧) ت : يأم النارين، والقصيدة من بحر الطويل .

ولو أنكم خَلْقٌ كَرِيمٌ مُسخَتُمُ ... بِقَوْلِكُمُ لكنْ بمَنْ يَمْسَخُ القِرْدُ؟
أتانا حديثٌ ما كَرِهْنا بِمِثْلِهِ ... لكُمُ فتنةً فيها لِمِثْلِكُمُ حَصْدُ
غَنِيتُمْ عَنِ التأويلِ فيه بظاهرٍ ... وَمَنْ تَرَكَ الصَّمْصامَ لم يُغْنِهِ الغِمْدْ
وَأَعْشى ضياءُ الحقِّ ضَعْفَ عُقُولِكُمْ ... وشمسُ الضُّحَى تَعْشَى بها الأَعْيُنُ الرُّمْد
ولَنْ تُدْرِكُوا بالجهْلِ رُشْدًا وَإِنما ... يُفَرِّقُ بينَ الزَّيفِ وَالجيِّدِ النَّقْدُ(١)
وُعِظْتُمْ فَزِدْتُم بالمواعِظِ قَسْوَةً ... وَليسَ يُفيدُ القَدْحُ إِنْ أصْلَدَ الزَّنْد(٢)
وَما لَيَّنَتْ نَارُ الحجازِ قلوبَكمْ ... وَقد ذابَ مِنْ حرٍّ بها الحجَرُ الصَّلْد
وَما هِيَ إلا عينُ نارِ جَهَنَّمٍ ... تَرَدَّدَ مِنْ أنفاسِها الحرُّ وَالبَرْدُ
أتتْ بِشُواظٍ مُكْفَهِرٍّ نُحاسُه(٣) ... فلُوِّحَ منها للضُّحَى وَالدُّجَى جِلْد
فما اسْوَدَّ مِنْ لَيْلٍ غَدا وَهو أبيَضٌ ... وَما ابيضَّ مِنْ صُبْحٍ غَدا وَهوَ مُسْوَدُّ
تُدَمِّرُ ما تأتي عليه كعاصفٍ ... من الرِّيحِ ما إن يُسْتطاعُ لهُ رَدُّ
تَمُرُّ على الأرض الشديد اختلافُها ... فتُنْجِدُ غَوْرًا أَوْ يغورُ بها نَجْد
وتَرْمِي إلى الجوِّ الصُّخورَ كأنما ... بِباطِنِها غيظٌ على الجوِّ أوْ حِقد
وتَخْشَى بيوتُ النارِ حَرَّ دُخانِها ... وَيزْدادُ طُغيانا بها الفُرسُ وَالهِنْد
فلو قَرُبَتْ مِنْ سَدِّ يأجُوجَ بَعْدَ ما ... بَنَى منه ذُو القرْنَيْنِ دُكَّ بها السَّدُّ
ولَمَّا أساء الناسُ جيرةَ رَبِّهِمْ ... وَلَمْ يَرْعَها منهم رئيسٌ وَلا وَغْدُ
أراهم مَقامًا ليسَ يُرْعَى لجارِهِ ... ذِمامٌ ولمْ يُحْفَظْ لساكِنِه عَهْد

---

(١) النقد : تمييز الدراهم .

(٢) أصلد : لم تخرج منه نار . الزند : الحديدة التي يقدح بها .

(٣) النحاس : دخان لا لهب فيه .

مدينـــةُ نارٍ أُحْكِمَتْ شُرُفاتُها ... وَأَبْراجُها والسُّورُ إذْ أُبْدِعَ الوَقْدُ
وَقدْ أبصرَتْها أهلُ بُصْرَى كأنما ... هِيَ البَصْرَةُ الجارِى بها الجَزْرُ والمَدُّ
أضاءتْ عَلَى بُعْدِ المَزارِ لأهلِها ... مِنَ الإبْلِ الأعناقُ واللَّيْلُ مُرْبَدُّ(١)
أشارتْ إلى أنَّ المدينةَ قَصْدُها ... قرائنُ منها ليسَ يَخْفَى بها القَصْد
يَرُوحُ ويغْدُو كلُّ هَوْلٍ وَكُرْبَةٍ ... على الناسِ منها إذْ تَرُوحُ وإذ تَغْدُو
فلمَّا التَجَوْا للمصطفى وتَحَرَّمُوا ... بِساحَتِهِ وَالأمرُ بالناسِ مُشْتَدُّ
أَتَوْا بشَفِيعٍ لايُرَدُّ ولَمْ يَكُنْ ... بِخَلْقٍ سِوَاهُ ذلكَ الهَوْلُ يَرْتَد
فأُطْفِئَتِ النارُ التى وَقَفَ الوَرَى ... حَيارَى لَدَيْها لم يُعِيدوا ولم يُبْدُوا
فإنْ حَدَثَتْ مِنْ بَعْدِها نارُ فِرْيَةٍ ... فما ذلكَ الشىءُ الفَرِىُّ وَلا الإِدُّ(٢)
فَللهِ سِرُّ الكائناتِ وجَهْرُها ... فكمْ حِكَمٍ تَخْفَى وَكَمْ حِكَمٍ تَبْدُو
وَقدْ مَا حَمَى مِنْ صاحِبِ الفيلِ بَيْتَهُ ... ولمَّا أتى الحَجَّاجُ أمْكَنَهُ الهَدُّ
وَللهِ سِرٌّ أنْ فَدَى ابنَ خَليلِهِ ... بِذِبْحٍ وَلَوْ لَمْ يَفْدِهِ شُرِعَ الوَأْدُ
فلا تُنْكِرُوا أنْ يُحْرَمَ الحَرَمُ الغِنَى ... وَساكِنُهُ مِنْ فَخْرِهِ الفَقْرُ وَالزُّهْد
وقدْ فُدِيَتْ مِنْ مالِهِ خيرُ أُمَّةٍ ... وَلو خُيِّرُوا فى ذلكَ الأمرِ لَمْ يُفْدُوا
فَوَاعَجَبًا حتى البِقاعُ كَرِيمَةٌ ... لها مثلُ ما للساكِنِ الجاهُ وَالرِّفْد
فإنْ يَتَضَوَّعْ منه طِيبٌ بَطَيْبَةٍ ... فما هو إلاَّ المَنْدَلُ الرَّطْبُ وَالنَّدُّ
وَإنْ ذَهَبَتْ بالنارِ عنه زَخارِفٌ ... فما ضَرَّهُ منها ذَهابٌ وَلا فَقْدُ
ألاَ رُبَّما زادَ الحَبيبُ مَلاحَةً ... إذا شُقَّ عنه الدِّرْعُ وَانتَثَرَ العِقْد

---

(١) مربد : مظلم . (٢) الإد : الفظيع .

وكم سُتِرَتْ لِلْحُسْنِ بالحَلْيِ مِنْ حُلًى ... وكم جسَدٍ غطَّى محاسِنَهُ البُرْدُ

وَأَهْيَبُ ما يُلْقَى الحسامُ مجرَّدًا ... وَرَوْنَقُه أنْ يَظْهَرَ الصَّفْحُ وَالحَدُّ

وَما تلكَ لِلإِسْلامِ إلّا بَواعِثٌ ... على أَنْ يَجِلَّ الشَّوْقُ أَوْ يَعْظُمَ الوَجْدُ

إلى تُرْبَةٍ ضَمَّ الأَمانَةَ وَالتُّقَى ... بها وَالنَّدَى وَالفضْلَ مِنْ أَحْمَدٍ لَحْدُ

إلى سَيِّدٍ لم تأْتِ أُنْثَى بِمِثْلِهِ ... وَلاَ ضَمَّ حِجْرٌ مِثْلَهُ لاَ وَلاَ مَهْدُ

ولَمْ يَمْشِ فى نَعْلٍ وَلا وَطِئَ الثَّرَى ... شَبِيهٌ لَهُ فى الْعالَمِينَ وَلا نِدُّ

وَلَمْ تَخِدِ(١) الكومُ الْعِتاقُ بِمثله ... وَلا عَدَتِ الخيْلُ المُسَوَّمَةُ الجُرْدُ

عَلِيمٌ كريمُ الخِيمِ(٢) ما فوقَ عِلْمِهِ ... وَلا مَجْدِهِ عِلْمٌ يُرَامُ وَلاَ مَجْد

نبيُّ هُدًى أَهْدَى به اللهُ رَحْمَةً ... لنا لَمْ يَنَلْها السَّعْيُ مِنَّا وَلاَ الْكَدُّ

وَبَصَّرَهُ حتى رأى كلَّ غائبٍ ... وصار سواءً عندهُ القُرْبُ وَالبُعْدُ

وحتى رأى ما خَلْفَهُ وَهو مُقْبِلٌ ... بِقَلْبٍ تساوَى عندهُ النَّوْمُ والسُّهْد

فيا لَيْلَةً أسْرَى الإِلٰهُ بِعَبْدِهِ ... لقد نالَ فيــه ما يُؤَمِّلُهُ العَبْد

وفاءٌ وَلا وعْدٌ(٣) وَوُدٌّ ولا قِلًى ... وقُرْبٌ ولا بُعْدٌ ووصْلٌ ولا صَدُّ

وجاءهمُ بالبيِّناتِ التى بَدَتْ ... براهينها كالشمسِ لَمْ يُخْفِها الجَحْد

وذِكْرٍ حَكَى معْناه فى الحُسْنِ لَفْظُهُ ... ويُشْبِهُ ماءَ الوَرْدِ فى طِيبِهِ الوَرْد

وقد أُحْكِمَتْ آياتُهُ وتَشابَهَتْ ... فَلِلْمُبْتَدِى وِرْدٌ وللْمُنْتَهِى وِرْد

---

(١) تخد ، من الوخد : وهو السير السريع . والكوم : جمع كوماء ، وهى الناقة العظيمة السنام . والمسومة : المعلمة . والجرد : جمع أجرد ؛ وهو القصير الشعر من الخيل . (٢) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٣) هذا البيت ورد فى (د) هكذا :

وأقبل يدعو للإله عباده ... ولم يعده عدل ولا صده صد

وإنْ كانَ فيها كالنُّجومِ تَناسُخٌ ... فطالِعُها سَعْدٌ وغارِبُها سَعْدُ
وإنْ قصرتْ عنْ شأوِها كلُّ فكرةٍ ... فليسَتْ يدٌ للأنجُمِ الزُّهرِ تمتَد
فلمَّا عَمُوا عنها وصمُّوا أراهم ... سُيوفًا لها بَرْقٌ وخَيْلاً لها رَعْدُ
ومَنْ لمْ يَلِنْ(١) منهُ إلى الحقِّ جانِبٌ ... بِقَوْلٍ ألانَتْ جانِبَيهِ القَنا المُلْد
وقد يُعجِزُ الدَّاءَ الدَّواءُ مِن امرئٍ ... وَيَشْفِيهِ مِنْ داءٍ به الكَيُّ والفَصْد
فَغالَبَهمْ قَوْمٌ كأنَّ سِلاحَهُمْ ... نُيُوبٌ وأظْفارٌ لهُمْ فهُمُ أُسْدُ
ثِقاتٌ مِنَ الإسلامِ إنْ يَعِدُوا يَفُوا ... وإنْ يُسْألوا يُهْدُوا وإنْ يقْصَدُوا يجْدُوا
وَأمَّا مكانُ الصِّدْقِ منهم فإنه ... مقالُهُمُ والطَّعْنُ والضَّرْبُ والوعْدُ
إذا ادَّرَعُوا كانتْ عيُونُ دُرُوعِهِمْ ... قلوبًا لها في الرَّوْعِ مِنْ بأسِهِمْ سَرْد(٢)
يَشُوقُكَ منهم كلُّ حِلْمٍ وَنجْدَةٍ ... تَحَلَّتْ بِكلٍّ مِنْهما الشَّيبُ وَالمُرْد
بهالِيلُ(٣) أمَّا بَذْلُهمْ في جِهادِهِمْ ... فأنفُسُهُمْ وَالمالُ والنُّصْحُ والجُهد
فلِلّهِ صِدِّيقُ النبيِّ الذى لهُ ... فضائلُ لمْ يُدْرَكْ بِعَدٍّ لها حَدُّ
وَمَنْ كانَ لِلْمُخْتارِ فى الغارِ ثانيا ... وَجادَ إلى أنْ صارَ ليسَ لهُ وُجْد(٤)
فإنْ يتَخَلَّلْ بالعباءةِ إنه ... بذلك فى خُلَّاتِهِ العَلَمُ الفَرْدُ
وَمَنْ لمْ يَخَفْ فى اللهِ لَوْمَةَ لائمٍ ... وَلم يُعْيِهِ قِسْطٌ يُقامُ وَلا حَدُّ
وَلا راعَهُ فى اللهِ قَتْلُ شَقيقِهِ ... ألا هكذا فى اللهِ فلْيَكُنْ الجَلْدُ

---

(١) صدر البيت ، ورد فى م هكذا :

* ومن لم يلن منه للحق جانب *

(٢) السرد : نسج الدرع . (٣) بهاليل : سادات .

(٤) الوجد : الجدة . أى ليس عنده شىء .

وَمنْ جَمع القرآنَ فاجْتَمعَتْ به ... فضائلُ منه مِثْلَ ما اجْتَمعَ الزُّبْد
وَجهزَ جيشاً سار فى وقت عُسْرَةٍ ... تَعذَّرَ مِنْ قوتٍ به الصَّاعُ وَالْمُدُّ
وَمَنْ لَمْ يعفِّر كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ... جَبِينٌ لغيرِ اللهِ منه ولا خَدُّ
فَتى الحرب شَيْخُ العِلْمِ وَالحِلْمِ وَالحِجَى ... عَلِىٌّ الذى جَدُّ النبىِّ لهُ جد
وَمَنْ كانَ مِنْ خيرِ الأنامِ بِفضلِهِ ... كهارون مِنْ موسَى وَذَلِكمُ الجدُّ[1]
إذَا غمزَتْ كَفُّ الخطوبِ قَناتَهُ ... توَهَّمتَ أنَّ الخطْبَ ليس لهُ زَنْد[2]
وإنْ عَجَمتْ أفواهُها عُودَ بَأْسِهِ ... أفادَتْكَ عِلْمًا أنَّ أفواهَها دُرْدُ[3]
يُوَرِّدُ خَدَّيْهِ الجِلادُ وسَيْفَهُ ... فذَاكَ إذَا شَبَّهْتَهُ الأَسَدُ الوَرْدُ[4]
وعِنْدِى لكمْ آلَ النبىِّ مَوَدَّةٌ ... سَلَبْتُمْ بها قلبى وصارَ لهُ عِنْد
علَى أنَّ تذْكارى لِمَا قدْ أصابكم ... يُجَدِّدُ أشجانى وإنْ قَدُمَ العَهْد
فِدًى لكمُ قَوْمٌ شَقُوا وسَعِدْتمُ ... فدارُهمُ الدنيا ودارُكمُ الخُلْدُ
أتَرْجُونَ مِنْ أبناء هِنْدٍ[5] مودَّةً ... وقَدْ أرْضَعَتْهُمْ دَرَّ بِغضَتِها هِنْد
فَلاَ قَبلَ الرَّحمنُ عُذْرَ عُداتِكم ... فإنهم لا يَنْتَهُونَ وإنْ رُدُّوا
إليكَ رسولَ اللهِ عُذْرِى فإنَّنى ... بِحُبِّكَ فى قَوْلى ألِينُ وَأَشْتَدُّ
فإنْ ضاعَ قَوْلى فى سِوَاكَ ضلالَةً ... فما أنا بالماضى مِنَ القَوْلِ مُعْتَد
وَمَا امْتَدَّ لى طَرْفٌ ولا لانَ جَانِبٌ ... لِغَيْرِكَ إلا ساءنى اللِّينُ وَالمَدُّ

---

(١) الجد : الحظ . (٢) زند وردت فى د : رشد .

(٣) الدرد : جمع أدرد ، وهو الفم الذى سقط مقدم أسنانه .

(٤) الأسد الورد: سمى بلونه وهو بين الكميت والأشقر . (٥) هند بنت عتبة أم معاوية . وقد أسلمت .

أأشغَلُ عَنْ رَيحانَتَيكَ قَريحَتِي بِشيحٍ ورَنْدٍ لا نما الشِّيحُ والرَّنْدُ[١]
وأدْعُو سِفاهاً غيرَ آلِكَ سادتي وهلْ أنا إنْ وُفِّقْتُ إلاّ لهُمْ عَبْدُ[٢]
فلا راحَ مَعَنيًّا بمَدْحِيَ حاتِمٌ ولا عُنِيَتْ هند بِحِبِّي ولا دَعْـد
ولا هَيَّجَتْ شَوْقِي ظِباءٌ بِوَجْرَةٍ ولا بَعَثَتْ وصْفِي نَقانِقُها الرُّبْدُ[٣]
ويا طِيبَ تَشْبِيبي بِطَيْبَةَ لا ثَنَى عِنانَ لِساني عنكَ غَوْرٌ ولا نَجْدُ
فهَبْ لِي رسولَ الله قُرْبَ مَوَدَّةٍ تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وتَرْوَى بِهِ كَبْدُ[٤]
وإني لَأرجو أنْ يُقَرِّبَنِي إِلَى جَنابِكَ إرْقالُ الرَّكائبِ والوخْدُ[٥]
ولولا وُثُوقِي منكَ بالفوزِ فِي غَدٍ لما لَذَّ لِي يَوْماً شَرابٌ ولا بَرْد
عَلَيْكَ صلاةُ اللهِ يُضْحِي بِطَيْبَةٍ لَدَيْكَ بها وفْدٌ ويُمْسِي بها وفْد
ودامَتْ كأنْفاسِ الوَرَى في تَرَدُّدٍ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ التَّحِيَّةُ والرَّدُّ

وقال، عفا الله عنه، يمدح أبا العباسّ المرسِيّ؛ من الـكامل[٦]؛ ويعزيه فى شيخه أبي الحسن الشاذلي[٧]، عليهم رحمة الله، آمين .

كَتَبَ المَشِيبُ بِأبْيَضٍ فى أسْوَدٍ بَغضاءَ ما بَيْنِي وبينَ الخُرَّدِ
خَجِلَتْ عُيُونُ الحورِ حِينَ وصَفْتُها وصْفَ المَشِيبِ وقُلْنَ لِي : لا تَبْعُدِ
ولِذاكَ أظْهَرَتِ انْكِسارَ جُفُونِها دَعْدٌ وآذَنَ خَدُّها بِتَوَرُّدِ
يا جِدَّةَ الشَّيْبِ التِي ما غادَرَتْ لِنُفوسِنا مِنْ لَذَّةٍ بِمجدَّدِ

---

(١) الرند : شجر طيب الرائحة . (٢) فى الأصل : وهل أنا إلا أن . . . الخ .
(٣) النقانق : جمع نقنق ، وهو ذكر النعام . والربد : جمع أربد ، وهو ما مال لونه إلى الغبرة .
(٤) د : تقر بها عين وتروى بها كبد . (٥) الإرقال والوخد : نوعان من السير السريع .
(٦) من الكامل : زيادة فى ت . (٧) توفى أبو الحسن الشاذلى سنة ٦٥٦ .

ذهبَ الشبابُ وسوفَ أذهبُ مِثلَما ذهَبَ الشبابُ وما امرؤٌ بمُخلَّدِ
إنَّ الفناءَ لكلِّ حيٍّ غايةٌ محتومةٌ إنْ لمْ يكنْ فكأنْ قدِ
وارحمتا لمُصوَّرٍ متطوِّرٍ في كلِّ طوْرٍ[1] صورةَ المتردِّدِ
قذفتْ به أيدِي النوى مِنْ حالقٍ سامِي المحلِّ إلى الحضيضِ الأوهدِ
مُستوحِشٍ في أُنسِهِ متعاهِدٍ بحنينِه شوقاً لأوَّلِ معْهدِ
منعتْهُ أسبابٌ لديْهِ رجوعَهُ فاشتاقَ للأوطانِ شوقَ مقيَّدِ
ياليْتهُ لوْ دامَ نسْياً مالهُ مِنْ ذاكرٍ أوْ أنهُ لم يولَدِ
حمَلَ الهوَى جهْلاً بأثقالِ الهوَى مُستنجِداً بعزيمةٍ لم تُنجِدِ
ما إنْ يزالُ بما تكلَّفَ حمْلَهُ في خُطَّتَيْ خسْفٍ يرُوح ويغتدِي
غرضاً لأمرٍ لاتطيشُ سِهامُه[2] ومعرَّضاً لِمُنَفِّقٍ ومُفنِّدِ
وخليفةٍ في الأرضِ إلاَّ أنه متوعَّدٌ فيها وعيدَ الهُدْهُدِ
وجبَ السُّجودُ لهُ فلما أنْ عصى[3] قالتِ خطيئتُهُ لهُ اركعْ واسْجُدِ
ونبتْ به الأوطان فهْوَ بغرْبةٍ ما بينَ أعداءٍ يَسيرُ وحُسَّدِ
أنفاسه تحصَى عليـه وعلم ما[4] يفضى إليه غداً[5] له حُكمُ الغد
أبدًا تَراهُ واجِدًا أوْ عادِماً في حَيْرةٍ لَفَظاتُها لم تُنشَدِ
يُمسِي ويُصْبِحُ مُتْهِماً أوْ مُنجِداً لِمَعادِهِ[6] معَ مُتْهِمٍ أوْ مُنجِدِ

---

(١) د : فى طور كل ضرورة متردد ، ت فى كل طور ، ك : فى كل طور صورة وتردد . ونظن الصحيح ما أثبتناه . (٢) ت ، ك : نباله . (٣) د : عفى .
(٤) ك : علمها (٥) د : عدل . (٦) د : لمعاشه .

يَرْمِي به سَهْلاً وَوَعْراً زاجِرًا[1] ... بَطْنُ المِسَنِّ به كَظَهْرِ المِبْرَدِ
مُتَخَوِّفًا منه المصيرَ لِمَنْزِلٍ ... مُسْتَوْبَلِ المَرْعَى وبىء[2] المَوْرِدِ
ما إنْ رأى الجانى به أعْمالَه ... إلاَّ تَمَنَّى أنه لم يولَدِ
حَسْبِى لَهُ حُبُّ النبىِّ وآلِهِ ... عِنْدَ الإلهِ وسيلَةً لمْ تُرْدَدِ
فإذَا أجبْتَ سُؤَالَهُ فِى آلِهِ ... سَلْ تُعْطَ واسْتَمْدِدْ فَلاحاً تُمْدَدِ
وأْمَنْ إذا قامَ النبىُّ مَقَامَهُ الْـمَحْمودَ فى الأمرِ المُقِيمِ المُقْعِدِ
وتَزَوَّدِ التَّقْوَى فإن لم تستطِعْ ... فَمِنَ الصلاةِ على النبىِّ تَزَوَّدِ
صلَّى عليه اللهُ إن صلاةَ مَنْ ... صلَّى عليه ذَخيرَةٌ لم تَنْفَدِ
واسمعْ مدَائحَ آلِ[3] بيتِ المصطفى ... مِنى ودونَكَ جَمْعُها فى المُفْرَدِ
صِنْوُ النبىِّ أخُو النبىِّ وزيرُهُ ... وَوَلِيُّهُ فِى كلِّ خَطْبٍ مُؤْيِدِ
جَدُّ الإمامِ الشَّاذِلِيِّ المُنْتَمِى ... شَرَفًا إليهِ لِسَيِّدٍ عَنْ سَيِّدِ
أسماؤُهم عِشْرُونَ دُونَ ثَلاَثَةٍ ... جاءتْ على نَسَقٍ كأَحْرُفِ أبْجَدِ
لِعَلِيٍّ الحَسَنُ انتَمَى لِمُحَمَّدٍ ... عيسى وسِرُّ مُحَمَّدٍ فى أحْمَدِ
وَاخْتارَ بَطَّالٌ لِورْدٍ يُوشَعاً ... وبيُوسِفٍ وافَى قُصَىٌّ يَقْتَدِى
وبِحَاتِمٍ فُتِحَتْ سِيادَةُ هُرْمُزٍ ... وغَدا تَمِيمٌ لِلْمَكارِمِ يَهْتَدِى
وبِعَبْدِ جَبَّارِ السمواتِ انْتَضَى ... لِلْفَضْلِ عبدُ اللهِ أىَّ مُهَنَّدِ
وأَتَى عَلِيٌّ فى العُـلاَ يَتْلُوهم ... فاختِمْ به سُوَرَ العُلاَ والسُّؤْدُدِ

---

(١) ك : زاخر . (٢) ك : وبيل . (٣) ساقطة من ت .

أعْنِي أبا الحَسَنِ[1] الإمامَ المُجْتَبَى	مِنْ هَاشِمٍ والشَّاذِلِيَّ المَوْلِدِ
إنَّ الإمامَ الشَّاذِلِيَّ طَرِيقُهُ	فِي الفَضْلِ واضِحَةٌ لِعَيْنِ المُهْتَدِي
فانْقُلْ ولَوْ قَدَماً عَلَى آثارِهِ	فإذَا فَعَلْتَ فَذاكَ آخِذُ باليَدِ
واسْلُكْ طَرِيقَ مُحَمَّدِيٍّ شَرِيعَةً	وَحَقِيقَةً ومُحَمَّدِيٍّ المَحْتِدِ[2]
مِنْ كلِّ ناحِيَةٍ سَنَاهُ يَلوحُ مِنْ	مِصْباحِ نورِ نُبُوَّةٍ مُتَوَقِّدِ
فَتْحٌ أتَى طُوفانُهُ بِمَعارِفٍ	تَنُّورُها جُودِيٌّ كلِّ مُوَحِّدِ
قد نالَ غايَةَ ما يَرُومُ المُنْتَهِي	مِنْ رَبِّهِ وَلَهُ اجتِهادُ المُبْتَدِي
مُتَمَكِّنٌ فى كلِّ مَشْهَدِ دَهْشَةٍ	أوْ وَقْفَةٍ ما فَوْقَها مِنْ مَشْهَدِ
مَنْ لامَقامَ لَهُ فإنَّ كمالَهُ	لِلنَّاسِ يُرْجِعُهُ رُجُوعَ مُقَلِّدِ
قُلْ لِلْمُحاوِلِ فى الدُّنُوِّ مَقامَهُ	ما العَبْدُ عنْدَ اللهِ كالمُتَعَبِّدِ
وَالفضلُ ليسَ يَنالُهُ مُتَوَسِّلٌ	بِتَوَرُّعٍ حَرَجٍ وَلا بِتَزَهُّدِ
إنْ قَالَ ذاكَ هُوَ الدَّواء فَقُلْ لَهُ	كُحْلُ الصَّحِيحِ خِلافَ كُحْلِ الأرْمَدِ
يمشِي المُصَرِّفُ حيثُ شاء وغيرُهُ	يمْشِي بِحُكْمِ الحَجْرِ حُكْمَ مُصَفَّدِ
مَنْ كانَ منكَ بِمنْظَرٍ وَبِمَسْمَعٍ	أيُحَالُ منه عَلَى حدِيثٍ مُسْنَدِ
لٰكِنَّهُمَا الحُسْنَى وَإنْ لم يَسْتَوُوا	فى رُتْبَةٍ فقدْ اسْتَوَوْا فى المَوْعِدِ
كلٌّ لِما شاء الإلٰهُ مُيَسَّرٌ	والناسُ بَيْنَ مُقَرَّبٍ وَمُشَرَّدِ

---

(١) أبو الحسن الشاذلى؛ هو على بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصى بن يوسف ابن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب ، مؤسس الطريقة الشاذلية ، توفى سنة ٦٥٦ هـ بصحراء عيذاب بمصر.

(٢) اتبع طريق الشاذلى فإنه محمدى الشريعة ، والحقيقة ، والمحتد، أى هو صحيح النسب إلى الرسول ، ومتبع لسنته .

وإذَا تَحَقَّقت[1] العنايةُ فاسْتَرِحْ ... وإذَا تَخَلَّفَتِ[2] العناية فاجْهَدِ
أَفْدِى عَلِيًّا فى الوجودِ[3] وَكُلُّنَا ... بِوُجودِهِ مِنْ كلِّ سوء نَفْتَدِى
قُطْبُ[3] الزَّمانِ وغَوْثُهُ وإمامُهُ ... عَيْنُ الوجُودِ لسانُ سِرِّ المُوجِد
سادَ الرِّجالَ فَقَصَّرَتْ عَنْ شأوِهِ ... هِمَمُ المُؤَوِّبِ لِلْعُلاَ وَالمُسْئِدِ
فَتَلَقَّ ما يُلْقِى إليكَ فنطقُهُ ... نُطْقٌ بِرُوحِ[4] القُدْسِ أىُّ مُؤَيِّدِ
إِمَّا مَرَرْتَ على مكانِ ضَرِيحِهِ[5] ... وَشَمِمْتَ رِيحَ النَّدِّ مِنْ تُرْبِ النَّدِ
وَرأيْتَ أرْضاً فى الفَلاَ مُخْضَرَّةً ... مُخْضَلَّةً منها بِقاعُ الفَدْفَدِ
والوحْشُ آمِنَةٌ لَدَيهِ كأنَّها ... حُشِرَتْ إلى حَرَمٍ بأوَّلِ مَسْجِدِ
ووجَدْتَ تَعْظِيماً بِقَلْبِكَ لَو سَرَى ... فى جَلْمَدٍ سَجَدَ الوَرَى لِلْجَلْمَدِ
فَقُلِ السَّلَامُ عليكَ يابَحْرَ النَّدى الطَّامِى ... ويا بَحْرَ العلومِ المُزْبِدِ
يا وارِثاً بالفَرْضِ عِلْمَ نَبِيِّهِ ... شَرَفاً وبالتَّعْصِيبِ غيرَ مُفَنَّدِ
اليَوْمَ أحْمَدُ مِنْ عَلِىٍّ وارِثٌ ... حَظَّىْ عَلِىٍّ مِنْ وِراثةِ أحْمد
يعْزَى الإمامُ إلَى الإمامِ ويَقْتَدِى[6] ... للمُقْتَدِى بِهُداهُ فَضْلُ المُقْتَدِى

---

(١) د ، ت : تحققت . وأظن الصواب : تخلفت . (٢) ك : فإذا .

(٣) ك : بالوجود . يقول إنه يفدى أبا الحسن الشاذلى بالوجود، وذلك لأن كل إنسان يتخلص من كل سوء ببركة وجود الشاذلى ، لأنه القطب ، وبالقطب تحفظ دائرة الوجود .

(٣) القطب فى اللغة : السيد، وعند الصوفية : الخليفة. وخلافته هى المعبر عنها فى اصطلاحهم بالغوثية ، إذ الغوث هو الذى يصل منه المدد الروحانى إلى دوائر الأولياء من نجيب ونقيب وبدل ووتد . وقوله عين الوجود أى سيد الوجود ولسان سر الموجد : أى مبين سر الموجد الذى أوجد الكائنات .

(٤) يقول: إن الله قوى كلام الشاذلى ، وأيده بجبريل . (٥) ضريح الشاذلى بصحراء عيذاب .

(٦) ك : ينتسب .

وَالمَرْءُ فِي مِيراثِهِ أَتْبَاعُهُ ... فَاقْدِرْ إِذَنْ فَضْلَ النبيِّ مُحَمَّدِ
خيرِ الوَرَى صلَّى عليه اللهُ ما ... صَدَعَ الأَسَى قَلْباً بِسَجْعٍ مُغَرِّدِ
وسَرَى السُّرُورُ إلَى القلوبِ فَهَزَّها ... مَسْرَى النَّسِيمِ إلَى القَضِيبِ الأَمْلَدِ
شَوْقًا[1] لِمُرْسِيَةٍ رَسَتْ آسَاسَها ... بِعَلِي أَبِي العَبَّاسِ فَوْقَ الفَرْقَدِ
اليَوْمَ قامَ فَتَى عَلِيٍّ[2] بَعْدَهُ ... كَيْمَا يُبَلِّغُ مُرْشِدًا عَنْ مُرْشِدِ
فَكَأَنَّ يُوشَعَ بعدَ موسى قائِمٌ ... بِطَرِيقِهِ المُثْلَى قِيامَ مُؤَكِّدِ
فليقصدِ المُتَمَسِّكونَ بِحَبْلِهِ ... دارَ البقاءِ مِنَ الطَّرِيقِ الأَقْصَدِ
فإذَا عزَمْتَ على اتِّباعِ سَبِيلِهِ ... فَاسْمَعْ كلامَ أخِي النَّصِيحَةِ تَرْشُدِ
فنظامُ أعمَالِ التُّقَى آدَابُها ... فاصْحَبْ بها أَهْلَ التُّقَى والسُّؤْدَدِ
وتَجَنَّبِ التَّأْوِيلَ فى أقوالِ مَنْ ... صاحَبْتَ مِنْ أهلِ السعادَةِ تَسْعَدِ
قدْ فرَّقَ التأويلُ بَيْنَ مُقَرَّبٍ ... يَوْمَ السُّجُودِ لآدَمٍ ومُبَعَّدِ[3]
وحَذارِ أنْ يَثِقَ المُرِيدُ بِنَفْسِهِ ... واحْزِمْ فما الإِصلاحُ شَأْنُ المُفْسِدِ
فالوَصْفُ يَبْقَى حُكْمُهُ مَعَ فَقْدِهِ ... والمَرْءُ مَرْدُودٌ إذَا لَمْ يُفْقَدِ
إنَّ الضَّنِينَ بِنَفْسِهِ فِي الأرضِ لاَ ... يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ وليسَ بِمُصْعِدِ
ويَظُنُّ[4] إنْ رَكَدَتْ سفينَتُهُ عَلَى ... أمْوَاجِها ورِياحِها[5] لَمْ تَرْكُدِ
فاصْحَبْ أبا العبّاسِ أحمدَ آخِذًا ... يَدَ عارِفٍ بِهَوَى النُّفُوسِ مُنَجِّدِ
فإذَا سَقَطْتَ[6] عَلَى الخبيرِ بِدائِها ... فَاصْبِرْ لِمُرِّ دَوَائِهِ وتَجَلَّدِ

---

(١) ك : شرفا . (٢) على هنا ، أبو الحسن الشاذلى . وفتى على ، هو أبو العباس المرسى .

(٣) يقول : إن التأويل قد فرق بين الملائكة المقربين وبين إبليس وهو من المبعدين .

(٤) ك : أيظن . (٥) ك : ورياحه . (٦) د : استطعت .

وإذَا بَلَغْتَ بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ مِنْ　　عِلْمَيْهِ فانقَعْ غُلَّةَ القَلْبِ الصَّدِى
فتَى رأى موسَى الإرادَةَ عِنْدَهُ　　خِضْرُ الحقيقَةِ نَالَ أقْصَى المَقْصِدِ
وإذَا الفَتى خُرِقَتْ سَفِينَةُ جِدِّهِ　　لنَجاتِها وجَدَ الأسَى غيرَ[1] الدَّدِ
وتَبَدَّلَتْ أبَوا الغُـلامِ بِقَتْلِهِ　　بأبَرَّ مِنْهُ لِوالدَيْهِ وأرْشَدَ
وَأُقِيمَ مُنْتَقَضُ[2] الجِدَارِ وتَحْتَهُ　　كَنْزُ الوُصُولِ إلى البَقاءِ السَّرْمَدِى
فَلْيَهْنِ جَمْعًا فى الفِراقِ ووُصْلَةً　　مِنْ قاطِـعٍ وتَرَقِّيًا مِنْ مُخْلِدِ
مُغْرًى بِقَتْلِ النَّفْسِ عَمْدًا وهْوَلا　　يُعْطِى إلى القَوَدِ القِيادَ ولا الْيَدِ
لِلّهِ مَقْتُـولٌ بِغَيرِ جِنايَةٍ　　كَلِفٌ بِحُبِّ القاتِلِ المُتَعَمِّدِ
ما زالَ يَعْطِفُها عَلَى مَـكْرُوهِها　　حتّى زَكَتْ وَصَفَتْ صَفاءَ العَسْجَدِ
وأُجِيبَ داعِيها لِرَدِّ مُشَرَّدٍ　　مِنْ أمْرِها طَوْعًا وجَمْعِ مُبَدَّدِ
لَمْ تَتْرُكِ التَّقْوَى لهـا مِنْ عادَةٍ　　أَلِفَتْ ولا لِمَرِيضِها مِنْ عُوَّدِ
فَلْيَهْنِ أحْمَدَ كيمياءُ سَعادَةٍ　　صَحَّتْ فلا نارٌ عليـه[3] تَفْتَدِى
جعَلَتْهُ لَمْ يَرَ لِلحَقِيقَةِ[4] طالِبًا　　إلاَّ يَمُـدُّ إليهِ راحَةَ مُجْتَدِى
ألفاظُهُ[5] مَبْذُولَةٌ بَذْلَ الحَيَا　　ومَصونَةٌ صَوْنَ العَذارَى الخُرَّدِ[6]
كلٌّ يَرُوحُ بِشُرْبِ راحِ عُلُومِهِ　　طَرِبًا كَغُصْنِ البانَةِ المُتَـأَوِّدِ[7]
ضِمنَ الوقارَ لهـا اعْتِدالُ مِزاجِها　　فشَرابُها لايَنْبَغِى لِمُعَرْبِدِ
فَضَحَتْ معارِفُها مَعارِفَ غَيْرِها　　والزَّيْفُ مَفْضُوحٌ بِنَقْدِ الجَيِّدِ

---

(١) ك : عين الرد .　　(٢) ك : منقض .　　(٣) ك : عليها .
(٤) علوم الحقيقة هى التى تتناول الإيمان بالله وطرق الاتصال بالذات الإلهية ، أما علوم الشريعة ، فتتناول أحكام الدين .　　(٥) ك : ألفاظها .　　(٦) د ، ومصونة صون العذارى النهد . والخرد : جمع خريدة ، وهى البكر .　　(٧) البانة : نوع من الشجر . والمتأود : المعوج .

كَشَفَتْ لهُ الأسماءُ عَنْ أَسرارِها فإِذَا الوُجُودُ لِمقْلَتيهِ بِمَرْصَدِ
وأَرَتْهُ أسبابَ القضــاءِ مُبِينَةً للمستقيمِ بِعِلْمِها وَالْمُلْحِــــدِ
تأْبَى علُومُكَ يا فَتًى غَيْرَ التى هىَ فَتْحُ غَيْبٍ فَتْحُهُ لَمْ يُسْدَدِ
قل للذِين تَــكَنَّفُوا زِىَّ التقَى وتَخَيَّرُوا لِلدَّرْسِ أَلْفَ مُجَــلَّدِ
لاتَحْسَـبُوا كُحْلَ العيُونِ[1] بِحِيلَةٍ إنَّ المَهى لَمْ تَــكْتَحِلْ بالإِثْمِدِ
ما النَّحلُ ذَلَّاتِ الهِدَايَةُ سُبْلَهَا مِثْلَ الحَمِــيرِ تَقُودُها لِلْمَوْرِدِ[2]
مَنْ أَمَاتَ التَّقْوَى عليهِ وأَنْفقتْ يَدُهُ مِنَ الأكوانِ لامِنْ مِزْوَدِ
وأَبيكَ ما جَمَعَ المَعَــالِىَ وادِعًا[3] جَمْعَ الأُلوفِ مِنَ الحِسابِ عَلَى اليَدِ
إلاَّ أبو العبَّاسِ أَوْحَدُ عَصْرِهِ أَكْرِمْ به فِى عَصْرِهِ مِنْ أَوْحَدِ
أَفْنَتْهُ فِى التَّوْحِيدِ هِمَّةُ ماجِدٍ شَذَّتْ[4] مَقاصِدُها عَنِ المُتَشَدِّدِ
ساحتْ رِجالٌ فى القِفارِ وإنه لَيَسِيحُ فى مَلَــكُوتِ[5] طَرْفِ مُسْهَدِ
ولهُ سرائِرُ فى المُـــلا خَطَّارَةٌ خَطَّارُها[6] ورِكابُها لم تُشْدَدِ
فالمستقيمُ أخو الــكَرامَةِ عِندَهُ لا كُلُّ مَنْ رَكِبَ الأَسودَ بأَسْوَدِ
وَأَجلُّ حالِ مُعامِلٍ تَبَعِيَّةٍ أُخِذَتْ إلى أدَبِ المُرِيدِ بِمَقْوَدِ[7]
فأَتى مِنَ الطُّرْقِ القَرِيبِ مَنَالُهَـا وأَتى سِواهُ مِنَ الطَّرِيقِ الأَبْعَدِ[8]
سَيفٌ مِنَ الأَنْصَارِ ماضٍ حَدُّهُ فاضرِبْ به فى النَّائِبَاتِ وهَدِّدِ
أُثْنِي عليــه بِباطِنٍ وبِظاهِرٍ لاسِرَّ منـــه بِمُغْمَدٍ وَمُجَرَّدِ

---

(١) ك : الجفون . والإثمد : الـكحل . (٢) ك : مثل الحمار تقوده للمربد . (٣) ك: وادعى .
(٤) ك : سدت . (٥) ك : الملكوت . (٦) ت ، د : خطواتها وركابها لم تشرد والتصحيح عن ك.
(٧) المعامل : الزبون. معنى البيت أن أفضل حال يعامل الإنسان فيها نفسه ، هو أن يجعلها تتبع آداب المريد وتسلك سبيله . (٨) ك : طريق أبعد .

مِنْ مَعْشَرٍ نَصَرُوا النبيَّ وسابَقوا ... مَعَهُ الرِّياحَ بِكلِّ نَهْدٍ أجْرَدِ
وَثَنَوْا أَعِنَّتَهُمْ وقد تَرَكُوا العِدا ... بالطَّعْنِ بَيْنَ مُجَدَّلٍ ومُقَدَّدِ (١)
مِنْ كلِّ ذِمْرٍ (٢) كالصَّباحِ جَبِينُه ... ذَرِبٌ بِخَوْضِ المُعْضِلاتِ مُعَوَّدِ
وبِكُلِّ أَسْمَرَ أزْرَقٍ فُولاذُهُ ... وبِكُلِّ أبيضَ كالنَّجِيعِ مُوَرَّدِ
شَهِدَ النَّهارُ لِفاضِلٍ بِمُسَدَّدٍ ... مِنْ رأيِهِ ولِطاعِنٍ بِمُسَدَّدِ (٣)
وتَمَخَّضَتْ ظُلَمُ اللَّيالِي منهمُ ... عَنْ رُكَّعٍ لايَسْأَمُونَ وسُجَّدِ
خافَ العَدُوُّ مَغِيبَهُمْ لِشُهُودِهِمْ ... والموتُ يَكْمُنُ في الحُسامِ المُغْمَدِ
السَّاتِرُو العَوْراتِ مِنْ قَتْلَى العِدا ... يَوْمَ الحَفِيظَةِ بالقَنا المُتَقَصِّدِ
والطَّاعِنُو النَّجْلاءَ يُدْخِلُ كَفَّهُ ... في إثْرِها الآسى مكانَ المِرْوَدِ
سَلْ مِنْ سَلِيلِهِمُ مُلوكَ سَبِيلِهِمْ ... يُرْشِدْكَ أحمَدُ للطَّرِيقِ الأحمَدِ (٤)
مُسْتَمْطِرًا بَرَكاتِه مِنْ راحَةٍ ... أنْدَى مِنَ الغَيْثِ السَّكُوبِ وأجْوَدِ
فمَواهِبُ الرَّحْمنِ بينَ مُصَوَّبٍ ... منها لِراجِي رحمةٍ ومُصَعَّدِ
يامَنْ أَمُتُّ له بِحِفْظِ ذِمامِهِ ... وبِحُسْنِ ظَنِّي فيهِ لِي مُسْتَعْبِدِي (٥)
مَوْلايَ دُونَكَ ماشَرَحْتُ بوَزْنِه ... وَرَوِيِّهِ قَلْبَ الكَئِيبِ الأكْمَدِ (٦)
فاقْبَلْ شِهابَ الدِّينِ عُذْرَ خَرِيدَةٍ (٧) ... عَذْراءَ تُزْرِي بالعَذارَى النُّهَّدِ
مَعْسُولَةٍ ألفاظُها مِنْ كامِلٍ ... أبْرِدْ حَشَّى مِنْ رِيقِها (٨) بِمُبَرَّدِ

(١) د ، ت : مفردا والتصحيح عن ك من قده بالسيف . (٢) الذمر : الشجاع .
(٣) البيت ورد في ك هكذا :

شهدوا النهار يناضل بمسدد ... من رأيه ويطاعن بمسدد

(٤) ك : الأرشد . (٥) د : ويحسن ود فيه لى مستبعد . ك : ويحسن ظن فيه لى مستعبد .
(٦) ك : المكمد . (٧) ك : فريدة . (٨) ك : ريها .

طلعَتْ مجرّة فضلِها بكواكبٍ ... دُرِّيّةٍ محفوفةٍ بالأسْعدِ
رامَ استراقَ السّمْعِ منها ماردٌ ... لما أتتْكَ فلَمْ يَجِدْ مِنْ مَقْعدِ
مِنْ مَنْهَلٍ عَذْبٍ صَفا سلْسالُهُ ... لامِنْ صَرًى يَشْوِى الوجُوهَ مُصَرَّدِ[1]
بَعَثَتْ إليكَ بها بواعِثُ خاطِرٍ ... مُتَحَبِّبٍ لجَنابكُمْ مُتَوَدِّدِ
صادَفَتْ دُرًّا مِنْ صِفاتِكَ مُثْمناً ... فأَعَرْتُه منّي صفَاتِ مُنَضَّدِ
جاءتْ تُسائِلُكَ[2] الأمانَ لخائفٍ ... مِنْ رِبقَةٍ بذُنوبِهِ مُتَوعدِ
فاضمَنْ لها دَرْكَ المعادِ ضمانَها ... بالفَوْزِ عنكَ لِسامِعٍ ولِمُنْشِدِ[3]
فإِذَا ضَمِنْتَ لهُ فليسَ بِخائفٍ ... مِنْ مُبْرِقٍ يَوْماً ولا مِنْ مُرْعِدِ
جاهُ النبيِّ لِكُلِّ عاصٍ واسِعٌ ... والفضلُ أجدرُ باقتراحِ المُجْتَدِى

وقال، رضى الله[4] تعالى عنه، يمدح المقرَّ العالىَ الصاحبىَّ الزينىَّ[5] زين الدين، رحمهما الله[6] تعالى، وذلك من الكامل :

أهلُ التُّقَى والعِلْمِ أهلُ السؤْدُدِ ... فأخُو السِّيادَةِ أحمدُ بنُ محمدِ
الصاحبُ ابنُ الصاحبِ ابنِ الصاحبِ الْـ ... ـحِبْرُ الْهُمامُ السَّيِّدُ ابنُ السَّيِّدِ
لاتُشْرِكَنَّ به امرأً فى وَصْفِهِ ... فتكونَ قد خالَفْتَ كلَّ مُوَحِّدِ
الشمسُ طالعةٌ فهلْ من مُبْصِرٍ ... والحقُّ مُتَّضِحٌ فهل من مُهتَدِى
إنَّ الفتَى مَنْ سَوَّدَتْهُ نَفسُهُ ... بالفضلِ لامَنْ سادَ غيرَ مُسَوَّدِ

---

(١) الصرى الماء : الذى طال مكثه فى مستقره . والمصرد : المقلل ، وهو من التصريد ، بمعنى التقليل .
(٢) د ، ك : جاءتك تسألك . (٣) ك : أو منشد .
(٤ ، ٥ ، ٦) الزيادة التى بين الأقواس واردة فى ت والممدوح هو زين الدين أحمد، حفيد الصاحب بهاء الدين ابن حنا ، وكان وزيرا للصحبة ، ثم عزله الملك السعيد سنة ٦٧٧ هـ .

والناسُ مُختلِفُو المذاهبِ فى العُلا   والمَذهبُ المُختارُ مذهَبُ أحمدِ
وفّى عُلومَ الأولين حُقوقَها   والآخرينَ وَفاءَ مَنْ لم يجْحَد
فكأنهُ فينا خليفةُ آدمٍ   أوْ آدَمٌ لو أنهُ لم يولَدِ
أفضَى به علمُ اليقينِ لعينِه   ورآهُ حاسِدُهُ بعَيْنَىْ أرْمَد
كشفَ الغِطاءَ له فليسَ كحائرٍ   فى دينِهِ مِنْ أمْرِهِ مُتَردِّدِ
قد كانَ يحكمُ فى الأمورِ بعِلْمِهِ   شَهِدَ المُحِقّ لديْهِ أمْ لم يَشْهَد
لولا يُخاطِبُنا بقَدْرِ عقُولِنا   جاءتْ معارفُه بما لم نعهَدِ
ورِثَ النُّبُوَّةَ فَلْيقُمْ كقِيامِهِ   مَنْ حاوَلَ الميراثَ أو فَلْيقْعُدُ
فلسانُهُ العَضْبُ الحسامُ المُنْتَضَى   وَبيانُهُ بَحْرٌ خِضَمٌّ المُزْبِدِ(١)
وبَصيرةٌ باللهِ يُشْرِقُ نورُها   ويُضِىءُ مثلَ الكوكبِ المُتَوَقِّدِ
وخَلائِقٌ ما شابَها مَنْ شانَها   فأتتْ كماءِ المُزْنِ فى قَلْبِ الصَّدِى
فَلِبابِ زَيْنِ الدِّينِ أحمدَ فلْيَسِرْ   مَنْ كانَ بالأعْذارِ غيرَ مُقَيَّدِ
هوَ كَعْبةُ الفضلِ الذى قُصَّادُهُ   قد حَقَّقُوا منه بُلوغَ المَقْصِدِ
لَمَّا وردْتُ على كَريمِ جَنابِهِ   فورَدْتُ بَحْرَ الجودِ عَذْبَ المَوْرِدِ
وَرأيْتُ وجهًا أشْرَقَتْ أنوارُه   فأضاءَ مثلَ الكوكَبِ المُتَوَقِّدِ
أعْرَضْتُ عَنْ لهوِ الحديثِ وقُلْتُ يا   مَدْحَ الوَرَى عنِّى فما أنا مِنْ دَدِ(٢)
وعزَمْتُ فِى يَوْمِى عَلَى العَمَلِ الذى   ألقاهُ لى نِعْمَ الذخيرةُ فى غَدِ
مَدْحٌ إذا أعمَلْتُ فيه مِقْوَلِى   جاهدْتُ عن دينِ الهُدَى بمُهَنَّدِ

---

(١) د ، ت: البحر الخضم . والصواب: ماأثبتناه . (٢) الدد: اللهو والعبث ، وهو من قول النبى : « لست من دد ولا الدد منى » أى لست من اللهو والعبث فى شىء .

أبْقَى لهُ الذِّكْرَ المُخلَّدَ عِلْمُهُ ... أنْ ليس فى الدُّنيا امرُؤٌ بِمُخَلَّدِ
فاستَنْفَدَتْ بوجودِهِ آمالُه ... واختارَ عنـدَ اللهِ مالم يَنْفَدِ
شُغِفَتْ بِهِ الدُّنيا وآثرَ أُخْتَها ... حُبًّا فأوْهمَ رَغْبَةً بتزَهُّدِ
وأتى عليها جُودُه فكأنَّها ... لهوانها فى نفسه لم تُوجَدِ
فإذَا نَظَرْتَ إلى مقاصِدِهِ بها ... أَبدَتْ إليكَ حقيقةَ المُتجرِّدِ
كَلِفٌ بما يَعْنيهِ مِنْ إسعادِ ذِى الـ ... ـحاجاتِ فى الزمَنِ القليلِ المُسْعِدِ
يَطْوِى منَ التَّقْوَى حَشاهُ عَلَى الطَّوَى ... ويَبيتُ سَهْرَانًا مُقَضَّ المَرْقَدِ
ويَغُضُّ مِنْ مَغْسُولَتَيْنِ بِدَمْعِهِ ... مَكْحُولَتَيْنِ مِنَ الظَّلَامِ بإِثْمِدِ (١)
عَوِّلْ عليهِ فى الأُمورِ فإنَّهُ ... أمَلُ الغريبِ وبَيْتُ مالِ المُجتَدِى (٢)
واستَمْطِرِ البَرَكاتِ مِنْ دَعَواتِهِ ... حيثُ استقلَّ (٣) سحابُ راحتِهِ النَّدِى
واسمعْ لِما يُوحَى مِنَ الذِّكْرِ الَّذِى ... يُشْجِى القلوبَ لوَ انَّها مِنْ جَلْمَدِ
صَدَرَتْ جَواهِرُ لفظِهِ مِنْ باطِنٍ ... صافِى التُّقَى مِثْلِ الحسامِ المُغْمَدِ
فأراكهُ سحْرَ البيانِ مُنضَّدًا ... بيَدِ البَلاغَةِ وهْوَ غيرُ مُنضَّدِ
مُتَحَلِّيًا بِجَوامِعِ الكَلِمِ التى ... يُغْنَى بها حَدِبٌ عناءَ تَجَلُّدِ
فالقَصُّ (٤) منه إذا أتاكَ تعدَّدَتْ ... منـه المعانى وهْوَ غيرُ مُعَدَّدِ
قُلْ للإمامِ المُقْتَدَى بِعُلومِهِ ... قد فازَ مَنْ أضْحَى برأيِكَ يَقْتَدِى
يامَنْ يُرَاعِى للفضيلةِ حقَّها ... لِتَلَذُّذٍ بالفَضْلِ لا لِتَزَيُّدِ
لمْ تُصْغِ للعُلَماءِ إلاَّ مِثْلَما ... أصْغَى سُلَيمانٌ لِقَوْلِ الهُدْهُدِ
عَجِبَتْ لِزُهْدِكَ فى الوزارةِ مَعْشَرٌ ... فأجَبْتَهُمْ عجَبًا إذَا لم يَزْهَدِ

---

(١) الأثمد : الكحل . (٢) المجتدى : السائل .
(٣) استقل : ارتفع . (٤) القص : الواحد .

ما ضَرَّ حِبْرًا قَلَّدَتْهُ أئمَّةٌ   أنْ لم يكنْ لِمَناصِبٍ بمُقَلَّدِ
وإذا سما باسْمِ العلومِ فلا تَسَلْ   عَنْ حَطِّ نَفْسٍ بالحضيضِ الأَوْهدِ
ما المَجْدُ إلَّا حِكْمَةٌ أُوتِيتَها   يَنْحَطُّ عنها قدرُ كلِّ ممجَّدِ
يا رُتْبَةً لا تُرْتَقَى بِسَلالِمٍ   وسِيادَةً ما تُشْتَرَى بالعَسْجدِ
خيرُ المناصِبِ ما العُيونُ كَلِيلَةٌ   عنـه وما الأيدى له لمْ تَمْدُدِ
مَوْلاىَ دونَكَ مِنْ ثنائىَ حُلَّةً   تَبْلِى مِنَ الأيامِ كلَّ مُجَدَّدِ
جاءَتْ مُسارِعَةً إليكَ بِساعَةٍ   سَعِدَتْ مُطالِعَةً وإنْ لم تُرْصَدِ
يَوْمُ اتِّصالٍ بالأحِبَّةِ ، حَبَّذا   يَوْمٌ به انقَطَعَتْ قلوبُ الحُسَّدِ
ما سُيِّرَتْ ما بَيْنَ يوسُفَ مِثْلَما[(١)]   قد سُرَّ فيه أَحْمَدٌ بمُحَمَّدِ
يا حَبَّذا مَدْحٌ لآلِ مُحَمَّدٍ   دونَ التَّغزُّلِ فى غَزالٍ أغيَدِ
إنَّ الجلالةَ مُنْذُ رُمْتُ مَديحَكم   لم تَرْضَ لى ذِكْرَ الحِسانِ الخُرَّدِ
فاللهُ يَجْمَعُ شَمْلَكُمْ ساداتِنا   جَمْعَ السلامَةِ فى نعيمٍ سَرْمَدِ

وقال لما مدح اليهود وذمّ النصارى ، وسيأتى ذكرها فى حرف الراء ، وهدَّده[(٢)] النصارى ، فألزموه فكتب :

ما لِلنَّصارَى إلىَّ ذَنْبٌ   وإنما الذنبُ لِليَهودِ
وَكيفَ تَفْضِيلُهُمْ وفيهمْ   سِرُّ الخَنازِيرِ وَالقُرُودِ

---

(١) ت : ما سيرة ما بين يوصف ، وفيه غموض .   (٢) ت : فلما هددوه وألزموه كتب .

وقال قافية[١] الراء : يمدح بها على بن الصاحب[٢] :

حَيِّ بُلْبَيْسَ مَنْزِلا فى العِمارَهْ وَتَوَجَّهْ تِلْقاءَ بِئْرِ عُمارَهْ
فالبَتِيَّاتِ[٣] فالحِرازِ فَتُبْتيتَ[٤] فشَبْرا البَيُّومِ فالحَمَّاره
وإذا جِئْتَ حاجِرًا بَيْنَ بُلْبَيْسَ وقليوبَ مِنْ خَرابِ فَزارَه
فارجِعِ السَّيْرَ بَيْنَ بِنْهَا وأَتْرِيبَ وكلٌّ لِشاطِىءِ البَحْرِ جارَه
وإذَا ما خَطَرْتَ مِنْ جانِبِ الرَّمْلِ بِفاقُوسَ فاقْصِدِ الخطَّارَه
وَشَمَنْدِيلَ وهْىَ مَنْزِلَةُ الجَيْشِ وسَعْدَانَةٍ مَحَلِّ غِرارَه
خَلِّنِى مِنْ هَوَى البَداوةِ إِنِّى لَسْتُ أهْوَى إلَّا جَمالَ الحضاره
واقْرِ تِلْكَ القُرَى السلامَ فإنْ أعْيَتْكَ مِنْها عبارَةٌ فإشارَهْ
إنَّ قَلْبِى أضْحَى إلى ساكِنِيها باشْتِياقٍ ومُهْجَتِى مُسْتَطارَه[٥]
أذْكَرَتْنا عَيْشًا قديمًا نَزَعْنا هُ لِباسًا كالحُلَّةِ[٦] المُسْتعارَه
وزمانًا فى الحُسْنِ وجْهَ عَلِيٍّ ذا بَهاءٍ وبَهْجَةٍ ونَضارَه
صاحبٌ لا يزالُ بالجودِ والإفْضالِ[٧] طَلْقَ اليَدَيْنِ حُلْوَ العِبارَه
كَمْ هَدانا مِنْ فضلِهِ بِكِتابٍ مُعْجِزٍ مِنْ علومِهِ[٨] بِأَثارَه
وجهُهُ مُسْفِرٌ لِعافِيهِ ما نَحْتاجُ فى الجودِ عِنْدَه لِسِفارَه[٩]

---

(١) ت : وقال ، سامحه الله ، من الخفيف . (٢) يبدو أن هذه القصيدة قيلت فى الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن حنا ، وفيها كثير من الألفاظ والمعانى الغامضة .
(٣) ت : فالبقيات . (٤) ت : فنقيت . (٥) هذا البيت ساقط من ت .
(٦) د ، ت : كالحسن ولا معنى له . (٧) والإفضال ساقطة من د ، ت ؛ فأضفتها لوزن الشعر .
(٨) ت : أو من علمه . (٩) البيت فى الأصل :
وجهه مسفر للعفاة وما نحـــتاج فى الجود عنده لسفاره

يَدُهُ رُقْعَةُ الصَّباحِ فما أَغْـ   ـرَبَها مِنْ سلامَةٍ وطَهارَهْ
يَذْكُرُ الوعْدَ فى أمورٍ ولا يَذْ   كُرُ جَدْوَى ولو بكلِّ إمارَه
إنما يَذْكُرُ العَطِيَّةَ مَنْ كا   نتْ عَطاياهُ تارَةً بعدَ تاره
سَيِّدِى أَنْتَ نُصْرَتِى كلما شَنْ   نَ علىَّ الزّمانُ بالفَقْرِ غارَه
شابَ رأسِى وما رَأسْتُ كأنِّى   زامِرُ الحىِّ أوْ صغيرُ الحارَه[1]
وابنُ عِمْران وهْوَ شَرُّ مَتاعٍ   لِلْوَرَى فى بِطانَةٍ وَظِهارَه[2]
حَسَّنَ القُرْبُ منكمْ قُبْحَ ذِكْرا   هُ كتَحْسِينِ المِسْكِ ذِكْرَ الفاره
فَهْوَ فى المَدْحِ قَطْرَةٌ مِنْ سَحابِى   وهْوَ فى الهَجْوِ مِنْ زِنادِى شَرارَه
مالهُ مِيزَةٌ عَلَىَّ سِوَى أَنْ   نَ لهُ بَغْلةً ومالِى حِمَارَه
وَعِياطٌ تَدْوَى الدَّوَاوِينُ منه   لا بمعنًى كأنهُ طِنجَهارَه[3]
يَتَجَنَّى[4] بِسُوءِ خُلْقٍ عَلَى النا   سِ ونَفْسٍ ظَلومَةٍ كفّارَه
لمْ تُهَذِّبْهُ كلُّ قاصِرَةِ الطَّرْ   فِ أجادَتْ بأَخْدَعَيْهِ القصارَه
وَابنُ يَغْمورَ إذْ كساهُ مِنَ الـدُّ   رَّةِ دِرْعًا كأنَّهُ غفّارَه
طَبَعَتْ رأسُهُ دَمًا وبِساطِى[5]   جِلْدَةً أوْ حَسِبْتُهُ جُلّنارَه
وَسليمانُ كلما قَرَعَ القَرْ   عَةَ طَنَّتْ كأنها نُقّارَه
وَقَعاتٌ تُنْسِى المُؤَرِّخَ ما كا   نَ مِنْ سُنْبسٍ وَمِنْ زُنّارَه
إنْ جَهِلْتُمْ ما حَلَّ فى ساحلِ[6] الشَّيْـ   ـخِ مِنَ الصَّفْعِ فاسْأَلوا[7] البَحّارَه

(١) يشير إلى المثل : « زامر الحى لايطرب » .

(٢) ابن عمران : ناظر الشرقية فى ذلك العهد ، وقد فصل البوصيرى من وظيفته فحنق عليه وعرض به .

(٣) دوى بكسر الواو يدوى بفتحها فهو دو : أى مرض : ولعله يريد تدوى بتشديد الواو المكسورة من الدوى وهو الصوت الشديد ، ولكن لا يوجد منه فعل ثلاثى . والطنجهارة : كذابا بالنون كما فى الأصل ، وفى التاج : الطرجهارة : شبه كأس . وفى التكملة : شبه طاس يشرب فيه .   (٤) ت : يتجلى .

(٥) د : بسطى .   (٦) د : ساجة .   (٧) د : فاسألوه التجارة .

قالَتِ البَغْـلةُ التى أوْقعَتْه[1] أنا مالى على الغبُونِ مَرارَه
إنْ هذا شَيْخٌ[2] لهُ بِجَوارِيـــهِ معَ النـاسِ كلَّ يَوْمٍ صِهارَه
قُلْتُ لاتفترِى عَلَى الشاعِرِ الفقِّـــيهِ ، قالتْ[3] : سَلِ الفقيهَ عُمارَه
لو أتاهُ فى عِرْسِـهِ شَطْرُ فَلْسٍ لرأى[4] البَيْعَ رَجْلةً وشَطارَه
قلتُ هَذَا شادُّ الدَّواوينِ ، قالتْ ما أُولَى هــذا عَلَى الخرَّارَه[5]
قلتُ ذِى غَيْرَةُ الأُبَيْرَةِ[6] ألَّا تَشْتَهِى أنْ تُفارِقَ الأبَّارَه
قالتَ أقْوَى وكيفَ أغْيَرُ مِنِّى عِنْدَ شيخٍ كَلٍّ بِغيْرِ زِبارَه[7]
قلتُ : ما تَكرَهِينَ منه ؟ فقالت أىَّ بُخْلٍ فيــه وأىَّ قَتارَه
أنا فى البَيْتِ أشْتَهِى كَفَّ تِبْنٍ وَمِنَ القُرْطِ أشْتَهِى نُوَّارَه
وعَلِيقِى عليــه أرْخَصُ مِنْ ما لِ المَوارِيثِ فى شِرا ابْنِ جُبارَه
مَرَقَ النِّصْفَ واشترَى النِّصْفَ بالنصْـــفِ وأفْتَى بأنَّ هذا تِجارَه
لا تلوموا إذا وَقَعْتُ مِنَ الجو عِ فإنى مِنَ الخوَى خَوَّارَهْ
ما كفاهُ مِنَ الطَّوافِ بِبُلْبَيْـــسَ إلى أنْ يَطُوفَ بى السَّيَّاره
آهِ مِنْ ضَيْعَتى وما ذاكَ إلَّا أنَّ مالِى عَلَى الغبُونِ مَرارَه
أكْمِلَتْ خِلْقَتى وشَيْبِى ومالى[8] فى حُجُورٍ[9] أُخْتٌ ولا فِى مِهارَه[10]
أىُّ شِبْرِيَةٍ[11] ألَذُّ وِطاءِ مِنْ رُكُوبى وأيُّما شَبَّارَه

---

(١) أوقعته ساقطة من ت . (٢) ت : شيخ . (٣) د ، ت : فقالت وقد حذفت الفاء للوزن .
(٤) ت : لرآنى . (٥) د : المزمارة . (٦) د ، ت : الإبرة .
(٧) أقمنا البيت على هذا النحو ، وكان فى الأصل هكذا :
قالت اقوى وكيف أغير على شيخ خصى كل بغير زباره
(٨) ت : وما فى . (٩) حجور ، جمع حجر ، وهى أنثى الخيل . (١٠) مهارة بالكسر : جمع مهر ، وهو الجواد الصغير . (١١) شبرية ، كلمة عامية تطلق على سرير مصنوع من قوائم من الخشب وظهر من الحبال المتخذة من ليف النخيل .

عَيَّرَتْنِي بِهَا بِغَالُ الطَّوَاحِيـــنِ ، وَقَالَتْ تَمَّتْ عَلَيْكِ الْعِيَارَه
دُرْتُ حَتَّى وَقَفْتُ عِنْدَ الْمَنَاحِيـــسِ فَيَالَيْتَ أَنَّنِي دَوَّارَهْ
وَلَقَـدْ أَنْذَرْتُهُ فَرَأَيْتُهُ[1] جَاهِلِيًّا لَمْ تُغْنِ فِيـهِ النِّذَارَه
وَقَوَافِيَ لَيْسَ فِيهَـا صِقَالٌ[2] مِنْ نَدًى[3] لَا[4] ، وَلَيْسَ فِيهَا زَفَارَه[5]
كُلُّ عَذْرَاءَ مَا تُرَدُّ مِنَ الْكُـــفْءِ بِعَيْبٍ وَلَا زَوَالِ[6] بَكَارَه
سِرْنَ مِنْ حُسْنِهِنَّ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْ بِ فَكُنَّ الْكَوَاكِبَ السَّيَّارَه
لَنْ يَصِيدَهُنَّ[7] النَّوَالُ مِنْ بَحْرِ فِكْرِي أَوْ يُصْطَادُ الدُّرُّ بِالصِّنَّارَه ؟
غَيْرَ أَنِّي أَعْدَدْتُهَا لِخَطَايَا وَذُنُوبٍ أَسْلَفْتُهَا كَفَّارَه
أَوَلَمْ تَدْرِ أَنَّ مَدْحَ عَلِيٍّ مِثْلُ حَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَزِيَارَه

* * *

أَيُّهَا الصَّاحِبُ الْمُؤَمَّلُ أَدْعُو لَكَ دُعَاءَ اسْتِغَاثَةٍ وَاسْتِجَارَه
أَثْقَلَتْ ظَهْرِيَ الْعِيَالُ وَقَدْ كُنْـــتُ زَمَانًا بِهِمْ خَفِيفَ[8] الْكَارَه
وَلَوَ انِّي وَحْدِي لَكُنْتُ مُرِيدًا فِي رِبَاطٍ أَوْ عَابِدًا فِي مَغَارَه
أَحْسَبُ الزُّهْدَ هَيِّنًا وَهْوَ حَرْبٌ لَسْتُ فِيـهِ وَلَا مِنَ النَّظَّارَه
لَا تَكِلْنِي إِلَى سِـوَاكَ فَأَخْيَا رُ زَمَانِي لَا يَمْنَحُونَ خِيَارَه
وَوُجُوهُ الْقُصَّادِ فِيـهِ حَدِيدٌ وَقُلُوبُ الْأَجْوَادِ فِيـهِ حِجَارَه

---

(١) د ، ت : قرائته . ونظن الصواب ما أثبتناه . وفى وزن البيت خلل بين .
(٢) ت : مقال . وصقال من صقل الشيء : أى جلاه . (٣) ت : نديا .
(٤) ليست فى د ، ت : وقد زدتها للوزن . (٥) يقال زفر يزفر إذا استقى فحمل . وفى الحديث « إن امرأة كانت تزفر القرب يوم خيبر تسقى الناس » أى تحمل القرب المملوءة ماء .
(٦) ت : بعيب ولا زنى أو بكاره . (٧) ت : ان يصف من النوال . وفي د : لن يصدهم . وفى البيت اضطراب وتحريف فى الألفاظ : ولعل صوابه :
لن يصيد النوال من بحر فكرى أو يصطاد دره صناره ؟
(٨) خفيف الكارة : خفيف الحمل .

فإذا فازَ كَفُّ حُرٍّ ببِرٍّ[١] فهْوَ إمّا بِنَقْضَةٍ أو نِشارَه[٢]
إنَّ بَيْتِي يقول قدْ طالَ عَهْدِي بِدُخولِ التَّلِّيسِ[٣] لِي والشِّكارَه
وطعامٍ قد كانَ يَعْهَدُهُ النا سُ مَتاعًا لهمْ وللسَّيَّارَه
فالكوانينُ ما تُعابُ مِنَ البَرْ دِ بِطَبَّاخةٍ وَلا شَكَّارَه[٤]
لا بِساطٌ ولا حَصِيرٌ بِدِهْلِيزِى وَلا مَجْلِسِي ولا طَيَّاره
ليس ذا حالُ مَنْ يُرِيدُ حياةً لِعيالٍ ولا لِبَيْتٍ عِمارَه
قلتُ إنَّ الوَزِيرَ أَسْكَنَ غَيْرِى فِي[٥] مَكانى ولى عليه إجارَه
قِيلَ إنَّ الوزِيرَ لَنْ يَقْصِدَ الفَسْخَ ، فَلِمْ لا رَاجَعْتَ فى الحَرَّارَه[٦]
أَسْقَطَتْهُ مِنْ ظَهْرِنا فَأَرَتْنا جَيْبَهُ لازِمًا لِبَطْنِ المَحارَه
ثُمَّ شَدُّوه[٧] بالإزارِ فخِلْنا هُ الخَيالِيَّ مِنْ وَرَاءِ السِّتّارَه
لَمْ يُفَضِّلْ عليكَ غيرَكَ لكِنَّ عطاياهُ كالكُئوسِ المُدارَه
فسأَغْدُو[٨] به سعيدًا كأنى لاعْتِدالِ الرَّبيعِ للشمسِ دارَه
وَيشُوقُ الأَضْيافَ فى[٩] بادَهَنْجٍ مِنْ بعيدٍ قُرُونُه[١٠] كالمَنارَه
إنَّ بَيْتًا يَغْشاهُ كلُّ فقيرٍ مِنْ عَلِيٍّ فى ذِمَّةٍ وخِفارَه
صَرَفَ اللهُ السُّوءَ عنه وآتا هُ مِنَ المَجْدِ وَالعُلاَ ما اختَارَه

---

(١) د ، ت : بين .

(٢) د ، ت : نقضه بغير باء . (٣) التليس : الغرارة .

(٤) د ، ت : بشكارة ، والشكارة : المرأة التى تقطع اللحم . (٥) فى ، ساقطة من د ، ت .

(٦) الحرارة : اسم قرية من قرى الشرقية . (٧) د ، ت : شجوة .

(٨) ت : فساعدو به . وفى د ، فاسعدوا ، والصواب : ماأثبتناه . (٩) ت : لى . (١٠) ت : نروثه .

وقال يمدح[1] أَيْدَمُر عزَّ الدين[2] ، ويعزيه[3] في سيف الدين :

قد خُصَّ بالفَضْلِ قَطْلِيجا[4] وأَيْدَمُرُ ... وطابَ منه ومنكَ الأَصْلُ والثَّمَرُ
بَحْرانِ لو جادَ بَحْرٌ مِثْلَ جُودِهِما ... بِيعَتْ بأَرْخَصَ مِنْ أَصْدافِها الدُّرَرُ
لِلّهِ دَرُّكَ عزَّ الدِّينِ لَيْثَ وَغًى ... لَهُ مِنَ البِيضِ نابٌ والقَنا ظُفُرُ
أَلْقَى الإِلٰهُ عَلَى الدُّنيا مَهابَتَهُ ... فالبِيضُ تَرْعُدُ خوفاً منه والسُّمُرُ
أَرَيْتَنا فضلَ شمسِ الدِّينِ مُنْتَقِلاً ... إليك منــه وصَحَّ الخُبْرُ والخَبَرُ
إِنْ تُحْيِ آثارَهُ مِنْ بَعْدِ مادَرَسَتْ ... فإِنَّكَ النِّيلُ تُحْيِي الأَرضَ والمَطَرُ
وإِنْ تَــكُنْ أَنْتَ خيرَ الوارثِينَ لَهُ ... فَما يُنازِعُكَ[5] في ميراثِهِ بَشَرُ
وَإِنْ تَــكُنْ في العُلاوالفَضْلِ تَخْلُفُهُ ... فالشمسُ يَخْلُفُها إِنْ غابَتِ القَمَرُ
أَخْجَلْتَ بالحِلْمِ ساداتِ الزَّمانِ فلَمْ ... يَعْفُوا كَعَفْوِكَ عَنْ ذَنْبٍ إِذاقَدَرُوا
ولَمْ تزَلْ تَسْتُرُ العَيْبَ الذي كَشَفُوا ... ولم تزَلْ تَجْبُرُ العَظْمَ الذي كَسَرُوا
لوْ أَنَّ أَلْسِنَةَ الأَيامِ ناطِقَةٌ ... أَثْنَتْ علَى فَضْلِكَ الآصالُ والبُــكَرُ
شَرَعَتْ للنَّاسِ طُرْقاً ما بها عُجَرٌ ... يَخافُ سالِــكُها فيهـا ولا بُجَرُ[6]
لو يَستقيمُ عليهـا السالــكون بهـا ... كما أَمَرْتَ مَشَتْ مَشْيَ المَها الخُمُرُ
أَكْرِمْ بأَيْدَمُرَ الشَّمْسِيِّ مِنْ بَطَلٍ ... بِذِكْرِهِ في الوَغَى الأَبْطالُ تفتَخِرُ
تَخافُ منـــه وتَرْجُوهُ كما فَعَلَتْ ... في قَلْبِ سامِعِها الآياتُ والسُّوَرُ

---

(١) ت : وقال عفا الله عنه من البسيط .
(٢) هو الأمير عز الدين أيبك الفخرى ، الذى أسندت إليه ولاية القاهرة ، بدلا من شمس الدين أبى بكر بن إسباسلار ، الذى توفى سنة ٦٧٨ هـ . (٣) د : ويهنئه .
(٤) د : نقطليجا . (٥) ت : فلم .
(٦) أصل العجر : العروق المتعقدة فى الجسد . والبجر : العروق المتعقدة فى البطن . والمعنى هنا : أنك مهدت للناس طرقا خالية من الصعاب .

مَعْنَى الوجودِ الذى قامَ الوجودُ به   وهلْ بِغَيرِ المَعانى(١) قامَتِ الصُّوَرُ ؟

بَنانُهُ مِنْ نَداهُ(٢) الغَيْثُ مُنْسَكِبٌ   وسَيفُهُ مِنْ سُطاهُ النارُ تَسْتَعِرُ

نَهَتْهُ عَنْ لَذَّةِ الدُّنْيا نَزاهَتُهُ   وَشَرَّدَ النَّوْمَ مِنْ أجفانِهِ السَّهَرُ

وليسَ يُضْجِرُهُ قَوْلٌ وَلا عَمَلٌ   وكيفَ يُدْرِكُ مَنْ لا يَتْعَبُ الضَّجَرُ

يُمْسِي وَيُصْبِحُ فى تَدْبيرِ مَمْلَكَةٍ   أعْيا الخلائقَ فيها بعضُ ما يَزَرُ

يَكْفيهِ حَمْلُ الأَماناتِ التى عُرِضَتْ   على الجِبالِ فَكادَتْ منه(٣) تَنفَطِرُ

خافَ الإلٰهَ فَخافَتْهُ رَعِيَّتُهُ   والمَرْءُ يُجْزَى بما يأتى وما يَذَرُ

واخْتارَهُ مَلِكُ الدُّنيا لِيَخْبُرَهُ   فى مُلْكِه وهْوَ مُخْتارٌ ومُخْتَبَرُ

فَطَهَّرَ الأرضَ مِنْ أَهْلِ الفسادِ فلا   عَيْنٌ لَهُمْ بَقِيَتْ فيها ولا أَثَرُ

ودَبَّرَ المُلْكَ تَدْبيرًا يُقَصِّرُ عَنْ   إدْراكِ أيْسَرِهِ الأفهامُ والفِكَرُ

وحينَ طارتْ(٤) إلى الأعداء سُمْعَتُه   ماتَ الفَرَنْجُ بِداءِ الخَوْفِ والتَّتَرُ

فما يُبالِى بأَعْداءٍ قُلوبُهُمُ   فيها تَمَكَّنَ منهُ الخوفُ والذُّعُرُ

وكلُّ أرضٍ ذَكَرْناهُ بها غَنِيَتْ   عَنْ أنْ يُجَرَّدَ فيها الصارِمُ الذَّكَرُ

فلَوْ تُجَرَّدُ مِنْ مِصرٍ عزائمُهُ   إلى العِدَا بَطَلَ البَيْكارُ والسَّفَرُ(٥)

فى كلِّ يَوْمٍ تَرَى القَتْلَى بِصارِمِهِ   كأنَّما نُحِرَتْ فى مَوْسِمٍ جُزُرُ

كأنَّ صارِمَهُ فى كلِّ مُعْتَرَكٍ   نَذِيرُ مَوْتٍ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ النُّذُرُ(٦)

---

(١) ت : المعالى .   (٢) ت : يداه . وقد صححها تيمور باشا فى الهامش فجعلها ، نداه .

(٣) د ، ت : كانت ، ونظن الصواب ما أثبتناه . كلمة منه : ساقطة من ت .   (٤) الأصل من الأعداء .

(٥) البيكار : الحرب .   (٦) هذا البيت ساقط من د .

شُكْرًا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ فى وِلايَتِهِ … مَغْنَى كَرامَتِهِ للنَّاسِ مُشْتَهِرُ
عَمَّ الرَّعِيَّةَ والأَجْنادَ[1] مَعْدَلَةً … فما شكا نَفَرًا مِنْ عَدْلِهِ نَفَرُ
وسَرَّ أَسماعَهُمْ منهُ وأَعْيُنَهُمْ … وَجْهٌ جَمِيلٌ وذِكْرٌ طَيِّبٌ عَطِرُ
تَأَرَّجَتْ عَنْ نَظِيرِ المِسْكِ نَظْرَتُهُ[2] … كما تَأَرَّجَ عَنْ أَكْمامِهِ الزَّهَرُ
مِنْ مَعْشَرٍ فى العُلا أَوْفَوْا عُهُودَهُمْ … وليسَ مِنْ مَعْشَرٍ خانُوا ولا غَدَرُوا
تُرْكٌ تَزَيَّنَتِ الدُّنيا بِذِكْرِهِمُ … فَهُمْ لها الحَلْىُ إنْ غابُوا و إنْ حَضَرُوا
حَكَتْ ظواهِرَهُمْ حُسْنًا بواطِنُهُمْ … فَهُمْ سواءٌ أَسَرُّوا القَوْلَ أَوْ جَهَرُوا[3]
بِيضُ الوجوهِ يَجُنُّ اللَّيْلُ إنْ رَكِبُوا … إلى الوغَى ويُضِئُ الصُّبْحُ إنْ سَفَرُوا
تَسْعَى لأَبْوابِهِمْ[4] قُصّادُ مالِهِمُ … وجاهِهِمْ زُمَرًا فى إِثْرِها زُمَرُ
تَسابَقُوا فى العُلا سَبْقَ الجِيادِ لَهُمْ … مِنَ الثناءِ الحُجولُ البِيضُ والغُرَرُ
وَكلُّ شىءٍ سَمِعْنا مِنْ مناقِبِهِمْ … فَمِنْ مَناقِبِ عِزِّ الدِّينِ مُخْتَصَرُ
مَوْلًى تَلَذُّ لنا أَخْبارُ سُؤْدُدِهِ … كَأَنَّ أَخْبارَهُ مِنْ حُسْنِها سَمَرُ
فلَوْ أَدارَتْ سُقاةُ الرَّاحِ سِيرَتَهُ … عَلَى النَّدامَى وحَيَّوْهُمْ بِها سَكِرُوا
يا حُسْنَ ما يَجْمَعُ الدُّنيا ويُنْفِقُها … كالبَحْرِ يَحْسُنُ منه الوِرْدُ والصَّدَرُ
لِكُلِّ شَرْطٍ جَزاءٌ مِنْ مَكارِمِهِ … وكُلُّ مُبْتَدَإٍ منها له خَبَرُ
فما نَظَمْتُ مدِيحًا فيهِ مُبْتَكَرًا … إلاّ أَتانِى جُودٌ[5] منه مُبْتَكَرُ
صَدَقْتُ فى مَدْحِهِ فازْدادَ رَوْنَقُهُ … فما عَلَى وجْهِهِ مِنْ رِيبَةٍ قَتَرُ

---

(١) د : الأخبار. (٢) ت : نضرته . (٣) ت : أم .
(٤) ت : لأموالهم . (٥) د : جواد .

أغْنَتْ عَطاياهُ فقْرَ الناسِ كلِّهِمِ ... فسَلْهُمُ عَنْهُ إنْ قَلُّوا وَ إنْ كَثُرُوا
لِذاكَ أثْنَوْا عليه بالذِى عَلِمُوا ... خيرًا فياحُسْنَ ماأثْنَوا وماشَكَرُوا
قالوا وجَدْناهُ مِثْلَ الكَرْمِ فِى كَرَمٍ ... يَفِىءُ منه علينا الظِّلُّ والثَّمَرُ
وما يَزالُ يُعِينُ الطائعِينَ إذَا ... تَطَوَّعُوا بِجَمِيلٍ، أَوْ إذا نَذَرُوا
وَمَنْ أعانَ أُولِى الطاعاتِ شارَكَهُمْ ... فى أَجْرِ ما حَصَرُوا منه وما تجَرُوا
فما أَتَى الناسُ مِنْ فَرْضٍ وَمِنْ سُنَنٍ ... فِفِى صَحِيفَتِهِ الغَرَّاءِ مُسْتَطَرُ
َفحَجَّ وهْوَ مُقِيمٌ والحِجازُ به ... قَوْمٌ يُقِيمُونَ لاحَجُّوا ولااعْتَمَرُوا
وَجاهَدَتْ فى سبيلِ اللهِ طائفةٌ ... وخَيْلُها منه والهِنْدِيَّةُ البُتُرُ
وَأطْعَمَ الصَّائمِينَ الجائعِينَ وَمِنْ ... فَرْطِ الخَصاصة فى أكْبادِهِمْ سُعُرُ
ولَمْ تَفُتْهُ مِنَ الأوْرادِ ناشئَةٌ ... فى لَيْلَةٍ قامَ يُحْيِيها وَلا سَحَرُ
يَطْوِى النَّهارَ صِيامًا وهْوَ مُضْطَرِمٌ ... وَاللَّيْلَ يَطْوِى قِيامًا وهْوَ مُعْتَكِرُ
ومالُهُ فى زَكاةٍ كلُّهُ نُصُبٌ ... لا الخُمْسُ فيه لَهُ ذِكْرٌ ولا العُشُرُ
أعمالُهُ كلُّها للهِ خالِصَةٌ ... ونُصْحُهُ لم يُخالِطْ صَفْوَهُ كَدَرُ
كم عادَ بَغْىٌ عَلَى قومٍ عليه بَغَوْا ... وحاقَ مَكْرٌ بأقْوامٍ به مَكَرُوا
لَمْ يَخْفَ عَنْ عِلْمِهِ فِى الأرضِ خافِيَةٌ ... كأنَّهُ لِلْوُجُودِ السَّمْعُ والبَصَرُ
فلا يَظُنَّ مُرِيبٌ مِنْ جهالَتِه ... بأنّ فى الأرضِ شىءٌ عنه يَسْتَتِرُ
عَصَتْ عليه أُناسٌ لاخَلاقَ لَهُمْ ... الشُّومُ شِيمَتُهُمْ واللُّؤْمُ والدَّبَرُ
تَلَثَّمُوا ثمَّ قالوا: إننا عَرَبٌ ... فقلتُ لا عَرَبٌ أنتمْ وَلا حَضَرُ
ولا عُهُودٌ لكمْ تُرْعَى ولا ذِمَمٌ ... ولا بُيُوتُكُمُ شَعَرٌ وَلا وَبَرُ

وَأىُّ بَرِيَّةٍ فيها بيُوتُكُمُ ... وَهلْ هِىَ الشَّعْرُ قولوا لِى أَمِ المَدَرُ ؟
وَليسَ يُنْجِى امْرَأً رامُوا أَذِيَّتَهُ ... منهمْ فِرارٌ فقُلْ كَلَّا ولا وَزَرُ
يَشْكُو جميعُ بنِى الدُّنيا أَذِيَّتَهُمْ ... فهمْ بِطُرْقِهِمُ الأحجارُ والُحفَرُ
يرَوْنَ كلَّ قَبيحٍ منْهُمُ حَسَنًا ... وَلَمْ يُبالُوا أَلامَ الناسُ أَمْ عذَرُوا ؟
مِنْ لُؤْمِ أَحْسابِهِمْ إنْ شاتَمُوا رَبِحوا ... وَمِنْ حَقارَتِهِمْ إنْ قاتَلوا خَسِروا
لَمَّا علِمْتَ بأَنَّ الرِّفْقَ أَبْطَرَهمْ ... والمُفْسِدُون إذا أَكْرَمْتَهُمْ بَطِرُوا
زَجَرْتَهُمْ بعقوباتٍ مُنَوَّعَةٍ ... وفى العقوباتِ لِلطاغِينَ مُزْدَجَرُ
كأَنهم أَقْسَمُوا باللهِ أنهمُ ... لا يَتْرُكونَ الأذى إلَّا إذَا قُهِرُوا
فَمَعْشَرٌ رَكِبُوا الأَوْتادَ[1] فانقطعَتْ ... أَمعاؤُهم فتَمَنَّوْا أَنَّهمْ نُحِرُوا
وَمَعْشَرٌ قُطِعَتْ أَوْصالُهُمْ قِطَعًا ... فما يُلفِّقُها خَيْطٌ ولا إبَرُ
ومَعْشَرٌ بالظُّبا طارتْ رُءُوسُهُمُ ... عَنِ الُجسومِ فقُلْنَا إنها أُكَرُ
وَمَعْشَرٌ وُسِّطُوا مثْلَ الدِّلاءِ وَلَمْ ... تُرْبَطْ حِبالٌ بها يَوْمًا ولا بَكَرُ
وَمَعْشَرٌ سُمِّروا فوْقَ الجيادِ وقدْ ... شُدَّتْ جُسومَهُمُ الأَلواحُ وَالدُّسُرُ
وآخَرُونَ فَدَوْا بالمالِ أَنفُسَهُمُ ... وقالتِ الناسُ خَيْرٌ مِنْ عَمًى عَوَرُ
مَوْتاتُ سَوْءٍ تَلَقَّوْها بما صَنَعُوا ... وَمِنْ وَراءِ تَلَقِّيهِمْ لها سَقَرُ
وَقد تَأَدَّبَتِ المُسْتَخْدَمون بهم ... والغافلون إذَا ما ذُكِّرُوا ذَكَرُوا
فعَفَّ كلُّ ابنِ أُنْثى عَنْ خِيانتِه ... فلَمْ يَخُنْ نفسَهُ أُنثَى وَلا ذَكَرُ

---

(١) د : الأوتار.

إنْ كانَ قد صَلَحَتْ مِنْ بعْدِ ما فَسَدَتْ … أحوالُهُمْ بِكَ إنَّ الكَسْرَ يَنْجَبِرُ
لَوْلاكَ ما عَدَلُوا مِنْ بَعْدِ جَوْرِهِمُ … عَلَى الرَّعايا وَلا عَفُّوا وَلا انْحَصَرُوا
ولا شَكَرْتَهُمُ مِنْ بَعْدِ ذَمِّهِمُ … كأنهم آمَنُوا مِنْ بَعْدِ ما كَفَرُوا
وكُنْتُ وصَّيْتُهُمْ أنْ يَحْذَروكَ كما … وصَّى الحكيمُ بَنِيهِ وَهْوَ مُحْتَضَرُ
وقلتُ لا تَقْرَبوا مالًا حَوَتْ يَدُهُ … فالفَخُّ يَهْرُبُ منه الطائرُ الحَذِرُ
وحاذِرُوا معه أنْ تَرْكَبُوا غَرَرًا … فليسَ يُحْمَدُ مَنْ مَرْكُوبُهُ الغَرَرُ
ولا تَصَدَّوْا لِما لمْ يَرْضَ خاطِرُهُ … إنَّ التَّصَدِّى لِما لمْ يَرْضَهُ خَطَرُ
فبَانَ نُصْحِي لهُمْ إذ ماتَ ناظِرُهُمْ … وَقد بَدَتْ لِلْوَرَى فِي مَوْتِهِ عِبَرُ
مُقَدِّماتٌ : أماتاهُ وأَقْبَرَهُ … مَشا عليَّانِ ما أدَّوْا وَلا نَصَرُوا
وجَرَّسُوهُ عَلَى النَّعْشِ الذى حَمَلُوا … مِنَ الفِراشِ إلَى القَبْرِ الذى حَفَرُوا
يا سُوءَ ما قَرَءوا مِنْ كلِّ مُخْزِيَةٍ … عَلَى جِنازَتِهِ جَهْرًا وما هَجَرُوا
وَكَبَّرُوا بَعْدَ تَصْغِيرِ جَرائِمَهُ … وَقَبَّحُوا ما طَوَوْا منها وما نَشَرُوا
وكانَ جَمَّعَ أمْوالًا وَعَدَّدَها … وظَنَّها لِصُروفِ الدَّهْرِ تُدَّخَرُ
فآذَنَتْ بِزَوالٍ عنه مُسْرِعَةً … كما يَزُولُ بِحَلْقِ العانَةِ الشَّعَرُ
وراحَ مِنْ خِدْمَةٍ صِفْرَ اليَدَيْنِ فقُلْ … لِلْعامِلِينَ عليها بَعْدَهُ اعْتَبِروا
ماعُذْرُ ماشٍ مَشَى بالظُّلْمِ فى طُرُقٍ … رَأَى المُشاةَ عليها بَعْدَهُ عَبَرُوا
إذا تفَكَّرْتَ فى المُسْتَخْدَمِينَ بَدَا … منهم لِعَيْنَيْكَ مالم يُبْدِهِ النَّظَرُ
ظَنُّوهُمُ عَمَرُوا الدُّنيا بِبَذْلِهِمُ … وَإنما خَرَّبُوا الدُّنيا وما عَمَرُوا
فطَهِّرِ الأرضَ منهمْ إنهمْ خَبَثٌ … لوْ يَغْسِلُونَهُمُ بالبحرِ ما طَهُرُوا

نيرانُ شَرٍّ كَفانا اللهُ شَرَّهُمُ ... لا يَرْحَمُونَ ولا يُبْقونَ إِنْ ظَفِرُوا
فاحذَرْ كِبارَ بَنِيهِم إنهمْ قُرُمٌ ... وَاحذَرْ صِغارَ بَنِيهِمْ إنهم شَرَرُ
فالفيلُ تَقْتُلُهُ الأَفْعَى بِأَصْغَرِها ... فيهـا ولم تخشَهُ[(١)] مِنْ سِنِّهَا الصِّغَرُ
واضْرِبْهُمُ بِقَنًا[(٢)] مثلِ الحديدِ بهمْ ... فليسَ من غيرِ ضَرْبٍ يَنْفَعُ الزُّبُرُ
ولا تَثِقْ بِوفاءٍ مِنْ أخِي حُمُقٍ ... فالحُمْقُ داءٌ عَياءٌ بُرْؤُهُ عَسِرُ
مِنْ كلِّ مَنْ قَدْرُهُ فِي نَفْسِهِ أَبَدًا ... مُعَظَّمٌ وهْوَ عنـدَ الناسِ مُحْتَقَرُ
يَصُدُّ عنكَ إذَا اسْتَغْنَى بِجانِبِهِ ... ولا يَزُورُكَ إِلَّا حِينَ يَفْتَقِرُ
كأنه الدَّلْوُ يَعْلو حينَ تَمْلَؤُهُ ... ماءً وَيُفرِغُ مافيـهِ[(٣)] فَيَنْحَدِرُ
والدَّهْرُ يرْفعُ أطْرافاً كما رَفَعَتْ ... أذْنابَها لِقَضاءِ الحاجَـةِ البَقَرُ
حَسْبُ المَحَـلَّةِ لَمَّـا زالَ ناظِرُها ... أنْ زالَ مُذْ زالَ عنها البُؤْسُ والضَّرَرُ[(٤)]
وَأنَّ أعمالَهَا لَمَّـا حَلَلْتَ بها ... تَغارُ مِنْ طيبِها الجَنَّاتُ والنَّهَرُ
وأَهْلَها فى أمانٍ مِنْ مَساكِنِها ... مِنْ فَوْقِهِمْ غُرَفٌ مِنْ تَحْتِهِمْ سُرُرُ
مَلأْتَ فيها بُيُوتَ المَالِ مِنْ ذَهَبٍ ... وَفِضَّةٍ صُبَرًا ياحبَّذَا الصُّـبَرُ[(٥)]
وَالمَالُ يُجْنَى كما يُجْنَى الثِّمارُ بها ... حتى كأنَّ بَنِي الدُّنيا لهـا شَجَرُ
وَتابَعَتْ بعضَها الغَلاتِ فى سَفَرٍ ... بعضًا إلَى شُوَنٍ[(٦)] ضاقَتْ بها الحُدُرُ
وَسِيقَتِ الخيلُ لِلْأبواب مُسْرَجَةً ... لَمْ تُحْصَ عَدًّا وتُحْصَى الأَنْجُمُ الزُّهُرُ
وَالهُجْنُ تَحْسِبُها سُحْبًا مُفَوَّفَةً[(٧)] ... فى الحَقِّ منها فضاءُ الجوِّ مُنْحَصِرُ

---

(١) د : تغشه . (٢) د : بقنقع . ت : بثنى . ونظن الصواب ما أثبتناه .
(٣) د : فيفرغ بما فيه. (٤) ت : البأس. (٥) يقال اشترى الشيء صُبرة : أى بلا وزن ولا كيل .
(٦) د : شؤون . (٧) مفوف : فيه خطوط بيض .

وكلُّ مُقْتَرَحٍ ما دارَ فى خَلَدٍ … يأْتِى إليـكَ به فى وقتِهِ القَدَرُ
وما هَمَمْتَ بِأَمْرٍ غير مَطْلَبِهِ … إلاَّ تَيَسَّرَ مِنْ أسبابِهِ العَسِرُ
والعاملونَ عَلَى الأموال ما عَلِمُوا … مِنْ أىِّ ما جهَةٍ يأْتى وما شَعَرُوا
وما أُرَى بَيْتَ مالِ المسلمينَ دَرَى … مِنْ أينَ تأْتى لهُ الأكياسُ والبِدَرُ
هذا وما أَحَدٌ كلَّفْتَهُ شَطَطًا … بمَا فَعَلْتَ كأنَّ الناسَ قد سُحِرُوا
بلْ زادَهمْ فيكَ حُبًّا ما فَعَلْتَ بهِمْ … مِنَ الجميلِ وَذَنْبُ الحبِّ مُغْتَفَرُ
فإنْ شَكَوْا بغْضَةً مِمَّنْ مَضَى سَلَفَتْ … فما لِقَلْبٍ عَلَى البَغْضاءِ مُصْطَبَرُ
فالصَّبْرُ مِنْ يَدِ مَنْ أحبَبْتَهُ عَسَلٌ … وَالشَّهْدُ مِنْ يَدِ مَنْ أبْغَضْتَهُ صَبِرُ
لقد جُبِلْتَ عَلَى عَدْلٍ وَمَعْرِفَةٍ … سارَتْ بفضلِهما الأمثالُ والسِّيَرُ
فما حَكَمْتَ بمَكْروهٍ عَلَى أحَدٍ … حُكْمًا يُخَالِفُهُ نَصٌّ وَلا خَبَرُ
رُزِقْتَ ذُرِّيَّةً ضاهتْكَ طَيِّبَةً … مِنْ طِينَةٍ غارَ مِنها العَنْبَرُ العَطِرُ
فلْيَهْنِكَ اليومَ منها الفضلُ حينَ غدا … دِينُ الإلٰهِ بِسَيْفِ الدِّينِ مُنْتَصِر
عَلَى صفاتِكَ دلَّتْنا نَجابتُهُ … وَبانَ مِنْ أينَ ماءُ الوَرْدِ يُعْتَصَر
ميزانُهُ فى التُّقَى ميزانُ مَعْدَلَةٍ … وَحِكْمَةٍ لاصَغًى(١) فيها وَلا صِغَر
مَشَى صِراطًا سَوِيًّا مِنْ دِيانَتِه … فما يَزالُ بأمرِ اللهِ يَأْتَمِر
تُرْضِيكَ(٢) فى اللهِ أعمالٌ وتُغضِبُهُ … وَما بَدا لِىَ أمْرٌ مِنْكُما نُكُر
قالتْ لِىَ الناسُ ماذا الخُلْفُ؟ قلتُ لهمْ: … كما تَخالَفَ موسَى قَبْلُ والخَضِرُ
أما عَصَى أمرَ موسى عِنْدَ سَفْكِ دَمٍ … مافى شَرِيعَةِ موسى أنه هَدَرُ

---

(١) صغى : نقص . يقال : أصغى الشىء ، بمعنى نقصه .
(٢) ت : ترضيه .

وقد تعاطى ابنُ عفَّانٍ لِأُسرَتِهِ وما تَعاطَى أبو بَكْرٍ ولا عُمَر
ولَنْ يَضيرَ أُولِى التَّقْوَى اختلافُهُمُ وهم على فِطْرَةِ الإسلامِ قد فُطِرُوا
مُشَمِّرٌ فى مَراعِى اللهِ مجتهدٌ وبالعَفافِ وَتَقْوَى اللهِ مُؤْتَزِرُ
زانَ اللَّيالىَ وَالأَيامَ إذْ بَقِيَتْ كأنها غُرَرٌ فى إثْرِها طُرَرُ
وقَعْتُ بَينَ يَدَيْهِ مِنْ مَهابَتِه وَقالتِ الناسُ مَيْتٌ مَسَّهُ كِبَرُ
وَقَصَّرَتْ كلماتى عَنْ مَدَائحهِ وقد أتيتُ مِنَ الحالَيْنِ أعتَذِرُ
فاقْبَلْ بِفَضْلِكَ مَدْحاً قد أتاكَ به شيخٌ ضعيفٌ إلى تَقْصِيرِهِ قِصَرُ
فما عَلَى الْقَوْسِ مِنْ عَيْبٍ تُعَابُ به إنِ انْحَنَتْ وَاستقامَ السَّهْمُ والوَتَرُ
وَالبُسْ ثَناءً أجادَتْ نَسْجَهُ فِكَرٌ يَغارُ فِى الحُسْنِ منه الوَشْىُ والحِبَرُ
مِنْ شاعرٍ صادِقٍ ما شانَهُ كَذِبٌ فيما يقولُ ولا عِىٌّ وَلا حَصَرُ
يَهِيمُ فى كلِّ وادٍ مِنُ مَدائِحِهِ عَلَى معانٍ أضَلَّتْ حُسْنَها الفِكَرُ
لاينْظِمُ الشِّعْرَ إلاَّ فى المَدِيحِ وَما غيرُ المَدِيحِ لَهُ سُؤْلٌ وَلا وَطَرُ
ما شاقَهُ لِغَزالٍ فى الظِّبا غَزَلٌ وَلا لِغَانِيَةٍ فى طَرْفِها حَوَرُ
مَدِيحُهُ فيكَ حُرٌّ ليسَ يَمْلِكُهُ مِنَ الجوائِزِ أثْمانٌ وَلا أُجَرُ
إنَّ الأَديبَ إذا أهدَى كَرائِمَهُ فَقَصْدُهُ شَرَفُ الأنسابِ لا المَهَرُ
تَبًّا لِقَوْمٍ قد استغنَوْا بما نَظَمُوا مِنِ امْتِدَاحِ بَنِى الدُّنيا وَما نَثَرُوا
فلوْ قَفَوْتُ بِأَخْذِ المالِ إثْرَهم لَعوَّقتْنى القَوافِى فيكَ والفِقَرُ
خيرٌ مِنَ المالِ عِنْدِى مَدْحُ ذِى كَرَم ذِكْرِى بِمَدْحِى لهُ فى الأرضِ يَنتشِرُ

فالصُّفرُ منْ ذَهَبٍ عِندِي وإنْ صفِرَتْ ... يَدِي وَ إنْ غَنيَتْ سِيَّانِ والصُّفرُ
بَقِيتَ ماشِئْتَ فيما شِئْتَ مِنْ رُتَبٍ ... عَلِيَّةٍ عُمُرُ الدُّنيا بِها عَمِرُوا
وَبلَّغَتْكَ اللَّيـــالِي ما تؤَمِّلُهُ ... وَلا تَعَدَّتْ إِلَى أَيَّامِكَ الغِيَرُ
وَقد دَعَتْ لكَ مِنِّي كُلُّ جارِحَةٍ ... وبالإِجابَةِ فضْلُ اللهِ يُنتظر

وقال[(١)] :

جِوَارُكَ[(٢)] مِنْ جَوْرِ الزَّمانِ يُجِيرُ ... وَبِشْرُكَ لِلرَّاجِي نَداكَ بَشِيرُ
فَضَلْتَ بَنِي الدُّنْيا فَفضلُكَ أوَّلٌ ... وَأولُ فضـــلِ الأَوَّلِين أخِيرُ
وَأنتَ هُمامٌ دَبَّرَ المُلْكَ رَأْيُهُ ... خَبِيرٌ بأَحْوالِ الزَّمانِ بَصِير
إذَا المَلِكُ المَنْصُورُ حاوَلَ نَصْرَهُ ... كَفَى المَلِكَ المَنْصُورَ منكَ نَصِير
فلاَ تُنْسِهِ الأَيَّامُ ذِكْرَكَ إنهُ ... به فَرِحٌ بينَ المـــلوكِ فخُور
إِذا مَرَّ فى أَرْضٍ بِجَيْشٍ عَرَمْرَمٍ ... تـــكادُ لهُ أُمُّ النُّجُومِ تَمُور
وَتَحْسِبهُ قد سارَ يَرْمِي بُرُوجَها ... بِخَيْلٍ عليهـــا كالبروجِ يُغِير
وَما قَلْبُها مِمَّا يَقِرُّ خُفُوقُهُ ... وَلا طَرْفُها حتى يعـــودَ قَرِير
سواءٌ عليـــه خَيْلُه وَرِكابُهُ ... وَسَرْجٌ إذا جابَ الفَلاَةَ وَكُورُ
لقد جَهِلَتْ داوِيَةُ الـــكُفرِ بَأْسَهُ ... وَغَرَّهُمُ بالمســـلمينَ غَرُورُ
فلا بُورِكُوا مِنْ إخْوَةٍ إنَّ أُمَّهُمْ ... وَإنْ كَثُرَتْ منها البَنُونَ نَزُورُ

---

(١) ت . وقال رضى الله تعالى عنه من الطويل .

(٢) هذه القصيدة نظمها الشاعر فى مدح الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى ، بمناسبة بنائه المارستان المنصورى الكبير ، ومدرسة الحديث والقبة سنة ٦٨٤ هـ .

[فَإِنْ غَلُظَتْ مِنْهُمْ رِقَابٌ لِبُعْدِهِ ... فَما انْحَطَّ عَنْها لِلْمَذَلَّةِ نِيرُ](١)

[أَلَمْ تَعلَمُوا أَنا نُواصِلُ إِنْ جَفَوْا ... وأَنَّا على بعـــد المزار نَزُور]

يَظُنُّونَ خَيلَ المُسلمينَ يَصُدُّها ... عَنِ العَدْوِ فى أرضِ العَدُوِّ دُحُورُ

أَما زُلْزِلَتْ بالعادِياتِ وَجاءها ... مِنَ التُّرْكِ جَمٌّ لا يُعَدُّ غَفِيرُ

أَتَوْا بِطِمرَّاتٍ مِنَ الجُرْدِ سُيِّرَتْ ... وَرَجْلٍ لَهُمْ مِثْلُ الجَرادِ طُمُورُ(٢)

فَلَمْ يَرْقُبوا مِنْ صَرْحِ هامانَ مَرْقَباً ... بِهامَتِهِ بَرْدُ السَّـــحابِ بَـكُورُ(٣)

وصُبَّ عليهم عارضٌ مِنْ حِجارَةٍ ... ونَبْلٍ وكُلٌّ بالعَذابِ مَطِيرُ

وسامُوهُ(٤) خَسفًا مِنْ نقوبٍ كَأَنَّها ... أثافٍ(٥) لها تلْكَ البُرُوجُ قُدُورُ

فَذاقُوا به مُرَّ الحِصـــارِ فأَصْبَحُوا ... لهمْ ذلك الحِصْنُ الحصينُ حَصيرُ(٦)

يَصِيحُونَ أعلى السُّورِ خَوْفًا كَصافِنٍ(٧) ... نَفَى عنــه نَوْمَ المُقْلَتَيْنِ صَفِيرُ

وماذا يَرُدُّ السُّورُ عنهم وخلفَهُ ... مِنَ الخيْلِ سُورٌ والصَّوارِمِ سُورُ

وَليسَ لهمْ إلّا إلى الأَسْرِ مَلْجَأٌ ... وَإلَّا إلى ضَرْبِ الرِّقابِ مَصـير

فلما أحَسُّوا بَأسَ أغْلَبَ هِمَّةٍ ... غَدُوٌّ إليهم بالرَّدَى وَبَـكُور

دَعَوْهُ وشَمْلُ النَّصْرِ منهم مُمَزَّقٌ ... أمانًا وجِلْبابُ الحيـــاةِ بَقِير(٨)

---

(١) هذان البيتان زيادة فى النسخة التيمورية . (٢) رجل ، جمع راجل ، وهو ضد الفارس . الطمور : الذهاب فى الأرض والمقصود هنا سرعة الحركة والانتقال .

(٣) برد السحاب : أى السحاب المصحوب بالبرد . (٤) ساموه : أذاقوه .

(٥) أثاف : جمع إثفية ، وهى الأحجار التى توضع عليها القدر. (٦) حصير : المحبس .

(٧) الصافن من الخيل : القائم على ثلاث قوائم ، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر .

(٨) بقير : مشقوق .

أعارَهُمُ أفْرَنْسِيسُ تِلْكَ وَسِيلَةً رأى مُسْتَعِيرًا غِبَّها وسَعِير
فَدَى نفسَهُ بالمالِ والآلِ وَانْثَنى تَطيرُ به مِنْ حيثُ جاءَ طُيُور
فلاتَذْكُرُوا ما كانَ بالأَمْسِ منهمُ فذاكَ لأَحْقادِ السُّيُوفِ مُثِير
فلو شاءَ سُلْطانُ البَسِيطَةِ ساقَهُمْ لِمصْرٍ وتَحْتَ الفارِسَيْنِ بَعِير
تُبَشَّرُ مِصرٌ دائما بِقُدُومِهِمْ إذا فصَلَتْ[(١)] منهم لغَزَّة عِير
تَسُرُّهمْ عنـد القفولِ بِضاعَةٌ وَتَحفَظُ منهمْ إِخْوَةً وَتَمِير[(٢)]
ولو شاء مَدَّ النِّيـلَ سَيْلُ دمائِهِمْ وَرَفَتْ[(٣)] نُحُورٌ ماءَهُ وسُحُورُ[(٤)]
بِعِيدٍ كَعِيدِ النَّحْرِ ياحُسْنَ مايُرَى به مِنْ عُلوجٍ كالعُجُولِ جَزُور
وَلـكنه مِنْ حِلْمِهِ وَاقْتِدارِهِ عَفُوٌّ عَنِ الذَّنْبِ العظيمِ غفورُ
وَلَمْ يُبْقِهِمْ إلاَّ خَمِيرًا[(٥)] لِمثلها مَليكٌ يَجُبُّ الرَّأْىَ وَهْوَ خَبِـير
يَرَى الرَّأْىَ مُزَّ الرَّاحِ يهْوَى عَتيقَهُ وَيُـكْرَهُ منه الحُلْوُ وَهْوَ عَصِـير
فَوَلَّوْا وَسوءُ الظَّنِّ يَلْوِى وُجُوهَهُمْ فَتَحْسِبُها صُورًا وماهِى[(٦)] صُور
وقد شَغَرَتْ مِنهمْ حُصونٌ أواهِلٌ وما راعها مِنْ قبـلِ ذاكَ شُغُور
فَـلِلّهِ سلطانُ البسـيطَةِ إنهُ مَليكٌ يَسـيرُ النَّصْرُ حيثُ يسير
وَيُغْمِدُ فى هامِ الملوكِ حُسامَهُ ويَرْهَبُ مِنْ هامِ المُـلوكِ غَفير
ويَجْمَعُ مِنْ أَشْلائِهِمْ مُتَفَرِّقًا بِصارِمِهِ جَمْعَ الهَشِيمِ حَظِير[(٧)]

---

(١) فصل من البلد ، خرج منها . (٢) تمير : تجلب لهم الطعام .
(٣) ت : وزفت . (٤) ت : صخور . ورفت : مصت ، والنحور ، جمع نحر ، وهو أسفل الحلق . وسحور جمع سحر بفتح السين ، وهى الرئة .
(٥) د : حميرا . (٦) ما : ساقطة من د . (٧) الحظير : يريد الحظيرة التى تعمل للدواب ونحوها .

فَأَخْلِقْ بأَنْ يَبْقَى وَيَبْقَى لِمُلْكِهِ ثَنَاءٌ حَكَاهُ عَنْبَرٌ وعَبِيرُ
وتأتيه خَيْلُ اللهِ منْ كُلِّ وِجْهَةٍ يُؤَيِّدُ منها بالنفير نفيرُ
وَيَحملَ كَلَّ المُلْكِ عنه وَإِصْرَهُ[1] حَرِيٌّ بتَدْبِيرِ الأُمورِ جَدِيرُ
أخُو عزَماتٍ فالبَعِيدُ منَ العُلا لَديْهِ قرِيبٌ والعسيرُ يَسِيرُ
تَكادُ إذا ما أُبْرِمَتْ عزَماتُهُ لها الأَرضُ تُطْوَى وَالجِبالُ تَسِيرُ
دَعَانى إلَى مَغْنَاهُ داعٍ وَليسَ لِى جَنَانٌ عَلَى ذاكَ الجَنابِ جَسورُ
فقلت له دَعْنِى وَسَيْرِى لِماجِدٍ لَهُ اللهُ فى كُلِّ الأُمورِ يُجِيرُ
إذا جئْتُهُ وَحْدِى يقُومُ بِنُصْرَتى قبائِلُ منْ إقبالِهِ وعَشِيرُ
فَتًى أبْدَتِ الدُّنيا عواقِبَها لَهُ وَأَفْضَتْ بما فيها لَدَيْهِ صُدُورُ
فَغَفَلَتُهُ منْ شِدَّةِ الحَزْمِ يَقْظَةٌ وَغَيْبَتُهُ عَمَّا يُرِيدُ حُضُورُ
وما كُلُّ فضلٍ فيهِ إلَّا سَجِيَّةٌ يُشارِكُ فيها ظاهرٌ وضَميرُ
فليسَ له عندَ النِّزالِ مُحَرِّضٌ وليس له عند النوال سفير
هُوَ السَّيْفُ فاحذرْ صَفْحَةً لِغرارِهِ[2] فَبَيْنَهُما لِلَّامِسِينَ غُرورُ[3]
مَهِيبٌ وَهُوبٌ لِلْمُحاوِلِ جُودَهُ جَوادٌ ولِلَّيْثِ الهَصُورِ هَصُورُ
إشاراتُهُ فيما يَرومُ صَوارِمٌ وساعاتُهُ عما يَسَعْنَ دُهورُ
إذا هَجرَ الناسُ الهجيرَ لِكَرْبِهِمْ يَلَذُّ لَهُ أَنَّ الزَّمانَ هَجِيرُ

---

(١) الإصر . الـكل : العبء ، ومثلها .

(٢) غرار السيف : حده . (٣) يقصد بالغرور : الهلاك .

وَهلْ يَتَّقِى حَرَّ الزَّمانِ ابنُ غادَةٍ ... جَليـــلٌ عَلَى حَرِّ الزَّمانِ صَبُور
يُحاذِرُهُ المَوْتُ الزُّؤَامُ إذا سطا ... ولـكنه مِنْ أنْ يُلامَ حَذُور
وتَسْتَهْوِنُ[1] الأهوالَ فى المَجْدِ نفسُهُ ... وتَسْتَحْقِرُ المَوْهُوبَ وهْوَ خَطير
مَـكارِمُهُ لَمْ تُبْقِ فَقْرًا ورَأْيُهُ ... إلى بعضِه أغنَى المـلوكِ فقير
كَفَتْهُ سُطاهُ أنْ يُجَهِّزَ عَسْـكرًا ... وآراؤُهُ أنْ يُسْتَشارَ وَزِير
فواطَنَ أطْرافَ البَسِيطَةِ ذِكْرُهُ ... وصِينَتْ حُصونٌ باسمِهِ وثُغُور
مُحَيَّاهُ طَلْقٌ باسِمٌ رَوْضُ كَفِّهِ ... أرِيضٌ وماءُ البِشْرِ منــه نَمِير[2]
حَكَى البحرَ وصْفًا مِنْ طهارَةِ كَفِّهِ ... فقيلَ لهُ مِنْ أجْلِ ذاكَ طَهُور
وَما هُوَ إلَّا كِيمِياءُ سعادَةٍ ... وَوَصْفِى لتلكَ الـكِمياءِ شُذُورُ
بها قامَ شِعْرِى لِلْخَلاصِ[3] فما أرَى ... لِشعْرِى امْتِحانَ الناقِدِينَ نَصِير[4]
وَرُبَّ أدِيبٍ ذِى لِسانٍ كَمِبْرَدٍ[5] ... بَدا مِنْ فَمٍ كالـكِيرِ أوْ هُوَ كِيرُ
أرادَ امْتِحانًا لِى فَزَيَّفَ لَفْظَهُ ... نَتانٌ[6] بَدا مِنْ نَظمِهِ وخَرِير[7]
إذَا ما رَآنى عافَنِى وَاسْتَقَلَّنِى ... كأَنِّى فى قَعْرِ الزُّجاجَةِ سُور[8]
وَيُعْجِبُهُ أنِّى نَحِيفٌ وأنه ... سَمِينٌ يَسُرُّ الناظِرِينَ طَرِير[9]

(١) تعدها هينة .
(٢) النمير : الناجع من الماء، عذبا كان ، أو غير عذب .
(٣) د : لا خلاصى .
(٤) كذا فى الأصل .
(٥) د : مكرر .
(٦) نتن كـكرم وضرب نتانة وأنتن فهو منتن . ولم نجد النتان بغيرهاء . وهى عامية .
(٧) الخرير : صوت الماء والريح .
(٨) سور أصلها سؤر ، وهو ما يتبقى من الشارب فى الإناء .
(٩) الطرير : ذو المنظر الحسن .

وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الدُّرَّ يَصْغُرُ جِرْمُهُ   وَمِقْدارُهُ عِنْـدَ الملوكِ خطير

فقامَ بِنَصْرِى دونَهُ ذُو نَباهَةٍ   حَلِيمٌ إذا خَفَّ الحليمُ وَقُور

وَلا جَوْرَ فى أحْكامِهِ غَيْرَ أنه   عَلَى الخائنينَ الجائرينَ يَجُورُ

فلاَ تَنْظُرِ الْعُمَّالُ لِلْمالِ إنَّهُ   عَلَى بَيْتِ مالِ المسْلِمِينَ غيُورُ

وأنَّ عَذابَ المُجْرِمِينَ بِعَدْلِهِ   طويلٌ وعُمْرَ الخائنينَ قَصِير

لهُ قَلَمٌ بالبأسِ يَجْرِى وَبالنَّدَى   فَفِى جانِبَيْهِ جَنَّةٌ وَسَعِير

تُحَلِّى الطُّرُوسَ العاطِلاَتِ سطورُها   كما تَتحلَّى بالعُقُودِ نُحـور

أُجَلِّى لحاظِى فى خمائِلِ حُسْنِهِ   فَمِنْ حيرَةٍ لَمْ تَدْرِ كيفَ تَحُور

عَلا بعضُه فى القدْرِ بعضاً كما علا   مَعَ الحسْنِ زَهْرٌ فى الرِّياضِ نَضِير

حَكَى حَسناتٍ فى صحائِفِ مُؤْمِنٍ   يُسَرُّ كَبِيرىٌّ بهـا وَصَغِير

فـكانتْ شُكُولاً منه زانتْ حروفُهُ   حِساً باقَلَتْ(١) منهُ الصِّحاحَ كُسور

فقلتُ وَقد راعتْ بِفَصْلِ خِطابِهِ   وراقَتْ عُيُونَ الناظِرِينَ سُطُور

لِئِنْ جاءهم كالغَيْثِ مِنْهُ مُبَشِّراً .   لقد جاءهم كالموتِ منـه نَذِير

فوَيْلٌ لِقَوْمٍ مِنْ يَراعٍ كأنهُ   خِلالٌ(٢) يَرُوعُ الأُسْدَ منه صَرِيرُ

وَلِمْ لا وَآسادُ العرينِ لِداتُهُ(٣)   يَكُونُ له مثـلُ الأُسودِ زَئير

يَغُضُّ لَدَيْهِ مُقْلَتَيْهِ ابنُ مُقْلَةٍ   كما غَضَّ مَنْ فِى مُقْلَتَيْهِ بُثُور

وَأَنَّى لَهُ لو نالَهُ مِنْ تُرابِهِ   لِيَكْحَلَ منـه مُقْلَتَيْهِ ذَرُورُ

---

(١) قلت : أبغضت . (٢) الخلال جمع خلة بكسر الخاء ، وهى جفن السيف ، والمقصود بها هنا السيف .

(٣) الأصل : لذاته ونظن الصواب ما أثبتناه .

وَقد كَفَّ عَنْ كوفيَّةٍ كَفَّ عاجزٍ ... وفيه نَظيمٌ دُرُّهُ ونَثيرُ
وَوَدَّ العَذارَى لوْ يُعَجِّلُ نِحْلَةً ... إليهنَّ مِنْ تلكَ الحُروفِ مُهُورُ
رَأى مايرُوقُ الطَّرْفَ بلْ ما يَرُوعُهُ ... فَخارَ وَذُو القَلْبِ الضعيفِ يَخُورُ
بَنى ما بَنى كِسْرَى وعادٌ وَتُبَّعٌ ... وليسَ سَواءً مُؤْمِنٌ وَكَفُورُ
ودَلَّ على تَقْوَى الإلهِ أساسُهُ ... كما دَلَّ بالوادى المُقَدَّسِ طُورُ
حِجازِيَّةٌ السُّحْبِ الثِّقالِ يَسُوقُها ... عَلَى عَجَلٍ سَوْقًا صَبًا ودَبُورُ
ومنها نُجُومٌ فى بُروجٍ مَجَرَّةٍ ... عَلَى الارضِ تَبْدُو تارَةً وتَغُورُ
تَضِيقُ بها السُّبْلُ الفِجاجُ فلا يُرَى ... بها لِلرِّياحِ العاصفاتِ مَسيرُ
فَكَمْ صَخْرَةٍ عاديَّةٍ قَذَفَتْ بها ... إليه سُهُولٌ جَمَّةٌ وَوُعُورُ
وَمِنْ عُمُدٍ فى هِمَّةِ الدَّهرِ قُوَّةٌ(١) ... وَفى باعِهِ مِنْ طُولِهِنَّ قُصُورُ
أشارَ لها فانْقادَ سَهْلاً عَسيرُها ... إليه وَما أمْرٌ عليه عسيرُ
أتَتْه بِها أنْدَى الرِّياحِ وَدونَ ما ... أتَتْهُ بها أنْدَى الرِّياحِ ثَبِيرُ
وما كانَ لَولا مالَهُ مِنْ كَرامَةٍ ... لِيَأْتِيَنا بالمُعْجِزاتِ أميرُ
لِما فيه مِنْ تَقْوَى وَعِلْمٍ وحِكْمَةٍ ... بحرٌ(٢) مَبانيهِ الثَّلاثُ تُشيرُ
فَمِئْذَنَةٌ فى الجوِّ تُشْرِقُ فى الدُّجَى ... عليها هُدًى لِلْعالَمينَ وَنورُ
وَمِنْ حَيْثُما وَجَّهْتَ وَجْهَكَ نَحْوَها ... تَلَقَّتْكَ(٣) مِنها نَضْرَةٌ وسُرُورُ

---

(١) ت : فترة .   (٢) د : بجبر .   (٣) ت : تلقاك .

يَمُدُّ إليها الحاسدُ الطَّرْفَ حَسْرَةً فَيَرْجِعُ(١) عنها الطَّرْفُ وهْوَ حَسِيرُ(٢)
فَكَمْ حَسَدَتْها فى العُلُوِّ كواكبٌ وغارَتْ عليها فى الكمالِ بُدُورُ
إذا قامَ يَدْعُو اللهَ فيها مُؤَذِّنٌ فما هُوَ إلاَّ للنُّجُومِ سَمِيرُ
فللنّاسِ مِنْ تَذْكارِهِ وأذانِهِ فَطُورٌ عَلَى رَجْعِ الصَّدَى وَسَحُورُ
وقُبَّةُ مارَستانَ ليسَ لِعِلَّةٍ(٣) عليه وإن طالَ الزَّمانُ مُرُورُ
صَحِيحُ هَواءُ للنُّفوسِ بِنَشْرِهِ مَعادٌ وَلِلعَظْمِ الرَّمِيمِ نُشُورُ
يَهُبُّ فَيَهْدِى كلَّ رُوحٍ بِجِسْمِهِ كأنَّ صَباهُ حِينَ يَنْفُخُ صُورُ(٤)
فَلَوْ تَعْلَمُ الأجسامُ أنْ تُرابَهُ مِهادُ حَياةٍ لِلْجُسومِ وَثِيرُ
لَسارَتْ بِمَرْضاها إليهِ أسِرَّةٌ وصارتْ بمَوْتاها إليهِ قُبورُ
وما عادَ يُبْلِي بعدَ ذلكَ مَيِّتاً ضَرِيحٌ وَلا يَشْكُو المَرِيضَ سَرِيرُ
بِجَنَّتِهِ وُرْقٌ تُراسِلُ ماءَهُ يَشُوقُ هَدِيلٌ منهما وَهَدِيرُ
وَقدوَصَفَتْ(٥) لِي الناسُ منها عَجائباً كأوْجُهِ غِيدٍ ما لَهُنَّ سُفُورُ
مَحاسِنُها اسْتَدْعَتْ نَسِيبِي وَمادَعا نَسِيبِي غَزالٌ قَبلَ ذاكَ غَرِيرُ(٦)
وباتَ بها قَلْبِي يُمَثِّلُ حُسْنَها لِعَيْنِي وَنَوْمِي بالسُّهادِ غَزِيرُ
وَلا وَصْفَ إلَّا أنْ يَكُونَ لِواصِفٍ وُرُودٌ عَلَى مَوْصُوفِهِ وصُدُورُ
بَدَتْ فَهِيَ عندَ الصَّالِحِيَّةِ جِلَّقٌ وفى تلْكَ جَنَّاتٌ وتلكَ قُبُورُ

---

(١) د : فرجع .
(٢) حسير : متعب ومنقطع من طول المدى .
(٣) د : بعلة .
(٤) الصور: أرواح الموتي ، قيل إنه جمع صورة .
(٥) د : وصفوا .
(٦) غرير : ساذج ، غير مجرب .

وَلَوْ فَتَحَتْ أبْوابَها لَتَبادَرَتْ مِنَ الدُّرِّ وِلْدانٌ إِلَيْهِ[1] وحُور

ومَدْرَسَةٌ وَدَّ الخَوَرْنَقُ أنه لَدَيْها حَظِيرٌ والسَّدِيرُ غَدِير

مَدِينَةُ عِلْمٍ وَالمَدارِسُ حَوْلَها قُرًى أوْ نُجُومٌ بَدْرُهُنَّ مُنِير

تَبَدَّتْ فأَخْفَى الظَّاهِرِيَّةَ نُورُها وليسَ بِظُهْرٍ للنُّجُومِ ظُهور

بِناءٌ كَأنَّ النَّحْلَ هَنْدَسَ شَكْلَهُ وَلانَتْ لهُ كالشَّمْعِ منه صُخُور[2]

بَناها حَكِيمٌ ليْسَ فى عَزَماتِهِ فُتُورٌ وَلا فيما بَناه فُتُورُ

بَناها شَدِيدُ البَأْسِ أوْحَدُ عَصْرِهِ خَلَتْ حِقَبٌ مِنْ مِثْلِهِ وعُصُور

فما صَنَعَتْ عادٌ مَصانِعَ مِثْلَهُ وَلا طاوَلَتْهُ فى البِناءِ قُصُورُ

ثَمانِيَةٌ فى الجوِّ يَحْمِلُ عَرْشَها وبعضٌ لبعضٍ فى البِناء ظَهِير

يَرَى مَنْ يَراها أنَّ رافِعَ سَمْكِها عَلَى فِعْلِ ما أعْيا المُلوكَ قَدِيرُ

وَأنَّ مَنارًا قائِمًا بإزائِها بَنانٌ إلى فضلِ الأَمِيرِ تشير

كَأنَّ مَنارَ اسْكَنْدَرِيَّةَ عنده نَواةٌ بَدَتْ والبابُ فيهِ نَقِير

بناها سَعِيدٌ فى بِقاعٍ سَعِيدَةٍ بِها سَعِدَتْ قَبْلَ المَدارِسِ دُورُ

إذا قامَ يَدْعو اللهَ فيها مُؤَذِّنٌ فما هُوَ إلاَّ للنُّجُومِ سَمِير[3]

فصارتْ بُيوتُ اللهِ آخِرَ عُمْرِها قُصورٌ خَلَتْ مِنْ سادةٍ وخُدُور

ذَكَرْنا لَدَيْها قُبَّةَ النَّسْرِ مَرَّةً فما كادَ نَسْرٌ لِلْحَياءِ يَطِير

فإنْ نُسِبَتْ لِلنَّسرِ فالطائرُ الذى لَهُ فى البُروجِ الثَّابِتاتِ وُكُور

وإلَّا فكَمْ فى الأرضِ قد مَالَ دونَها[4] إلى الأرضِ عِقْبانٌ هَوَتْ وَنُسورُ

---

(١) د : لديه .   (٢،٣) هذه الأبيات ساقطة من الديوان وواردة فى خطط المقريزي عند الكلام عن المارستان المنصورى الكبير .   (٤) د : حال .

تَبَيَّنْتُ فِي[1] مِحْرابِها وَهْيَ كَالدُّمَى ... قُدُودَ غَوانٍ كُلُّهُنَّ خُصُورُ
وقد حُلِّيَتْ منها صُدُورٌ بِعَسْجَدٍ ... وَلُفَّتْ لَها تَحْتَ الْحُلِيِّ شُعُور
بها عُمُدٌ كاثَرْنَ أيَّامَ عامِها ... وَمِنْ عامِها لَمْ يَمْضِ بعدُ شُهُورُ
مَبانٍ[2] أبانَتْ عَنْ كَمالِ بِنائِها ... وأعربَ عَنْ وَضْعِ الأَساسِ هَتُور
سَماوِيَّةٌ أرْجاؤُها فكأنَّها[3] ... عليها من الوَشْيِ البَدِيعِ سُتُور
تَوَهَّمَ طَرْفِي أنَّ تَجْزِيعَ بُسْطِها ... رُقُومٌ وَتَلْوِينَ الرُّخامِ حَرِير
وكم جَاوَزَ الإِبْدَاعُ فِي الْحُسْنِ حَدَّهُ ... فَأَوْهَمَنا أنَّ الحَقِيقَةَ زُورُ
فللهِ يَوْمٌ ضَمَّ فيه أئِمَّةً ... تَدَفَّقَ مِنهم لِلعلوم بُحُور
وشمسُ المَعالِي مِنْ كِتابٍ وسُنَّةٍ ... عَلَى الناسِ مِنْ لَفْظِ الكلامِ تُدِير
وقد أعْرَبَتْ للناسِ عَنْ[4] خَيْرِ مَوْلِدٍ ... عَرُوبٌ[5] به والفضلُ[6] فيه كثير
فأَكْرِمْ بيَوْمٍ فيه أكْرَمُ مَوْلِدٍ ... لِأَكْرَمِ مَوْلُودٍ نَمَتْهُ حُجُورُ
يُطالِعُهُ للمسلمينَ مَسَرَّةٌ ... ولكِنْ به للكافرينَ ثُبورُ[7]
قَرَأنا بها القرآنَ غيرَ مُبَدَّلٍ ... فغارَتْ أناجِيلٌ وغارَ زَبُورُ
وَثَنَّتْ بأَخْبارِ النبيِّ رُواتُها ... وكلٌّ بأَخْبارِ النبيِّ خَبِير
وثَلَّثَ يدعو اللهَ فيها مُوَحِّدٌ ... ذَكُورٌ لِنَعْماءِ الإلهِ شَكُورُ
وما تلكَ للسلطانِ إلَّا سعادةٌ ... يَدُومُ لهُ ذِكْرٌ بها وأُجُور
دَعاها إليه وافِرُ الرَّأْيِ والحِجَا ... يَزِينُ الحِجَى والرَّأْيُ منه وَقُور

---

(١) ت : من . (٢) د : إبان ابينت . (٣) ت : فكأنما .
(٤) د : من . (٥) الأصل عذوبة إن الفضل فلعلها عروبة أو غدوا به .
(٦) د : إن الفضل . (٧) الثبور : الهلاك .

فهلْ فى مُلوكِ الأرضِ أوْ خُلفائِها لهُ فى الذى شادتْ يَداهُ نَظير
عَلَى أَنَّهم[(١)] فى جَنْبِ ما شادَ مِنْ عُلًا ولو كانَ كالسَّبْعِ الطِّباقِ حَصير[(٢)]

وقال[(٣)] :

ذُو يَراعٍ يَرُوعُ كَالسَّيْفِ إمّا بِصَليـــلٍ عِداهُ أوْ بِصَرير
ما رأى الناسُ قَبْلَهُ مِنْ يَراعٍ لِوَزيرٍ صَريرُهُ كالزَّئير
فإذا سَطَّرَ الكتابَ أرانا بَحْرَ فضـــلٍ أمواجُهُ مِنْ سُطورِ
وإذا استخرجوهُ يَسْتَخْرِجُ الـــدُّرَّ نَفيساً مِنْ بَحْرِهِ المَسْجورِ[(٤)]
نَظَرَتْ مُقْلَتِى إليـــهِ كأنّى ناظرٌ فى بَديعِ زَهْرٍ نَضِـــير
ثم شَرَّفْتُ مِسْمَعِى بِتُؤامٍ[(٥)] وَفُرادَى مِنْ دُرِّهِ المَنْثُور
لاتُطاوِلْهُ فى الفَخارِ فَمــا غا دَرَ فى الفَخْرِ مُرْتَقًى لفَخُورِ
ذِكْرُهُ لَذَّةُ المَسامِــعِ فاسْتَمْــــتِــعْ به منْ لِسانِ كلِّ ذَكُورِ
تَمَّ مَعْنًى وصورَةً فَهْوَ فى الحا[(٦)] لَيْنِ مِلْءُ العُيونِ مِلْءُ الصُّدُورِ
زُرْتُ أَبْوابَهُ التِى أَسْعَدَ الـــلهُ بها كلَّ زائرٍ ومَزُورِ

---

(١) د : أنه . (٢) حصير : بخيل .

(٣) عبارة « وقال » ساقطة من النسخة التيمورية . وقد ترتب على سقوطها أن امتزحت هذه القصيدة بالتى قبلها . وقد علق ناسخ المخطوطة التيمورية على ذلك بقوله « الظاهر أن هذه الأبيات من قصيدة أخرى غير التى قبلها . فإن هذه من الضرب الأول من بحر الخفيف وتلك من الضرب الثالث من بحر الطويل . وحرف الروى فى تلك مضموم وفى هذه الأبيات مكسور . وقد وجدت النسخة الأصلية كذلك فتتبعتها والله أعلم . والنسخة المنقول عنها خلط الثانية مع الأولى وجعلها قصيدة واحدة . وهذا خلاف الصواب . ولذا فصلتها عن التى قبلها » .

(٤) المسجور : الزاخر . (٥) التؤام : كل اثنين ولدا فى بطن واحد . (٦) د : للحالين .

كلُّ مَنْ زارَها يَعُودُ كما عُدْ ... تُ بِفَضْلٍ مِنها وَأجْرٍ كثير
وَكفانى سَعْيِى إليها لأُهْدَى ... مِنه بالرُّشْدِ فى جميعِ الأُمور[(١)]
إنَّ مَنْ دَبَّرَ المَمالِكَ لا يَعْـ ... ـزُبُ عَنْ حُسْنِ رَأيِهِ تَدْبِيرى
كانَ رِزْقِى مِنْ جَدِّهِ وأبيه ... أىَّ رِزْقٍ مُيَسَّرٍ مَوْفور
وَإذا كانَ مِثْلُ ذاكَ على الوا ... رِثِ إنِّىَ عَبْدٌ لِعَبْدِ[(٢)] الشَّكُور
فارسِ الخَيلِ العالِمِ العامِلِ الْـ ... ـحِبْرِ الهمامِ الحُلاحِلِ[(٣)] النِّحْرِيرِ
لَمْ يَزَلْ مِنْ عُلومِهِ وَتُقاهُ ... بينَ تاجٍ مِنْ سُؤْدُدٍ وسَرِير
أبَدًا بِالصَّوابِ[(٤)] يَنْظُرُ فى المُـ ... ـلْكِ وَفى بَيتِ مالِهِ المَعْمور
فَغَدا الجُنْدُ والرَّعِيَّةُ والما ... لُ بخيرٍ مِنْ سَعْيِهِ المَشْكُورِ
فأَقَلُّ الأَجْنادِ فى مصرَ يُزْرِى ... مِنْ بلادِ العِدا بأَوْفَى أمِير
قُلْ لِمَنْ خابَ قَصْدُهُ فى جميعِ النَّـ ... ـاسِ مِنْ آمِرٍ وَمِنْ مَأْمُور
يَمِّمِ الصاحِبَ الذى يُتَرَجَّى[(٥)] ... فَتْحُ ثَغْرٍ[(٦)] بهِ وسَدُّ ثُغُور
وَبَعِيدُ الأُمورِ مِثْلُ قَرِيبٍ ... عِندهُ وَالعَسيرُ مِثْلُ يَسِير
آهِ مِمَّا لَقِيتُ مِنْ غَيْبَتِى عنـ ... ـه ومِنْ نِسْبَتِى[(٧)] إلى التَّقْصِير
كَثَّرَ الشَّاهِدُونَ لِى أنَّنِى مُـ ... ـتٌّ وفى البُعْدِ عنـه قَلَّ عَذِيرِى
مَنْ لِشَيْخٍ ذِى عِلَّةٍ وعِيالٍ ... ثَقَّلَتْ ظَهْرَهُ بِغَيرِ ظَهِير[(٨)]
أثقَلُوهُ وَكَلَّفوهُ مَسِيرًا[(٩)] ... ومِنَ المُسْتَحِيلِ سَيْرُ ثَبِير[(١٠)]

---

(١) ت : أمورى . (٢) د : إنى لعبد شكور ، ت : إنى عبد الشكور . وقد كتب تيمور باشا أمام هذا الشطر فى نسخته ما نصه « ولعل الصواب إنى عبد لعبد الشكور » وقد استصوبت هذا فأثبته .

(٣) الحلاحل : السيد الركين . والنحرير : العالم المتقن . (٤) د : فى الصواب .

(٥) د : يزجى . (٦) د : ثغور . (٧) د : ينسبنى . (٨) الظهير : المعين .

(٩) د : سيرا . (١٠) ت : يسير .

فَهْوَ فى قيْدِهمْ يُذادُ مِنَ السَّـــعىِ لِتحصيلِ قُوتِهِمْ كالأَسير
وعَتَتْ أُمُّهُمْ علىَّ وَلَجَتْ فى عتوٍّ مِنْ كِبْرِتى ونفور
وَدَعَتْ دونَهُمْ هُنالِكَ بالوَيْـــلِ لِأَمْرٍ فى نَفْسِها والثُّبور
حَسِبَتْ عِلَّتِي تَزُولُ فقالتْ يا كَثِيرَ التَّهْوِينِ وَالتَّهْوِيرِ[١]
كُلُّ داءٍ لهُ دواءٌ فَعَجِّلْ بِمُداواةِ داءِ عُضْوٍ خَطِـير
قُلتُ مَهْـلًا فما بِملحِ السَّقَنْقُو رِ أُداوِى وَلا بِلَحْمِ الذُّرور
سَقَطَتْ قُوَّةُ المَرِيضِ التِى كا نَتْ قديماً تُزادُ بالـكافُورِ
وعَصانى نَظْمُ القَرِيضِ الذى جَــرَّ ذُيُولًا عَلَى قَرِيضِ جَرِير
وَازْدَرَتِنِي[٢] بعضُ[٣] الوُلاةِ وقدْأَصْـــبَحَ شِعْرِى فيهمْ كَخُبْزِ الشَّعير
وغَسَلْتُ الذى جَمَعْتُ مِنَ الشِّعْـــرِ بِفَيْضٍ[٤] عليــه غِسْلَ صُخور
ونَهَتْنى عَنِ المَسِـير إِليهمْ شِدَّةُ البَأْسِ مِنْ سَخاً فى مَسير.
وَهجَرْتُ الـكِرامَ حتى شَـكا نِى منهمُ كلُّ عاشِقٍ مَهْجُور
وَكَزُغْبِ القَطا وَرائى[٥] فِراخٌ مِنْ إناثٍ أَعُولُهمْ وذُكُورِ[٦]
يَتَعاوَوْنَ كالذِّئابِ وَيَنْقَضُّـــونَ مِنْ فَرْطِ جُوعِهِمْ كالنُّسُور
وَفتاةٍ ما جُهِّزَتْ بِجِهازٍ خُطِبَتْ لِلدُّخولِ بعدَ شُهور
وَاقْتَضَتْنِي الشُّوارَ[٧] بَغْياً عَلَى مَنْ بيتُهُ ليسَ فيهِ غيرُ[٨] حَصِـير
هــذهِ السُّورَةُ[٩] التى أَقْعَدَتْنى عنــكَ آياتُها قُعُودَ حَسِـير

---

(١) التهوير : الغش . (٢) د : وازورتنى . (٣) د : لبعض . (٤) د : لغيض ، ت : لفيض ، ولعل الصواب ما أثبتناه . (٥) ت ورائى . (٦) د : أو . (٧) الشوار : جهاز العروس . (٨) د : إلا . (٩) د : النشوز ، ت : الشورة والصواب ما أثبتناه .

أقعدَتْني بقريةٍ أسلمَتْني   لِضَياعٍ مِنْ فاقتي وكُفور
كلُّ يومٍ مُنَغَّصٌ بِطَعامٍ   أوْ رَفيقٍ مُنغِّصٍ بِشُرُورِ
ورِفاقي في خِدْمَةٍ طُولَ عُمْري   رِفْقَتي[1] في الحِرانِ مِثْلُ الحَميرِ
كلَّما رُمْتُ أُنْسَهُمْ ضَرَبُوا   مِنْ وَحْشَةٍ بينهُمْ وَبَيْنِي بِسُورِ
وأَبَوْا أنْ يُساعِدُوني عَلَى قُو   تِ عِيالي بُخْلاً بِكَيْلِ بَعِيرِ[2]
فَسَيُغْنِي الإلهُ عنهمْ بِجَدْوَى   خيْرِ مَوْلًى لَنا وخيرِ نَصِيرِ
صاحِبٌ يَبْلُغُ المُؤَمِّلُ منــهُ   كلَّ ما رامَهُ بِغَيرِ سَـفِيرِ
مِنْ أُناسٍ سادُوا بَنِي الدِّينِ والـــدُّنيا فما في الوَرَى لهُمْ مِنْ نَظِير
سَرَّتِ الناظِرِينَ[3] منهم وجــوهٌ   وُصِفَتْ بالجَمالِ وَصْفَ البُدُورِ
وَرِثُوا الأرضَ مثــلَ ما كَتَبَ اللَّـــهُ تعالَى في الذِّكْرِ بعدَ الزَّبور
فَهُمُ القائمونَ في الزَّمَنِ الأوَّ   لِ بالقِسْطِ وَالزَّمانِ الأخير
وَهُمُ المُؤمِنُونَ والوارِثُو الفِرْدَوْ   سِ والمُفْلِحُونَ في التفــسير
عَبَدُوا اللهَ مُخْلصينَ لهُ الدِّيـــنَ لِما في قلوبِهِمْ مِنْ نورِ
وأحَبُّوا آلَ النبيِّ فـكانوا   معهم في مَغِيبِهِمْ والحُضــور
في مَقامٍ مِنَ الصَّــلاحِ وَأَمْنٍ   وَمُقامٍ مِنَ النَّعِيمِ وَثِير
أَهْلُ بيتٍ مُطَهَّرِينَ مِنَ الرِّجْـــسِ وَهمْ أغْنِيا[4] عَنِ التَّطْهِير
حُجِبُوا بالأثاثِ عَنَّا وبالــزِّيِّ وأَخْفَوْا جَمالَهمْ بالخُدُور
لَبِسُوا الزِّيَّ بالقلوبِ وَأَغْنَوْا   صِدْقَهُمْ عَنْ لِباسِ ثَوْبَيْ زُور

---

(١) د : روفقة .   (٢) د : بغيرى .   (٣) د : للناظرين .
(٤) د : أغنياء ، ت: أغنياء عن تطهير ولعل الصواب ما أثبتناه .

وَأَرَوْنا أهــلَ التقَى فى الزَّوايا ... سَلِّمُوا فى البَقا لِأَهْلِ القُصُورِ

وأتَوْا كلُّهُمْ بِقَلْبٍ سَليمٍ ... وأَتَى غــيرُهُمْ بِثَوْبٍ نَقِيرِ

وحَــكَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ كالدَّرارِى ... مِنْ بُطُونٍ زَكِيَّةٍ وظُهور

يُطْعِمُونَ الطَّعامَ لا لجزاءٍ ... يَتَرَجَّوْنَهُ وَلا لِشُــكور

عَلِمَ اللهُ منهــمُ ما جَهِلْنا ... وَكَفاهمْ شُــكْرُ العَليمِ الخَبِــير

وقال[1] :

ثَناؤُكَ مِنْ رَوْضِ الخمائلِ أعْطَرُ ... وَوَجْهُكَ مِنْ شَمْسِ الأصائلِ أنْوَرُ

وَسَعْيُكَ مَقْبُولٌ وَسَعْدُكَ مُقْبِلٌ ... وَكلُّ مَرامٍ رُمْتَ فَهْوَ مُيَسَّرُ

وَجاءَكَ ما تَخْتارُ مِنْ كلِّ رِفْعَةٍ ... كَأنكَ فى أمْرِ المعــالِى مُخَــيَّرُ

وَقَدْرُكَ أعْلى أنْ تُهَنَّى بِمَنْصِبٍ ... وَأنتَ مِنَ الدُّنيا أجَلُّ وَأكْبَرُ

فيالكَ شَمْساً تمـلأُ الأرضَ رَحْمَةً ... وَيَمْـلَأُها شَوْقاً له حِينَ يُذْكَرُ

لقدْ مُلِئَتْ حُبًّا وَرُعْبًا قلوبُنا ... بهِ فَهْوَ بالأَمْرَيْنِ فيها مُصَوَّرُ

وَقد أَذْعَنَتْ منهُ الجوارحُ طاعةً ... لهُ إنَّ سُلطانَ الجوارِحِ سُنْقُرُ

يَرُوعُ العِدا مِثْلَ البَغايا[3] إماتةً ... إذَا راعَها مِنْ رُمْحِهِ اللَّدْنِ مَنْسِرُ[4]

فيأَيُّها الشمسُ الذى فى صِفاتِهِ ... عُقُولُ الوَرَى مِنْ دَهْشَةٍ تَتَحَيَّرُ

تَعَــلَّمَ منكَ الناسُ ما مُدِحُوا به ... كَأَنكَ فِيهم لِلْفَضائلِ عُنْصُرُ

---

(١) ت : وقال سامحه الله تعالى من الطويل .

(*) يبدو أن هذه القصيدة نظمت بعد سنة ٦٨٦ وذلك لأن الشاعر يشير فيها إلى طرد الأقباط من الوظائف الحكومية وكان ذلك سنة ٦٨٦ حيث قال :

ومذكره السلطان خد متهم له ... تمنى النصارى أنهم لم ينصروا

(٢) ت : فلله شمسا . (٣) الأصل : البغاة ، ولعلها البغايا ، وهى طلائع الجيش .

(٤) المنسر : المنقار . والمقصود به هنا ، سن الرمح .

وأنتَ هُمامٌ قدَّمَتْهُ ثلاثةٌ ... لها المُنْتَهَى قَوْلٌ وَفِعْلٌ ومَنْظَر
مِنَ التُّرْكِ فى أَخْلاَقِهِ بَدَوِيَّةٌ ... لها يَعْتَزِى زَيْدٌ وَعَمْرٌو وَعَنْتَر
وَكَمْ فِتْنَةٍ بَيْنَ العَشِيرِ[1] أزالها ... وكانَ بها للناسِ بَعْثٌ ومَحْشَرُ
فَأَخْمَدَ ما بينَ الخليلِ برأْيِهِ ... ونابُلُسَ النارَ التى تَتَسَعَّرُ
وَقَدْ زَبرَتْ زَبْرًا وقَبْضًا وحارِثاً ... كِنانَةُ مِثْلَ الكَرْمِ إبَّانَ يُزْبَرُ[2]
وَقد أَخْرَبَتْ ما ليسَ يَعْمُرُ عامِرٌ ... وقد قَتَلَتْ ما ليسَ يَقْبُرُ مَقْبَرَ
وَلَوْلاهُ لم تُخْمَدْ مِنَ القَوْمِ فِتْنَةٌ ... وَلَم يَنْعَقِدْ فيها عَلَى الصُّلْحِ مَشْوَرُ[3]
إذا ما أرادَ اللهُ إنفاذَ أَمْرِهِ ... يُنَطِّقُ ذا رأْيٍ به ويُبَصِّرُ
فإنْ فَوَّضَ السُّلطانُ أَمْرَ بلادِهِ ... إليهِ فما خَلْقٌ بهِ منه أجْدَر
وَأَمْسِ رأى حالَ المَحَلَّةِ حائلاً ... وأعْمالَها وَالجَوْرَ يَنْهَى ويَأْمُرُ
فقالَ لِأَهْلِ الرَّأْيِ مَنْ يُرْتَضَى لها ... فقالوا لهُ اللَّيْثُ الهُمامُ الغَضَنْفَرُ
فما غيرُ شمسِ الدِّينِ يَحْمِي دِيارَها ... سُطاهُ كما يَحْمِي العَرِينَةَ قَسْوَر
خبيرٌ بأحوالِ الأَنامِ كأَنَّهُ ... بما فى نُفُوسِ العالَمِينَ يُخَبَّرُ
وَلا سِتْرَ ما بينَ الرَّعايا وبينَهُ ... ولكنَّهُ حِلْماً عَلَى الناسِ يَسْتُرُ
فلما رَأتْ أهلُ المَحَلَّةِ قَدْرَهُ ... يُعَزَّزُ ما بينَ الوَرَى ويُوَقَّرُ
تَناجَوْا وقالوا : قامَ فينا خليفةٌ ... وَلكنْ لهُ مِنْ صَبْوَةِ الظَّرْفِ مِنْبَر
هَلُمُّوا لهُ فَهْوَ الرَّشيدُ بِرأْيِهِ ... وبينَ يَدَيْهِ جُودُ كَفَّيْهِ جَعْفَر
فَقُلْتُ لَهُمْ هذا رسولُ سِيادَةٍ ... وصارِمُهُ للناسِ هادٍ ومُنْذِر
فَقُلْ لِلرَّعايا لاتخافوا ظُلامَةً ... وَلاتَحْزَنُوا من حُكْمِ جَوْرٍ وأبْشِروا

---

(١) العشير : قوم من العرب ، كانوا يعيشون في فلسطين فى ذلك الوقت .

(٢) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا وفيه غموض . (٣) المشور : مجلس التشاور .

فقدْ جاءكمْ والٍ بُروقُ سُيوفِهِ إذا لَمَعتْ لم يَبْقَ فى الأرض مُنْكَرُ
فَتًى حَسُنَتْ أخبارُهُ واختيارُهُ وطابَ[(١)] مَغيبٌ مِنْ عُلاهُ ومَحْضَر
عَجِبْتُ لهُ يُرْضِى الرَّعايا اتِّضاعُهُ ويَعْظُمُ ما بَيْنَ الرَّعايا ويَكْبُر
ويَرْمِى العِدا مِنْ كَفِّهِ بِصَواعِقٍ وأَنْمُلُها[(٢)] أنهارُ جُودٍ تَحَدَّرُ
ويَجْمَعُ سِرَّ الماءِ والنارِ سَيْفُهُ وَفى العُودِ سِرُّ النارِ والعُودُ أخْضَرُ
ويُجْرِى عَلى وَفقِ المُرادِ أُمُورَهُ فَيَبْسُطُ فيها ما يشاءُ ويَقْدُر
وتَنْفَعِلُ الأشياءُ مِنْ غيرِ فِكْرَةٍ لهُ وقد اعْتاصَتْ[(٣)] عَلَى مَنْ يُفَكِّر
ويَسْتَعْظِمُ الظلمَ الحقيرَ فلوْ بدا كَمِثْلِ القَذا فى العَيْنِ أوْ هُو أَحْقَر
فَطَهَّرَ وَجْهَ الأرضِ مِنْ كلِّ فاسدٍ[(٤)] وما خِلْتُهُ مِنْ قَبْلِهِ يَتَطَهَّر
ومَهَّدَهُ للسَّالِكينَ[(٥)] مِنَ الأذَى فليسَ به الأعمى إذا سارَ يَعْثُر
فَشَرِّقْ وغَرِّبْ فى البِلادِ فكَمْ لهُ بها عابرٌ يُثْنِى عليه ويَعْبُرُ
وما كلُّ والٍ مِثْلُهُ فيه يَقْظَةٌ ولا قَلْبُهُ باللهِ قَلْبٌ مُنَوَّر
أنامَ الرَّعايا فى أمانٍ وطَرْفُهُ لِما فيه إصْلاحُ الرَّعيةِ يَسْهَر
فلاَ الخوْفُ مِنْ خَوْفٍ ألمَّ بأرضِهِ وَلا الشرُّ فيها بالخَواطِرِ يَخْطُر
أتى الناسَ مثلَ الغيثِ فى أرْضٍ جُودِهِ يُرَوِّضُ ما يَأْتى عليه ويُزْهِرُ
وكانتْ وُلاةُ الحرْبِ فيها كعاصفٍ مِنَ الرِّيحِ ما مَرَّتْ عليه تُدَمِّرُ
وكلُّ امْرِئٍ ولَّيْتَهُ فى رَعِيَّةٍ بما فيه مِنْ خَيْرٍ وشَرٍّ يُؤَثِّر
فَمَنْ حَسُنَتْ آثارُهُ فَهْوَ مُقْبِلٌ وَمَنْ قَبُحَتْ آثارُه فَهْوَ مُدْبِر

---

(١) د : طابت . (٢) الأنملة : أطراف الأصابع . (٣) اعتاصت : صعبت .
(٤) ت : مفسد . (٥) د : للساكنين .

وكَمْ سَعِدَتْ بالطالِعِ السَّعْدِ أُمَّةٌ ... وَكَمْ شَقِيَتْ بالطَّالعِ النَّحْسِ مَعْشَرُ
فما بَلَغَ القُصَّادُ غايَةَ سُؤْلِهِمْ ... لقد خابَ من يَرْجو سواهُ ويَحْذَرُ
وَمَنْ حَظُّهُ مِنْ حُسْنِ مَدْحِيَ وافِرٌ ... وحَظِّيَ مِنْ إحْسانِهِ بِيَ أَوْفَرُ
أَمَوْلايَ عُذْراً فِي القَرِيضِ وكلُّ مَنْ ... شَكا العَجْزَ عَنْ إدراكِ وصْفِكَ يُعْذَرُ
لكَ الهِمَمُ العُلْيا وكلُّ مُحاوِلٍ ... مَداها وكَمْ بالمَدْحِ مِثْلِي مُقَصِّرُ
تباشَرَتِ الأعمالُ لَمَّا رَأَيْتَها ... بِمَرْآكَ وَالوجْهُ الجميلُ مُبَشِّرُ
عَذَرْتُ الوَرَى لَمَّا رَأَوْكَ فَهَلَّلُوا ... لِمَطْلَعِ شَمْسِ الفَضْلِ منكَ وَكَبَّروا
دَعَوْكَ[1] بها كِسْرَى وَكم لكَ نائِبٌ ... يُقِرُّ لَهُ فى العَدْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرُ
عَمَرْتَ بها ماليسَ يَخْرَبُ بَعْدَها ... وقد أخربَ الماضونَ ماليسَ يَعْمُرُ
تفاءلْتُ لَمَّا قيلَ أَقْبَلَ مِنْ سَخا ... وكلُّ امْرِئٍ غادٍ لِمَلْقاهُ مُبَكِّرُ
فَيَمَّمْتُهُ مُسْتَبْشِرًا بِقُدُومِهِ ... وطائرُ حَظِّي منه بالسَّعْدِ يُزْجَرُ[2]
وحَقَّقَ طَرْفِي أَنَّ مَرْآكَ جَنَّةٌ ... وبِشْرُكَ رِضْوانٌ وَكَفُّكَ كَوْثَرُ
ولو لم تكنْ شمساً لَمَا سِرْتَ فى الضُّحَى ... تَسُرُّ عُيُونَ الناظِرِينَ وتَبْهَرُ
وأقبلْتَ تُحْيِي الأرضَ مِنْ بعْدِ مَوْتِها ... وفى الجودِ ما يُحْيِي المَواتَ ويَنْشُرُ
فأَخْرَجْتَ مَرْعاها وَأجْرَيْتَ ماءَها ... غَداةَ بِحارُ الأرضِ أَشْعَثُ أغْبَرُ
ولَوْلاكَ ماراعَتْ بُحُورًا تُراعُها ... ولا كانَ مِنْ جِسْرٍ عَلَى المَاءِ يُجْسَرُ
فها هِيَ تَحْكِي جَنَّةَ الخُلْدِ نُزْهَةً ... ومِنْ تَحْتِها أنهارُها تَتَفَجَّرُ

---

(١) د ، ت : دعوت . وقد صححها تيمور باشا ، فجعلها دعوك .

(٢) يزجر : يطير من على شجره ، ليتفاءل به .

وأُعْطِيتَ سُلطاناً عَلَى المَاء عالياً ... به يَزْخَرُ البَحْرُ الخِضَمُّ ويُسْجَرَ
فَخُذْ آيَتَىْ موسٰى وعيسٰى بِقُوَّةٍ ... وكلُّ النصارَى واليهودِ تَحَسَّرُوا
فياصالحًا فى قِسْمَةِ المَاءِ بينهم ... ولا ناقَة فى أرْضِهِمْ لَكَ تُعْقَر
فَفِى بَلَدٍ مِنْ حُكْمِكَ المَاء راكِدٌ ... وَفى بَلَدٍ مِنْ حُكْمِهِ يَتَحَدَّر
فهذا له وقتٌ وحَدٌّ مُعَيَّنٌ ... وَهذا له حَدٌّ وَوَقْتٌ مُقَدَّر
هَنِيئًا لإِبْنُوطِيرَ أنك زُرْتَها ... وشَرَّفها مِنْ وَقْعِ خَيْلِكَ عَنْبَر
دَعَتْ لَكَ سُكَّانٌ بها وَمساكنٌ ... ولم يَدْعُ إلاَّ[1] عامِرٌ وَمُعَمَّر
وصلَّوا بها لِلهِ شُكْرًا وصَدَّقوا ... وَحُقَّ عليهم أن يُصَلُّوا وَيَنْحَروا
فكلُّ مَكانٍ منكَ بالعدْلِ مُخْصِبٌ ... وبالحمدِ وَالذِّكْرِ الجميلِ مُعَطَّر
أتَيْتُكَ بالمَدْحِ الذى جاءَ مُظْهِرًا ... إلَى الناسِ مِنْ حُبِّيكَ ماأنا مُضْمِر
فخُذْهُ ثَناءً يُخْجِلُ الزَّهْرَ نَظْمُهُ ... وَهَلْ تُنْظَمُ الأزهارُ نَظْمِى وتُنْثَر
مِنَ الرَّأْيِ أنْ يُهْدَى لِمِثْلِكَ مِثْلُهُ ... جَهِلْتُ وهَلْ يُهْدَى إلى البحرِ جَوْهَر
فُتِنْتُ بِشِعْرِى وهْوَ كالسِّحْرِ فِتْنَةً ... وَقُلْتُ كذا كانَ امْرُؤُ القَيْسِ يَشْعُر
ومالِى أُزَكِّى النَّفْسَ فيما أقولُهُ ... وَأتْبَعُها فيما يُذَمُّ وَيُشْكَرُ
وَما[2] إنَّ شَمْسَ الدِّينِ لِلفَضْلِ باهِرٌ ... وليسَ بِخافٍ عنه لِلفَضْلِ مَخْبَر
إلَى اللهِ أشكو[3] إنَّ صَفْوَ مَوَدَّتِى ... عَلَى كَدَرِ الأيَّامِ لاتَتَكَدَّرُ
وَإنْ أظْهَرَ الأصحابُ ماليسَ عِنْدَهم ... فإنِّى بما عِندى مِنَ الوُدِّ مُظْهِر
وَإنْ غُرِسَتْ فى أرضِ قَلْبِى محبَّةٌ ... فليسَ بِبُغْضٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُثْمِر

---

(١) د : فيها. (٢) د : وما . (٣) كذا فى د ، ت .

وَيَمْلِكُنى خُلُقٌ عَلَى السُّخْطِ والرِّضا ... جَميلٌ كمِثْلِ البُرْدِ يُطْوَى ويُنْشَر
وَقَلْبٌ كمِثْلِ البحرِ يَعْلو عُبابُه ... ويَزْخَرُ مِنْ غَيْظٍ وَلا يَتَغَيَّر
إذا سُئِلَ الإِبْرِيزَ[(١)] جاشَ لُعابُه[(٢)] ... ويَصْفُو بما يَطْفو عليــه ويَظْهَرُ
وَما خُلُقِي مَدْحُ[(٣)] اللَّئيمِ وَإنْ عَلَتْ ... بهِ رُتَبٌ لا أنَّنِي مُتَــكَبِّرُ
وَلاَ أبْتَغِي الدُّنيا وَلا عَرَضاً بِها ... بِمَدْحِي فَإنِّى بالْقَناعَةِ مُكْثِرُ
لِيَعْلَمَ أغْنَى العالَمِينَ بأَنهُ ... إلَى كَلِمِى مِنّى لِدُنياهُ أفْقَر
وَأَبْسُطُ وَجْهِي حينَ يَقْطُبُ[(٤)] وَجْهُهُ ... فيَحْسَبُ أنى موسِرٌ وَهْوَ مُعْسِر
أأنْظِمُ هذا الدُّرَّ فى جِيدِ جاهِلٍ ... وَأَظْلِمُهُ إنِّى إذَنْ لَمُبَــذِّر
وَعِنْدِي كَلامٌ واجِبٌ أنْ أقولَهُ ... فلا تَسأَمُوا مِمَّا أقولُ وتَسخَروا
ولَمْ تَرَنِى لِلْمالِ بالْمَدْحِ مُؤْثِرًا ... وَلَـكِنَّنى لِلودِّ بالْمَدْحِ مؤثِر
فيامَصْدَرَ الفضلِ الذى الفضل دأبُه ... فمــا اشْتُقَّ إلَّا منه لِلفضلِ مَصْدَر
بَرِئْتُ مِنَ المُسْتخدَمينَ[(٥)] فَخَيْرُهُم ... لصاحِبِهِ أعْدَى وَأدْهَى وَأنْــكر
هَدَرْتُهُم مِثْلَ الرُّماةِ لِـكِذْبِهِمْ ... وعندىَ أنَّ المرء بالـكِذْبِ يُهْدَر[(٦)]
فلا تُدْنِ منهم واحِدًا منكَ ساعةً ... ولو فاحَ مِنْ بُرْدَيْهِ مِسْكٌ وَعَنْبر
وقد قيلَ كُتَّابُ النَّصارَى مَناسِرٌ ... فما مِثْلُ كُتَّابِ المَحَلَّةِ مَنْسَرُ[(٧)]
فَبَرِّدْ فؤادى بانتقامِكَ منهمُ ... فقد كادَ قلبى منهمُ يَتَفطَّرُ[(٨)]
مُنِعْتُ بهم حَظِّى شُهورًا ولم أصِلْ ... إلى حَظِّهِمْ حتى مَضَتْ لِى أشْهُرُ
وحَسْبُكَ أنى منهم مُتَضَــوِّرٌ ... وَكلُّ امْرِئٍ منهم كذا يَتَضَوَّرُ

---

(١) ت : الأبرين . (٢) د : لغامه ، ت : نعامة ؛ والصواب ما أثبتناه .
(٣) ت : مدحى . (٤) ت : يقبض . (٥) ت : أديت المستخدمين .
(٦) هدرتهم . يقال هدرت دمه وأهدرته أى أبحته .
(٧) المنسر فى لغة المصريين : العصابة من اللصوص . (٨) يتفطر : يتشقق .

فَواعَجَبا مِنْ واقِفٍ مِنهمُ على ... شَفَا جُرُفٍ هارٍ مَعِى يَتَهَوَّرُ[(١)]
يقولون لو شاء الأميرُ أزالَهُمْ ... فقلتُ زَوالُ القَوْمِ لايُتَصوَّر
فقد قَهَرَ السُّلطانُ كلَّ معانِدٍ ... وما أحَدٌ لِلْقِبْطِ[(٢)] فى الأرضِ يَقْهَر
وَمَا[(٣)] فِيهِمُ لا بارَكَ اللهُ فيهمُ ... أخو قَلَمٍ إلاَّ يَخُونُ ويَغْدِر
إنْ اسْتُضْعِفوا فى الأرضِ كانَ أقلُّهُمْ ... عَلَى كلِّ سُوءٍ يُعْجِزُ الناسَ أقْدَر
كأَنَّهُمُ البُرْغوثُ ضَعْفاً وَجُرْأةً ... وإنْ يَشْبَعِ البُرْغوثُ لوْلاَ يُعَذَّر
رِياسَتُهُمْ أنْ يُصْفَعُوا وَيُجَرَّسوا ... ودِينُهُمْ أنْ يَصْلُبُوا ويُسَمَّرُوا
وَما أحَدٌ منهم على الصَّرْفِ صابِرٌ ... وَلا أحَدٌ منهم على الذُّلِّ أصْبَرَ
وَمُذْ كَرِهَ السُّلْطانُ خِدْمَتَهُمْ لَهُ ... تَمَنَّى النَّصارَى أنهم لم يُنَصَّرُوا
إذا كانَ سُلطانُ البسيطةِ مِنهمُ ... يَغارُ على الإسلامِ فاللهُ أغْيَر
وَبالرَّغْمِ[(٤)] منهم أنْ يَرَوْا لكَ كاتِباً ... وما أحَدٌ فى فَنِّهِ منهُ أمْهَر
وَيُعْجِبُهُمْ مَنْ جَدُّ جَدَّيْهِ بِطْرُسٌ ... وَيحْزُنُهُمْ مَنْ جَدُّ جَدَّيْهِ جَحْدَر
بأَنَّ النَّصارَى يَرْغَبُونَ لِبَعْضِهِمْ ... وَمِنْ غَيْرِهِمْ كُلٌّ يُراعُ وَيُذْعَرُ[(٥)]
عَداوَتُهمْ لِلْمُلْكِ ما ليسَ تَنْقَضِى ... وَذَنْبُ أخِى الإسلامِ ما ليسَ يُغْفَر
ومنهمْ أُناسٌ يُظْهِرونَ مَوَدَّتِى ... وبُغْضُهُمُ لِى مِنْ قِفا نَبْكِ أشْهَر
وَكَمْ عَمَّرَ الوالِى بِلاداً وَأَخْرَبُوا ... وَكم آنَسَ الوالِى قُلُوبًا وَنَفَّروا
وقالوا بأَيَّامِى مَساقٌ مُحَرَّرٌ ... وليسَ لهمْ فَلْسٌ مَساقٌ مُحَرَّر
وَكَمْ زُورِ[(٦)] قَوْلٍ قُلْتُمُ أىُّ[(٧)] حُجَّةٍ ... وَكَمْ حُجَجٍ لِلْخائنينَ تُزَوَّر

---

(١) شفا : حافة . هار : متصدع ويتهور : ينهدم .
(٢) د : للقطب .
(٣) د ، ت : أما . صحح تيمور باشا كلمة « أما » فجعلها « وما » .
(٤) د : ويرغم .
(٥) هذا البيت ساقط من د .
(٦) د : وكم زور واق .
(٧) د : قلتم الشد حجة .

وَإِنْ تَنْصُرونى قُمْتُ فيهم مُجاهِدًا فإنهم لِلّٰهِ أَعْصَى وأَكْفَر
وإلَّا فإِنى للأَميرِ مُذَكِّرٌ بما فَعَلوه والأميرُ مُنَظِّر
وكَمْ مُشْتكٍ مِثْلِي شَكا لِيَ منهمُ كما يَشْتَكِي فى الليلِ أَعْمَى وأَعْوَر
وَكُنتُ وَمالِي عندهم مِنْ طِلابَةٍ أُزَوَّدُ مِنْ أَمْوالِهِمْ وأُسَفَّر
وَما ضَرَّنى إلاَّ مَعارِفُ منهمُ ذُنوبُ وِدادِى عندهمْ لا تُكَفَّر
وَلولا[١] حَيائى أَنْ أُعانِدَ مُمْسِكاً لِحَقِّى أَتانِى الحقُّ وَهْوَ مُعَبَّر
فإنْ شَمَّروا عَنْ ساقِ ظُلْمِى فإننى لِذَمِّهِمُ عَنْ ساقِ جِدِّى[٢] مُشَمِّر
وَإِنْ حَمَلوا قلبى وَساروا فَمَنْطِقِى يُحَمَّلُ فى آثارِهِمْ وَيُسَيَّر
وإِنْ يَسْبِقُوا لِلْبابِ[٣] دونى فإنهم بما صَنَعوا بالناسِ أَحْرَى[٤] وأَجْدَر
فإنْ أَشْكُ مابِى للأَميرِ فإِنه لَيَعْلَمُ منه ما أُسِرُّ وأَجْهَر
فإنْ أَشْكَتِ[٥] الأيامُ تُلْقِ قِيادَها إليه وتَجْفُ مَنْ جَفاهُ وتَهْجُر
وتُمْلِى على أعدائِهِ ما يَسُوءهمْ وتُوحِي إِلَى أسماعِهِ ما يُحَبِّر

[وقال يداعب بهاء الدين بن علىّ بن محمد بن سليم «بن حنا[٦] من الكامل» :]

يا أيها المَوْلَى الوزيرُ الذى أَيَّامُه طائِعةٌ أَمْرَهْ
ومَنْ لَهُ مَنزِلَةٌ فى العُلا تَكِلُّ عَنْ أَوْصافِها الفِكْرَهْ
أَخْلاقُكَ الغُرُّ دَعَتْنا إِلَى الْإِدْلاءِ[٧] فى القَوْلِ على غِرَّهْ
إِذْ لَمْ[٨] تَزَلْ تَصفَحُ عَمَّنْ جَنَى وتُؤْثِرُ العَفْوَ مَعَ القُدْرَهْ

---

(١) ت : وإلا .
(٢) د : حد .
(٣) ساقطة من ت .
(٤) ت: أجرا.
(٥) د : شكت .
(٦) ما بين القوسين زيادة فى ت .
(٧) د : الإيلاء .
(٨) د : ولم .

حتى لقد يَخْفَى على الناسِ ما   تُحِبُّ مِنْ أمْرٍ وَما تَكْرَهْ
إليكَ[١] نَشْكُو حالَنا إننا   عائلةٌ في غايةِ الكَثْرَهْ
أُحدِّثُ[٢] المَوْلَى الحديثَ الذى   جَرَى عليهم بالخيطِ وَالإِبْرَه
صاموا مع الناس ولكنَّهمْ   كانوا لِمَنْ يُبْصِرُهم عِبْرَه
إن شَرِبوا فالبِئْرُ زِيرٌ لهُمْ   ما بَرِحَتْ والشَّرْبَةُ الجَرَّه
لهُمْ مِنَ الخُبْزِ مَسْلوقةٌ   فى كلِّ يَوْمٍ تُشْبِهُ النَّشْرَه
أقولُ مَهما اجتمعوا حَوْلها   تَنَزَّهُوا فى الماءِ والخُضْرَه
وأقبلَ العيدُ[٣] وما عندهم   قَمحٌ وَلا خُبْزٌ ولا فَطْرَه
فارْحَمْهُمُ إنْ أبْصَرُوا[٤] كَعْكَةً   فى يَدِ طِفْلٍ أوْ رَأَوْا تَمْرَه
تَشْخَصُ أبصارُهُمْ نَحْوَها   بِشَهْقَةٍ[٥] تَتْبَعُها زَفْرَه
فكم أُقاسِى منهمُ لَوْعَةً   وكم أُقاسى منهمُ حسرَه
كم قائلٍ يا أبَتا منهمُ   قَطَعْتَ عَنَّا الخُبْزَ[٦] فى كَرَّه
ما صِرْتَ تأْتينا بِفَلْس وَلا   بِدِرْهَمٍ وَرِقٍ وَلا نُقْرَه[٧]
وَأنتَ فى خِدْمَةِ قَوْمٍ فَهَلْ   تَخْدُمُهمْ يا أبَتا[٨] سُخْرَه

---

(١) هذا الشطر ورد فى فوات الوفيات هكذا « فى قلة نحن ولكن لنا » .

(٢) هذا البيت ورد فى د ، هكذا :

أحدث المولى حديثا جرى   لى معهم بالخيط والإبره

وفى ت : لهم فدا . وما أثبتناه هو رواية فوات الوفيات .

(٣) د ، ت : ولا ، وهذه رواية فوات الوفيات .   (٤) فوات الوافيات : عاينوا .

(٥) د ، ت : شدة . وهذه رواية فوات الوفيات .   (٦) فوات : الخير .

(٧) النقرة : سبيكة من الذهب أو الفضة والورق : الدراهم المضروبة .   (٧) فوات : يا أبتي .

ياخَيْبَةَ المَسْعَى إذا لم يَكن يَجْرِى[١] لنا أَجْرٌ وَلا أُجْرَه
[لقد تَعَجَّبْتُ لهــا فِطْنَةً أتى بهــا الطِّفْلُ بلا جَرَّه][٢]
وَكيف يَخْلُو الطِّفلُ مِنْ فِطْنَةٍ وكلُّ مولودٍ عَلَى الفِطْرَه
وَيَوْمَ زارتْ أُمُّهم[٣] أُخْتَها والأُخْتُ فى الغَيْرةِ كالضَّرَّه
وَأَقْبَلَتْ تَشْكو لها حالَهـا وَصَــبْرَها مِنى على العُسْرَه[٤]
قالتْ لهـا كيفَ تكونُ النِّسا كذا مَعَ الأزواجِ يا غِرَّه[٥]
قُومِى اطْلبى حَقَّكِ منـه بِلا تَخَلُّفٍ منــكِ ولا فَتْرَه[٦]
وإنْ تَأَبَّى فَخُذِى ذَقْنَهُ ثمَّ انْتِفيهــا شَعْرَةً شَعْرَه
قالتْ لهــا ماعادَتى[٧] هكذا فإنَّ زَوْجِى عنــده ضَجْرَه
أخافُ إنْ كَلَّمْتُهُ كِلْمَةً طَلَّقَنى . قالتْ لهــا : بعَرَّه
فَهَوَّنَتْ[٨] قَدْرِىَ فى نَفسِها فجاءَتْ الزَّوْجَــةُ مُحْتَرَّه
فاسْتَقْبَلَتْنِى[٩] فَتَهَدَّدْتُهــا فاسْتَقْبَلَتْ رَأْسِى بآجُرَّه
وَباتَتْ الفِتْــنَةُ ما بَيْنَنا مِنْ أَوّلِ اللَّيْــلِ إلى بُكْرَه
وَما رَأَى العَبْدُ لهُ مَخْلَصاً إلاَّ وما فِى عَيْنِهِ قَطْرَه
فَحَقُّ[١٠] مَنْ حالَتُهُ هذهِ أَنْ يَنظُرَ المَوْلَى لهُ نَظرَه[١١]

---

(١) د ، ت : تجرى لنا . (٢) ما بين القوسين ساقط من د . (٣) د ، ت : أمها .
(٤) فوات : العشرة . (٥) د ، ت : ياعره . والغرة : الجاهلة . (٦) فترة : ضعف .
(٧) فوات : ماهكذا عادتى . (٨) فوات : وهونت . (٩) فوات : فقاتلتنى .
(١٠) نوات : وحق . (١١) فوات : أمره .

وله فى عيد المسيح[١] ؛ لم يخبز ولا نبَّه النصارى لطعام العيد .

يَهُودُ بُلبَيْسَ كُلَّ عِيدٍ   أفضلُ عندى مِنَ النَّصارَى
أَما تَرَى البَغْلَ وهْوُ بَغْلٌ   فِى فَضْلِهِ يفْضُلُ الحِمارا

قافية السين :

قال يمدح الصاحب شمس الدين بن الصاحب برهان الدين ؛ من الكامل[٢] :

إِنْ تُحْىَ آمالى بِرُؤْيَةِ عيسى   فلَطالما أَنْضَتْ إليهِ العِيسا
وَحَظِيتُ بَعْدَ اليَأْسِ بالخِضرِ الذى   ما زالَ يَرْقِى أَوْ حَكَى إدْرِيسا
لولاَ وُجُودُ الصَّاحِبَيْنِ كِلَيْهِما   صارتْ بُيُوتُ العالَمِينَ رُمُوسا
كَمْ قُلْتُ لَمَّا أَنْجَبَ الأَبُ إِبْنَه   لا غَرْوَ أَنْ يَلِدَ النَّفِيسُ نَفِيسا
لِلّهِ شَمْسُ الدِّينِ شَمْسٌ أَطْلَعَتْ   فينا بُدُورًا لِلْهُدَى وَشُمُوسا
رَدَّتْ لنا يَدُهُ الغَضُوبَ وأَسْكَنَتْ   بالعَدْلِ آرامَ الكِناسِ الخِيسا
أَغْنَتْ مكارِمُهُ الفقيرَ وَأَطْعَمَتْ   مَنْ كانَ مِنْ خَيْرِ الزَّمانِ يَئُوسا
حِبْرٌ تَصَدَّرَ لِلنَّوالِ فلَمْ يَزَلْ   يَتْلو عليه مِنَ المَدِيحِ دُرُوسا
دُعِىَ ابْنُ سِينا بالرَّئِيسِ وَلَو[٣] رَأَى   عيسى لَسَمَّى نَفْسَهُ المَرْءُوسا
وَحَسِبْتُهُ مِنْ بَأْسِهِ وَذَكائِهِ   بَهْرامَ قارَنَ فى العُلاَ بَرْجِيسا
مِنْ مَعْشَرٍ لَيُسارِعُونَ[٤] إلى الوَغَى   مُتنازِعِينَ مِنَ الحِمامِ كُئُوسا

---

(١) ت : وله فى عيد المسيح حيث لم يهد إليه النصارى طعام العيد .

(٢) من الكامل : زيادة فى ت . وهو شمس الدين عيسى بن الصاحب برهان الدين السنجارى توفى سنة ٦٨٢ﻫ وكان ينوب عن أبيه فى الوزارة .   (٣) د : ولا .   (٤) ت : يتسارعون .

لُدُّ الخِصامِ إذا تَشاجَرَتِ القَنا ... لَمْ يَجْعَلوا لَهُمُ الحديدَ لَبُوسا
وأخُو البَسالَةِ مَنْ غدا بِذِراعِهِ ... لا دِرْعِهِ[1] يَوْمَ الوَغَى مَحْرُوسا
يُوفُونَ ما وعَدُوا كَأَنَّ وُعُودَهم ... كانَتْ يَميناً بالوفاء غَمُوسا
يأيُّها المولَى الوَزيرُ ومَنْ لَهُ ... حِكَمٌ أغارَتْ منه رَسْطاليسا
هَنِّيتَ تَقْليداً أتاكَ مُجَدَّداً ... لِلناسِ مِنْ سُلطانِهم ناموسا
أرْسَلْتَ منه لِلْخَلائِقِ رَحْمَةً ... عَمَّتْ قِياماً منهم وجُلوسا
وكأنَّ قارِئَهُ[2] بيَوْمِ عَرُوبَةٍ ... لكَ يُعرِبُ التَّسْبِيحَ والتقْدِيسا
ونظَمْتَ شَمْلَ المُلْكِ بالقَلَمِ الذى ... حَلَّيْتَ منه لِلسُّطورِ طُروسا
وبِسَتْرِكَ العَوْراتِ قد كَشفَ الورَى ... لكَ بالدُّعاء المُسْتَجابِ رُءوسا
مِنْ كُلِّ مَشْدُودِ الخِناقِ بِكُرْبَةٍ ... نَفَّسْتَ عنه خِناقَهُ تَنْفِيسا
أطْفَأْتَ نيرانَ العَداوةِ بَعْدَما ... أوْطَأْتَ منها المُوقِدِينَ وطيسا
وأرَحْتَهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ تُحْيى لَهُمْ ... فى كُلِّ يَوْمٍ داحِساً وبَسُوسا
هَلَكَتْ جَدِيسُ وطَسْمُ حِينَ تَعادَتا ... وكأنَّ طَسْماً لَمْ تَكُنْ وجَدِيسا
يا بنَ الذى يَلْقَى الفَوارِسَ باسِماً ... حاشاكَ أنْ تَلْقَى الضُّيوفَ عَبُوسا
سَعِدَتْ بِكَ الجُلساءُ فاحْذَرْ بعضَهُمْ ... فلَرُبَّما أعْدَى الجليسُ جَليسا
بَخَسُوا ضيوفَ اللهِ عِنْدَكَ حَظَّهُمْ ... لا[3] كانَ حَظُّكَ عندهم مَبْخوسا[4]
وأُعِيذُ مَجْدَكَ أنْ يكونَ بِطائِفٍ ... مِنْ حاسِدٍ بِنَميمَةٍ مَمْسوسا
فاللهُ عَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ آدماً ... وأطاعَ آدَمُ ناسِياً إبْليسا

---

(١) د : لدراعه . (٢) د : قاربه . (٣) د : لكن .
(٤) د : منحوسا . وهذا البيت وما يليه تعريض بطبقة الفقهاء ودفاع عن الدراويش . وقد تناولت هذا الموضوع بالتفصيل فى كتابى « البوصيرى : دراسة ونقد » .

إنَّ المُراحِلَ مَنْ أضاعَ أُجُورَهُ　　واعْتاضَ عنها بالنفيسِ خسيسا[(١)]

فارغَبْ[(٢)] إلى حُسْنِ الثَّناءِ فإنه　　لايستوى فى الذِّكْرِ نِعْمَ وبِيسا

ما أنتَ مِمَّنْ تَسْتَبيحُ صُدُورُهم[(٣)]　　حِقْدًا ولا أعراضُهُمْ تَدْنيسا

أدْعُوكَ لِلصفْحِ الجَميلِ فإنْ تُجِبْ　　أحْكَمْتَ بُنْيانًا عَلا[(٤)] تَأْسيسا

ومِنَ السياسةِ أنْ تكونَ مُراعِيًا　　للصالِحِينَ تَبَرُّهم وتَسُوسا[(٥)]

قَوْمٌ إذا انتَدَبوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ　　ألْفَيْتَ واحِدَهمْ يَرُدُّ خَميسا[(٦)]

تاللهِ ما خابَ امْرُؤٌ مُتَوَسِّلٌ　　بالقَوْمِ فِي النُّعْمَى ولا فى البُوسَى

ولقد أتَيْتُكَ باليَقِين فلا تَخَلْ　　قَوْلِي ظُنُونًا فيهمُ وحُدُوسا

ورأيتُ منهمْ ما رأيْتُ[(٧)] لِغَيْرِهم　　وأقَمْتُ دَهْرًا بينهم جاسوسا

مَنْ كانَ مُلْتَبِسًا عليه حديثُهمْ　　أذْهَبْتُ عنه منهمُ التَّلْبيسا

ما ضَرَّهم قولُ المُعانِدِ إنهمْ　　بِفِعالِهِمْ أقوى الأنامِ نُفُوسا

كَمْ ذَمَّهُمْ جَهْلًا وأنْكَرَ حالَهُمْ　　قَوْمٌ يَلُونَ الحُكْمَ والتَّدْريسا

فَرَدَدْتُ قَوْلَهُمُ بِقَوْلِي ضارِبًا　　مَثَلًا على الخَضِرِ السَّلامُ وموسى

وعَلَى سُلَيْمانَ النَّبِيِّ فإنه　　أغْرَى رِحالَيْهِ على بَلْقِيسا

وَعلى فَتَى الحسَنِ الذى سَطَواتُهُ　　مَرَّتْ على الأعداءِ مَرَّ المُوسَى

يا رُبَّ ذِى عِلْمٍ رأى نُصْحِى لَهُ　　فأجابَنِي أتُطِبُّ جالِينُوسا

لَمْ يَدْرِ أنى كلما اسْتَعْطَفْتُهُ　　كانَ الحديدَ وكُنتُ مِغْناطيسا

---

(١) د : نفيسا .　(٢) د : . أرغب .　(٣) ت : ما أنت من تسبيح نفس صدورهم .

(٤) ت : بنيان العلا .　(٥) ت . د : سئوسا .

(٦) الخميس : الجيش الكثيف .　(٧) ت : رويت .

لو كنتُ أرضَى الجاهليةَ مِثْلَهُ ... أمْلَيْتُ ما ملأَ القلوبَ نَسِيسا(١)

وَنفَخْتُ نارَ عَداوةٍ لاتُصْطَلَى ... بل(٢) لايُطيقُ لها العَدُوُّ حَسِيسا

لَمْ يُبْقِ لِي خَوْفُ المَعادِ مُعادِيًا ... فَيَهِيجَ مِنِّى لِلْهِياجِ رَسِيسا(٣)

أَوَ ماترَى حُبَّ السَّلامَةِ جاعِلِي ... أُلْقِي السَّلامَ مُسالِمًا والكِيسا

أمُكَلِّفِي نَظْمَ النَّسِيبِ وَقد رأَى ... عُودَ الشَّبابِ الرَّطْبَ عادَ يَبِيسا

أمَّا النَّسِيبُ فما يُناسِبُ قَوْلُهُ ... شَيْخًا أبدَّ مُعَمَّرًا مَنْكُوسا(٤)

ما هَمَّ يَخْضِبُ شَيْبَهُ(٥) مُتَشَوِّقًا ... زَمَنَ الصِّبا إلاَّ اتَّقَى التَّدْلِيسا

لَمَّا رأَى زَمَنَ الشَّبِيبَةِ مُدْبِرًا ... نَزَعَ السُّرَى وتَدَرَّعَ التَّعْرِيسا(٦)

مَضَتِ الأَحِبَّةُ والشَّبابُ وخَلَّفَا ... لِي الادِّكارَ مُسامِرًا وَأنِيسا

أذْكَرْتَنِي عَهْدَ الطِّعانِ فَلَمْ أجِدْ ... رُمْحًا أصُولُ بِهِ وَلا دَبُّوسا(٧)

أيَّامَ عَزْمِي لاتَفُوتُ سِهامُه ... غَرَضًا وَسَهْمِي جُرْحُهُ لا يُوسَى

ثَنَتِ السُّنُونَ سِنانَ صَعْدَتِيَ التي ... لم تَلْقَ رادِفَةً ولا قَرْبُوسا(٨)

فَقَناةُ حَرْبِي لَا أُرِدْ تَقْوِيمَها ... لِلطَّعْنِ إلَّا رَدَّها تَقْوِيسا

ماحالُ مَنْ مُنِعَ الرُّكوبَ وَطَرْفُهُ ... يَشْكُو إليهِ رِباطَهُ مَحْبُوسا

بالأَمْسِ كانَ لَهُ الشَّمُوسُ مُذَلَّلًا ... واليَوْمَ صارَ لهُ الذَّلولُ شَمُوسا(٩)

لادَرَّ دَرُّ الشَّيْبِ إنَّ نُجومَهُ ... تَذَرُ السَّعِيدَ مِنَ الرِّجالِ نَحِيسا

---

(١) النسيس : غاية جهد الإنسان . (٢) د : بدلا . (٣) الرسيس : ابتداء الحمى وفى د : شكيسا

(٤) المنكوس : الضعيف . (٥) ت : فاحم بحصب سبيله .

(٦) السرى : السير بالليل . والتعريس ، من عرس القوم إذا نزلوا فى آخر الليل للاستراحة .

(٧) الدبوس : نوع من الأسلحة . (٨) صعدتى : قناتى . والرادفة : الرادف الذى يركب خلف الراكب والقربوس : حنو السرج ، وهما قربوسان .

(٩) الشموس : يقال شمس الفرس ، إذا منع ظهره . والشموس ضد الذلول .

كيفَ الطَّرِيقُ إلى اجتماعِ جاعِلٍ بَيْتَ الفِراشِ بِساكِنٍ مَأْنُوسا[١]
لو كانَ لِي فى بَيْتِ خالِي نُصْرَةٌ جَمعتْ نَقِيَّ الخدِّ والإنْكِيسا[٢]
ونَصِيحةٍ أعرَبْتُ عنها فانْثَنَتْ كالصُّبْحِ يَجْلو ضَوْءُهُ التغليسا[٣]
إنَّ النَّصارَى بالمَحَلَّةِ وُدُّهمْ لو كانَ جامِعُها يكونُ كَنِيسا
أتُرَى النصارَى يَحْكُمونَ بأنَه مَنْ باشَرَ الأَحْباسَ صارَ حَبِيسا
إنْ عادَ إسْحَقُ إليها ثانيًا ضَرَبُوا عَلَى أبْوابِها النَاقُوسا
صَرَفَ الإلهُ السُّوءَ عنكَ بِصَرْفِهِ فاصْرِفْهُ عَنَّا واصْفَعِ القِسِّيسا
أفْدِي به المُسْتخدَمِينَ وَإنما أفْدِي بِتَيْسٍ كَاليَهودِ تُيُوسا
لو كنتُ أَمْلِكُ أمْرَهُم مِنْ غَيْرَتى لَمْ أُبْقِ لِلْمُسْتَخْدَمِينَ ضُرُوسا
يَرْعَوْنَ أمْوالَ الرَّعِيَّةِ بالأَذَى لو يُحْلَبُونَ لَأَشْبَهُوا الجامُوسا
اللهُ أرْسَلَهُمْ على أقْواتِهِمْ سُوسًا وَقَدْ أمِنُوا عليها السُّوسا
مَلأَتْ بيُوتَهم[٤] الغِلالُ فلا[٥] تَرَى منها كَبَيْتى فارغا مَكْنُوسا
مَنْ لَمْ يَقُمْ لِي مِنهُمُ بِوَظِيفَتِي جَرَّسْتُهُ بِمَلامَتِي تَجْرِيسا
إنِي لَأُنْذِرُ بَعْضَهم وكَأَنَنِي فى أُذْنِ بَغْلِ الكُوسِ أضْرِبُ كُوسا[٦]
لِي صاحِبٌ سَرَقَ اللُّصوصُ ثِيابَه لَيْلًا فباتَ بِبَيْتِهِ[٧] مَحْبُوسا
وشَكا لِوالِي الحَرْبِ سارِقَ بَيْتِه فكأنما يَشْكُو له أُفْرَنْسِيسا
وكأنه قاضٍ يقولُ لِخَصْمِهِ: هذا غَرِيمُكَ أثْبِتَ التَّفْلِيسا
ويَحُجُّهُ أصحابُ رَبْعٍ عِنْدَهُ ويُقَدِّمُوهُ فَيَظْهَرُ التَّعْبِيسا

---

(١) ت ، ذ : مكنوسا . (٢) الإنكيس : الضعيف . (٣) التغلس : الغلس ، ظلمة آخر الليل .
(٤) ت ، د : قلوبهم . ولعلها بيوتهم . (٥) د : متى .
(٦) الكوس : الطبل . (٧) ت : بليله .

وَلَرُبما التَمَسُوهُ بالمالِ الذى سَرَقُوا فأَصْبَحَ لامِساً مَلْمُوسا
مَلئوا البيوتَ بمالِهِ ولو اشتَكَى مَلئوا بأَوْلادِ الحَزِينِ حُبُوسا
كَمْ قُلْتُ إذْ سَمِعَ الوُلاةُ كلامَهم أَتُرَى الوِلايَةَ تُفْسِدُ الكَيمُوسا
قَلَبَ العِيانَ لَهُمْ وكَمْ فى عِلْمِهِ جَعَلوا الدّنانيرَ الثِّقَالَ فُلوسا
فانْظُرْ لمَنْ ذَهَبَ اللُّصُوصُ بمالِهِ وبِعَقْلِهِ يَعْنُو اللُّصُوصُ حُبُوسا
رَفَعُوا القَواعِدَ مِنْ شِوارِ[1] ثِيابِهِ واسْتَأْصَلوا المَنْصُوبَ والمَلْبُوسا
قد كنتُ مِنْ خَوْفِ اللُّصُوصِ أخافُ أَنْ أُهْدِى إليكَ مِنَ القَرِيضِ عَرُوسا
لازِلْتَ طولَ الدَّهْرِ تَحْكِى فى العُلا آباءَكَ الغُرَّ الكِرامَ الشُّوسا
ما دامَ يَتْبَعُ النُّجُومَ مُنَجِّمٌ[2] وَيُخَبِّرُ التَّثْليثَ والتَّسْدِيسا

وقال فى رجل مغربىٍّ عانده فى الشعر، وشرع فى هجائه وكان نزل[3] عند ولى الدولة المستوفى ضيفا[4] عنده، وكان يعمل شعره نخلة[5] :

قُلْ لِوَلِيِّ الدَّوْلَةِ المُرْتَجَى والمُتَّقَى فى الجُودِ والباسِ
فُزْتَ بأَهْلِ الفَضْلِ حتَّى حَكَوْا عندَكَ فَوْزًا عند[6] عَبَّاسِ
لاسِيَّما هذا الأَدِيبُ الذى أَتَى مِنَ النَّظْمِ بأَجْناسِ
النَّابِهُ[7] المُفْلِقُ فى مَدْحِهِ وهَجْوِهِ والجارِحُ الآسِى
لَمْ أَرَ[8] مِنْ قبلِ وُقُوفِى عَلَى ما قالَ نُشَّابًا بِقِرْطاسِ

---

(١) خزانة توضع فيها الثياب أو صندوق .
(٢) د : ما دام تربيع النجوم منجم ، ت ما دم تربيم ... ونظن الصواب ما أثبتناه .
(٣) د : كان نزول عدول الدولة . (٤) د ، ت : صفا والصواب ما أثبتناه .
(٥) ت : بحلة . (٦) د : عبد . (٧) ت : بى . (٨) د : لم أدر .

ونَخْلةٍ تَشْكُرُ جَدْواكَ مِنْ أَصْلٍ ومِنْ فَرْعٍ ومِنْ راسِ
شاهِقَةٍ مِنْ دُونِ مِصْرٍ تُرَى وهْىَ حَوالَىْ دَرْبِ دَوَّاسِ
وَرُقْعَةُ الشِّطْرَنْجِ ثمَّ انْتَهَى ولَمْ أكُنْ لِلْفَضلِ بالناسِي
حالِيَةٌ عامِرَةٌ شُبِّهَتْ بَيادِقُ فيها بأَفْراسِ
فَقُلْ لنا مَنْ ذا الأَدِيبُ الذى زادَ بهِ حُبِّي وَوَسْواسِي؟
إِنْ كانَ مِثْلِي مَغْرِبيًّا فَما فى صُحْبَةِ الأَجْناسِ مِنْ باسِ
وإنَّ مِثْلِي عندَه[1] اليَوْمَ كالصَّخْرَةِ عندَ الجَبَلِ الراسِي
وَبَيْنَ دارَيْنا كما بيننَا وَأَيْنَ مُرَّاكِشُ مِنْ فاس
وإِنْ يُكَذِّبْ نِسْبَتِي جِئْتُهُ بِجُبَّتِي الصُّوفِ وَدَفَّاسِي
وإِنْ يَجِدْ فى لُغَتِى رِيبَةً أُكَتِّم نبا نازَعَتْ إِفْلاَسِي[2]

قافية الفاء[3] :

قال للقاضى عماد[4] الدين ، يحرضه على كنافة :

ما أكلْنا فى ذا الصِّيامِ كُنافَهْ آهِ وابُعْدَها علينا مسافَهْ
قالَ قَوْمٌ إنَّ العِمادَ كَرِيمٌ قُلْتُ هذا عندى حَدِيثُ خُرافَهْ
أَنا ضَيْفٌ لَهُ وَقد مُتُّ جوعًا لَيتَ شِعْرِى لِمْ لاتُعدُّ الضِّيافَهْ

---

(١) د : عبده .

(٢) ت : نازعت فلاسي ، وكتب أمامها فى الهامش :

وإن تجد فى لغتى ريبة أكتم بنا نازعت فلاسى

ولا معنى للشطر الثانى .

(٣) ساقطة من ت . (٤) د : عماد الدين بن أبى .

وهوَ إنْ يُطعِمِ الطَّعامَ فما يُطْـــعِمُهُ إلاّ بِسُمْعَةٍ أو مَخافَهْ
وهوَ فى الحرِّ[١] والخريفِ[٢] وفى الْـــبَيْتِ يَجْمَعُ الحطامَ كالجرّافَهْ
فاعْلَمُوهُ عَــنى وَلا تعتِبُونى إنّ عِنْدِى فى الصَّوْمِ بعضَ الخِرافَهْ[٣]
فَهوَ إنْ لَمْ يُخْرِجْ قليلًا[٤] إلى الحا ئِطِ فى لَيْلَتى طَلَعتُ القَرافَهْ

ولما أحضر الجناب السابقى شيوخ صَنْعاء[٥] وحَلَق نصف لحية كل منهم ، وعزم على أن يخلصهم ، دخلوا عليه فكتب[٦] له[٧] هذه الأبيات :

أخبَرُونى غَضبَةً[٨] وصَلَفا[٩] أنكم رُحْتُمُ إليـهِ[١٠] مَرْصَفا
ثُمَّ قالوا عَنْ ذُقون حُلِقَتْ قُلْتُ لابُدَّ لها أَنْ تُخْلَفا[١١]
إنَّ حَلْقَ الذَّقْنِ خيرٌ لِلْفَتَى يا بَنى الأعْمامِ[١٢] مِنْ أنْ تُنْتَفا
والذى حَلَقَ أنصافَ اللِّحَى كانَ فى الأَحكامِ عَدْلا مُنصِفا
حَلَقَ النِّصْفَ بِذَنْبٍ حاضِرٍ وَعَفا بالنصفِ عَمّا[١٣] سَلَفا

قافيــة اللام :

قال هذه القصيدة ، وسماها « المخرَج والمردود ، على النصارى واليهود » :

جاءَ المَسيحُ مِنَ الإلٰهِ رَسُولا فأَبَى أَقَلُّ العالَمِينَ عُقُولا
قَوْمٌ رَأَوْا بَشَرًا كَريمًا فادَّعَوْا مِنْ جَهْلِهِمْ لِلّٰهِ فيــهِ حُلولا

---

(١) د : البحر. (٢) د : لحريف .
(٣) هذا البيت ساقط من د . (٤) ت : الطعام .
(٥) د : ولما حضر لجانب السابقى شيوخ صنعاء . (٦) د : كتب .
(٧) ساقطة من د . (٨) د : غضة . (٩) د: صنفا . (١٠) د : إليهم .
(١١) د : تجلقا . (١٢) د : العم . (١٣) د ، ت: عمن . والصواب ما أثبتناه .

وعِصَابَةٌ ما صَدَّقَتْهُ وَأَكْثَرَتْ   بالإفْكِ والبُهْتانِ فيهِ القِيلا
لَمْ يَأْتِ فيـهِ مُفرِطٌ ومُفَرِّطٌ   بالحقِّ تَجْرِيحًا وَلا تعْدِيلا
فـكأَنَّما جاءَ المَسِيحُ إليهمُ   لِيُكَذِّبُوا التَّوْراةَ والإنجيـلا
فاعْجَبْ لِامَّتِهِ التي قدْ صَيَّرَتْ   تَنْزِيهَا[1] لِإلهِها التَّنْكِيلا
[وإذا أرادَ اللهُ فِتْنَةَ مَعْشَرٍ   وَأَضَلَّهُمْ رَأَوُا القَبِيحَ جَمِيـلا][2]
هُمْ بَجَّلوهُ بِباطِلٍ فابْتَزَّهُ   أَعداؤُه بالبـاطِلِ التَّبْجِيلا
وتَقَطَّعُوا أمْرَ العَقائِدِ بينهمْ   زُمَرًا أَلَمْ تَرَ عِقْدَها مَحْلولا
هُوَ آدَمُ فِي الفَضْـلِ إلَّا أنهُ   لَمْ يُعْطَ حالَ النَّفْخةِ التَّكْمِيلا

* * *

[تعليق الناظم] :

قال الناظم : لما رأيت كتب النصارى واليهود الآن مشحونة بما ينكرونه من بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها القول بخلاف ما يدعونه من ألوهية المسيح ، ومن صَلْبه ، وإثبات رسالته إلى النصارى واليهود ، وما لا يخفى ، تعرضت فى هذه القصيدة إلى ذكر ماسَهل نظمه من ذلك ، وأردت أن أُورد تحت كل أبيات منها ما أشارت إليه من النصوص التى لايستطيع النظم ذكرها بلفظها[3] ولا بترتيبها . فمن ذلك :

ذكروا أن المسيح عبد الله ورسوله وواسطته بينه و بين الناس بلفظهم الذى رضوا إظهاره باللغة العربية ، واعترفوا أنها لفظ الإنجيل . قوله فى إنجيل لوقا : أنه لم يُقتل أحد من الأنبياء فى وطنه ، فكيف يقتلوننى ؟ ! وقوله حين خرج من السامرية : الحق بجلجال ، إنه لم يكرم

---

(١) د : تنويها .   (٢) زيادة فى م .   (٣) د : بتلفظها .

أحد من الأنبياء فى وطنه . فهذا دليل أنه ماجعل نفسه إلا نبيا . وكقوله فى إنجيل مرقص[١] : إن رجلا أقبل عليه وقال : أيها المعلم الصالح ، أىّ خير أعمل ، لأنال الحياة الدائمة ؟ فقال له المسيح : لم قلت لى صالحا ؟ إنما الصالح الله وحده . وفى إنجيل يوحنا : أن اليهود لما أرادوا القبض عليه وعلم بذلك، رفع بصره إلى السماء، وقال: «قد دنا[٢] الوقت ياإلهى! فشرفنى لديك ، واجعل لى سبيلا إلى أن أملك كل ما تملّكتنى الحياة الدائمة ، وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا بك إلها واحدا . وبالمسيح الذى بعثت ، فقد عظمتك على أهل الأرض، واحتملت ما أمرتنى به ، فشرِّفنى لديك » . وكفى بذلك تذللا لله وعبودية ، وسؤالا واعترافا ، وائتمارا بأمر الله سبحانه وتعالى . وكقوله لتلاميذه : لاتنسَوا أباكم فى الأرض ، فإن أباكم الذى فى السماء وحده . وفى إنجيل لوقا حين أحيا الميت بباب مدينة ، قام حين أشفق لأمه ، لشدة حزنها عليه ، فقال الناس : إن هذا نبى عظيم[٣] . وإن الله يفيدك منه . فلو كان المسيح ادّعى أنه إله ، لما قيل عنه خلاف ما ادعاه فى معرض الشكر والتصديق . وكقوله فى إنجيل يُوحنا لست أقدر أن أفعل من ذاتى شيئا ، لكننى أجيبكم بما أسمع ، لأنى لست أنفذ إرادتى ، بل إرادة الذى بعثنى ؛ وكقوله فى إنجيل يوحنا ، أيضا لليهود : قد عرفتمونى وموضعى ، ولم آت من ذاتى ، ولكنى بعثنى بالحق وأنتم تجهلونه ؛ فإن قلت إنى أجهله ، كنت كاذبا مثلكم . وأنا أعلم أننى نبيه ، وأنه بعثنى . وكقوله لليهود : إن كنتم بنى إسرائيل ، فاقتفوا أثره ، ولا تريدوا قتلى ، على أننى رجل أديت لكم الحق الذى سمعته من الله تعالى ، غيرأنكم

(١) إنجيل مرقص : الإصحاح العاشر :

« أيها المعلم الصالح ، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية . فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحا . ليس أحد صالحا إلا واحد هو الله » ووردت هذه العبارة أيضا فى إنجيل لوقا ، إصحاح ١٨ .

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ « أيها الأب قد أتت الساعة . مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضا إذ أعطيته سلطانا على كل جسد ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته . وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح للذي أرسلته . العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته . والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم .

(٣) إنجيل لوقا ، الإصحاح السابع .

تقفون آثار آبائكم . وقال : لو أن أباكم الله ، لحفظتمونى ، لأنى رسول منه خرجت مقبلا ، ولم أقبل من ذاتى ، ولكن هو بعثنى إليكم ، لكنكم لاتقبلون وصيتى . وفى الإنجيل أنه كان يوما يمشى فى أسطوان سليمان ، فأحاطت به اليهود ، وقالوا له : إلى متى تخفى أمرك ؟ فإن كنت المسيح الذى ينتظر ، كما علمنا بذلك ولم يقولوا : إن كنتَ الله ولا الربَّ . وفيه أن اليهود أرادوا القبض عليه ، فبعثوا إليه الأعوان ، وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم ، فقالوا لهم : لم تأخذوه ؟ فقالوا : ما سمعنا آدميا أنصف منه . فقالت اليهود : وأنتم أيضا مخدوعون . أترون أنه آمن به أحد من القواد ، ومن رؤساء أهل الكتاب ؟ إنما آمن به من الجماعة من يجهل الكتاب . فقال لهم يودنس القسّ : أترون أن كتابكم يحكم على أحد قبل أن يُسْمَع منه ؟ فقالوا له : اكشف الكتاب ترى أنه لايجىء من جَلجال نبىّ قط ؛ فلو ظهر عنه دعوى غير أنه بشر رسول ، لما قالت الأعوان : ما سمعنا آدميا أنصفَ منه . ولا قالت اليهود : إنه لايجىء من جلجال نبىّ قطّ ، وكقوله لتلاميذه إنه ستأتى ساعة يظن كل من يقتلكم أنه يقرب إلى الله تعالى قُرْبانا ، لأنه لم يعرف الله ولا أنا . وفى رسائل بولُس : يسوعُ المؤتمنُ عند من خلَقه . وقوله حكاية عن جبريل لأم المسيح : إنك ستعتلين جبلا ، وتلدين ابنا ، ويدعى اسمه يَسوع : هذا يكون عظيما ، ومعظّما لرِبه الإله كرسىّ داود أبيه . وقال بولس الرسول : عندهم إله سيدنا يسوعَ المسيح ، يعطيكم روح الحكم والبيان . وقال أناشدُك اللهَ سيدنا يسوعَ المسيح ، والملائكة المصطفين : وقوله إن هذا الرسول عظيم ، اختار إيماننا يسوع الذى صنعهُ مثل موسى . وكقوله كما زعموا : إلهى إلهى ، لماذا تركتنى . وقوله يستطاع أن تقرَّ عينى هذه الساعة . وكقوله : الآن كل شىء بقدرتك، أجْرِغْنِى هذا الكأس الذى ليس كإرادتى يكون ، بل كما تريد أنت . وكقوله : جرعت نفسى الآن ، فماذا أقول يا رباه ، فسلمنى من هذا الوقت . وقوله وقد سئل عن الساعة : إنما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا تعلمها الملائكة ولا الأمم ، إلا اللهَ وحده . وقوله لتلاميذه : آمنوا بالله ، وآمنوا بى . وكقوله للذى سأله ماذا أصنع لأعمل أعمال الله تعالى ؟ هذا هو عمل الله : أن يؤمنوا بمن أرسله . وفى زبور داود (ع)

خطابا له من الله : إنه سيولد لك ولد أُدْعَى له أبا ، و يدعى لى ابنا : فقال داود : اللهم ابعث جاعل السنة ، كى يعلم الناسُ أنه بَشَر .

المفهوم من ذلك أن الله أطلَع داود على من سيدعى بالمسيح ، فقال : اللهم ابعث جاعل السنة يعلم الناس أنه بشر ، وأن دعوى الر بو بية له ، ما كان إلا بعد رفعه وموت حوار ييه بنحو من ثلاث مئة سنة ، ولا أعلم الناس أنه بشر بعده إلا النبى (ص) وكذلك قول المسيح فى الإنجيل : اللهم ابعث البارقليط(١) ، ليعلم الناس أن الإنسان بشر .

وفى الزبور : سَلْنِى لأعطيَك الشعوب ترعاهم . وقول بولس : فالله واحد هو ، والواسطة بين الله و بين الإنسان يسوعُ المسيح . وقوله : ولْيعف بعضكم عن بعض ، كما عفا الله تعالى عنكم بالمسيح عليه الصلاة والسلام .

* * *

أَسَمِعْتُمُ أنَّ الإِلَهَ لحاجَةٍ ... يَتَنَاوَلُ المَشْرُوبَ والمَا كولا

وَيَنامُ مِنْ تَعَبٍ ويَدْعُو رَبَّهُ ... ويَرُومُ مِنْ حَرِّ الهَجِيرِ مَقِيلا

ويَمَسُّهُ الألَمُ الَّذى لَمْ يستَطِعْ ... صَرْفًا لَهُ عنهُ ولا تَحْوِيلا

ياليتَ شِعْرِى حِينَ ماتَ بِزَعْمِهِمْ ... مَنْ كانَ بالتَّدْبِيرِ عنه كَفِيلا

هَلْ كانَ هذا الكَوْنُ دَبَّرَ نَفْسَهُ ... مِنْ بَعْدِهِ أمْ آثَرَ التَّعْطِيلا

اِجْزُوا اليَهُودَ بِصَلْبِهِ خَيرًا ولا ... تُخْزُوا يَهُوذَا الآخِذَ البِرْطِيلا(٢)

زَعَمُوا الإِلَهَ فَدَى العَبِيدَ بِنَفْسِهِ ... وأَراهُ كانَ القاتِلَ المَقْتُولا

أَيَكونُ قَوْمٌ فى الجَحِيمِ وَيَصْطَفِى ... منهم كَلِيما رَبُّنا وخَلِيلا

وإذا فَرَضْتُمْ أنَّ عيسى رَبُّكُمْ ... أفَلَمْ يَكُنْ لِفِدائِكُمْ مَبْذُولا

---

(١) البارقليط : كلمة يونانية معناها محمد .

(٢) البرطيل : الرشوة .

وأُجِلُّ رُوحاً قامَتِ المَوْتى بهِ   عَنْ أنْ يُرَى بِيَدِ اليَهودِ قَتيلا
فدَعُوا حديثَ الصَّلْبِ عَنْهُ ودُونَكُمْ   مِنْ كُتْبِكُمْ ما وافَقَ التَّنْزِيلا
شَهِدَ الزَّبورُ بِحِفْظِهِ ونَجاتِهِ   أفتَجْعَلونَ دَلِيلَهُ مَدْخُولا
أَيكُونُ مَنْ حَفِظَ الإلٰهُ مُضَيَّماً   أوْ مَنْ أُشِيدَ بِنَصْرِهِ مَخْذُولا ؟[1]
أيَجُوزُ قَوْلُ مُنَزِّهٍ لإلٰهِهِ   سبحانَ قاتِلِ نَفْسِهِ فأَقُولا؟[2]

* * *

[تعليق الناظم] :

فى زبور داود (ع) : إن الله تعالى نجى مسيحه واستجاب له من سماء قدسه ، وكذلك قوله إن الله يوصى ملائكته بك ليحفظوك ، فإذا لم يكن ذلك الحفظ وتلك النجاة من الصلب والقتل، فماذا يكون؟ وليس عند النصارى ولا اليهود خبر يأتون به، ولا رواية صحيحة، أن المسيح صلب ، فإن أحدا ما حضره من أصحابه عند ما أخذ شبهه ، ولا كانت اليهود يعرفونه ، وإنما دلهم عليه رجل يقال له يهوذا ، ويسمونه يودنس الأسخريوطى ، وكان فيمن آمن بالمسيح وارتد .

* * *

أوْ جَلَّ مَنْ جَعَلَ اليَهُودُ بِزَعْمِكُمْ   شَوْكَ القَتادِ لِرَأْسِهِ إكْلِيلا
ومَضَى بِحَمْلِ صَلِيبِهِ مُسْتَسْلِماً   لِلْمَوْتِ مَكْتُوفَ اليَدَيْنِ ذَلِيلا

---

(١) هذا البيت ورد فى الأصل هكذا .

فيكون من حفظ الإله مضيما   ومن استبد بنصره مخذولا

وهذه رواية م .   (٢) زيادة فى م .

كَمْ ذا أُبَكِّتُكُمْ ولَمْ تَسْتَنْكِفُوا أنْ تَسْمَعُوا التَّبْكِيتَ والتَّخْجِيلا
ضَلَّ النصارَى فى المَسِيحِ وَأقْسَمُوا لا يَهْتَدُونَ إلَى الرَّشادِ سَبِيلا
جَعَلوا الثَّلاثَةَ واحِدًا ولو اهْتَدَوْا لَمْ يَجْعَلوا العَدَدَ الكَثِيرَ قليلا
عَبَدُوا إلهاً مِنْ إلهٍ كائِناً ذَا صُورَةٍ ضَلوا بها وهَيُولَى

* * *

[تعليق الناظم] :

وأعطوه على تعريفهم به ثلاثين درهما، ثم بدا له وردَّ الدراهم وندم ، وأن اليهود جاءوا إلى المكان الذى فيه المسيح فخرج إليهم رجل ، فقالوا له : أنت يسوع ، فقال نعم . فأخذوه ومضوا ، وكانوا يستفهمونه ويقولون : أنت هو المسيح ؟ فيقول : أنتم تقولون ، فمضوا به يوم الجمعة ، وقالت النصارى: إنه صلب فى يوم ... فى الساعة التاسعة، وقالت اليهود : إنه أقام عندهم محبوسا أربعين يوما وهم يستخبرونه ويسألونه إن كان هو هو، ويظهر لهم آية فلم يجبهم إلى ماسألوه ، لا فى حال أخذه ولا فى حال صلبه ، وقالت النصارى إن يودس الذى دل عليه اليهود خنق نفسه ندما ، وتأولوا له أنه قصد أن يموت قبل المسيح ليدخل النار ، فإذا مات المسيح مضى إلى الجحيم فخلصه من جملة بنى آدم وبنيه ، فإنهم كانوا بزعم النصارى منذ آدم وإلى ذلك اليوم فى الجحيم : نبيهم ورسولهم ومؤمنهم وكافرهم ، وإنه أخرج الجميع وخلصهم . وصلبه ، فما من اليهود من عرف المسيح ، ولا من أصحابه من حضره حيا ولا ميتا على زعمهم: وصدقوا فيه قول واحد مرتد، ثم إنه عدم، فقالوا خنق نفسه، وتأولوا. وما يدريك أن الله ألقى شبه المسيح على ذلك الذى دل عليه بذنبه وبكفره ، والله أعلم .

* * *

ضلَّ النَّصارَى واليَهودُ فلا تَكُنْ ... بِهِم ِ عَلَى سُبُلِ الهُدَى مَدْلُولا
وَالْمُدَّعُو التَّثْلِيثِ قَوْمٌ سَوَّغُوا ... ما خالف المنقولَ والمَعْقولا
والعابِدُونَ العِجْلَ قد فُتِنُوا به ... ودُّوا اتِّخاذَ الْمُرْسَلِينَ عُجُولا
فإذا أَتَتْ بُشْرَى إليهمْ كَذَّبُوا ... بِهَوَى النُّفُوسِ وقُتِّلُوا تَقْتِيلا
وَكَفَى اليهودَ بأنهم قد مَثَّلُوا ... مَعْبُودَهُمْ بِعِبَادِهِ تَمْثِيلا(١)
وَبأَنَّ إسرائِيلَ صارعَ رَبَّهُ ... ورَمَى به شُكْرًا لِإسرائيلا(٢)
وَبأَنَّهم رحَلُوا به فى قُبَّةٍ ... إذْ أَزْمَعُوا نَحْوَ الشامِ رَحِيلا(٣)

* * *

[تعليق الناظم] :

أى شبه كان ، والله أصدق القائلين يقوله ـ و إن الذين اختلفوا فيه لفى شك[١] منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن ـ وما خرج أمره عن ذلك . وكذلك إخبارهم عن قيامه من القبر عن امرأتين مريم المجدلية ومريم أم يعقوب، أخبرتا أنهما أتيتا إلى القبر فوجدتا فيه رجلا قال لهما إن يسوع المصلوب قام ولحق بجلجال ، وأخبارهم فى ذلك وفى عقائدهم مثل ذلك . هذه الأخبار كلها هذيانية .

(١) وفى التوراة ما يدل على التبديل : أن الله تعالى كالإنسان شخص وجوارح .

(٢) وفيها أن الله سبحانه تصارع مع يعقوب ، فضرب به يعقوب .

(٣) وفيها أن الله عز وجل لما أمرهم بالتوجه إلى الشام ، وعدهم أن يتوجه معهم ، وأمرهم أن يعملوا له قبة على صورة كذا ، ينزل فيها فى سيره معهم . ثم إن موسى قال : يارب إن هذه الأمة القاسية رقابها لاتمضى إلى الشام حتى تمضى معها كما وعدتها ، فقال الله تعالى : نعم اعملوا لى قبة ، وعمل موسى القبة، وسماها قبة العهد، ونزل فيها من عرشه، وسار معهم فى داخل القبة، ينزل

---

(١) آية ١٥٧ سورة النساء .

بنزولهم ، و يرحل برحيلهم . هذا نص ما ترجموه من التوراة . وتتمة الحديث مامعناه أنهم حملوا أموالا إلى موسى عليه السلام ، وتولى إنفاقها على القبة ، وأنهم حسبوا ما أنفق عليها فعجز ألف رطل وسبع مئة رطل ، فاتهموا فيه موسى حتى سمعوا صوتا من الهوا يخبر أن ذلك الوزن انصرف فى القبة ورأس العمد .

* * *

وَبِأَنهمْ سَمِعُوا كَلامَ إلٰهِهِمْ وسَبِيلُهُمْ أنْ يَسْمَعُوا المَنْقُولا(١)
وبأنهم ضَرَبُوا لِيَسْمَعَ رَبُّهُمْ فى الحَرْبِ بُوقاتٍ لَهُ وَطُبُولا(٢)
وَبِأَنَّ رَبَّ العالَمِينَ بَدا لَهُ فى خَلْقِ آدَمَ يالَهُ تَجْهِيلا(٣)
وَبَدا لَهُ فى قَوْمِ نوحٍ وانْثَنَى أسَفًا يَعَضُّ بَنانَهُ مَذْهُولا(٤)

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) وفيها أن جميع بنى إسرائيل سمعوا كلام الله بلا واسطة ، كما سمعه موسى ، فأىّ فضيلة لموسى عليهم بذلك ؟

(٢) ومما نسبوه إلى التوراة أن الله أمرهم أن يضربوا البوق فى عسكرهم قليلا قليلا ، حتى يلقوا عدوهم، فحينئذ يضربون به بأشد مايقدرون عليه ليسمعهم الله تعالى ، فيؤيدهم على عدوهم . كأن الله تعالى وتقدس وتنزه ؛ إنسان ، سبحانه وتعالى عن قولهم .

(٣و٤) ومما ترجموه فيها أن الله تعالى ندم على خلق آدم ، وخاف أن يأكل من شجرة الحياة ، فيكون إلها مثله ، وكذلك أخرجه من الجنة . وفيها : ورأى أن كثرة فساد الآدميين فى الأرض فقدم على خلقهم ، فقال : سأذهب الآدمى الذى خلقت على الأرض والحشائش

وطير السماء ، لأنى نادم على خلقهم جدا ، وفيها ذكر ندمه على ما فعل قوم نوح بلفظ أبشع من هذا فى البارى سبحانه وتعالى ، وأشد استحالة .

* * *

وَبِأَنَّ إبراهيمَ حاولَ أَكْلَهُ خُبْزًا ورامَ لِرِجْلِهِ تَغْسِيلا(١)

وبأنَّ أموالَ الطَّوائِفِ حُلِّلَتْ لَهُمُ رِبًا وخيانَةً وغُلولا(٢)

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) وفيها أن إبراهيم كان يوما قاعدا عند باب فسطاط الله تعالى ، وأبصر ثلاثة رجال واقفين منه على مقربة ، فخر إليهم ساجدا ، وقال يا هذا إن كنت راضيا عنى فلا يحلف عندك حتى أسوق ماتغسلون به أرجلكم وتستقبلون حتى هذه الشجرة ، وأقدم إليكم كسرة تقوّمون بها قلوبكم ، وبعد هذا تذهبون . زعموا أن إبراهيم إنما دعا الثلاثة باسم الواحد ، علما بأنه الله سبحانه وتعالى ، وجوّزوا عليه وعلى إبراهيم عليه السلام أن يطعم الله خبزا ، ليقوى بها قلبه ، ويغسل رجليه تعالى وتقدس عن ذلك علوا كبيرا . وجعلت النصارى ذلك دليلا على أن الثلاثة واحد ، وهم الذين ذكرهم فى القرآن بقوله تعالى وتقدس (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) .

(٢) اليهود تزعم أن موسى (ع) عليه السلام أمرهم أن يأخذوا أموال خزانهم من أهل مصر على سبيل الفدية ، ثم قال لهم: يقول لكم اهربوا بها ففعلوا ، وقالوا: هى أجرة سحرتنا مع فرعون وليست أجرتهم على الضعفاء والمساكين والعامة ، إنما أجرتهم على فرعون الذى استخدمهم . وفى التوراة : فلا تزن لأجل أن يباركك الرب إلهك . وفيها : لاتسرقوا ولا تكذبوا ولا يفجر المرء بأخيه ، فتأولوا إخاء اليهود خاصة دون سائر بنى آدم . وقد أخبر

---

(١) آية ٢٤ سورة الذاريات .

الله تعالى عنهم بذلك فقال : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون[1] على الله الكذب وهم لايعلمون » . ومن أقوالهم : احفظ سبيك ، واصنع ما شئت .

* * *

وبأنهمْ لم يخرُجوا مِنْ أرْضِهِمْ فكأنهم حَسِبُوا الْخرُوجَ دُخُولا(١)
وحَدِيثُهُمْ فى الأنبياء فلا تَسَلْ عنه وخَلِّ غِطاءهُ مَسْدُولا(٢)
لَمْ يَنْتَهُوا عَنْ قَذْفِ دَاوُدٍ وَلا لوطٍ فكيفَ بِقذْفِهِمْ رُوبِيلا
وَعزَوْا إلَى يَعقوبَ مِنْ أولادِهِ ذِكْرًا مِنَ الفعْلِ القَبِيحِ مَهولا
وَإلى المَسِيحِ وَأُمِّهِ وكَنَى بها صِدِّيقَةً حَمَلَتْ به وبَتُولا
وَلِمَنْ تَعَلَّقَ بالصَّلِيبِ بِزَعْمِهِمْ لَعْنًا يَعُودُ عليهمُ مكفولا(٣)

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) وفيها أن بنى إسرائيل يمكثون فى الأرض المقدسة إلى الانقراض ، وإخراجهم منها دليل كذبهم على الله تعالى فى كتبه .

(٢) ترجموا فى التوراة التى بأيديهم الآن من قذف الأنبياء الكرام الذين اصطفاهم الله تعالى ما لايجوز ذكره ولا التنويه به ، وذلك مما يدل على كذبهم ، فإن الله تعالى حيى كريم ، عصم أنبياءه ، لا يذكر عنهم الفواحش فى كتبه التى تقرأ على مر الأزمان ، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا .

(٣) ومما يدل على كذبهم أنهم كتبوا فى التوراة : ملعون ابن ملعون من تعلق بالصليب ؛ تمهيدا لعذرهم بزعمهم أنهم صلبوا المسيح ، وأنه ليس المسيح الذى شهدت به ، وكذلك

(١) آية ٧٥ سورة آل عمران .

النصارى نسبوا إلى كتاب عاموص النبي: إذا سمر فى ثلاثة أعواد، سر فى الأرض . فقال صهيون عبد لبدران الناموسى ، ونصب عليها علم الخلائق ، حينئذ يتلف بنى إسرائيل بالخزى والجوع . وكلام النصارى فى ذلك ضد كلام اليهود ، وكلاهما باطل فى حديث الصلب الذى ضلوا فيه بالشبه .

* * *

وجَنَوْا على هارونَ بالعِجْلِ الذى نسبُوا لَهُ تَصْوِيرَهُ تَضْلِيلا(١)
وَبأنَّ موسى صَوَّرَ الصُّوَرَ التى ما حَلَّ منها نَهْيُهُ مَعْقولا(٢)
وَرَضُوا لهُ غَضَبَ الإلٰهِ فلاَ عَدا غَضَبُ الإلٰهِ عَدُوَّهُ الضِّلِّيلا(٣)
وَبأَنَّ سِحْرًا ما اسْتطاعَ لآيَةٍ منه وَلا اسطاعتْ لهُ تَبْطِيلا
وَبأنَّ ما أبْدَى لهُمْ مِنْ آيَةٍ أَبْدَوْا إليهِ مِثْلَها تَخْيِيلا
إلّا البعُوضَ ولا يَزالُ مُعانِدا لإلهِـهِ بِبَعُوضَـةٍ مَخْذُولا

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) وفى التوراة : أن هارون صاغ لهم العجل الذى عبدوه ، وأمرهم أن يذبحوا له القرابين من دون الله تعالى ، ففعلوا واتخذوا له عيدا ، وجلسوا عنده يأكلون ويشربون ويتسابقون . فانظر هذا القول الذى لايجوز نسبته إلى نبى اختاره الله تعالى لهداية خلقه . ولقد تحدثت مع بعض من أسلم منهم فى ذلك ، قال : ما عندهم خلاف أن ذلك فى التوراة منصوص ، وإنما الحلىّ الذى أحضروه إلى هارون كان فيـه خاتم ذهب من خواتم يوسف الصديق (ع) ، عمل فى طالع الثور وعليه صورة الثور ، فلما سأل هارون الزينة وقلبها تصور منها العجل . فانظر هذه الأقاويل ، ما أضل قائلها !

(٢) وفى التوراة تحريم التصوير وعمل الأصنام ، واللعنة لمن عمل ذلك والغضب عليه ، ثم فيها أن موسى عمل صورة ملكين من الكرو بيين من ذهب مفرغ ، أجنحتهما مبسوطة ، ووجه كل منهما إلى الآخر ، ونصبهما على صحيفة ذهب تسمى صحيفة التطهير بكلمة الله تعالى ، ومن بينهما أنه أيضا عمل صورة حية من نحاس .

(٣) معناه أن اللعنة والغضب فى التوراة على من صوّر الصور ، وقد نسبوا إلى موسى عملها ، وفى أن الله غضب على موسى وهارون ، ومنعهما من الدخول إلى الأرض المقدسة ، ثم تكرر ذلك فى السفر الخامس ، فقال موسى : وغضب الله على أنا ، وحلف لا أدخل إلى الأرض الصالحة التى وهبها ربكم لكم .

وفيها أن سحرة فرعون عملوا الآيات التسعة الأولى التى جاء بها موسى، وأنهم ما قدروا أن يبطلوا شيئا من آياته ولا أبطل شيئا من سحرهم الذى جاءوا به ، والله تعالى وتقدس قال : (ما جئتم به[1] السحرُ ، إن الله سيبطله) .

* * *

ورَضُوا لِموسى أنْ يقولَ فواحِشًا خَتَمَتْ وصِيَّتَهُ لهنَّ فصُولا(١)
نَقَلوا فَواحِشَ عَنْ كليمِ اللهِ لَمْ يَكُ مِثْلُها عَنْ مِثْلِهِ مَنْقُولا
وأظُنُّهُمْ قد خالفوه فَعُجِّلَتْ لهُمُ العقُوبَةُ بالْخنا تَعْجِيلا
وشَكَتْ رِجالُهُمُ مَصادِرَ ذَيْلِها ونِساؤُهُمْ غيرَ البُعُولِ بُعولا

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) ومن التوراة عندهم أن موسى (ع) قال لبنى إسرائيل فى الوصية التى وصاهم بها ، فقال عند آخرها : وإن كفرتَ وحدتَ عن سبيله وعبدتَ الآلهة الأجنبية ، يبتليك الله بدواهى

---

(١) سورة يونس آية ٨١ .

مصر ، ويضرب الجرب من جسدك الذى يصدر عنه الذيل بالجرب والحكاك الذى لا دواء له ، وتتزوج زوجا ويضاجعها غيرك . ولا خلاف أن بنى إسرائيل عبدوا الآلهة ، فإما أن يكون هذا القول باطلا ، أو يكون قد ابتلوا بما أوعدهم الله به من علمه القطم والقرن، فإن الجرب والحكاك الذى لا دواء له وهو القطم ، لأنه عين فى مصدر الذيل من الجسد ، وليس البواسير التى يولونها لأن البواسير مرض كالبرص والجذام ، وكذلك أن يتزوج زوجة ويضاجعها غيره ، فإن المقصود بذلك المعيرة فى الموضعين ، ولا معيرة فى برص .

وتعالى الله عما يقولون، وتنزه فى التوراة التى جعلها هدى ونورا للإنسان كليمُ الله عز وجل عن ذكر هذه الفواحش .

* * *

لُعِنَ الذينَ رَأَوْا سَبِيلَ مُحَمَّدٍ ... وَالمؤْمِنِينَ بِهِ أَضَلَّ سَبِيلا

أَبْناءُ حَيَّاتٍ أَلَمْ تَرَ أَنهمْ ... يَجِدُون دِرْياقَ السُّمومِ قَتولا

مُذْ فارَقوا العِجْلَ الذى فُتِنوا به ... وَدُّوا اتِّخاذَ الأنبياءِ عُجُولا

فإِذَا أَتَى بَشَرٌ إليهمْ كَذَّبوا ... بِهَوَى النُّفوسِ وقُتِّلُوا تَقْتيلا

أَخْلَوْا كِتابَ اللهِ مِنْ أَحكامِهِ ... عَدْوًا وكانَ العامِرَ المَأْهُولا

جعلوا الحرامَ بهِ حَلالًا وَالهُدَى ... غَيًّا وَمَوْصولَ التُّقَى مَفصُولا

وَدَعَاهمُ ما ضَيَّعُوا مِنْ فَضْلِهِ ... أَنْ يَمْلَئُوهُ مِنَ الكَلامِ فُضُولا

كَتَمُوا العِبادَةَ والمعادَ وما رَعَوْا ... لِلْحَقِّ تَعْجيلاً ولا تأجيلا

* * *

أعلم أن علماء المسلمين ذكروا أن التوراة والإنجيل لم يبق فيهما الآن إلا ما اختاره ضُلّال النصارى واليهود ، بعد الحذف والاستدراك ، والتحريف والتبديل ، فالله تعالى يقول: (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير) . وكفى بذلك . واليهود مقرّون أن سبعين كاهنا منهم اتفقوا على أن بدلوا من التوراة ثلاثة عشر حرفا اعترفت اليهود بثلاثة حروف ، ومن اعترف بذلك فما ينكر ما قيل عنه من جنسه ، وفيما تقدم من نصوصهم الدالة على ذلك الكفاية . ومما يدل أيضا على ذلك ما أذكره ، وهو ما لا ينكره أحد من اليهود ، وذلك أن التوراة التى بأيديهم الآن ليس فيها ذكر البعث والقيامة ولا الدار الآخرة ولا الجنة ولا النار ، وكل ما ذكر من خير فيها إنما هو معجل فى الدنيا فيجزون كما زعموا على الطاعة بنصر على الأعداء وطول العمر وطيب العيشة وسعة الرزق وطول المكث فى الأرض المقدسة ، ويجزون على الكفر والمعاصى بالموت ومنع قطر السماء ومنع الثمرة وظهور الأعداء عليهم ، والشقاء والتعب والقروح والحميات والجرب واليرقان وريح السموم ؛ وتكون السماء عليهم مثل النحاس ، والأرض مثل الحديد ، فينزل عليهم بدل المطر الغبار والظلمة ويسفى عليهم التراب من السماء ويكونون يلتمسون الشىء نصف النهار كما يلتمسه الأعمى لايبصرونه ولا يستقيم لهم أمر ، ويهربون ويسبون ، وتصيبهم عين سوء فى ركبهم وفى سوقهم ، ولا يكون لهم شفاء . وليس فى كتابهم اليوم ذم الدنيا ولا الزهد فيها ولا وظيفة صلاة معلومة ، بل فيها الأمر بالبطالة والأكل والشرب والقصف والغناء واللهو ، كل هذا نص فيما يزعمون أنها التوراة ، وأن موسى عليه السلام قال لله عز وجل: أطلب إليك يارب أن ترسل فى هذه الرسالة غيرى، فاشتد غضب الله تعالى على موسى (ع) وقال لله تعالى: ولئن أنت غفرت لهم خطاياهم وإلا فامحنى من سفرك الذى كتبت : أى امحنى من النبوة ، وفيها أن بنى إسرائيل يمتحنهم الله بأنبياء كذابين يأتون بالآيات والعجائب ، وأن الله تعالى يأخذ الأبناء بذنوب

الآباء إلى ثلاثة حلوف ، إلى غير ذلك مما يعلم كل ذى بصيرة أن ذلك القول لا يأتى عن الله تعالى مثله . وفى التوراة أن الله تعالى قال لموسى : أنا هو الذى أدخل يدك فى حجرك وأخرجها مبروصة كالثلج ، وإذا أخرجها مبروصة فأى آية فيها ، إذ بياض البرص موجود فى الناس ، والله أخبرنا فى محكم كتابه العزيز أنه قال : (وأدخل[1] يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) .

وفى التوراة عن اللوحين ، أنهما منقوشان بأصبع، والله تعالى يقول: (وكتبنا له[2] فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شىء) وفى التوراة أن إسحاق هو الذبيح ، وإنما الذبيح إسماعيل ، ودليل ذلك أن النحر والذبح بمنى موطن إسماعيل ، فإن قرون الكبش كانت معلقة فى الكعبة من عهد إبراهيم (ع) إلى دخول الحجاج بن يوسف على عبد الله بن الزبير فحرقت ، وفى التوراة أن الحية أغوت حواء فى أكل الشجرة، فقال لها الله تعالى: سأجعل العداوة بين نسلك ونسلها ، وترصدين أنت أبدا عقبها وترصد أبدا رأسك لتقطعه ، إلى خبر كثير هو مثل خرافة . والله تعالى يقول: (فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وُورِىَ عنهما من سوآتهما) وفى التوراة أيضا عن نوح (ع) أنه رقد وأولاده أمامه فانكشفت عورته ، فضحك ابنه حام من ذلك ، فجاء ابنه سام وألقى قفاه إلى جهة عورة أبيه، يمشى إلى وراء، حتى غطاها واستيقظ نوح (ع) ودعا على حام : سيسود لونك ويكون أولادك عبيدا لأولاد أخيك ، إلى غير ذلك من أحاديث العجائز والصبيان . وفى التوراة أن سليمان بن داود (ع) ختم أمره بالسحر وعبادة الأوثان ، وسب نساءه وبنيه وغير ذلك من الفواحش المنسوبة إلى الأنبياء وأبناء الأنبياء عليهم السلام ، ما يمنع من تسيطيره والنطق به الحياء من الله سبحانه وتعالى ، والإشفاق على أعراض رسله الكرام المعصومة ، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين .

* * *

(١) آية ١٢ سورة النمل . (٢) آية ١٤٥ سورة الأعراف . (٣) آية ٢٠ سورة الأعراف .

عَجَباً لَهُمْ والسَّبْتُ بَيْعٌ عِنْدَهُمْ لَمْ يَلْقَ منـــه المُشْتَرُون مَقِيلا(١)
هَلاَّ عَصَوْا فى السَّبْتِ يُوشَعَ إذْ غَدَا يَدْعُو جُنُودًا للوَغَى وخُيُولا
أوْ خالَفُوا هارُونَ فى ذَبْحٍ وفى عَجْنٍ به لَمْ يُبْدِ عنهُ نُكُولا(٢)
أوْ أَلْحَقُوا بهما المَسِيحَ وسَوَّغُوا التَّـــحْرِيمَ فى الحالَيْنِ والتَّحْلِيـــلا(٣)
[أوْ أَثْبَتُوا النَّسْخَ الذى فى كُتْبِهِمْ قد نُصَّ عنْ شَعْيا وعَنْ يُوئِيـلا
أوَ لَمْ يَرَوْا حُكْمَ العَتِيقَةِ ناسِخاً أحكامَ كُتْبِ المُرْسَلِينَ الأُولى]

[تعليق الناظم] :

وفى التوراة تمسكوا بالسبت ما دامت السموات والأرض ، وفيه من التغليظ والتشديد ما لايخفى ، واليهود تقول : إن الله تعالى أمرنا بمعصية كل نبى ادعى دينا يتضمن نسخا لبعض ما شرعه فى جميع الأيام المتصلة ، وأمرهمْ بتضعيف المحاربة يوم السبت ، وأن يلبثوا فيه إلى أن يجتمع الأئمة وسائر العساكر سبع مرات بأشد المحاربة ، فقال فى نص التوراة: ويحيطون بالمدينة للقتال، ويتسوّرون عليها مرةواحدة، ويصنعون ذلك فى الستة أيام، ويحمل سبعة أيام سبعة أبواق، والشمع بين يدى الصندوق ، وفى اليوم السابع يحيطون بالمدينة سبع مرات والأئمة يضربون الأبواق . وفى التوراة يأمر هارون أن يذبح فى يوم السبت كبشين أصيلين ابنى سنة كاملة ومكيال سميد يعجن بالزيت ، فاعجب لهذا التناقض : كون حكم التوراة أن لاينقض السبت ، وأىّ نبى جاءهم بما ينقض شيئاً من أحكامها لايطاع ، وقد أطاعوا شعيا وهارون فيما نهوا

---

(١) المقيل من إقالة البيع وفسخه .
(٢) فى م هكذا :
أو جهلوا هارون فى ذبح وفى عجن وما كان النبى جهولا
(٣) فى م هكذا :
أو ألحقوا بهما المسيح وأوجبوا التـ حريم فى الحالين والتحليلا

وحللوا ماحرمت التوراة مع منعهم النسخ ، وأنكروا على المسيح إحياء الميت فى يوم السبت ، وكفروا به ، لأنهم أنكروا مافى الكتابين ولا وافقوا ما فيهما وكل من الثلاثة نبى .

* * *

أَفَيأْنَفُ الكُفَّارُ أَنْ يَسْتَدْرِكُوا قَوْلاً عَلَى خيرِ الوَرَى مَنْحُولا

لادَرَّ دَرُّهُمُ فإِنَّ كلامَهم يذَرُ الثَّرَى مِنْ أَدْمُعِى[١] مَبْلولا

فكأننى أُلْفيْتُ مُقْلَةَ فاقِدٍ ثَكْلَى ومُوجَعَةٍ تُصِيبُ عَوِيلا[٢]

[ظَنُّوا برِبِّهِمُ الظُّنُونَ وَرُسْلِهِ وَرَمَوْا إناثاً بالأَذَى وَفُحُولا]

إِنْ يبْخَسُوهُ بِكَيْلِ زُورٍ حَقَّهُ فَلأُوسِعَنَّهُمُ الجزاءَ مَكِيلا[٣]

وَمِنَ الغَبِينَةِ أَنْ يُجازى إفكَهم صِدْقِى وَلَسْنا فى الكَلاَمِ شُكُولا[٤]

* * *

[تعليق الناظم] :

وفى التوراة : أن ملك الله قال لهاجر : إنى أكثر ولدك ، ولا يحصى عددهم لكثرتهم ، وقال لها : إنك حامل، وستلدين غلاما ، وتدعين اسمه إسماعيل ، فإن الله تعالى قد سمع تعبدك، ويكون هو وحش الناس ، يده على كل يد ، ويد كل به ، ويحلى على سهمى وأخوته كلهم . وفى نسخة هذا الكلام : ويكون عظيما فى الأمم ، وفى نسخة : وتكون يده فوق الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع ، فهذه بشائر بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن إسماعيل لم يحل على سهم

---

(١) د : أدمع ، وهذه رواية م . (٢) هذه رواية م ، وأما د فهكذا :

فكأننى بالغيب مقلة ماجد تلدو لموجعة تمس عقيلا

(٣) م : إن يبخسوا بالكيل زورا حقه . (٤) م يجازى .

إخوته ، ولا بسطوا أيديهم إليه بالخضوع، ولا كانت يده على أيديهم، ولا يده على كل يد، ولا يد كل به ، لأن فى التوراة أن إسماعيل وأمه خرجا منفيين مطرودين، ولم يورث إسماعيل مع إسحاق شيئا ، ولم يقل أحد إن إسحاق وولده خضعوا لإسماعيل وولده ، ولم تزل الفتوة والملك فى ولد إسحاق ، حتى بعث الله محمدا (ص) فبسط بنو إسحاق حينئذ أيديهم بالخضوع له ، وعلت يده وأيدى بنى إسماعيل على كل يد ، وصارت يد كل بهم ، فكأن ذكر إسماعيل مقصود به ولده .

* * *

[لوْ يَصْدُقُونَ لَمَا أتَتْ رُسُلٌ لَهُمْ ... أتَرَى الطَّبيبَ غَدا يَزُور عَليلاً][1]
إنْ أنكَرُوا فضلَ النبيِّ فإنما ... أرْخَوْا عَلَى ضَوْءِ النَّهارِ سُدُولا
اللهُ أكبَرُ إنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... وكتابَهُ أقْوَى وَأقْوَمُ قِيلا
طَلَعَتْ بهِ شمسُ الهِدايَةِ لِلْوَرَى ... وَأبَى لَها وصفُ الكمالِ أفُولا
والحَقُّ أبْلَجُ فى شَرِيعَتِهِ التى ... جَمَعَتْ[2] فروعًا لِلْوَرَى[3] وأُصُولا
لاتَذْكُروا الكُتُبَ السَّوالِفَ عندَه ... طَلَعَ النَّهارُ فأَطْفِئُوا القِنديلا
دَرَسَتْ معالِمُها ألَا فاستَخبِرُوا ... منها رُسومًا قد عفَتْ وطُلُولا
تُخْبِرْكُمُ التَّوْراةُ أنْ قد بَشَّرَتْ ... قِدْمًا بأَحْمَدَ أمْ[4] بإسماعِيلا
وَدَعَتْهُ وَحْشَ الناسِ[5] كلُّ نَدِيَّةٍ ... وَعَلَى الجَميعِ لَهُ الأَيادِى الطُّولَى

---

(١) ما بين القوسين زيادة فى م .
(٢) د : حفت، ونظن الصواب ما أثبتناه . (٣) د : للهدى وهذه رواية م .
(٤) د : نفر . (٥) م : الفار .

تَجِدُوا الصحيحَ مِنَ السَّقيمِ فطالما | صَدَقَ الحَبيبُ هَوى المحبِّ نُحولا
مَنْ مِثْلُ موسَى قد أُقيمَ لِأَهْلِهِ | مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِمْ سِواهُ رَسولا
أَوْ أَنَّ إِخْوَتَهُمْ بنو العِيصِ الذى | نُقِلَتْ بَكارَتُهُ لِإِسْرائيلا
تاللهِ ما كانَ المُرادُ به فَتَى | موسَى ولا عِيسَى وَلا شَمْوِيلا
إِذْ لَنْ يَقومَ لَهُمْ نَبِيٌّ مِثْلُهُ | مِنهمْ ولو كانَ النَّبيُّ مَثيلا
طوبى لِمُوسى حينَ بَشَّرَ باسمِهِ | ولِسامِعٍ مِنْ فَضْلِهِ ما قيلا
وَجِبالُ فارانَ الرَّواسِي إنها | نالتْ عَلَى الدُّنْيا به التَّفضيلا

* * *

[تعليق الناظم] :

وكما أن فى مواضع كثيرة من التوراة ذكر يعقوب ، والمقصود به ولد يعقوب ، فمن ذلك قوله فى السفر الخامس: يا إسرائيل، لأن تخشى الله ربك، وتسلك فى سبيله، وتعمل له . فهذا خطاب لبنى إسرائيل باسم أبيهم ، وذلك قوله فى السفر الخامس : فسمن إسرائيل وأبر وجمع الأموال ونسى الله الذى خلقه ، وأسخط السيد الذى خلصه وأغضبه بالإنسان إلى ذبح الشياطين . وذلك قوله لقوم موسى : أسمع إسرائيل[1] ثم احفظ واعمل و يحسن إليك ربك ويكرم و ينعم . وفى التوراة يقول لإبراهيم وفى إسماعيل : قد سمعتك وباركته وكرمته جدا جدا وسيلد اثنى عشر عظيما وأعطيه شعبا جليلا. وفى نسخة أخرى: وإسماعيل قد سمعت دعاك فيه، وباركت عليه ، وعظمته جدا جدا . وفى نسخة طيبا طيبا، وقل حمدا حمدا، وسيلد اثنى عشر عظيما، وأجعله لأمة عظيمة ، فهل كانت لإسماعيل أمة عظيمة ، لكن الأمة العظيمة لولده محمد (ﷺ) .

---

(١) د : بشرى والأفضل روايتهم .

وفى التوراة : فدعا ملك الله هاجر وقال لها: مالك ياهاجر! لاتخشى، فإن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو ، فقومى فاحملى الغلام وشدى يديك به، فإننى جاعله لأمة عظيمة ، وفى التوراة هذه بركة موسى التى بارك بنى إسرائيل قبل وفاته قال : جاء الله من طور سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ومعه ربوة من الطهور من عن يمينه . وفى نسخة : تجلى الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ، فهذه إشارة نبوة عيسى ومحمد (ﷺ) . فإن الطور مكان خص الله فيه موسى بمناجاته، وساعير جبل الشام ، منه ظهرت نبوة المسيح عليه السلام بقرب الناصرة ، وهى البلدة التى ولد فيها، وفاران مكة لايخالف فى ذلك أحد من أهل الكتاب . وفيها أقبل السيد من سيناء ، ومن البر تراءى لنا من جبال فاران ومعه الألف من الصالحين، ومعه كتاب بارى وهو جيم الأجناس وجميع الصالحين فى قبضته ، ومن تدانى من قدميه يصيب من عمله . وفى السفر الخامس من التوراة ، قال الله لموسى بن عمران : إنى أقيم لبنى إسرائيل من إخوتهم مثلك، أجعل كلامى على فيه، فمن عصاه انتقمت منه. وفى نسخة : والله ربك يقيم نبيا من إخوتك فاسمع له كالذى سألت ربك فى حوريت يوم الاجتماع حين قلت لا أعود أسمع صوت الله ربى لئلا أموت ، فقال الله لى نعم ما قالوا، وسأقيم لهم نبيا مثلك من إخوتهم وأجعل كلامى فى فمه فيقول لهم كل شىء أمرته ، وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمى فإنى أنتقم منه . فإن قلت إن ذلك إنما هو يوشع بن نون، فقد قال الله فى آخر التوراة: لايخلف من بنى إسرائيل نبى مثل موسى. وفى نسخة : لايقوم فى بنى إسرائيل أحد مثل موسى . وفى نسخة أخرى : مثل موسى لايقوم فى بنى إسرائيل أبدا . وانظر إلى من هم إخوة بنى إسرائيل ، فلا محالة أنهم العرب والروم . فأما بنو إسرائيل فلم يكن منهم نبى سوى أيوب ، وكان قبل موسى بزمان ، فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به التوراة . فلم يبق إلا العرب فهو محمد (ﷺ) وقد قال الله سبحانه وتعالى فى التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب ، إنه يضع فسطاطه فى وسط بلاد إخوته . فكنى عن بنى إسرائيل بإخوة إسماعيل ، كما كنى عن العرب بإخوة بنى إسرائيل فى قوله :

سأقيم لبنى إسرائيل من إخوتهم مثلك ، ولم يكن يوشع كفؤا لموسى ، بل كان خادما له فى حياته، مؤكدا لدعوته بعد وفاته، ولكن كفؤ موسى محمد (ﷺ) فإنه مماثل فى نصب الدعوة، والتحدى بالمعجزات، وشرع الأحكام، و إجراء النسخ على الشرائع السالفة . وقوله أجعل كلامى فى فمه إشارة إلى محمد (ﷺ) معناه أوحى إليه من غير ألواح ولا صحف، لأنه أمى لا يقرأ الكتاب، ولا يخطه بيمينه .

* * *

واستَخبِرُو الإنجيلَ عنه وحاذِرُوا مِنْ لَفْظِهِ التَّحْرِيفَ والتَّبْدِيلا

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) ذكر بعض العلماء أن سبب التحريف والتبديل فى الإنجيل ، وفساد عقائد النصارى، أن الحواريين لما توفوا ، وتفرق شمل النصارى ، واختلفت أقوالهم ، واستضعفوا حتى لا يوجد أحد منهم إلا قتل ومثل به ، بعد انقضاء أربعين سنة من رفع المسيح عليه السلام تمادت أعمال دينهم إلى نحو ثلاث مئة سنة ، وقيل مئتين وثلاثا وثلاثين سنة ، وفى ذلك الزمن اضطربت مملكة قسطنطين ملك الروم ، فأراد أن يحملهم على شريعة ينظم بها سلكهم ، ويؤلف متفرقهم . فاستشار من لديه من أهل النظر ، فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم ، ليكون ذلك أقوى لارتباطهم معه ، ويؤيد بجيشهم فى نصره، فوجدوا اليهود يزعمون أن فى بعض تواريخهم خبرا عن رجل كان منهم ، همّ أن ينسخ حكمة التوراة ، و يتفرد بالتأويل فيها، فعمدوا إليه وهو فى نفر ممن تبعه، وظفروا بواحد منهم ، وشهد رجل واحد أنه ذلك المطلوب ، فصلبوه وما عندهم تحقيق أنه ذلك المصلوب بعينه، إلا أن فقدهم إياه من حينئذ . فعمد قسطنطين إلى من وجد من أمة عيسى ، وقد اختلفت دعاتها بعد المسيح بأربعين سنة ، فاستخرج قسطنطين ما تبقى من

رسم الشريعة بأيديهم ، وجمع عليه وزراءه ، فأثبت ما شاء ، وما رآه موافقا لاختياره ، كالقول بالصلوبية ، ليتبعه قومه بطلب دم ، والقول بترك الختان ، لأنه شأن قومه ، وذلك أول شيء أظهره من هذا الأمر ، لجميع أنصاره ورعاياه من الروم ذكر لهم أنه كان يرى فى منامه آتيا أتاه ، فيقول له بهذا الرسم تغلب ، وتعرض عليه هيئة صليب ، فأعظم ذلك العامة ، وانفعلت لما سمعت منه . ثم بعث إلى امرأة كانت فى ذلك الزمان فيها روح كهانة ، وكانت ذات جأش وقوة ، فشهدت له أنها رأت مثل ما رأى ، وقوى تصديق العامة لذلك ، وفى ذلك كله لايرون لذلك الرسم تأويلا ، ولا كان قسطنطين كشف لهم شيئا من أمره ، وخرج بهم إلى عدوه ، ووعظهم وهون عليهم أمر الرسم ، فحصل لهم كل ما أرادوا من جد القوم واجتهادهم معه ، فلما عادوا إلى أوطانهم سألوه عن تأويل ذلك الرسم ، ولجوا عليه فيه ، فقال: إنه قد أوحى فى نومى أنه كأن الله تبارك وتعالى هبط من السماء إلى الأرض ، وصلبته اليهود ، فهالهم ذلك كثيرا مع ما حصل عندهم من تصديقه ، وعظم عليهم الخطب فيه ، وانقادوا إلى قسطنطين انقيادا حسنا ، وصح له منهم ما أراد ، وشرع لهم هذه الشرائع على بعض ما هى عليه ، وقد ظهر لجماعة من أهل العلم فى ذلك الزمان غير أولى الشرائع ، أن هذا الشخص الذى تعظمه النصارى وتصفه بالإلهية ، لم يكن وجوده فى العالم ، ولكن قسطنطين ابتدع لهم ذلك كله ، واتفق مع نفر من أحبار اليهود وعلمائهم على أن بذل لهم ما شاءوا من متاع الدنيا ، ويشهدون له عند قومه بأن ذلك الشخص كان عند اليهود ، فصلبته ، وأن يضع الأحبار ذلك مسطورا عند اليهود . ففعلت وألفت من أخباره شيئا ، وشهدت أن ذلك القول جميعه بعد صلب ذلك الشخص بسنين قلائل ، فبقيت النصارى على ذلك ، الإحداث فى شريعتهم ، مع السماعات بمنامات تدعيها النساء والصبيان ، ومن لايوثق به يدون ذلك وإبدال ما كان بأيديهم ، ورأوا ما فى الإنجيل من إجراء صفات البشرية على المسيح ، فقالوا بالحلول . واختلفوا فى تلك العقائد ، وسوغوها بألفاظ فلسفية ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، ولا شهد بها كتاب قبل ذلك . وفى الإنجيل من تناقض

الأقوال، مما يدل على التبديل كثيرا ؛ فمن ذلك قول المسيح : أنا الباب ، فمن دخل على يسلم ويجد فرجا أبدا ، فمن عرّض بمن قتله من الأنبياء فجعلهم لصوصا وسراقا ، فقال آمين آمين ، أقول لكم إنى أنا باب الضأن، والقادمون عليكم كانوا لصوصا وسراقا، ولا يقبل اللص إلا ليسرق شيئا ويقتل ، وأنا قدمت لتحيوا وتزدادوا أجرا . وفى الإنجيل منه : إنى كنت أشهد لنفسى ، فشهادتى حق، لأنى أعلم من أين جئت وإلى أين أذهب . وكيف تكون شهادته حقا وباطلا ، ومقبولة وغير مقبولة ، وكيف يجمع بين هذين فى كتاب ينسب إلى الله تعالى . وفى الإنجيل أنه حين استشعر بوقوف اليهود عليه بظنكم ، قال قد جزعت نفسى الآن ، فماذا أقول يا أبتا ؟ فسلمنى من هذا الوقت ، وأنه حين رفع فى الخشبة صاح صياحا عظيما إلهى إلهى: لماذا تركتنى ؟ وفى موضع آخر من الإنجيل : أنه قال قبل ذلك : من أحب أن يقفو أثرى فليذهب ، فحرض على إتلاف النفوس ، فكيف يجزع مما حرض عليه ؟ أم كيف يكون إلها ويجزع نفسه ؟ أم كيف يكون ابن الله ويدعوه أن يخلصه من ذلك الوقت ، فلم يستجب له .

وفى الإنجيل عن يوحنا الحوارى حين ذكر نسب عيسى عليه الصلاة والسلام من يوسف ابن يعقوب بن ينا بن أليعازر بن اليود بن أخيم ، وعدّ إلى إبراهيم الخليل تسعة وثلاثين أبا . ثم فى إنجيل لوقا[1] الحوارىّ أنه ابن يوسف بن هالى بن لاوى بن ملجان بن ينا بن حنان ، وعدّ إلى إبراهيم نيفا وخمسين أبا ، فكيف يقع هذا الاختلاف فى كتاب الله ؟ وفيه أنه كان يوما نهاهم عن التجارة فى بيت المقدس، وأن اليهود قالت له يومئذ : أى علامة تظهر لنا ؟ قال : تهدمون هذا البيت وأبنيه لكم فى ثلاثة أيام ، فقالت اليهود بيت بنى فى خمس وأربعين سنة ، تبنيه أنت فى ثلاثة أيام؟ وفى موضع آخر منه لما ظفرت به اليهود بظنكم، وحمل إلى بلاد عامل قيصر ، واسترعيت عليه البنية أن شاهدى زور جاءا وقالا : هذا يقول أنا قادر على بنيان هذا البيت فى ثلاثة أيام ، اجز لى كيف استخرجتم أن تسموهما شاهدى زور ، وقد شهد نص كتابكم

---

(١) ورد نسب عيسى (ع) فى إنجيل لوقا متصلا بآدم (إصحاح ٣) كما ورد مختلفا فى إنجيل متى الإصحاح الأول .

أنه قال ذلك ! فإن قلت إن اليهود ظنوا بهذا القول عما عنى عيسى عليه السلام فإن الشاهدين لم يشهدا على تأويل ، إنما شهدا على لفظه وما نطق به لسانه .

ومما هو نص فى كتابكم ، وأى تأويل لهذا غير ما يظهر من فحوى مجاوبة اليهود ، من أن البيت المعنى فيه بيت المقدس، إنما أراد جسمه ، وأنه قام بعد ما صلب بثلاثة أيام. ومن عجيب الأشياء أنكم تأولتم على اليهود فى ذلك ما أقررتم أنهم لم يقصدوا له ، وذلك حين قال لهم عيسى اهدموا هذا البيت ، وأبنيه لكم فى ثلاثة أيام ، فقالوا : بيت بنى فى خمس وأربعين سنة تبنيه فى ثلاثة أيام ! فقلتم فى معنى ذلك إنها التربة التى صنعت منها الخمسة وأربعون من أقطار الأرض، وأن الأحرف التى فى ابتداء السطر إذا حصلت وجدت آدم ، وأكدتم التصديق بهذا الهذيان الذى لا يؤدى إلى معنى، بإخراج العدد من اسم آدم حين نزلت حروفه بحساب أبى جاد ، على خمسة وأربعين من العدد ، وأعجب الأشياء من هذا ، ولكن أسلافهم جرى بينهم و بين المسيح هذا المجلس . وفيه أن يحيي قال فيه إنه يكثر ولا ينقص ، وكيف تجوز الزيادة والنقص على من كان إلها . وفيه عن لوقا أن عيسى عليه السلام قال لرجلين من تلاميذه :اذهبا إلى الحصن الذى يقابلكما ، فإذا دخلتماه فتجدان فلوا مربوطا لم يركبه أحد، فحلاه وأقبلا به إلى . وفيه لمن يذكر أنها كانت حمارة متعبة ، وكفى بذلك شكا . وفيه للوقا يخبر عن المرأة التى صبت الطيب على رجلى عيسى عليه السلام وشق ذلك على التلاميذ ، وقالوا هلا تصدقت به ، وفيه لمتى : أنها إنما صبت الطيب على رأس المسيح عليه السلام فما أبعد اليقين من كتاب فيه مثل هذا الاختلاف ! وفيه أن أم ابنى سيده جاءت إلى عيسى عليه السلام ومعها ابناها ، فقال: ما تريدين؟ فقالت: أريد أن تجلس ولدى : أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك إذا جلست فى ملكك ، فقال : تجهلين السؤال ، أيصبران على الكأس التى أشربها؟ فقالا : نصبر، فقال : سيشربان بكأسى، وليس إلى تجليسكما عن يمينى ولا عن شمالى إلا بمن وهب ذلك إلى ، فهاهوذا عيسى عليه السلام قد أقر أنه ليس له من الأمر شيء . ومن تناقض إنجيلكم أنه قال : لا تحسبوا أنى قدمت لأصلح

---

(١) إنجيل متى إصحاح ١٠ .

بين أهل الأرض . لم آت بصلاحكم لـكن لألقى المحاربة بينكم ، إنما قدمت لأفرق بين المرء وأبيه ، البنت وأمها ، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته . وفيه عنه أنه قال: لم آت لأنقض شريعة من قبلى إنما جئت لأتمم . ثم فيه بعد ذلك نقض التوراة وأحكامها بقوله : أما علمتم أنه قيل للقدماء لاتقتلوا ، ومن قتل فقد استوجب القتل ، وأنا أقول كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة ، ومن قذف أخاه فقد استوجب النفى من الجماعة ، ومن رماه بالخرق فقد استوجب نار جهنم . أما علمتم ما قد قيل للقدماء : من فارق امرأته فليكتب لها كتابا بطلاق ، وأنا أقول لـكم من فارق امرأته[1] منكم فقد جعل لها سبيلا إلى الزنا ، ومن تزوج بمطلقة فهو فاسق ، وقوله : أما بلغكم[2] أنه قد قيل للقدماء : العين بالعين ، والسن بالسن ، وأنا أقول لـكم : لاتـكافئوا أحدا بسيئة ، ولـكن من لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر ، ومن أراد مغالبتك وانتزاعك قميصك فزده رداءك ، ومن سخرك ألف باع فاصحبه مثلها ، ومن سأل شيئا فأعطه ، ومن استسلفك شيئا فأسلفه . وفيه لمتى عن المسيح أنه قال لبيطره : طوبى لك ياشمعون بن الحمامة وأنا أقول لك إنك الحجر ، وعلى هذا الحجر أبتنى بيعتى ، وكلما أحللته على الأرض يكون محلولا من السماء ، وما عقدته على الأرض يكون معقودا فى السماء . ثم فيه بعد أحرف يسيرة : يقول له بعينه: اذهب عنى ياشيطان ، ولا تعارض فإنك جاهل ، فـكيف شيطان يطيعه صاحب السماء ؟ وفيه أيضا أنه لم تلد النساء مثل يحيى ، هذا فى إنجيل متى ، ثم فى إنجيل يوحنا أن يحيي بعث إليه من اليهود من يكشف له عن أمره ، فسألوه : أهو المسيح ؟ قال : لا ، فقالوا : أنت نبي ؟ قال : لا ، قالوا : أخبرنا من أنت ؟ صوت كلام مناد فى المغار ، إلى كلام كثير ينفى عن نفسه كونه نبيا ، ولا يجوز لنبى أن ينـكر نبوته فى هذا الـكلام . وقد ذكر عيسى عليه السلام أنه لايصلح أن يحل شراك نعله، وسماه خروف الله ، وأنتم تقولون هو الله ، ولذلك تتأولون من الإنجيل الذى بأيديكم أنه لا نبي بعده . وفيه أيضا من جهة أخرى أنه يبعث أنبياء فى قوله لليهود : وسأبعث إليكم أنبياء وعلماء وستقتلون منهم وتصلبون وتجلدون فى حماتكم

(١) إنجيل متى إصحاح ٥ « وأما أنا فأقول لـكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني . ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى » . (٢) إنجيل متى ، الإصحاح الخامس .

وتطلبونهم من مدينة إلى أخرى ، وفى كتبكم أنه كان بعده بأنطاكية أنبياء ، منهم بارينا وشمعون ولوقيوس ومانالى؛ وكذلك فى كتبكم أنه قدم أنبياء من بيت المقدس، وتكلم أحدهم وكان يسمى أنحيانوس ، وقال إنه يكون فى البلاد لجاجة وقحط شديد ، وفيها أن جرجيس الذى كان من بعده و بعث إلى ملك الموصل وهو من أهل فلسطين، وكان أذن لبعض الحواريين وأنتم القائلون أن لا نبى بعد المسيح ، وأنتم مصدقون نبوة هؤلاء كلهم ، ولم يكن من الذكر فى الكتب ولا النبوات مثل الذى كفرتم به .

* * *

إنْ يَدْعُهُ الإنجيلُ فارِقْليطَهُ ... فلقَدْ دَعاهُ قبلَ ذلكَ إيلا
ودَعاهُ رُوحَ الحقِّ لِلْوَحْيِ الذى ... يُتْلَى عَليه بُكْرَةً وَأصِيلا
وأراهُ لا بِتَكلُّمٍ إلَّا إذا ... أزْفَعتْ[١] عنكم لِلْإلٰهِ مَقُولا
إنْ أنْطَلِقْ عنكم يَكنْ خيرٌ لكم ... لِيَجيئَكُمْ مَنْ تَرْتَضُوْهُ[٢] بَديلا
يَأْتى على اسْمِ اللهِ منه مُبارَكٌ ... ما كانَ مَوْعِدُ بَعْثِه مَمْطُولا
يَتْلُو كِتابَ البَيِّناتِ كِتابُه ... ويَرُدُّ[٣] أمْثالِى به التأويلا[٤]
وَيُفَنِّدُ العُلَماءَ تَوْبيخًا لَهُمْ ... وكَفاهُمُ بِخَطِيئَةٍ تَخْجِيلا[٥]
ويُزِيحُ مُلْكَ اللهِ منكمْ عَنْوَةً ... لِيُبيحَهُ أهْلَ التُّقَى ويُنيلا[٦]

---

(١) كذا فى الأصل . (٢) كذا فى الأصل ، ولعله محرف عن « ترضون » . (٣) د : يرود .
(٤) البيت فى م هكذا :

يتلو كتابا بالبيان كتابه ... وترد أمثالى به التأويلا

(٥) البيت فى م هكذا :

من فند العلماء غير محمد ... منهم وجهل رأيهم تجهيلا

(٦) م : وأزاح ملك الله عنهم عنوة ... ليبيحه أهل التقى وينيلا

وَكما شَهِدْتُ لهُ سيَشْهَدُ لِي إذا صار العليمُ بمـا أتيْتُ جَهولا
يُبْدِي الحوادِثَ والغُيوبَ حَدِيثُه[1] وَيسوسُـكُمْ بالحَقِّ جيلاً جيلا
هُوَصَخْرَةٌ مازُوحِمَتْ صَدَمَتْ فلا تبغُوا لها إلَّا النُّجُومَ وُعُولا
والآخِرونَ الأوَّلونَ فقَوْمُه أخَذُوا عَلَى العَمَلِ القَلِيلِ جَزِيلا
والمُنْحَمِنَّا لاتَشْـكُوا إنْ أتَى لـكُمُ فليسَ مَجيئُه مَجْهولا[2]
وَهْوَ المُوَكَّلُ آخِرًا بالـكَرْمِ لا يَختارُ مالِـكُهُ عليـه وكيـلا

* * *

[تعليق الناظم] :

فمن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فى الإنجيل وبشارة المسيح عليه السلام قوله : اللهم ابعث الفارقليط يعلم الناس أن ابن الإنسان بشر، وفيه عن يوحنا: الفارقليط[3] لايجيئكم مالم أذهب، فإذا جاء ولح العالم عن الخطيئة ، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئا ، ولـكنه مما يسمع يكلمكم ، ويسوسكم بالحق ، ويخبركم الحوادث والغيوب .

إلى أن قال عنه : وسيعظمنى . وذكر كيف يقهر أصحاب الدنيا، وتمادى فى وصفه بكلام بين . وقال هو سيشهد لى كما شهدت له، وأنا أجيئكم بالأمثال، وهو يحكم بالتأويل. وفيه عن يوحنا أن المسيح قال للحواريين : من أبغضنى فقد أبغض الرب . ولولا أنى صنعت لـكم بحضرتى صنائع لم يصنعها أحد، ولم يكن لهم ذنب. ثم قال: فلو قد جاء المنحمنا ، فهو الذى يرسله إليكم من عند الرب روح القدس، فهو شهيد على، وأنتم أيضاً لأنـكم قديماً كنتم معى. هذا قولى لـكم كيلا تشكوا إذا جاء. المنحمنا بلسان السريانية، وتفسيره بالرومية: الفارقليط، وهو بالعربية محمد (ﷺ) . وفيه أنه قال

---

(١) م ، د : بيد الحوادث والغيوب سبيله .
(٢) د : والمنحمنا لا تشكوان آن فيـ ـيه ولبس أزرار النجوم وعولا
(٣) الفارقليط : كلمة يونانية معناها محمد .

لليهود، وأنا أقول لكم : لا ترونى الآن حتى يأتى من تقولون له مبارك، يأتى على اسم الله . وفيه : إنما النبوة والكتاب إلى يحيى ، ومن بعده يكثر ملك الله وتوجد عنوة . فهذا بشارة بمحمد (ﷺ) فى الأرض الذى قهر الأجناس ، وقتل من قتل بالسيف من اليهود، وصابر الكفرة انتقاما من الله . وتكاملت عليهم دماء المؤمنين المتفرقة على الأرض ، من دم هابيل الصالح ، إلى دم يحيى بن زكريا الذى قتلوه عند المذبح آمين آمين . أقول إنه سيأتى جميع ما وصف على هذه الأمة بؤسا ، ثم تقتل الأنبياء ، ورحم من بعث إليك . قد أردت أن أجمع بنيك كجمع الدجاجة فرار يجها تحت جناحيها. وفيه عن متى : أنه الحبس يحيى بن زكريا عليه السلام بعث تلاميذه إلى المسيح ، وقال لهم قولوا له أنت الآتى أم نتوقع غيرك . فأجابهم المسيح ، وقال : الحق اليقين أقول لكم إن لم يقم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا . وأن التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضا بالنبوة والوحى ، حتى جاء يحيى، وأما الآن فإن شئتم فافعلوا ، فإن إيليا المزمع أن يأتى . فمن كان له أذنان سامعتان فليسمع . فهذه بشارة محمد(ﷺ) . فإن زعمت أنه إنما بشر بالناس النبى ، فهذا من أعظم الجهل والكذب على الله تبارك وتعالى ، لأن الناس تقدم إرساله إلى قومه وصار إلى الله تعالى قول المسيح عليه السلام إن إيليا مزمع أن يأتى قائل هو الله تعالى . فمجىء الله تعالى هو مجىء رسوله بكتابه وأمره ، كما قال في التوراة جاء الله من طور سيناء، وفيه أقول لكم إنه سيزاح عنكم ملك الله، و يعطى الأمة المطيعة العاملة . ثم ضرب مثلا بصخرة ، من سقط على هذه الصخرة سينكر ، ومن سقطت عليه يتهشم . يريد بذلك محمد(ﷺ) من ناوأه وحاربه أظهره الله عليه . وفيه أنه ضرب مثلا للدنيا كمثل رجل غرس كرما وسيخ حوله ، وجعل فيه معصرة ، وشيد فيه قصرا ، ووكل به أعوانا، وتغرب عنه . فلما دنا أوان انقطافه بعث عبيده إلى أعوانه الموكلين بالكرم . وضرب المسيح مثلا للأنبياء ، ثم لنفسه فى كلام كثير ثم محمد (ﷺ) وجعل الموكل آخر بالكرم ، وأفصح عن أمة محمد (ﷺ) وشرف وكرم .

* * *

وَهُوَ الذى مِنْ بعْدِ يَحْيَى جاءهُمْ ۞ إذْ كانَ يَحْيَى لِلْمَسِيحِ رَسيلا[1]

---

(١) رسيل : رسول .

وَسَلُوا[١] الزَّبورَ فإنَّ فيه الآن مِنْ ... فصْلِ الخِطابِ أوامِرًا وفصولا
فهوَ الذى نَعَتَ الزَّبورُ مُقلَّدًا ... ذا شَفْرَتيْنِ مِنَ السُّيوفِ صَقِيلا[٢]
قُرِنَتْ بَهيْبَتِهِ شَريعَةُ دِينهِ[٣] ... فَأَراكَ أَخْذَ الـكافرينَ وبيـلا[٤]
فاضَتْ عَلَى شَفتيهْ رَحْمَةُ رَبِّهِ ... فاستَشْفِ مِنْ تِلْكَ الشِّفاه عَليلا
وَلِغالِبٍ مِنْ حَمْـدِهِ وَبَهائِهِ ... مَلأَ الأعادِى ذِلَّةً وخُمولا
فى أُمَّةٍ خُصَّتْ بِكلِّ كَرامَةٍ ... وتَفيَّأَتْ ظِلَّ الصَّلاحِ ظَليـلا
وَعَلَى مَضاجِعِهِمْ وكلِّ ثَنيَّةٍ ... كلٌّ يُسِرٌّ وَيُعْلِنُ التَّهْليـلا[٥]
رُهْبانُ لَيْلٍ أُسْدُ حَرْبٍ لم تَلِجْ ... إلَّا القَنا يَوْمَ الـكَرِيهَةِ غيـلا[٦]
كم غادَروا المَلِكَ الجليـلَ مُقَيَّدًا ... والقَرْمَ مِنْ أشْرافِهِمْ مَغْلولا[٧]
فاللهُ مُنْتَقِمٌ بِهِمْ مِنْ كلِّ مَنْ ... يَبْغِى عَلَى الحقِّ المُبِينِ عُدُولاَ
أعَجِبْتَ مِنْ مَلِكٍ رَأَيْتَ مُقَيَّدًا ... وَشَريفِ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ مَغْلولا
خَضَعَتْ مُلوكُ الأرضِ طائِعَةً لَهُ ... وغَدا بِه قُرْبانُهُمْ[٨] مَقْبُولا
ما زالَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مُؤَازِرًا ... وَأُولِى الصَّلاحِ وَلِلْعُفاةِ[٩] بَذُولا
لَمْ يَدْعُهُ ذُو فاقَةٍ وضَرُورَةٍ ... إلاَّ ونالَ بِجُودِهِ المَأْمُولا
ذاكَ الذِى لم يَدْعُه ذُو فاقَةٍ ... إلَّا وكانَ لَهُ الزَّمانُ مُنيـلا
تَبْقَى الصَّـلاةُ عليهِ دائِمَةً فَخُذْ ... وَصْفَ النبىِّ مِنَ الزَّبُورِ مَقُولا

* * *

(١) م : وسل . (٢) صقيل أى مصقول بمعنى مجلو .
(٣) م : قرنت شريعته بيأس يمينه . (٤) وبيل : شديد .
(٥) ثنية : منحدر . (٦) الغيل : الأجمة . (٧) القرم : السيد . مغلولا : مقيدا .
(٨) القربان : مايتقرب به . (٩) العفاة : جمع عاف وهو المتعرض لطلاب الإحسان .

[تعليق الناظم] :

ومن بشارة الزبور به (ﷺ): سبحوا الله تسبيحا جديدا ، سبحوا الذى هيكله الصالحون، وليفرح إسرائيل بخالقه صهيون ، من أجل أن الله اصطفى لهم أمة ، وأعطاهم النصر ، وسدد الصالحين منهم بالكرامة ، و يسبحون الله على مضاجعهم ، و يكبرونه بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، لينتقم الله بهم من الأمم التى لا تعبده، و يوثقون ملوكهم بالقيود، وأشرافهم بالأغلال . وفيه : تقلد أيها الجبار بالسيف ، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بيمينك، ومهامك مسنونة ، والأمم تجرى تحتك .

وفيه : ويجوز من البحر إلى البحر ، ومن منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار ، وتخر له أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ، ويلحق أعداءه بالركب ، وتأتيه ملوك بالقرابين ، وتسجد له ، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، لأنه يخلص الناس من أقوى منه ، و ينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ، و يرأف بالضعفاء والمساكين ، وأنه يعطى ذهبا من بلاد شتى ، و يصلى عليه فى كل وقت ، و يدوم أمره إلى آخر الدهر . وفى الزبور : أن الله أظهر من صهيون إكليل محمود ، والإكليل ضرب مثلا للرياسة ، والمحمود اسم محمد . وفى الزبور: يقول الله تعالى لداود عليه السلام سيولد لك ولد أدعى له أبا، و يدعى لى ابنا، فقال داود: اللهم ابعث جاعل السنة؛ كيما يعلم الناس أنه بشر . فانظر إلى قول داود حين راعه ذلك، وخاف أن يدعى ولده إلٰها: اللهم ابعث جاعل السنة، ليعلم الناس أنه بشر ، وكذلك قال المسيح فى الإنجيل : اللهم ابعث الفارقليط ، ليعلم أن ابن الإنسان بشر .

* * *

وَكِتَابُ شَعْيا مُخْبِرٌ عَنْ رَبِّهِ   فاسْمَعْهُ يفرحْ قَلْبَكَ الْمَتْبُولا
عَبْدِي الذى سُرَّتْ به نَفْسِي وَمَنْ   وَحْيِي عليـــه مُنَزلٌ تنْزِيلا

لَمْ أُعْطِ ما أَعْطَيْتُهُ أَحَدًا مِنَ الْـ ـفَضْلِ العظيمِ وحَسْبُهُ تخويلا
يَأْتِى فَيُظْهِرُ فى الوَرَى عَدْلِى وَلَمْ يَكُ بالهَوَى فِى حُكْمِهِ لِيَمِيلا
إنْ غَضَّ مِنْ بَصَرٍ وَمِنْ صَوْتٍ فما غَضَّ التُّقَى والفَضْلُ مِنْهُ كَلِيلا
فَتَحَ العُيُونَ العُورَ لكنَّ العِدا عَنْ فضلِهِ صَرَفُوا العُيُونَ الحُولا
أحْيا القلوبَ الغُلْفَ،أسْمَعَ كلَّ ذِى صَمَمٍ وَكَمْ داء أزالَ دَخِيلا
يُوصِى إِلى الأُمَمِ الوصايا مِثْلَمَا يُوصِى الأَبُ الْبَرُّ الرَّحِيمُ سَليلا
لا تُضْحِكُ الدُّنيا لَهُ سِنًّا وَما لَمْ يُؤْتَ منها عَدَّهُ تَنْوِيلا(١)
مَنْ غيرُ أحمدَ جاء يَحْمَدُ رَبَّهُ حَمْدًا جَدِيدًا بالمَزِيدِ كَفِيلا
وَكِتابُهُ ماليسَ يُطْفَأُ نورُه والحقُّ مُنْقَادٌ إليه ذَلولا(٢)
خَصَمَ العِبادَ بِحُجَّةِ اللهِ التى أَمْسَى(٣) بها عُذْرُ الورَى مَتْبُولا(٤)
فَرِحَتْ بِهِ البَرِّيَّةُ القُصْوَى وَمَنْ فيها وفاضَلَتِ الوُعورُ سُهولا
فَزَهَتْ وَنالَتْ حُسْنَ لُبْنانَ(٥) الذى لَوْلا كَرَامَةُ أحمدٍ ما نِيلا
مُلِئَتْ مَساكِنُ آلِ قَيْدارٍ به عِزًّا وطابَتْ مَنْزِلًا ونَزِيلا

* * *

[تعليق الناظم] :

ذكر ما ورد فى كتاب شَعْيا عليه السلام من البشارة بمحمد (ﷺ) قوله : عبدى الذى سرت به نفسى، أنزل وحيى، فيظهر فى الأمم عدلى، ويوصيهم الوصايا، لا يضحك ولا يسمع صوته

---

(١) التنويل : العطاء . (٢) م : ذليلا . والذلول : السهل الانقياد. (٣) م : أضحى .
(٤) متبولا : مقطوعا . (٥) د : تبيان والتصحيح عن م . (٦) م : ونزولا .

فى الأسواق، يفتح العيون العور، والآذان الصم، ويحيى القلوب الغلف، وأعطيه مالم أعط أحداً، يسبح بحمد الله حمدا جديدا، ويأتى من أقصى الأرض، يفرح البرية، وسكانها يهللون لله على كل مشرف، ويكبرونه على كل رابية، لايضعف ولا يغلب، ولا يميل إلى الهوى، ولا يذل الصالحين الذين هم كالعصبة الضعيفة، بل يقوى الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذى لايطفأ، أثر سلطانه على كتفيه. هذه ترجمة السريانيين، وترجمة اليونانيين: على كتفه علامة النبوة، وقوله يسفح هو محمد (ﷺ) بلسان السريانى، والسفح عندهم: الحمد.

* * *

جَعَلوا الكَرامَةَ لِلْإِلَهِ فَأُكْرِمُوا　　فالله يَجْزى بالجَمِيلِ جَمِيلا

وَلِبَيْتِهِ الحَرَمِ الحرامِ طَرِيقُهُ　　يَتْلو رَعِيلَ المخلِصِينَ رَعِيلا

لا تَخْطُرُ الأَرْجاسُ فيهِ وَلا يَرَى　　لَخطاهمُ فى أَرْضِهِ تَنْقِيلا

كَتِفاهُ بينهما علامَةُ مُلْكِهِ　　لِلهِ مُلْكٌ لا يَزَالُ أَثِيلا

مَنْ كانَ مِنْ حِزْبِ الإِلَهِ فلَمْ يَزَلْ　　منه بِحُسْنِ عِنايَةٍ مَشْمُولا

هُوَ راكِبُ الجَمَلِ الذى سَقَطَتْ به　　أَصْنامُ بابِلَ قد أتاكَ دَلِيلا(1)

* * *

[تعليق الناظم] :

ومن كتاب شَعْيا عليه السلام: أتت أيام الاعتقاد، أتت أيام الكمال، ثم قال: لتعلموا يابنى إسرائيل الجاهلين أن الذى تسمونه ضالا هو صاحب النبوة، تقرءون ذلك على كثرة

(1) د: وميلا: والتصحيح عن م.

ذنوبكم وعظم فجوركم . ومن كتاب شَعْيا : قيل لى قم فانظر ما ترى فأخبر به ، فقلت : أرى راكبين مقبلين ، أحدهما على حمار ، والآخر على جمل ، يقول أحدهما لصاحبه سقطت بابل وأصنامها . ومن كتاب شَعْيا: لأرفعنّ علما بجميع أهل الأرض يظفرهم فى أقاصى البلاد، فإذا هم سراع يأتون ، يريد به النبي صلى الله عليه وسلم ، ودخول الناس في دين الله أفواجا ، وحجهم البيت الحرام من أقاصى الأرض .

ومن كتاب شَعْياعليه السلام يصف أمة النبي (ﷺ): يدوسون الأمم كدياس البيادر بفدان، ليهزموا بين سيوف مسلولة ، وقسى موتورة من شدة الملحمة : إشارة لانهزام العرب ببدر ، ثم آمنوا بالنبي (ﷺ) فداسوا به الأمم كدياس البيادر .

* * *

وَالغَرْسُ فى البَدْوِ المُشارِ لِفضلِهِ[1] إنْ كُنْتَ تجْهلُهُ فَسَلْ حِزْقِيلا(١)
غُرِسَتْ بِأَرضِ البَدْوِ منه دَوْحَةٌ لَمْ تَخشَ مِنْ عَطَشِ الفَلاةِ ذُبُولا
فَأَتَتْكَ فاضِلَةَ الغُصُونِ وأَخْرَجَتْ نارًا لِمَا غَرَسَ اليَهُودُ أُكُولا
ذَهبَتْ بِكَرْمَةِ[2] قَوْمِ سَوءٍ ذُلِّلَتْ بِيَدِ الغُرورِ قُطُوفُها تَذْلِيلا
وَسَلوا المَلائِكَةَ التى قد أَيَّدَتْ[3] قَيْدارَ تُبْدِى العِلَّةَ المَعْلولا

* * *

[تعليق الناظم] :

(١) بشارة حزقيل النبي عليه السلام بمحمد (ﷺ) : فمن ذلك قصة ذكر فيها ظهور اليهود

---

(١) د : بفضله والتصحيح عن م . (٢) د : بكرم والتصحيح عن م . (٣) د : قيدت .

وكفرانهم النعمة ، فشبههم بالكرمة ، ثم قال : إنى بلوت تلك الكرمة : إن قلعت بالسخطة ، ورمى بها على الأرض ، فخرقت السماء ، فعند ذلك غرس غرسته فى البدو ، أو فى الأرض المهملة العطشى، فخرجت من أغصانها الفاضلة نار ، فأكلت تلك الكرمة ، حتى لم يوجد فيها قضيب .

ومن كلام حزقيل إخبارا عن الله تعالى : إنى مؤيد قيدار بالملائكة ، وقيدار هو ابن إسماعيل ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

* * *

وسَلَنَّ حَبْقُوقَ المُصَرِّحَ باسْمِهِ وَبِوَصْفِهِ وكَفَى به مَسْئولا[1]
إذْ أوْصَلَ القَوْلَ الصَّرِيحَ بِذِكْرِهِ لِلسَّامِعِينَ فأحْسَنَ التَّوْصِيلا
والأرضُ مِنْ تَحْمِيدِ أحمدَ أصْبَحَتْ وبِنُورِهِ عَرْضاً تُضِيءُ وطُولا
رَوِيَتْ سِهَامُ مُحَمَّدٍ بِقِسِيِّهِ وغَدا بِها مَنْ ناضَلَتْ مَنْضُولا

* * *

[تعليق الناظم] :

من كتاب[2] حبقوق النبىّ (ع) يبشر برسول الله (ص) : جاء الله من تيمان ، وظهر قدس على جبال فاران، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد وتقديسه ، وملك الأرض بيمينه، وأضاءت الأرض بنوره ، وحملت خيله فى البحر، وملك رقاب الأمم . ومن صحف حبقوق : يضىء بنوره الأرض وسينزع فى قسيك أعراب ، وترتوى السهام بأمرك يامحمد ارتواء . ومن كلامه : إذا جاءت الأمة الأخيرة يسبح صاحب الجمل (أو قال راكب الجمل) تسبيحا جديدا فى الكنائس الجدد . ففرحوا وسيروا فى الأرض إلى صهيون يعلنون أمته بأصوات عالية بالتسبيحة الجديدة

(١) د : وسلوا وهذه عن م .   (٢) رجعنا إلى سفر حبقوق فلم نجد هذا الكلام .

التى أعطاهم الله فى الأيام الأخيرة ؛ أمة جديدة ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين ، فينتقمون من الأمم الكافرة فى جميع أقطار الأرض ، وهذا تصريح لايحتاج إلى تفسير .

* * *

وَاسْمَعْ بِرُؤْيا بُخْتَنَصَّرَ والْتَمِسْ مِنْ دانِيالَ لها إِذَنْ تَأْوِيلا
وَسَلوهُ كَمْ تَمْتَدُّ دَعْوَةُ باطِلٍ لِتُزِيحَ عِلَّةَ مُبْطِلٍ وتَزِيلا

* * *

[تعليق الناظم] :

كان بختنصر قد رأى رؤيا[١] ، فأحضر دانيال النبى (ع) وسأله أن يخبره عن منامة رآها وبتأويلها، فقال له : رأيت صنما بارع الجمال، أعلاه من ذهب، ووسطه من فضة، وأسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار، فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبك، إذ دقه الله بحجر من السماء ، فضرب رأس الصنم، فطحنه ، حتى اختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره ، ثم إن الحجر ربا وعظم ، حتى ملأ الأرض كلها، فقال له بختنصر: صدقت ، فأخبرنى بتأويلها ، فقال له دانيال: أما الصنم فأمم مختلفة فى أول الزمان وفى وسطه وفى آخره؛ فالرأس من الذهب : أنت أيها الملك ، (والفضة: ابنك من بعدك ، والنحاس: الروم، والحديد: الفرس، والفخار: أمتان ضعيفتان تملكهما امرأتان باليمن والشام ، والحجر : هو دين نبى وملك أبدىّ، يكون فى آخر الزمان، يغلب الأمم كلها ، ثم يعظم ، حتى يملأ الأرض كلها ، كما ملأها ذلك الحجر[٢]) .

وفى صحف دانيال (ع) وقد بعث الكذابين ، فقال : لا تتم دعوتهم ، ولا يتم قربانهم، وأقسم الرب بساعده أن لايظهر الباطل ، ولا يقوم كاذب . ليسرع كاذب ، دعوة الرب ثلاثون سنة ، وهذا أول دليل على الجاحدين لنبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

* * *

(١) دانيال إصحاح ٢ . (٢) ما بين القوسين لا وجود له فى النسخ المطبوعة .

وَارْمِ[1] العِدا بِبَشائِرٍ عَنْ أَرْميا   إِذْ كَفَّ نَبْلُ كِنانِهِ مَتْبُولا
إِذْ قالَ قَدْ قَدَّسْتُهُ وعَصَمْتُه   وَجَعَلْتُ لِلْأَجْناسِ منهُ رَسُولا
وَجَعَلْتُ تَقْدِيسي[2] قُبيلَ وُجُودِهِ   وَعْدًا عَلَيَّ كَبَعْثِهِ مَفْعُولا[3]
وحَدِيثُ مَكَّةَ قد رواهُ مُطَوَّلاً   شَعْيا فخُذْهُ وَجانِبِ التَّطْوِيلا
إِذْ راحَ بالقَوْلِ الصَّرِيحِ مُبَشِّرًا   بالنَّسْلِ منها عاقِرًا مَعْضـــولا
وتَشَرَّفَتْ باسْمٍ جَدِيدٍ فادْعُها   حَرَمَ الإِلٰهِ بَلَغْتَ منـــه السُّولا
فَتَنَبَّهَتْ بعْدَ الخُـولِ وَكُلِّلَتْ   أَبوابُهـا وسُـقوفُها تَـكْلِيلا

☆ ☆ ☆

[تعليق الناظم] :

من كتاب[4] إرميا قوله : قبل أن أخلقك فقد عصمتك ، من قبل أن أصورك فى البطن قدستك وجعلتك نبيا للأجناس . هذه بشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فإنه لم يبعث للأجناس غيره .

وفى الإنجيل من كلام المسيح لم أبعث إلى الأجناس ولـكن إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل. وقال للحواريين : لاتسلـكوا فى سبيل الأجناس ولـكن احضروا إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل .

☆ ☆ ☆

---

(١) د : وأت العدا ببشار عن أرميا   إذ كف نبل كنانه متبولا
وهذه رواية م . ومتبولا : مقطوعا .   (٢) د : تقديسه والتصحيح عن م .   (٣) م : مسئولا .
(٤) الذى فى سفر إرميا الإصحاح الأول هو : « قبلما صورتك — والخطاب من الله لارميا — فى البطن عرفتك ، وقبلما خرجت من الرحم قدستك . جعلتك نبيا للشعوب » .

وَنأَتْ عَنِ الظُّلْمِ الذى لا يَبْتَغِي ... لِخضابهِ شَيْبُ الزَّمانِ نصولا[1]
حَرَمٌ عَلَى حَمْلِ السِّلاحِ مُحَرَّمٌ ... فكأنما يَبْقى السُّيُوفَ فُلولا
وتَخالُ مِنْ تَحْرِيمِ حُرْمَتِهِ العِدا ... عُزْلاً وإنْ لَبِسُوا السِّلاحَ ومِيلا[2]
لَمْ يُتخذْ بَيْتٌ سِواهُ قِبْلَةً ... فازْدَدْ بِذاكَ لِمَا أقولُ قَبُولا
وبَنُو نَبايُتَ لَمْ تَزَلْ خُدَّامُها ... لا تَبْتَغِي عنها لَهُمْ تَحْوِيلا
جُمِعَتْ لَهُ أَغْنامُ قَيْذارَ التى ... قد كانَ منها ذِبْحُ إسْمَاعِيلا
فَنمَتْ وأمَّنَ خَوْفَها وَعَدُوُّها ... قد باتَ منها خائفاً مَهزُولا

* * *

[تعليق الناظم] :

ومن كتاب شعْيا يذكر مكة شرفها الله تعالى قوله : فقد أقسمت نفسى كقسمى أيام نوح : لأغرقن الأرض بالطوفان . كذلك أقسمت لا أسخط عليك ولأبين فضلك ، وأن الجبال تزول، والقلاع تنحط ، ورحمتي عليك لا تزول، يامسكينة يامضطهدة ، مبانيك بالحجارة، وتربتك بالجوهر ، وملكك باللؤلؤ ، وسقفك بالزبرجد وأبوابك . وتبعدين من الظلم فلا تخافين . وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك . وكل لسان يقوم معك بالخصومة . ويسميك الله اسما جديدا . فقولى واشرقى ، فإنه قد دنا نورك ، ووقار الله عليك . انظرى بعينك فإنهم مجتمعون حولك ، يأتون بنيك وبناتك عدوا، فحينئذ تشرقين وتزهرين ، ويخاف عدوك ، ويشبع قلبك. وكل غنم قيدار تجتمع إليك . وسادات نبايت يخدمونك ، وتفتح أبوابك دائما بالليل والنهار ، ويتخذونك قبلة ، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب . فهذا خطاب لمكة ، وقيدار بن إسماعيل . والاسم الجديد الذى سميت به الكعبة هو البيت الحرام ومدينة الرب حرم الله . وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك، إشارة إلى أمن الحرم. وقوله غنم قيدار تصريح بالهَدْى المجلوب إليها

(١) نصولا : من نصل أى خرج من الخطاب . (٢) ميلا : الأميل الذى لا سلاح معه .

فى الحج والعمرة . وسادات نبايت يخدمونك: يعنى سَدَنة الكعبة، وهم من ولد نبايت بن قيدار ابن إسماعيل ، واتخذها قبلة : غاية التصريح .

ومن كتاب شعيا (ع) أيها العاقر: قومى فأضيئى، فإنه قد دنا ضياؤك، وكرامة الرب عليك تظهر، لأن الظلمة قد غطت الأرض، وعليك يتجلى، وكرامة الرب عليك، تجىء الشعوب والملوك، ضوءك والنور المنظور عليك مدى نظرك إلى حدودك ، فانظرى إلى الجميع يتحزبون ويأتون إليك عن بعد هنالك ، فتضيئين وتفرحين، من أجل أنه يأتيك أفوياء الشعوب ، وقوافل الجمال تغشاك، والأغنياء يأتون بالذهب ، والكومان يحملونه بتسبيح الرب ، وجميع غنم قيدار تجتمع إليك . هذا قول الرب القوى .

ومن كتاب شعيا (ع) أيها العاقر افرحى واجهرى وانطقى بالتسبيح ، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلى ، إشارة إلى مكة فإنها عاقر، لأنها بواد غير ذى زرع، ولم يخرج منها نبى قبل ذلك غير إسماعيل ، ولم يكبر ولد بها .

* * *

وَكلامُ شَمْعُونَ النبىِّ تَخالُه ... لِكلامِ موسى قد أتى تَذْييلا
وَجميعُ كُتْبِهِمُ على عِلاّتِها ... نَطَقَتْ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ تَعْليلا
لَمْ يَجْهلوهُ غيرَ أنَّ سُيوفَهُ ... أبقَتْ حُقُودًا عِنْدَهُمْ وذُحُولا(١)
فاسْمَعْ كلامَهُمُ ولا تَجْعَلْ عَلَى ... ما حَرَّفُوا مِنْ كُتْبِهِمْ تَعْويلا
لولا اسْتِحالَتُهُمْ لَمَا أَلْفَيْتَنى ... لَكَ بالدَّليلِ عَلَى الغَريمِ مُحيلا
أوَ قَدْ جَهِلْتَ مِنَ الحديثِ رِوايَةً ... أمْ قد نسيتَ مِنَ الكتابِ نُزُولا
فاتْرُكْ جِدالَ أخِى الضَّلالِ ولا تَكُنْ ... بِمِراءِ مَنْ لا يَهْتَدِى مَشْغُولا
مالى أُجادِلُ فيهِ كلَّ أخِى عَمًى ... كَيْما أُقيمَ عَلَى النَّهارِ دَليلا

---

(١) ذحولا : جمع ذحل ، وهو الحقد والعداوة .

واصْرِفْ إلى مَدْحِ النبيِّ مُحَمَّدٍ   قَوْلًا غَدا عَنْ غيرِهِ مَعْدُولَا
فإذا حَصلْتَ عَلَى الهُدَى بِكِتابِهِ   لاتَبْغِ بَعْدُ لِغَيْرِهِ تَحْصِيلا
ذِكْرٌ بِهِ تَرْقَى إلَى رُتَبِ العُلا   فَتخالُ حامِلَ آيِهِ مَحْمُولا
يَذَرُ المُعارِضَ ذا الفصاحَةِ أَلْكَنًا   فى قولِهِ وأخا الحِجا(١) مَخْبولا
لاتَنْصِبَنَّ لَهُ حِبالَ مُعانِدٍ   فَتُرَى بِكِفَّةِ آفَةٍ مَحْبُولا(٢)
إنْ كُنتَ تُنْكِرُ مُعْجِزاتِ مُحَمَّدٍ   يَوْمًا فَكُنْ عَمَّا جَهِلتَ سَئُولا

* * *

[تعليق الناظم] :

ومن كتاب شعيا (ع) : بحق أقول لكم ، لأعطين البادية كرامة لبنان و بيت المقدس ، وتشقها مياه وقصور و إيوان فى الأرض الفلاة . وأجعل هناك طريقا حراما ، لايمر به أنجاس الأمم ، ويكون هناك طريق المخلف .

ومن صحف شعيا (ع) : ليفرح أهل البادية العطشى ، ولتبتهج البوادى والفلوات ، لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان ، وكمثل حسن الدساكر والرياض .

ومن كلام شمعون : جاء الله بالبيان من جبال فاران ، وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته ، يعنى حكى موسى فى قوله جبال فاران .

* * *

شَهِدَتْ لهُ الرُّسْلُ الكِرامُ وَأشْفَقُوا   مِنْ فاضِلٍ يَسْتَشْهِدُ المَفْضُولا
قارَنْتُ نُورَ النَّيِّرَيْنِ بِنُورِهِ   فَرَأيتُ نُورَ النَّيِّرَيْنِ ضَئِيلا

---

(١) الحجى : العقل .   (٢) محبولا : مربوطا بالحبل .

ونَسَبْتُ فضلَ العالَمِينَ لفضلِهِ فنَسَبْتُ منهُ إلى الكَثيرِ قليلا
وَأرانِى الزَّمنُ الجوادَ بجودِهِ لَمَّا وَزَنْتُ بهِ الزَّمانَ بخيلا
ما زالَ يرْقَى فى مَواهِبِ رَبِّهِ وَينالُ فضلاً مِنْ لَدُنْهُ جَزِيلا
حتَّى انْثَنَى أغْنَى الوَرَى وَأعزُّهمْ ينْقادُ مُحْتاجاً إليهِ ذَليلا
بَثَّ الفضائلَ فى الوجودِ فَمَنْ يُرِدْ فضلاً يَزِدْهُ بِفضلهِ تفضيلا
فالشمسُ لا تُغنِى الكَواكِبُ جُمْلَةً فى الفَضْلِ مَغْناها وَلا تفصيلا
سَلْ عالَمَ المَلَكُوتِ عنهُ فخَيرُ ما سألَ الخَبيرُ عَنِ الجليلِ جَليلا
فَمِنَ المُخَبِّرُ عَنْ عُلاً مِنْ دونِها ثَنَتِ البُراقَ وَأخَّرَتْ جِبْرِيلا
فَلوِ استَمَدَّ العالَمونَ عُلومَه مَدَّتْهُمُ القَطَراتُ منهُ سُيولا
فَتلَقَّ ما تَسْطِيعُ مِنْ أنْوارِهِ إنْ كانَ رَأيُكَ فِى الفَلاحِ أصِيلا
فلَرُبَّما ألقَى عليكَ كِتابُهُ قَوْلاً مِنَ السِّرِّ المَصُونِ ثَقيلا
ذاكَ الَّذى رفَعَ الهُدَى بيمينهِ عَلَماً وجَرَّدَ صارِماً مَصْقُولا
أوَما تَرَى الدِّينَ الحَنيفَ بِسَيْفِهِ جَعَلَ الطُّهورَ لهُ دَماً مَطْلولا(١)
وَالشِّرْكُ رِجْسٌ فِى الأنامِ وخيرُما ألْفَيْتَهُ بِدَمِ العِدَا مَغْسولا
داعٍ بأمْرِ اللهِ أسْمَعَ صَوْتُه الثَّقَلَينِ حتى ظُنَّ إسْرافِيلا
لَمْ يَدْعُهُمْ إلَّا لِما يُحْيِيهُمُ أبَدًا كما يَدْعُو الطَّبِيبُ عَليلا
تَحْدُو عَزائِمَهُ العِبادَ كأنّما تَخِذَتْ عزائِمُهُ الفضاءَ سَبيلا
يَهْدِى إلى دارِ السَّلامِ مَنِ اتَّقَى وغَدا بِنُورِ كِتابِهِ مَكْحُولا
وَيظَلُّ يَهْدِى لِلْجَحِيمِ بِسَيْفِهِ مِمَّنْ عَصَى بعدَ القَتِيلِ قَتِيلا

---

(١) الطهور : الطهر وهو ضد النجاسة . مطلولا : مهدرا .

حتى يقولَ الناسُ أتعبَ مالِـكاً ... بحُسامِهِ وأراحَ عِزرائيلا
فاسْمَعْ شمائِلَهُ التى ذِكرى لها ... قدْ كادَ تحْسِبُهُ العُقولُ شَمُولا[١]
مَنْ خُلقُهُ القرآنُ جَلَّ ثناؤُهُ ... عَنْ أنْ يكُونَ حَدِيثُهُ مَملولا
وإذا أتَتْ آياتُهُ بِمَديحِهِ ... رَتَّلْتُ منها ذِكْرَهُ تَرْتيلا
إنْ امْرَأً مُتَبَتِّلاً بِثَنائِهِ ... مُتَبَتِّلٌ لإلٰهِهِ تَبْتِيلا[٢]
إنى لَأُوردُ ذِكْرَهُ لِتَعَطُّشى ... فإخالُ أنى قد وَرَدْتُ النِّيلا
وَالنِّيلُ يُذْكِرُنى كَريمَ بَنانِهِ ... فأُطِيلُ مِنْ شَوْقٍ لهُ التّقبيلا
مَنْ لِى بِأنى مِنْ بَنانِ مُحَمَّدٍ ... بالَّثْمِ نِلْتُ المَنْهَلَ المَعْسُولا
مِنْ راحَةٍ هِىَ فى السَّماحَةِ كَوْثَرٌ ... لكِنَّ وارِدَها يَزِيدُ غَلِيلا[٣]
سارَتْ بِطاعَتِها السَّحابُ كأنَّما ... أمَرَتْ بِما تَخْتارُ مِيكائيلا
أنَّى دَعا وأشارَ مُبْتَهِلاً بها ... لِمِياهِ مُزْنٍ ما يَزالُ هَطُولا
وَأظُنُّه لو لَمْ يُرِدْ إقْلاعَهُ ... لَأَتى بِسَيْلٍ ما يُصِيبُ مَسِيلا
وَكَمْ اشْتَكَتْ بَلَدٌ أذاهُ فأُلْبِسَتْ ... بِدُعائِهِ مِنْ صَحْوَةٍ إكْليلا
يا رَحْمَةً لِلعالَمِينَ ألَمْ يَكُنْ ... طِفْلاً لِضُرِّ العالَمِينَ مُزِيلا
إذْ قامَ عَمُّكَ فى الوَرَى مُسْتَسْقِياً ... كادَتْ تَجُرُّ عَلَى البِطاحِ ذُيُولا
وَرَفَعْتَ عامَ الفِيلِ عنهم فِتْنَةً ... ألْفَيْتَ فيها التابِعِينَ الفِيلا
بِسحائِبِ الطَّيْرِ الأَبابِيلِ التى ... جادَتْهُمُ مَطَرَ الرَّدَى سِجِّيلا
فَفَدَوْكَ مَوْلوداً وَقَيْتَ نُفُوسَهُمْ ... شِيباً وَشُبّاناً مَعاً وَكُهُولا
حتى إذا ما قُمْتَ فيهمْ مُنْذِراً ... أبْدَوْا إليكَ عَداوةً وذُحولا

---

(١) شمائله : خلقه . شمولا : خمرا . (٢) متبتل بثنائه : انقطع لمدحه ، وأخلص فيه .
(٣) الغليل : العطش .

فَلَقِيتَهُمْ فَرْدًا بِعَزْمٍ ما انْثَنَى ... يَوْماً وَحُسْنِ تَصَبُّرٍ ما عِيلا
وَوَكَلْتَ أمْرَكَ لِلْإِلَهِ وَيالَهَا ... ثِقَةً بِنَصْرِ مَنِ اتَّخَذْتَ وَكِيلا
وَأطَلْتَ فى مَرْضاةِ رَبِّكَ سُخْطَهُمْ ... فَجَرَعْتَ منهم عَلْقَماً مَغْسُولا
وَطَفِقْتَ يَلْقاكَ الصَّدِيقُ مُعادِيًا ... والسِّلْمُ حَرْبًا والنَّصِيرُ خَذُولا
ودَعَوْتَهُمْ بالبَيِّناتِ مِنَ الهُدَى ... وَهَزَزْتَ فيهمْ صارماً مَسْلولا
وَأقَمْتَ ذاكَ العَضْبَ فيهمْ قاضِياً ... ونَصَبْتَ تلكَ البَيِّناتِ عُدولا[(١)]
فَطَفِقْتَ لاتَنْفَكُّ تَتْلو آيَةً ... فيهمْ وَتُخْشِمُ بالحُسامِ تَلِيلا[(٢)]
حتَّى قضَى بالنَّصْرِ دِينُكَ دِينَهُ ... وغَدا لِدِينِ الكافِرِينَ مُزِيلا
وعَنَتْ لِسَطْوَتِكَ المُلوكُ وَلَمْ تَزَلْ ... بَرًّا رَحِيماً بالضَّعِيفِ وَصُولا
لَمْ تخْشَ إلَّا اللهَ فى أمْرٍ وَلَمْ ... تَمْلِكْ طِباعَكَ عادَةٌ فَتَحُولا
اللهُ أعْطَى المصطفى خُلُقاً عَلَى ... حُبِّ الإلِهِ وَخَوْفِهِ مَجْبولا
عُمَرَ البَرِيَّةَ عَدْلُهُ فَصَدِيقُهُ ... وعَدُوُّهُ لايُظْلَمُونَ فَتِيلا[(٣)]
وَإذا أرادَ اللهُ حِفْظَ وَلِيِّهِ ... خَرَجَ الهَوَى مِنْ قَلْبِهِ مَعْزُولا
عُرِضَتْ عليهِ جِبالُ مَكَّةَ عَسْجَدًا ... فأبَى لِفاقَتِهِ وكانَ مُعِيلا
رَكِبَ الحِمارَ تَواضُعاً مِنْ بَعْدِ ما ... رَكِبَ البُراقَ السَّابِقَ الهُذْلولا[(٤)]
أمُعَنِّفِى أنِّى أُطِيلُ مَدِيحَهُ ... مَنْ عَدَّ مَوْجَ البَحْرِ عَدَّ طَوِيلا
إنِّى تَرَكْتُ مِنَ الكَلامِ نُخالَهُ ... وأخَذْتُ منه لُبابَهُ المَنْخُولا
ماذا عَلَى مَنْ مَدَّ حَبْلَ مَدائِحٍ ... فيهِ بِحَبْلِ مَوَدَّةٍ مَوْصولا
قَيَّدْتُهُ بالنَّظْمِ إلَّا أنَّهُ ... سَبَقَ الجِيادَ إلَى المَدَى مَشْكُولا[(٥)]

---

(١) العضب : السيف القاطع . (٢) تليلا : عنقا .
(٣) فتيلا : الفتيل : حبل دقيق من ليف ، والسحاة التي في شق النواة .
(٤) الهذلولا : الطويل الصلب والريع .
(٥) مشكولا : يقال شكل الدابة : أى قيدها . وشكل الكتابة ضبطها بعلامات الإعراب .

وأضاءتِ الأيامُ مِنْ أنوارِهِ ... فاسْتَصْحَبَتْ غُرَرًا بها وحُجُولا
إنى امْرُؤٌ قلبى يُحِبُّ مُحَمَّدًا ... ويلومُ فيــهِ لائمًا وعَذُولا
أأحبه وَأمَلٌ مِنْ ذِكْرِى لَهُ ... ليسَ المحِبُّ لِمَنْ يُحِبُّ مَلولا
ياليْتَنى مِنْ مَعْشَرٍ شَهِدُوا الوغَى ... مَعَهُ زَمانًا والكِفاحَ طَوِيلا
فأقُومَ عنــه بِمِقْوَلٍ وبصارِمٍ ... أبَدًا قئولا فى رِضاهُ فَعُولا
طَوْراً بِقافيةٍ يُرِيكَ ثَباتُها ... كَفَّ الرَّدى عَنْ عِرْضِهِ مَشْلولا
وبِضَرْبَةٍ يَدَعُ المُدَجَّجَ وِتْرُها ... شَفْعًا كما شاء الرَّدَى مَجْدُولا(١)
وبِطَعْنَةٍ جلَتِ السِّنانَ فمثّلتْ ... عَيْنًا لِعَيْنِكَ فى الكَمِيِّ كَحِيلا(٢)
فى مَوْقِفٍ غَشِيَ اللِّحاظَ فلا يرَى ... لحَظٌ بهِ إلّا قَناةً مِيــلا(٣)
فَرَشَفْتُ ثغرَ المَوتِ فيــه أشْنَبًا ... وَلَثَمْتُ خَدَّ المَشْرَفِيِّ أسِيــلا(٤)
والخيلُ تَسْبَحُ فى الدِّماءِ وَتَتَّقِى ... أيْدِى الكُماةِ مِنَ النَّجِيعِ وُحُولا(٥)
فاطْرَبْ إذا غَنَّى الحَدِيدُ فخيْرُ ما ... سَمِعَ المَشُوقُ إلى النِّزالِ صَليلا
تاللهِ يُثْنَى القَلْبُ عنــه ما ثَنَى ... خَوْفُ المَنيَّةِ عامِرًا وسَلولا
أيَضِنُّ عنــه بمالِهِ وَبِنَفْسِهِ ... صَبٌّ يرَى لَهُما الفَواتَ حُصُولا
فَلَأقْطَعَنَّ حِبالَ تَسْوِيفِى التى ... مَنَعَتْ سِوايَ إلى حِماهُ وُصولا
وَلَأمْنعنَّ العَيْنَ فيــهِ مَنامَها ... وَلَأجْعلَنَّ لهـا السُّهادَ خَليــلا
وَلَأرْمِيَنَّ لهُ الفِجاجَ بِضُمَّرٍ ... كالنَّبْلِ سَبْقًا والقِسِيِّ نُحولا(٦)
مِنْ كلِّ داميةِ الأياطِلِ زِدْتُها ... عَنَقًا إذا كَلَّفْتُها التَّمْهِيــلا(٧)
سارَتْ تَقِيسُ ذِراعُها سَقْفَ الفَلا ... فكأنَّما قاسَتْ بِمِيلٍ مِيــلا

---

(١) مجدولا : مصروعا على الأرض . (٢) الكمى : الشجاع . والكحيل الذى وقع فى شدة
(٣) ميلا : مائلة للضرب . (٤) أشنب : الشنب ماء ورقة وعذوبة فى الأسنان. أسيلا: طويلا حسنا .
(٥) النجيع : الدم الأسود . (٦) بضمر : بجياد ضامرة .
(٧) الأياطل : جمع أيطل ، وهو الخاصرة . يريد أدماها طول السير .

حتى تريكَ الحرفَ من صَلْدِ الصَّفا   أخفافُها بدمائها مَشْكولا [1]
وكأنما ضَرَبَتْ بصخرٍ مثلَهُ   من مِيسمٍ فتكافأا تقتيلا
قطعتْ حبالَ البُعدِ لمّا أُعمِلَتْ   شوقًا لطيبةَ ساعدًا مفتولا
حتى أضُمَّ بطيبةَ الشَّمْلَ الذى   أنضى إليها العِرمِسَ الشِّمْليلا [2]
وأُريحَ من تعبِ الخطايا ذِمّةً   ثقلتْ عليها للذنوبِ حُمولا
ويُسَرَّ بالغفرانِ قلبٌ لم يزلْ   حينًا بطولِ إساءتى مَشْكولا [3]
وأعودَ بالفضلِ العظيمِ منوَّلا   وكفى بفضلٍ منه لى تنويلا
وإذا تعسَّرتِ الأمورُ فإننى   راجٍ لها بمحمدٍ تسهيلا
يا ربِّ هَبْنا للنبيِّ وهَبْ لنا   ما سوَّلتْهُ نفوسُنا تسويلا [4]
واسترْ علينا ما علِمتَ فلمْ يُطِقْ   منّا امرؤٌ لخطيئةٍ تخجيلا
واعطفْ على الخلقِ الضعيفِ إذا رأى   هَوْلَ المعادِ فأظهرَ التهويلا
يومٌ تضلُّ به العقولُ فتشخَصُ الـ   ـأبصارُ خوفًا عندهُ وذهولا
ويُسِرُّ فيه المجرمونَ ندامةً   حينًا وحينًا يُظهِرونَ عويلا
ويظلُّ مرتادُ الخلاصِ مقلِّبًا   فى الشافعينَ لحاظَهُ ومُجيلا [5]
لِتنالَ من ظمإِ القيامةِ نفسُهُ   ريًّا ومن حرِّ السعيرِ مقيلا
واجعلْ لنا اللهمَّ جاهَ محمدٍ   فرَطًا تبلّغُنا به المأمولا [6]
واصرفْ به عنّا عذابَ جهنّمٍ   كرمًا وكُفَّ ضِرامَها المشعولا
واجعلْ صلاتَك دائمًا منهلّةً   لم تُلْفِ دونَ ضريحهِ تهليلا
ما هزّتِ القُضُبَ النسيمُ ورجّعتْ   ورقاهُ فى فَنَنِ الأراكِ هديلا [7]

---

(١) الصلد : الصلب الأملس . الصفا : الحجارة .
(٢) أنضى : أهزل . العرمس : الناقة الصلبة . الشمليلا : السريعة .
(٣) مشكولا : مقيدا . (٤) سولت : زينت . (٥) مرتاد : طالب .
(٦) فرطا : الفرط ما تقدم من أجر وعمل . (٧) رجعت : رددت ورقاه : نوع من الحمام . الفنن : الغصن . الأراك : شجر ملتف الأغصان . هديلا : غناء .

وقال[١] رضى الله عنه ، وتسمى « ذخر المعاد ، فى وزن بانت سعاد » :

إلى متى أنتَ باللَّذاتِ مَشْغولُ ... وأنتَ عَنْ كلِّ ما قدَّمْتَ مسْئُولُ
فى كُلِّ يَوْمٍ ترَجِّى أن تَتُوبَ غَدًا ... وَعقْدُ عَزْمِكَ بالتَّسْوِيفِ مَحْلولُ
أما يُرَى لكَ فيما سَرَّ مِنْ عَمَلٍ ... يَوْمًا نَشاطٌ وعمَّا ساءَ تَكْسِيلُ
فَجَرِّدِ العَزْمَ إنَّ الموتَ صارِمُهُ ... مُجَرَّدٌ بِيَدِ الآمالِ مَسْلولُ
واقطعْ حبالَ الأمانىِّ التى اتَّصَلَتْ ... فإنما حَبْلُها بالزُّورِ مَوْصولُ
أنفقْتَ عُمْرَكَ فى مالٍ تُحَصِّلُهُ ... وما عَلَى غيرِ إثمٍ منكَ تَحصيلُ
ورُحتَ تَعْمُرُ داراً لا بقاءَ لها ... وأنْتَ عنها وإن عُمِّرْتَ مَنقُولُ
جاءَ النَّذِيرُ فَشَمِّرْ لِلمَسيرِ بِلاَ ... مَهْلٍ فليسَ مع الإنذارِ تَمْهِيل
وَصُنْ مَشِيبكَ عَنْ فِعْلٍ تُشانُ به ... فكُلُّ ذِى صَبْوَةٍ بالشَّيْبِ مَعْذُول
لا تُنْكِرَنْهُ وَفى الفَوْدَيْنِ قدطلَعَتْ ... منهُ الثُّرَيَّا وَفوْقَ الرَّأْسِ إكليلُ
فإنَّ أَرْواحَنا مِثْلَ النُّجُومِ لها ... مِنَ المَنِيَّةِ تَسْيِيرٌ وتَرْحِيلُ
وإنَّ طالِعَها مِنَّا وَغَارِبَها ... جِيلٌ يَمُرُّ وَيأتى بَعْدَهُ جِيلُ
حتى إذا بَعَثَ اللهُ العِبادَ إلَى ... يَوْمٍ بهِ الحُكْمُ بينَ الخلقِ مَفْصُول
تَبَيَّنَ الرِّبْحُ وَالخسْرانُ فى أُمَمٍ ... تَخالفَتْ بيننا منها الأقاوِيلُ

---

(١) ت : وقال رضى الله عنه هذه القصيدة، وتسمى «ذخر المعاد» فى معارضة بانت سعاد» وهى فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم، وهى من بحر البسيط :

« إلى متى أنت باللذات مشغول »

إلى آخر القصيدة وهى مشهورة .

فأَخْسَرُ الناسِ مَنْ كانتْ عقيدَتهُ ... فِي طَيِّهَا لِنُشُورِ الخلقِ تعطِيلُ
وأُمَّةٌ تَعْبُدُ الأَوْثانَ قد نُصِبَتْ ... لها التَّصاوِيرُ يوماً والتَّماثِيلُ
وأُمَّةٌ ذَهَبَتْ لِلْعِجْلِ عابِدَةً ... فنالها مِنْ عذابِ اللهِ تَعْجِيل
وأُمَّةٌ زَعَمَتْ أَنَّ المَسِيحَ لها ... رَبٌّ غدا وَهْوَ مَصْلوبٌ ومَقْتُولُ
فَثَلَّثَتْ واحِدًا فَرْدًا نُوَحِّدُهُ ... وَلِلْبَصَائِرِ كَالأَبصارِ تَخْيِيلُ
تبارَكَ اللهُ عمَّا قالَ جاحِدُه ... وجاحِدُ الحقِّ عِنْدَ النَّصْرِ مَخْذُول
وَالفَوْزُ فى أُمَّةٍ ضَوءُ الوُضوءِ لها ... قد زانَها غُرَرٌ منه وَتَحْجِيلُ(١)
تَظَلُّ تَتْلو كِتابَ اللهِ ليسَ بِهِ ... كسائِرِ الكُتْبِ تَحْرِيفٌ وَتَبْدِيلُ
فالكُتْبُ والرُّسْلُ مِنْ عندِ الإِلهِ أَتت ... ومنهمُ فاضِلٌ حَقّاً ومفضولُ
والمصطفَى خيرُ خلقِ اللهِ كلِّهِمِ ... لَهُ عَلَى الرُّسْلِ تَرْجِيحٌ وتَفْضِيل
مُحَمَّدٌ حُجَّةُ اللهِ التى ظَهَرَتْ ... بِسُنَّةٍ مالها فى الخلْقِ تَحْوِيل
نَجْلُ الأَكارِمِ والقَوْمِ الذينَ لهمْ ... عَلَى جميعِ الأَنامِ الطَّوْلُ(٢) والطُّولُ
مَنْ كَمَّلَ اللهُ معناهُ وصورَتَهُ ... فلَمْ يَفُتْهُ عَلَى الخالِقِينَ تَكْمِيلُ
وخَصَّهُ بِوَقارٍ قَرَّ منه لَهُ ... فى أَنْفُسِ الخلْقِ تعظِيمٌ وتَبْجِيلُ
بادِى السكينةِ فى سُخْطٍ لَهُ وَرِضاً ... فلَمْ يَزَلْ وَهْوَ مَرْهُوبٌ ومَأْمُولُ
يُقابِلُ البِشْرَ منه بالنَّدَى خُلُقٌ ... زاكٍ عَلَى العَدْلِ والإِحسانِ مَجْبُول
مِنْ آدمٍ ولِحِينِ الوَضْعِ جَوْهَرُهُ الْـ ... ـمَكْنُونُ فى أَنْفُسِ الأَصدافِ مَحْمُولُ
فَلِلنُّبُوَّةِ إِتمامٌ وَمُبْتَدَأٌ ... به وَلِلْفَخْرِ تَعْجِيلٌ وَتَأْجِيلُ

---

(١) الغرة : بياض فى الوجه . والتحجيل : بياض فى القوائم . (٢) الطول : المن والفضل .

أَتَتْ إلى الناسِ مِنْ آياتِهِ جُمَلٌ ... أَعْيَتْ عَلَى الناسِ مِنْهُنَّ التَّفاصيلُ
أنبَا سَطِيحٌ وشِقٌّ وَابْنُ ذِي يزَنٍ ... عنــه وقُسٌّ وَأحبارٌ مَقاوِيلُ(١)
وعنه أنْبَأَ موسى وَالمسِيحُ وقد ... أَصْغَتْ حوارِيُّهُ الغرُّ البَهاليل(٢)
بأنه خاتَمُ الرُّسْلِ المُبَــاحُ لهُ ... مِنَ الغَنائِمِ تقسِيمٌ وتَنْفِيل(٣)
وليسَ أعْدَلَ منه الشاهِدُونَ لهُ ... وَلا بِأَعْلَمَ منــه إنْ هُمُ سِيلُوا
وَإنْ سَأَلْتَهُمُ عنـــه فلا حَرَجٌ ... إنَّ المَحَكَّ عَنِ الدِّينارِ مَسْئُولُ
كم آيةٍ ظَهَرَتْ فى حينِ مَوْلِدِهِ ... بهِ البشائرُ منها والتَّهاويل(٤)
عُلومُ غَيْبٍ فلا الأرصادُ حاكِمَةٌ ... وَلا التقاويمُ فيهـا والتَّحاويلُ،(٥)
إذِ الهَواتِفُ وَالأنوارُ شاهِدُها ... لَدَى المَسامِعِ والأبصارِ مَقبُول
ونارُ فارِسَ أَضْحَتْ وَهْيَ خامِدَةٌ ... وَنَهْرُهُمْ جامِدٌ والصَّرْحُ مَثْلُول(٧)
ومُذْ هداانا إلى الإسلامِ مَبْعَثُه ... دَهَى الشياطِينَ والأَصنامَ تَجْدِيل(٨)
وَانْظُرْ سماءً غَدَتْ مَمْلُوءَةً حَرَساً ... كَأَنها البيْتُ لَمَّا جاءَهُ الفيل

---

(١) سطيح وشق : كاهنان . وسيف بن ذى يزن : أحد ملوك اليمن . وقس بن ساعدة : الخطيب المشهور . والمقاويل : جمع مقوال : وهو الفصيح القول .

(٢) الحوارى : الناصر . والغرر : السادات . والبهاليل : جمع بهلول : وهو السيد .

(٣) التنفيل : الإعطاء من الغنيمة .

(٤) التهاويل من الهول . والتهاويل أيضا : زينة النقوش و الألوان المختلفة . ففى هذه الكلمة تورية .

(٥) الأرصاد : مايستعمل لرصد الكواكب . والتقاويم والتحاويل : من اصطلاحات المنجمين ، للاطلاع على المغيبات ومعرفة الأوقات . (٦) الهواتف : جمع هاتف ، وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه .

(٧) الصرح : القصر ، والمراد هنا إيوان كسرى . ومثلول : مهدوم ، من ثل بمعنى هدم .

(٨) جدله تجديلا : ألقاه على الجدالة مصروعا ، وهى الأرض .

فَرَدَّتِ الجِنَّ عَنْ سَمْعٍ ملائـكةٌ ... إذْ رَدَّتِ البَشَرَ الطَّيْرُ الأَبابيل (١)
كلٌّ غدا وَله مِنْ جِنْسِهِ رَصَدٌ ... لِلجِنِّ شُهْبٌ والإنسانِ سِجِّيل (٢)
لَوْلا نبيُّ الهدَى ما كانَ فى فَلَكٍ ... على الشياطينِ للأَفلاكِ تَوْكِيل
لَمَّا تَوَلَّتْ تَوَلَّى كلُّ مُسْتَرِقٍ ... عَنْ مقعَدِ السَّمْعِ منها وهْوَ مَعزُول (٣)
إنْ رُمْتَ أَكْبرَ آياتٍ وأَكملها ... كَفاكَ مِنْ مُحْكَمِ القُرْآنِ تَنْزِيلُ
وانْظُرْ فليس كَمِثْلِ اللهِ مِنْ أَحَدٍ ... وَلا كقَوْلٍ أَتى مِنْ عنده قِيلُ
لو يُسْتطاعُ لهُ مِثْلٌ لَجِىءَ به ... والْمُسْتَطاعُ مِنَ الأَعمالِ مَفْعُولُ
لِلهِ كَمْ أَفْحَمَتْ أَفْهامَنا حِكَمٌ ... منه وكَمْ أَعْجَزَ الأَلبابَ تَأْوِيلُ
يَهْدِى إلى كُلِّ رُشْدٍ حِينَ يَبْعثُهُ ... إِلَى المسامِعِ تَرْتيبٌ (٤) وتَرْتيلُ
تَزْدادُ منــه عَلَى تَرْدادِهِ مِقَةً ... وكُلُّ قَوْلٍ عَلَى التَّرْدادِ مَمْلول (٥)
وَرُبَّما مجَّهُ قَلْبٌ به رِيَبٌ ... كما يَمُجُّ دواءَ الدَّاءِ مَعْلول (٦)
ما بَعْدَ آياتِهِ حَقٌّ لِمُتَّبِعٍ ... والحقُّ ما بَعْدَهُ إِلَّا الأَباطِيلُ
وَما مُحَمَّدُ إِلَّا رَحْمَــةٌ بُعِثَتْ ... لِلعالَمِينَ وَفَضْــلُ اللهِ مَبْذول
هُوَ الشَّفِيعُ إذَا كانَ المَعادُ غَدًا ... واشْتَدَّ لِلْحَشْرِ تَخْوِيفٌ وتَهْوِيل
فما عَلَى غيرِهِ لِلناسِ مُعْتَمَدٌ ... وَلا عَلَى غيرِهِ للناسِ تَعْوِيل
إنَّ امْرَأً شَمِلَتْهُ مِنْ شَفاعَتِهِ ... عِنايَةٌ لامْرُؤٌ بالفَوْزِ مَشْمُول

---

(١) الأبابيل : الجماعات، قيل : لا واحد له من لفظه . (٢) الرصد : المرقب . والسجيل : حجارة .

(٣) تولت : استولت . وتولى : فر . (٤) الترتيل فى القراءة : الترسل والتبيين .

(٥) مقة : المحبة . (٦) مج الشراب

نالَ المَقامَ الذى ما نالَهُ أحَدٌ ... وطالَما مَيَّزَ المِقْدارَ تَنْوِيلُ
وَأدْرَكَ السُّؤْلَ لَمَّا قامَ مُجتهِدًا ... وَما بِكلِّ اجتهادٍ يُدْرَكُ السُّولُ
لوأنَّ كُلَّ علاً بالسَّعْىِ مُكتَسَبٌ ... ما جازَ حينَ نُزُولِ الوَحْىِ تَزْمِيلُ(١)
أعْلَى المَراتِبِ عندَ اللهِ رُتبَتُهُ ... فاعلَمْ فما مَوْضِعُ المَحْبوبِ مجهولُ
مِنْ قابِ قَوْسَيْنِ أوْأدْنَى لهُ نُزُلٌ ... وحُقَّ منه له مَثْوًى وَتَحْليل(٢)
سَرَى إلى المسجدِ الأقصَى وَعاد بهِ ... ليلاً بُرَاقٌ يبارِى البَرقَ هُذْلول(٣)
يا حَبَّذا حالُ قُرْبٍ لا أُكيِّفُهُ ... وحبَّذا حالُ وصْلٍ عنه مغفولُ
وَكَمْ مواهِبَ لم تَدْرِ العِبادُ بها ... أتَتْ إليه وَسِترُ اللَّيلِ مَسْدُولُ(٤)
هذاهُوَالفَضْلُ لاالدُّنيا ومارَجَحَتْ ... به الموازِينُ منها والمكاييلُ
وكَمْ أتَتْ عنْ رسولِ اللهِ بيِّنَةٌ ... فى فضلها وافَقَ المَنْقولَ مَعْقول
نورٌ فليسَ لهُ ظِلٌّ يُرَى ولهُ ... مِنَ الغَمامَةِ أنَّى سارَ تَظْليل
ولا يُرَى فى الثَّرَى أثرٌ لِأخْمَصِهِ ... إذا مَشَى وَلهُ فى الصَّخْرِ تَوْحيلُ(٥)
دنَا إليه حَنِينُ الجِذْعِ مِنْ شَغَفٍ ... إذْ نالهُ منه بَعْدَ القُرْبِ تَزْييلُ(٦)
فَلَيْتَ مِنْ وَجهِهِ حَظِّى مُقابَلَةٌ ... وَلَيْتَ حَظِّىَ مِنْ كَفَّيْهِ تَقْبيلُ
بِيضٌ مَيامِينُ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بها ... للشمسِ منها ولِلأنواء تَخْجيل(٧)
ما إنْ يَزالُ بها فى كلِّ نازِلَةٍ ... لِلقُلِّ كُثْرٌ وَلِلتَّصْعيبِ تَسْهيل(٨)
فاعْجَبْ لِأفعالِها إنْ كُنْتَ مُدْرِكَها ... واطْرَبْ إذا ذُكِرَتْ تِلكَ الأفاعيل

---

(١) تزميل : يقال زمله فى نومه، أى لفه .   (٢) تحليل من الحلول .
(٣) الهذلول : السريع الخفيف .   (٤) المسدول : المرخى .   (٥) الأخمص : باطن القدم .
(٦) تزييل : مفارقة .   (٧) ميامين : جمع ميمون، أى مبارك .   (٨) النازلة : المصيبة والشدة .

كم عاوَدَ البُرْءُ مِنْ إعْلالِهِ جَسَدًا ... بِلَمْسِهِ واسْتَبانَ العَقْلَ مَخْبُولُ
وَرَدَّ أَلْفَيْنِ فى رِىٍّ وَفى شِبَعٍ ... إذْ ضاقَ باثْنَيْنِ مَشْرُوبٌ ومَأْكُولُ
وَردَّ ماءً ونُوراً بَعْدَ ما ذَهَبا ... رِيقٌ لهُ بِكِلا العَيْنَيْنِ مَتْفُولُ
وَمَنْبَعُ الماء عَذْبًا مِنْ أصابِعِهِ ... وذاكَ صُنْعٌ به فينا جَرَى النِّيلُ
وَكَمْ دعا وَمُحَيَّا الأرضِ مُكْتَئِبٌ ... ثُمَّ انْثَنَى وَلهُ بِشْرٌ وتَهليلُ
فأَصْبَحَ المَحْلُ فيها لا مَحَلَّ لَهُ ... وغالَ ذِكْرَ الغَلا مِنْ خِصْبِها غُولُ(١)
فبِالظِّرابِ ضُرُوبٌ لِلْغَمامِ كما ... عَنِ البِناءِ عَزالِيها مَعازِيلُ(٢)
وآضَ مِنْ رَوْضِها جِيدُ الوجودِ به ... مِنْ لُؤْلُؤِ النَّورِ تَرْصِيعٌ وتَكْلِيلُ(٣)
وَعَسْكَرٍ لَجِبٍ قَدْ لَجَّ فى طَلَبٍ ... لِغَزْوِهِ غَرَّهُ بَأْسٌ وتَرْعِيلُ(٤)
دَعَا نَزالِ فَوَلَّى وَالبَوارُ به ... مِنَ الصَّبا والحَصَى والرُّعْبِ مَنْزُولُ(٥)
واغَيْرَتا حِينَ أَضْحَى الغارُ وهْوَ به ... كَمِثْلِ قلبِىَ مَعْمُورٌ وَمَأْهُولُ
كَأَنَّمَا المُصطفَى فيهِ وصاحِبُهُ الصِّـ ... ـدِّيقُ لَيْثانِ قد آواهُما غِيلُ
وَجَلَّلَ الغارَ نَسْجُ العنكبوتِ عَلَى ... وَهْنٍ فياحَبَّذا نَسْجٌ وَتَجْليلُ
عِنايَةٌ ضَلَّ كَيْدُ المُشْرِكِينَ بها ... وما مَكايِدُهُمْ إلَّا الأَضالِيلُ

---

(١) الغول : كل ما اغتال الإنسان .

(٢) الظراب جمع ظرب : وهى الرابية الصغيرة . والعزالى : جمع عزلاء ، وهى مصب الماء من القربة . ومعازيل جمع معزول : أى أنها لا تمطر على البناء ، لقول النبى صلى الله عليه وسلم «اللهم حوالينا ولا علينا» .

(٣) آض : رجع . والجيد : العنق .

(٤) لج : تمادى . الرعلة : الكثير من العيال . والمراد هنا : كثرة الجيش .

(٥) منزول : نازل .

إذْ يَنْظُرُونَ وَهمْ لايُبْصِرُونَهما ... كَأنَّ أبصارَهمْ مِنْ زَيْغِهَا حُولُ(١)

إنْ يَقْطَعِ اللهُ عنه أُمَّةً سَفِهَتْ ... نفُوسَها فلَها بالكُفْرِ تَعْلِيلُ(٢)

فإنَّمَا الرُّسْلُ وَالأمْلاكُ شافِعُها ... لِوُصْلَةٍ منه تَسآلٌ وَتَطْفيلُ(٣)

ما عُذْرُ مَنْ مَنَعَ التَّصْدِيقَ مَنْطِقَهُ ... وقد نبا منه مَحْسُوسٌ ومعقولُ

والذِّئْبُ والعَيْرُ وَالمَوْلودُ صَدَّقَهُ ... والظَّبْىُ أفْصَحَ نُطْقاً وَهْوَ مَحْبُولُ(٤)

والبَدْرُ بادَرَ مُنْشَقّاً بِدَعْوَتِهِ ... لهُ كما شُقَّ قَلْبٌ وهْوَ مَتْبُولُ(٥)

وَالنَّخْلُ أثْمَرَ فى عامٍ وسُرَّ بهِ ... سَلْمانُ إذْ بَسَقَتْ منهُ العثاكِيلُ(٦)

إنْ أنْكَرَتْهُ النَّصارَى واليَهُودُ عَلَى ... ما بَيَّنَتْ منه تَوْراةٌ وإنْجِيلُ

فقد تَكَرَّرَ منهم فى جُحُودِهِمُ ... لِلْكُفرِ كُفْرٌ وللتَّجْهِيلِ تَجْهِيلُ

قُلْ للنصارى الأُلَى ساءَتْ مَقَالَتُهمْ ... فما لها غيرَ مَحْضِ الجهْلِ تَعْلِيلُ

مِنَ اليَهُودِ اسْتَفَدْتُمْ ذَا الجحودَ كما ... مِنَ الغُرابِ استفادَ الدَّفْنَ قابِيلُ

فإنَّ عِنْدَكُمُ تَوْراتُهُمْ صَدَقَتْ ... ولمْ تُصَدَّقْ لكُمْ منهمْ أناجِيلْ

ظَلَمْتُمُونا فأضْحَوْا ظالِمِينَ لكُمْ ... وذاكَ مِثْلُ قِصاصٍ فيهِ تَعْدِيلُ

مِنْكُمْ لنا وَلكُمْ مِنْ بَعْضِكُمْ شُغُلٌ ... والناسُ بالناسِ فى الدُّنيا مَشاغِيلُ

لقدْ عَلِمْتُمْ وَلكِنْ صَدَّكُمْ حَسَدٌ ... أنّا بما جاءَنا قَوْمٌ مَقابِيلُ(٧)

---

(١) زاغت الأبصار : تحولت عن موضعها . (٢) سفهت نفوسها : خسرت نفوسها . تعليل : من العلة وهى المرض. (٣) يقول إن الملائكة والرسل يتوسلون إلى النبى محمد طالبين منه الشفاعة .

(٤) المحبول : المصطاد فى الحبالة ، وهى الشرك . (٥) تبله الحب: أى تيمه وذهب بعقله .

(٦) بسقت النخل : بمعنى طالت . والعثاكيل : جمع عثكول : وهو العذق الذى يحمل البلح .

(٧) المقابيل: جمع مقبل من أقبل بمعنى عقل بعد حماقة .

أما عَرَفْتُمْ نَبِيَّ اللهِ مَعرِفَةَ الْـأَبْناءِ لَـكنَّـكم قومٌ مَناكِيلُ[1]

هذا الذى كنتمُ تَسْتَفْتِحُونَ بهِ … لولاَ اهتَدَى منـكمُ لِلرُّشْدِ ضِلِّيلُ[2]

فَلاَ تَرَجَّوا جزيلَ الأجْرِ مِنْ عَمَلٍ … إِنَّ الرَّجاء مِنَ الـكُفَّارِ مَخْذُولُ

تُؤَذِّنونَ بِزِقٍّ مِنْ جَهالَتِـكُمْ … بهِ انْتِفَاخٌ وجِسْمٌ فيـهِ تَرْهِيلُ[3]

مُوتوا بغَيْظٍ كما قد ماتَ قَبْلَـكُمُ … قابِيلُ إِذْ قَرَّبَ القُرْبانَ هابِيلُ

ياخيرَ مَنْ رُوِيَتْ لِلناسِ مَكْرُمَةٌ … عنـهُ وَفُصِّلَ تَحْرِيمٌ وَتَحليلُ

كَمْ قد أتتْ عنكَ أخبارٌ مُخَبِّرَةٌ … فى حُسْنِها أَشْبَهَ التَّفْرِيعَ تَأْصِيلُ

تَسْرِى إلَى النَّفْسِ منها كلما وَرَدَتْ … أَنْفاسُ وَرْدٍ سَرَتْ وَالوَرْدُ مَطْلولُ

مِنْ كلِّ لَفْظٍ بَلِيغٍ راقَ جَوْهَرُهُ … كأنهُ السَّيْفُ ماضٍ وَهْوَ مَصْقُولُ

لَمْ تُبْقِ ذِكْرًا لِذِى نُطْقٍ فَصاحَتُهُ … وَهلْ تُضِىءُ مَعَ الشَّمْسِ القناديلُ

جاهَدْتَ فى اللهِ أَبْطالَ الضَّلالِ إِلَى … أنْ ظَلَّ لِلشِّرْكِ بالتَّوْحِيدِ تَبْطِيلُ

شَـكَا حُسامُكَ ماتَشْـكو جُمُوعُهُمُ … ففيه منها وفيها منـه تَفْليلُ

لِلهِ يَوْمُ حُنَيْنٍ حينَ كانَ بِهِ … كساعةِ البَعْثِ تَهْوِيلٌ وتَطْوِيلُ

وَيَوْمُ أَقْبَلَتِ الأحزابُ وانْهزَمتْ … وكَمْ خبا لَهَبٌ بالشِّرْكِ مَشْعُولُ

جاءوا بأسلحةٍ لَمْ تَحْمِ حامِلَها … إِنَّ الـكُماةَ إذا لَمْ يُنْصَرُوا مِيلُ[4]

مِنْ بعدِ ما زُلْزِلتْ بالشِّرْكِ أَبْنِيَةٌ … وانْبَتَّ حَبْلٌ بِأَيْدِى الرَّيْبِ مَفْتُولُ

---

(١) مناكيل : من النكال ، وهو الهلاك .

(٢) الاستفتاح : الاستنصار . وكان اليهود يقولون للأنصار سيبعث نبى فنتبعه ، ونستنصر به عليكم ، ولولا : للتحضيض كهلا .

(٣) الترهيل : الانتفاخ . (٤) الميل : جمع أميل ، وهو الذى لايثبت على الخيل .

وَظَنَّ كلُّ امْرِىءٍ فى قَلْبِهِ مَرَضٌ ‏ ‏ بِأَنَّ مَوْعِدَهُ بالنَّصْرِ مَمْطُولُ
فأَنْزَلَ اللهُ أَمْلاكاً مُسَوَّمَةً ‏ ‏ لَبُوسُها مِنْ سَكِينَاتٍ سَرابِيلُ (١)
شاكِى السِّلاحِ فما تَشْكُو الـكَلالَ وَمِنْ ‏ ‏ صُنْعِ الإلٰهِ لها نَسْجٌ وتَأْثِيلُ (٢)
مِنْ كلِّ مَوْضونَةٍ حَصْداءَ سابِغَةٍ ‏ ‏ تَرُدُّ حَدَّ المَنايا وهْوَ مَفْلولُ
وكُلِّ أَبْتَرَ لِلْحَقِّ المُبِينِ بِهِ ‏ ‏ وَلِلضَّـلالَةِ تَعْدِيلٌ وتَمْيِيلُ
لَمْ تُبْقِ لِلشِّرْكِ مِنْ قَلْبٍ وَلا سَبَبٍ ‏ ‏ إِلَّا غَدَا وهْوَ مَتْبُولٌ وَمَبْتُولُ (٣)
وَيَوْمُ بَدْرٍ إِذِ الإسلامُ قد طَلَعَتْ ‏ ‏ بِهِ بُدُورًا لها بالنصرِ تَـكْمِيلُ
سِيئَتْ بما سَرَّنا الـكُفَّارُ منه وَقد ‏ ‏ أَفْنَى سَراتَهُمُ أَسْرٌ وتَقْتِيلُ
كأَنَّما هُوَ عُرْسٌ فيه قد جُلِيَتْ ‏ ‏ عَلَى الظُّبا والقَنا رُوسٌ مَفاصِيلُ
والخَيْلُ تَرْقُصُ زَهْوًا بالـكُماةِ وَما ‏ ‏ غيرَ السيوفِ بأَيْدِيهِمْ مناديلُ
وَلا مُهُورَ سِوَى الأَرْواحِ تَقْبَلُها البِيـضُ ‏ ‏ البَهاتِيرُ والسُّمْرُ العَطابِيلُ (٤)
فلوْ تَرَى كلَّ عُضْوٍ مِنْ كُماتِهِمُ ‏ ‏ مُفَصَّلاً وَهْوَ مَكْفُوفٌ ومَشْلولُ (٥)
كأَحْرُفٍ أَشْكَلَتْ خَطًّا فأَكْثَرُها ‏ ‏ بالطَّعْنِ والضَّرْبِ مَنْقُوطٌ وَمَشْكُولُ
وكلُّ بيْتٍ حَكَى بَيْتَ العَرُوضِ لَهُ ‏ ‏ بالبِيضِ وَالسُّمْرِ تَقْطِيعٌ وتَفْصِيلُ

---

(١) مسومة : معلمة . واللبوس : اللباس . والسرابيل : الدروع .

(٢) الـكلال : العجز . والتأثيل : التأصيل .

(٣) المتبول : الهالك . والمبتول : المقطوع .

(٤) البهاتير : القصار جمع بهتر . والعطابيل : جمع عطبول .

(٥) مفصل : مقطع . ومكفوف : ممنوع . ومشلول : معطل . وفى كل من هذه الـكلمات تورية .

وداخلت بالرَّدَى أجزاءهم عِلَلٌ ... غدا المرفَّلُ منها وهو مجزولُ(١)
وكلُّ ذى ترةٍ تغلى مراجلُهُ ... غدا يُقادُ ذليلًا وهو مغلولُ(٢)
وكلُّ جرحٍ بجسمٍ يستهلُّ دمًا ... كأنَّهُ مَبسِمٌ بالرَّاحِ معلولُ
وعاطلٌ من سلاحٍ قد غدا ولهُ ... أساورٌ من حديدٍ أو خلاخيلُ
والأرضُ من جُثثِ القتلى مُجلَّلةٌ ... والتُّربُ من أدمُعِ الأحياءِ مبلولُ
غصَّت قلوبٌ كما غصَّ القليبُ(٣) بهم ... فللأسى فيهمُ والنارِ تأكيلُ
فأصبحَ البئرُ إذْ أهلُ البوارِ بهِ ... مثلَ الوطيسِ بهِ جُزْرٌ رعابيلُ(٤)
وأصبحت أيِّماتٍ محصناتُهُمُ ... وأمَّهاتُهُمُ وهى المثاكيلُ
لا تُمسِكُ الدَّمعَ من حُزنٍ عيونُهُمُ ... إلَّا كما يُمسِكُ الماءَ الغرابيلُ
وصارَ فقرُهمُ للمسلمينَ غِنًى ... وفى المصائبِ تفويتٌ وتحصيلُ
وردَّ أوجُهَهم سُودًا وأعيُنَهُم ... بيضًا من اللهِ تنكيدٌ وتنكيلُ(٥)
سالتْ وساءتْ عيونٌ منهمُ مَثَلًا ... كأنَّما كلُّها بالشَّوكِ مسمولُ(٦)
أبغِضْ بها مُقَلًا قد أشبهتْ لبنًا ... طفا الذُّبابُ عليهِ وهو ممقولُ(٧)
ويومَ عمَّ قلوبَ المسلمينَ أسًى ... بفقدِ عمِّكَ والمفقودُ مجذولُ(٨)
ونالَ إحدى الثَّنايا الكسرُ فى أُحُدٍ ... وجاءَ يجبُرُ منها الكسرَ جبريلُ

---

(١) الترفيل : أن يزاد فى البحر الكامل سبب على متفاعلن فيصير متفاعلات . والمجزول ساقط الرابع من متفاعلن مع إسكان ثانيه فى زحاف الكامل . (٢) الترة : الثأر .

(٣) القليب : البئر . (٤) الرعابيل : جمع رعبولة ، وهى الخرقة الممزقة .

(٥) د : تنكيل وتشكيل . (٦) مسمول من سمل عينه بمعنى فقأها ، د : سارت بدلا من ساءت .

(٧) الممقول : المغموس . (٨) المجذول : المسرور .

وفى مَواطِنَ شَتّى كَمْ أتاكَ بِها ... نَصْرٌ مِنَ اللهِ مَضْمُونٌ ومَكْفُولُ
ومَلَّكَتْ يَدَكَ الْيُمْنَى مَلائِكَةٌ ... غُرٌّ كِرامٌ وَأبطالٌ بَهالِيلُ
يُسارِعُونَ إذا نادَيْتَهُمْ لِوَغًى ... إنَّ الكِرامَ إذا نُودُوا هَذالِيلُ(١)
مِنْ كُلِّ نِضْوِ نُحولٍ ما يَزالُ به ... إلى المَكارِمِ جِدٌّ وهْوَ مَهْزولُ(٢)
بَنانُه بِدَمِ الأبطالِ مُخْتَضِبٌ ... وطَرْفُهُ بِسَنا الإيمانِ مَكْحُولُ
آلَ النبيِّ بِمَنْ أوْ ما أُشَبِّهُكُمْ ... لقدْ تَعَذَّرَ تَشْبِيهٌ وتَمْثِيلُ
وَهلْ سَبِيلٌ إلى مَدْحٍ يكونُ بهِ ... لِأَهْلِ بَيْتِ رَسولِ اللهِ تَأْهِيلُ
ياقَوْمُ بايَعْتُكُمْ أنْ لاشَبِيهَ لَكُمْ ... مِنَ الوَرَى فاسْتَقِيلوا البَيْعَ أوْ قِيلُوا(٣)
جاءتْ عَلَى تِلْوِ آياتِ النبيِّ لَهُمْ ... دلائِلٌ هِيَ للتَّارِيخِ تَذْيِيلُ
مَعاشِرٌ ما رَضُوا إنِّى لَمُبْتَهِجٌ ... بِهِمْ وما سَخِطُوا إنِّى لَمَثْكُولُ
وإنَّ مَنْ باعَ فى الدُّنيا مَحَبَّتَهُمْ ... بِبُغْضِهِ اللهَ فى الأُخْرَى لَمَرْذُولُ
وَحَسْبُ مَنْ نَكَلَتْ عنهمْ خواطِرُهُ ... أَنْ ماتَ أوْ عاشَ تَنْكِيلٌ وَتَشْكِيلُ
إنّ المَوَدَّةَ فى قُرْبَى النبيِّ غِنًى ... لايَسْتَمِيلُ فُؤادى عنهُ تَمْوِيلُ(٤)
وكَمْ لِأَصْحابِهِ الغُرِّ الكِرامِ يَدٌ ... عِنْدَ الإلهِ لَها فى الفضلِ تَخْوِيلُ(٥)
قَوْمٌ لَهُمْ فى الوغَى مِنْ خَوْفِ رَبِّهِمُ ... حُسْنُ ابْتِلاء وفى الطّاعاتِ تَبْتِيلُ(٦)
كأنَّهمْ فى محارِيبِ مَلائِكَةٌ ... وفى حُروبِ أعادِيهمْ رَآبِيلُ(٧)

---

(١) هذاليل: مسرعون . (٢) النضو: النحيل .

(٣) بايعتكم: عاهدتكم . وقلته البيع أقيله: فسخته . واستقال: طلب إليه أن يقيله .

(٤) التمويل: كثرة المال . (٥) تخويل: تمليك . (٦) التبتيل: الانقطاع إلى الله عن الدنيا .

(٧) الرآبيل: جمع رئبال، وهو الأسد .

حَكَى العَبَاءةَ قَلْبِى حينَ كانَ بها ... لِلْآلِ تَغْطِيَةٌ والصَّحْبِ تَخْلِيلُ(١)
وَلِى فُؤَادٌ ونُطْقٌ بالوِدادِ لَهُمْ ... وبالمَدائحِ مَشغوفٌ ومَشْغولُ
فإنْ ظَنَنْتُ بهمْ خَتْلاً لِبَعْضِهِمُ ... إنى إذنْ بِغُرورِ النفْسِ مَخْتُولُ(٢)
أَئِمَّةُ الدِّينِ كلٌّ فى محاولَةٍ ... إلى صوابِ اجتهادٍ منه مَوْكُولُ
لِيَقْضِيَ اللهُ أمراً كانَ قَدَّرَهُ ... وكُلُّ ما قَدَّرَ الرَّحْمٰنُ مفعُولُ
حَسْبِى إذا مامَنَحْتُ المُصْطَفَى مِدَحِى ... فى الحَشْرِ تَزْكِيَةٌ مِنْه وتعدِيلُ(٣)
مَدْحٌ بهِ ثَقُلَتْ ميزانُ قائِلِهِ ... وخَفَّ عنه مِنَ الأَوْزارِ تثقِيلُ
وكيفَ تَأْبَى جَنَى أوْصافِهِ هِمَمٌ ... يَرُوقُها مِنْ قُطُوفِ العِزِّ تَذْلِيلُ
وَليسَ يُدْرِكُ أدنَى وصْفِهِ بَشَرٌ ... أَيَقْطَعُ الأرضَ ساعٍ وهْوَ مَكْبولُ(٤)
كُلُّ الفَصاحَةِ عِىٌّ فِى مَناقِبِهِ ... إذا تفَكَّرْتَ والتَّكْثِيرُ تَقْلِيلُ
لوأَجْمَعَ الخلْقُ أنْ يُحْصُوا محاسِنَهُ ... أعْيَتْهُمُ جُملَةٌ منها وتَفْصِيلُ
عُذْراً إليكَ رسولَ اللهِ مِنْ كَلِمِى ... إنَّ الكَرِيمَ لديْهِ العُذْرُ مَقبُولُ
إنْ لَمْ يكنْ مَنْطِقِى فى طيبِهِ عَسَلاً ... فإنَّهُ بِمَدِيحِى فيكَ مَعْسُولُ
ها حُلَّةً بِخِلالٍ منكَ قد رُقِمَتْ ... مافِى محاسِنِها لِلعَيْبِ تَخْلِيلُ(٥)
جاءتْ بِحُبٍّ وتَصْدِيقِى إليكَ وما ... حُبِّى مَشُوبٌ ولاالتَّصْدِيقُ مَدْخُولُ(٦)

---

(١) تخليل : من تخلل الشىء بمعنى دخل فى خلاله .

(٢) مختول : مخدوع .   (٣) عدله : شهد بعدالته .

(٤) مكبول : مقيد .

(٥) خلال : خصال ، رقم الكتاب : كتبه ، والثوب : خططه . وتخلل الشىء دخل فى خلاله .

(٦) كل ما دخله عيب فهو مدخول .

أَلْبَسْتَها منكَ حُسْناً فازْدَهَتْ شَرَفاً ... بها الخواطِرُ مِنَّا وَالمَناوِيلُ(١)
لَمْ أَنْتَحِلْها وَلَمْ أَغْصِبْ مَعانِيَها ... وغيرُ مَدْحِكَ مَغصوبٌ ومَنْحُولُ(٢)
وما على قَوْلِ كَعْبٍ أنْ تُوازِنَهُ ... فَرُبَّما وازَنَ الدُّرَّ المَثاقيلُ(٣)
وهلْ تُعادِلُهُ حُسْناً وَمَنْطِقُها ... عَنْ مَنْطِقِ العَرَبِ العَرْباءِ مَعْدُولُ
وَحَيْثُ كُنَّا معاً نَرْمِي إلى غَرَضٍ ... فَحَبَّذا ناضِلٌ منا وَمَنضولُ
إنْ أَقْفُ آثارَهُ إنى الغَداةَ بها ... على طَرِيقِ نَجاحٍ مِنكَ مَدْلولُ
لَمَّا غفَرْتَ لَهُ ذَنباً وَصُنْتَ دَماً ... لولا ذِمامُكَ أضْحى وَهْوَ مَطْلولُ(٤)
رَجَوْتُ غُفْرانَ ذَنْبٍ مُوجِبٍ تَلَفِي ... لهُ مِنَ النَّفْسِ إملاءٌ وتَسْوِيلُ(٥)
وليسَ غيرَكَ لِي مَوْلًى أُؤَمِّلُهُ ... بَعْدَ الإلهِ وَحَسْبِي مِنْكَ تَأْمِيلُ
ولِي فُؤادُ مُحِبٍ ليسَ يُقْنِعُهُ ... غيرُ اللِّقاءِ ولا يَشْفِيهِ تَعْلِيلُ
يَمِيلُ بِي لكَ شَوْقاً أوْ يُخَيِّلُ لِي ... كَأَنَّما بيننَا مِنْ شُقَّةٍ مِيلُ
يَهُمُّ بالسَّعْيِ والأقْدارُ تُمْسِكُهُ ... وكَيفَ يَعْدُو جَوادٌ وهْوَ مَشْكولُ(٦)
مَتَى تَجُوبُ رسولَ اللهِ نَحْوَكَ بِي ... تِلْكَ الجبالَ نَجِيباتٌ مَراسِيلُ(٧)
فأَنْثَنِي ويَدِي بالفَوْزِ ظافِرَةٌ ... وثَوْبُ ذَنْبِي مِنَ الآثامِ مَغسُولُ
فى مَعْشَرٍ أخْلَصوا لِلّهِ دِينَهُمُ ... وفَوَّضُوا إنْ هُمُ نالوا وإنْ نِيلُوا

---

(١) ازدهت : افتخرت . والمناويل : جمع منوال، وهو معروف . وهى هنا بمعنى الأفكار .

(٢) انتحله : ادعاه لنفسه، وهو لغيره . (٣) مثقال الشيء : وزنه مثله .

(٤) الذمام : العهد . مطلول : مهدر (٥) سولت له نفسه كذا : أى زينت .

(٦) مشكول : مقيد . (٧) نجيبات : جمع نجيبة وهى الناقة . مراسيل : سهلة الانقياد .

شُعْثٍ لَهُمْ مِنْ ثَرَى البَيْتِ الذى شَرُفَتْ ... بِهِ النَّبِيُّونَ تَطْيِيبٌ وَتَكْحِيلُ(١)
مُحَلِّقِى أَرْؤُسٍ زِيدَتْ وُجُوهُهُمُ ... حُسْناً بِهِ فَكَأَنَّ الحَاقَ تَرْجِيلُ(٢)
قد رَحَّبَ البيتُ شَوْقًا والمَقَامُ بِهِمْ ... والحِجْرُ والحَجَرُ المَلْثُومُ والمِيلُ(٣)
نَذَرْتُ إنْ جَمَعَتْ شَمْلِى بِبابِكَ أَو ... شَفَتْ فُؤَادِى بِهِ قَوْداءُ شِمْلِيلُ(٤)
أَبُلُّ مِنْ طَيْبَةٍ بِالدَّمْعِ طِيبَ ثَرًى ... لِغُلَّتِى وغَلِيلِى منه تَبْلِيلُ(٥)
دامَتْ عليكَ صلاةُ اللهِ يَكْفُلُها ... مِنَ المُهَيْمِنِ إبلاغٌ وتَوْصِيلُ
ما لاحَ ضَوْءُ صَبَاحٍ فاسْتَسَرَّ بِهِ ... مِنَ الكَوَاكِبِ قِنْدِيلٌ فَقِنْدِيلُ

وقال(٦) يمدحه صلى الله عليه وسلم :

مَدْحُ النَّبِيِّ أَمانُ الخائِفِ الوَجِلِ ... فامْدَحْهُ مُرْتَجِلاً أَوْ غيرَ مُرْتَجِلِ
وَلا تُشَبِّبْ بِأَوْطانٍ وَلا دِمَنٍ ... ولا تُعَرِّجْ عَلَى رَبْعٍ ولا طَلَلِ
وصِفْ جَمالَ حَبيبِ اللهِ مُنْفَرِدًا ... بِوَصفِهِ فَهْوَ خَيْرُ الوصْفِ وَالغَزَلِ
رَيْحانَتاهُ على زَهْرِ الرُّبا زَهَتا ... فما لِقَلْبِى وذِكْرِ البانِ والأَثَلِ(٧)
رَيْحانَتاهُ مِنَ الزَّهْراءِ فاطِمَةٍ ... خَيرِ النِّساءِ وَمِنْ صِنْوِ الإمامِ عَلِى(٨)

---

(١) الأشعث : الذى يدهن شعره ولم ينظفه. تطبيب : اتخاذ الطيب . (٢) الترجيل: تسريح الشعر .
(٣) الميل : المنار الموضوع بين الصفا والمروة .
(٤) القوداء : الناقة العظيمة . والشمليل : السريعة .
(٥) الغلة : شدة العطش . والغليل : حرارة الحب والحزن . د : تغليل .
(٦) ت : وقال ، رضى الله تعالى عنه ، فى مدح النبى ، صلى الله عليه وسلم ، من البسيط .
(٧) ت : زهر الرياض زهت . (٨) هذا البيت ساقط من د .

إذا امْتَدَحْتُ[١] نَسِيباً مِنْ سُلالَتِهِ ... فهْوَ النَّسِيبُ لِمَدْحِي سَيِّدَ الرُّسُلِ
مُحَمَّدٌ أفْضَلُ الرُّسْلِ الذى شَهِدَتْ ... بِفضلِهِ أنبياء الأعْصُرِ الأُوَلِ
لَمْ يَعْدُهُ الحسْنُ فى خَلْقٍ وفى خُلُقٍ ... وَلَمْ يزَلْ حبُّهُ شغْلاً لِكُلِّ خَلِي
وَقِفْ[٢] عَلَى سُنَنِ المَرْضِيِّ مِنْ سُنَنٍ ... فإنَّ[٣] فيها شِفاءَ الخَبْلِ والخَبَلِ
ونزِّهِ الفِكْرَ فى رَوْضاتِ فِكْرَتِها ... واجْنِ البَلاغَةَ مِنْ أغْصَانِها الذُّلُلِ

وقال [رضى الله تعالى عنه][٤] من الكامل :

اليَوْمَ قد حَكَمَ الهَوَى بالمَعْدَلَهْ ... وأَراحَ قَلْبِيَ مِنْ مُكابَدَةِ الوَلَهْ
وتَبَدَّلَتْ مِنِّى الصَّبابَةُ سَلْوَةً ... صِينَتْ بِها عَبَراتِيَ المُتَبَذِّلَهْ
مالِي وَلِلْعُشَّاقِ أَتْبَعُ منهمُ ... أَمَماً تَضِلُّ عَنِ الرَّشادِ مُضَلَّلَهْ[٥]
مِنْ كلِّ مَنْ[٦] يَشْكو جِنايَةَ نَفْسِهِ ... وَيَرُومُ مِنْ أحْبابِهِ ما ليسَ لَهْ
إنِى امْرُؤٌ أعْطَى السُّلُوَّ قِيادَهُ ... وَأراحَ مِنْ تَعَبِ المَلامَةِ عُذَّلَهْ
ودَعَا جَميلُ ابنِ الزُّبَيْرِ[٧] مَديحَهُ ... فأَطاعَهُ وعَصَى الهَوَى وتَغَزُّلَهْ
مَوْلًى عَرَفْتُ بِجاهِهِ[٨] وبِمالِهِ ... عِزَّ الغِنَى وجَهِلْتُ ذُلَّ المَسْأَلَهْ
وأتَمَّ حَظِّى بعْدَ نُقْصانٍ فَكَمْ ... مِنْ عائِدٍ لِي من نَداه ومِنْ صِلَهْ
وَجَبَتْ علىَّ لهُ حُقُوقٌ لَمْ أقُمْ ... منها بِماضِيَةٍ ولا مُسْتَقْبَلَهْ

---

(١) ت : مدحت . (٢) د : وقفته . (٣) د : له ففيها .
(٤) ما بين القوسين زيادة فى ت . (٥) ومظلله . (٦) د ، ت : ما .
(٧) جميل : معروف . وابن الزبير : هو زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير الذى ولى الوزارة من سنة ٦٥٦ هـ إلى سنة ٦٥٩ هـ حيث عزله السلطان الظاهر . وكان آية فى الكرم ، أديبا شاعرا ، توفى سنة ٦٦٨ هـ .
(٨) ت : بجاله . وقد علق عليها صاحبها فى الهامش بقوله « ولعلها بجاهه » .

لا أستَطيعُ جُحودَها ، وشُهودُها   عِنْدِي بما أوْلَتْ يَداه مُعَدَّلَهْ
ما طالَ صَمْتُ مَدائحِي عَنْ مَجْدِهِ   إلّا لِأنَّ صِلاتِهِ مُسْتَرْسِلَهْ
فمَتى هَمَمْتُ بِشُكْرِ سالفِ نِعمةٍ   ألفَيْتُ سالِفَتي[1] بأُخرَى مُثْقَلَهْ[2]
مَنْ مِثْلُ زَيْنِ الدِّينِ يعقُوبَ الذى   أضحَتْ بهِ رُتَبُ الفَخارِ مُؤَثَّلَهْ
عَمَّ الخَلائقَ جُودُهُ فكأنَّما   يَدُهُ بأَرْزاقِ الورَى مُتَكَفِّلَهْ
حَكَمَتْ أناملُها لهُ بالرَّفْعِ مِنْ   أفعالِهِ الحسنى بخَمْسَةِ أمْثِلَهْ
وأَحَلَّهُ الشَّرَفَ الرَّفِيعَ ذَكاؤُهُ   فرأيْتُ منهُ عُطارِدًا فى السُّنْبُلَهْ
سَلْ عنه وَاسْأَلْ عن أبيهِ وجَدِّهِ   تَسْمَعْ أحاديثَ الكِرامِ مُسَلْسَلَهْ
إنْ صالَ كانَ الليْثُ منهُ شَعْرَةً   أوْ جادَ كانَ البَحْرُ منه أُنمُلَهْ
كَمْ أظْهَرَتْ أقْلامُهُ مِنْ مُعْجِزٍ   لِلطِّرْسِ لَمَّا أنْ رَأتْهُ مُرْسَلَهْ
مَلأتْ بإمْلاءِ الخواطِرِ كُتْبَهُ   حِكَمًا عَلَى وفْقِ الصَّوابِ مُنَزَّلَهْ
وَبَدَتْ فَواصِلُهُ خِلالَ سُطُورِها[3]   تُهْدِى لِقارِئِها العُقودَ[4] مُفَصَّلَهْ
ما صانَها نَقْصُ الكَمالِ وَلَمْ تَفُتْ   فى الحُسْنِ بَسْمَلَةُ الكِتابِ الحَمْدَلَهْ
قد أغْنَتِ الفُقَراءَ وافْتَقَرَتْ لهَمْ   هِمَمُ الملوكِ فما تَزالُ مُؤَمَّلَهْ
مِنْ مَعْشَرٍ شَرَعُوا المَكارِمَ والعُلَى   وتَبَوَّءوا مِنْ كلِّ مَجْدٍ أوَّلَهْ
آلُ الزُّبَيْرِ المُرْتَجَى إسْعادُهُمْ   فى كلِّ نائبَةٍ تَنُوبُ وَمُعْضِلَهْ
المُكْثِرُونَ طَعامَهُمْ وَطِعانَهُمْ   يَوْمَ النِّزالِ وَفى السِّنينَ المُمْحِلَهْ

---

(١) د ، ت : سالفى . والصواب ما أثبتناه .   (٢) د : بآخر .
(٣) ت : سطوره .   (٤) د عقود .

قَوْمٌ لِكُلِّهِمُ عَلَى كلِّ الورَى أبَدًا يَدٌ مَرْهُوبَةٌ وَمُنَوَّله
إنْ يُسْأَلوا كَرَمًا وَعِلْمًا أعجَزُوا بِبَدِيعِ أَجْوِبَةٍ لتلكَ الأَسْئِلَهْ
أنِفُوا ذُنُوبًا وَدَّ كلُّ مُقَبَّلٍ لو أنها حَسناتُهُ المتقبلَهْ
لولا مَناقِبُكُمْ لكانتْ هذه الدُّنيا مِنَ الذِّكْرِ الجميلِ مُعَطَّلَهْ

وله ، رحمه الله ، فيما كتب به لجناب السابقيّ :

إنَّ خُلْقَ الشُّهودِ وَالعُمَّالِ مِثْلُ خُلْقِ العُشَّاقِ والعُذَّالِ
كلُّ عَدْلٍ مُضايِقٍ(١) فى وُصولٍ كَعَذُولٍ مُضايِقٍ(٢) فى وِصالِ
لَسْتُ أدْرِى معنَى التَّباغُضِ ما بَيْـنَ الفَرِيقَيْنِ غيرَ حُبِّ المالِ(٣)
فإذا زالتِ المطامِعُ منهمُ أذَّنَ الخُلْفُ بينهمْ بالزوالِ
سالَمَتْنِى المُسْتَخْدَمونَ وكانُوا قدْ أعَدُّوا سِلاحَهُمْ لِقِتالِى
وَرَثَى(٤) بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَقَدْ بانَ لَكَ الآنَ شِدَّةُ الأهوالِ
وَرأى ابنُ الأَشَلِّ قد كانَ يبقى كاتِبًا مِثْلَ جَدِّهِ بالشِّمالِ
فالتَجا لِلْعَفافِ مَنْ كانَ يَوْمًا لا له يَخْطُرُ العَفافُ ببالِ
وَلَهُمْ أعْيُنٌ تَغُضُّ عَنِ العَيْـنِ وَأيْدٍ تُمَدُّ عِنْدَ الغِلالِ

(١، ٢) د، وت : يضايق .

(٣) هذا البيت ورد فى د هكذا :

لست أدر معنى التباغض مابين الفريقين غير حب المال

(٤) ت : رثا . وقد كتب أمامها « ولعله رأى » والصواب ما ورد فى د .

بأبى حزمكَ الذى طرّق الأنـذالَ(١) منهم طرائقَ الأبدالِ
لا توطِّنْ قلوبَهم(٢) بهجاء إنها من سُطاكَ فى بلبالِ
ما استوى السيفُ واللسانُ مضاءً أتُساوى حقيقةٌ بمُحالِ
إنّ قولى هزلاً وفعلكَ جدًّا مثلُ نبلِ الحصى ورشقِ النبالِ
وَلَلَهْوِى ولعبتُ بالضرْبِ فى الرمـلِ لأحظى بأسعدِ الأشكالِ
فحمدتُ الطريقَ إذا أشهدتْ لى حينَ عاينتُها بحسنِ مآلِ
وغدا الاجتماعُ يضمنُ لى عنـكَ بلوغَ الرجاءِ والآمالِ
أنبتَ العزَّ منكَ فى بيتِ نفسى والغنى من يديكَ فى بيتِ مالى
وإذا كنتَ نصرةً لىَ فيما أرتجيهِ فذاك عينُ سؤالى

وقال يهجو النصارى واليهود ، لعنهما الله :

إنّ النصارى واليهودَ معاشرٌ جُبلوا على التحريفِ والتبديلِ
لو أنّ فيهم عوَّرٌ عنْ باطلٍ أبقوا على التوراةِ والإنجيلِ

وقال لما استعار منه جمال الدين حمارته [وأبى(٣) أن يعيدها إليه ، بحكم أنه كانت له عند صاحب الحمارة مبلغ من الدراهم] :

يا أيُّها السيّدُ الذى شهدتْ(٤) ألفاظُهُ لِى بأنّهُ فاضِـلْ

---

(١) د : أنذال بغير لام . (٢) ت : قلبك .

(٣) ما بين القوسين زيادة فى ت : ، فى فوات الوفيات : كانت « حمارة استعارها منه ناظر الشرقية ، فأعجبته ، فأخذها وجهز له مائتى درهم ، فكتب على لسانها إلى الناظر « المملوكة حمارة البوصيرى » الأبيات ، فردها الناظر إليه ، ولم يأخذ الدراهم منه . (٤) د : شهدت له .

حاشاكَ مِنْ أَنْ أَجُوعَ فِي بَلَدٍ وَأَنْتَ بالرِّزْقِ فيــهِ لِي كافِلْ
أَلَمْ تَكُنْ[١] قد أخذْتَ عارِيَةً مِنْ شَرْطِها أَنْ تُرَدَّ فى العاجِلْ
وَكانَ عَزْمِى عندَ الوصولِ بِكُمْ أَجْمَلَ مِنْ أَنْ أُساقَ لِلْحاصِلْ
ما كانَ مِثْلِى يُعِيرُهُ أحَدٌ قَطُّ وَلكِنْ سَيِّدِى جاهِلْ
لو جَرَّسُوهُ علىَّ مِنْ سَفَهٍ لَقُلْتُ غَيْظًا عليــه يِسْتاهِل
طالَ بِى[٢] شَوْقٌ إلَى وَطَنِى والشَّوْقُ داءٌ لا ذُقْتَهُ قاتِل[٣]
وَبُغْيَتِى أَنْ أَكُونَ سائِبَةً مِنْ بَلدِى فى جَوانِبِ السَّاحِل
لا تَطْمَعُوا أنْ أَكونَ عِنْدَكُمُ فذاكَ ما لا يَرُومُهُ العاقِل
وبَعْدَ هذا فما يَحِلُّ لكُمْ مِلْكِى فإنى مِنْ سَيِّدِى حامِل

قافية الميم ، وقال يمدح النبي ؛ صلى الله عليه وسلم ؛ وهى من أشهر شعره . وهذه القصيدة تعرف بالبُرْدة أو بالبُرْأة . وقد وفد بها على النبيّ ؛ صلى الله عليه وسلم ؛ وهو مريض ، فعوفى من وقته وساعته .

أمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانٍ بِذِى سَلَمِ مَزَجْت دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ
أَمْ هَبَّتِ الرِيحُ مِنْ تِلْقاءِ كاظِمَةٍ وأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَلْماءِ مِنْ إضَمِ
فما لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفا هَمَتا وَما لِقَلْبِك إنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ
أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحبَّ مُنْكَتِمٌ ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ منهُ ومضطَرِمِ[٤]

---

(١) د : أكن . (٢) د : طال بها ، ت : طال شوقا ، ونظن الصواب ما أثبتناه .
(٣) د : مائل . (٤) المنسجم : الدمع السائل . والمضطرم : القلب المشتعل بالحب .

لولاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ ولا أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ
فكيفَ تُنْكِرُ حُبًّا بعدَ ماشَهِدَتْ بهِ عليكَ عدولُ الدَّمعِ وَالسَّقَمِ
وَأثْبتَ الوجْدُ خطَّيْ عَبْرَةٍ وضَنًى مِثْلَ البَهارِ على خدَّيْكَ والعَنَمِ (١)
نَعَمْ سَرَى طَيفُ مَنْ أهْوَى فأَرَّقَنِي والُحبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذاتِ بالألَمِ
يا لائِمِي فى الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً مِنِّى إِليكَ ولو أنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ
عَدَتْكَ حالِىَ لا سِرِّى بِمُسْتَتِرٍ عَنِ الوُشاةِ وَلا دائِى بِمُنْحَسِمِ (٢)
مَحضْتَنِي النُّصْحَ لكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إنَّ المحِبَّ عَنِ العُذَّالِ فى صَمَمِ (٣)
إنِّي اتهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فى عَذَلٍ والشَّيْبُ أبْعَدُ فى نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ
فإنَّ أمَّارَتِى بالسُّوءِ ما اتَّعَظَتْ مِنْ جَهْلِها بنذيرِ الشَّيْبِ والهَرَمِ (٤)
ولا أَعَدَّتْ مِنَ الفعْلِ الجميلِ قِرَى ضَيفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِى غيرَ مُحْتَشِمِ
لو كنتُ أعْلَمُ أنِّي ما أُوَقِّرُهُ كَتَمْتُ سِرًّا بَدَا لِى منهُ بالكَتَمِ (٥)
مَنْ لِي بِرَدِّ جِماحٍ مِنْ غَوايَتِها كما يُرَدُّ جِماحُ الخيْلِ باللُّجُمِ
فلا تَرُمْ (٦) بالمعاصِي كَسْرَ شَهْوَتِها إنَّ الطَّعامَ يُقَوِّى شَهْوَةَ النَهِمِ
والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنفَطِمِ
فاصْرِفْ هَواها وَحاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ إنَّ الهَوَى ماتَوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ (٧)

---

(١) البهار : ورد أصفر . والعنم : ورد أحمر . (٢) عدتك : تجاوزتك . ومنحسم : منقطع .

(٣) محضتنى النصح : أخلصته . (٤) الأمارة بالسوء : هى النفس .

(٥) الكتم : نبت يخضب به كالحناء . (٦) لا ترم : لا تقصد ولا تطلب .

(٧) أن توليه : تجعله واليا عليك . ويصمي : يقتل ؛ من أصمى . ويصم : يعيب ؛ من وصم .

وَراعِها وهْىَ فى الأعمالِ سائِمةٌ ... وإنْ هِىَ استَحْلَتِ المَرْعَى فلاتُسِمِ (١)

كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قاتِلَةً ... مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أنَّ السُّمَّ فى الدَّسَمِ

وَاخْشَ الدَّسائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ ... فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ (٢)

واسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قدامْتَلأَتْ ... مِنَ المَحارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ (٣)

وخالِفِ النَّفْسَ والشَّيْطانَ واعْصِهِما ... وإنْ هُما مَحَّضاكَ النُّصْحَ فاتَّهِمِ

وَلا تُطِعْ مِنهما خَصْماً وَلا حَكَمًا ... فأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ والحَكَمِ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ ... لقد نَسَبْتُ به نَسْلاً لِذِى عُقُمِ

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لكنْ ماائْتَمَرْتُ به ... وما اسْتَقَمْتُ فما قَوْلِى لكَ اسْتَقِمِ

ولا تَزَوَّدْتُ قبلَ المَوْتِ نافِلةً ... ولَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ ولَمْ أَصُمِ

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أحْيا الظَّلامَ إلَى ... أن اشتَكَتْ قَدَماهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ

وشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أحشاءهُ وَطَوَى ... تَحْتَ الحِجارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الأَدَمِ (٤)

وَراوَدَتْهُ الجِبالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ ... عَنْ نَفْسِهِ فأَراها أَيَّما شَمَمِ

وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فيها ضَرُورَتُهُ ... إنَّ الضَّرُورَةَ لاتَعْدُو على العِصَمِ (٥)

وَكَيفَ تَدْعُو إلَى الدُّنيا ضَرُورَةُ مَنْ ... لولاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنيا مِنَ العَدَمِ

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ والثَّقَلَيْـ ... ـنِ والفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ

---

(١) السوم : الرعى فى العشب المباح . (٢) المخمصة : الجوع .

(٣) الحمية عن الشىء : الامتناع عنه .

(٤) السغب : الجوع . والكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع . والمترف : المنعم .

(٥) العصم : جمع عصمة ، وهى الحفظ .

نَبِينا الآمِرُ النَّاهِى فلاَ أحَدٌ   أبَرَّ فى قَوْلِ « لا » منه وَلا « نعَم »
هُوَ الحَبيبُ الذى تُرْجَى شَفاعَتُهُ   لِكلِّ هَوْلٍ مِنَ الأهوالِ مُقْتَحَمِ
دَعا إلَى اللهِ فالمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ   مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غيرِ مُنْفَصِمِ
فاقَ النَّبِيِّينَ فى خَلْقٍ وفى خُلُقٍ   وَلَمْ يُدانُوهُ فى عِلْمٍ وَلا كَرَمِ
وَكلُّهُمْ مِنْ رَسولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ   غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أوْ رَشْفاً[1] مِنَ الدِّيَمِ
وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ   مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ[2]
فهْوَ الذى تَمَّ معناهُ وصُورَتُهُ   ثُمَّ اصْطَفاهُ حَبيباً بارِئُ النَّسَمِ[3]
مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فى مَحاسِنِهِ   فجَوْهَرُ الحُسْنِ فيهِ غيرُ مُنْقَسِمِ
دَعْ ما ادَّعَتْهُ النَّصارَى فى نَبِيِّهِمِ   وَاحكمْ بِما شِئْتَ مَدْحاً فيهِ واحْتَكِمِ
وانْسُبْ إلى ذاتِهِ ماشِئْتَ مِنْ شَرَفٍ   وَانْسُبْ إلى قَدْرِهِ ماشِئْتَ مِنْ عِظَمِ
فإنَّ فَضْلَ رسولَ اللهِ ليسَ لهُ   حَدٌّ فيُعْرِبَ عنهُ ناطِقٌ بِفَمِ
لو ناسَبَتْ قَدْرَهُ آياتُهُ عِظَماً   أحيا اسمُهُ حِينَ يُدْعَى دارِسَ الرِّمَمِ
لَمْ يَمْتَحِنَّا بِما تَعْيا العُقولُ بِهِ   حِرْصاً علينا فلمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ[4]
أعْيا الوَرَى فَهْمُ معناهُ فليس يُرَى   فى القُرْبِ والبُعْدِ فيهِ غيرُ مُنْفَحِمِ[5]
كالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ   صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ[6]
وَكيفَ يُدْرِكُ فى الدُّنيا حَقِيقَتَهُ   قَوْمٌ نِيامٌ تَسَلَّوْا عنهُ بالحُلُمِ

---

(١) الرشف : المص . والديم : جمع ديمة ، وهى المطر .
(٢) الحكم جمع حكمة وهى وضع الأشياء فى مواضعها .   (٣) النسم جمع نسمة ، وهى الإنسان .
(٤) لم نهم : لم نضل .   (٥) المنفحم : الساكت عجزا فى المناظرة .   (٦) تكل : تتعب . أمم : قرب .

فَمَبْلَغُ العِلْمِ فيـــهِ أنهُ بَشَرٌ	وأنهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كلِّهِمِ (1)
وَكلُّ آيٍ أتَي الرُّسْلُ الكِرامُ بها	فإنما اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بهِمِ
فإنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَواكِبُها	يُظْهِرْنَ أنْوارَها لِلناسِ فى الظُّلَمِ
أكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زانَهُ خُلُقٌ	بالحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بالبِشْرِ مُتَّسِمِ (2)
كالزَّهْرِ فى تَرَفٍ والبَدْرِ فى شَرَفٍ	والبَحْرِ فى كَرَمٍ والدَّهْرِ فى هِمَمِ
كأنهُ وَهْوَ فَرْدٌ مِنْ جلالَتِهِ	فى عَسْكَرٍ حينَ تَلْقاهُ وفى حَشَمِ
كأنَّما اللُّؤْلُؤُ المَكْنونُ فى صَدَفٍ	مِنْ مَعْدِنَىْ مَنْطِقٍ منهُ وَمُبْتَسِمِ
لاطِيبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضَمَّ أَعْظُمَهُ	طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ منـهُ وَمُلْتَثِمِ (3)
أبانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ	ياطِيبَ مُبْتَدَإٍ منـــه ومُخْتَتَمِ
يَوْمٌ تَفَرَّسَ فيــه الفُرْسُ أَنَّهمْ	قد أُنْذِرُوا بِحُلولِ البؤْسِ والنِّقَمِ (4)
وباتَ إيوانُ كِسْرَى وهْوَ مُنْصَدِعٌ	كَشَمْلِ أصْحابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ
والنَّارُ خامِدَةُ الأنفاسِ مِنْ أسَفٍ	عليهِ والنَّهرُ ساهى العَيْنِ مِنْ سَدَمِ (5)
وساءَ ساوَةَ أنْ غاضَتْ بُحَيْرتُها	ورُدَّ وارِدُها بالغَيْظِ حينَ ظَمِى (6)
كأنَّ بالنارِ ما بالماءِ مِنْ بَلَلٍ	حُزْناً وَبالماءِ ما بالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ (7)
والجِنُّ تَهْتِفُ وَالأنوارُ ساطِعَةٌ	وَالحقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنًى ومِنْ كَلِمِ

(١) مبلغ العلم : غايته . (٢) متسم : متصف .

(٣) طوبى من الطيب قلبوا الياء واوا لضمة ما قبلها . والمنتشق : من يشمه ، والملتثم : من يقبله .

(٤) تفرس : تعرف بالظن الصائب . (٥) ساهى : ساكن . والسدم : الحزن .

(٦) ساوة مدينة فى بلاد فارس بين همذان الرى . (٧) الضرم : الالتهاب .

عَمُوا وَصَمُّوا فإعْلانُ البَشائرِ لَمْ ... تُسْمَعْ وَبارِقَةُ الإنْذارِ لَمْ تُشَمِ (١)
مِنْ بَعْدِ ما أَخْبَرَ الأقْوامَ كاهِنُهُمْ ... بأَنَّ دِينَهُمُ المُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ
وبَعْدَ ماعايَنُوا فى الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ ... مُنْقَضَّةٍ وفْقَ مافى الأرْضِ مِنْ صَنَمِ (٢)
حَتى غَداعَنْ طَرِيقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ ... من الشياطِينِ يَقْفُو إثْرَ مُنْهَزِمِ
كأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبطالُ أَبْرَهَةٍ ... أوْعَسْكَرٌ بالحَصَى مِنْ راحَتَيْهِ رُمِى
نَبْذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِما ... نَبْذَ المُسَبِّحِ مِنْ أحشاءِ مُلْتَقِمِ
جاءتْ لِدَعْوَتِهِ الأشْجارُ ساجِدَةً ... تَمْشِي إليهِ عَلَى ساقٍ بِلا قَدَمِ
كأَنَّما سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ ... فُرُوعُها مِنْ بَدِيعِ الخَطِّ فى اللَّقَمِ
مِثْلَ الغَمامَةِ أَنَّى سار سائِرَةً ... تَقِيهِ حَرَّ وطِيسٍ لِلْهَجِيرِ (٣) حَمِى
أَقْسَمْتُ بالقَمَرِ المُنْشَقِّ إنَّ لَهُ ... مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ القَسَمِ
وَماحَوَى الغارُ مِنْ خيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ ... وكلُّ طَرْفٍ مِنَ الكُفَّارِ عنه عَمِى
فالصِّدْقُ فى الغارِ والصِّدِّيقُ لَمْ يَرِما ... وَهُمْ يقولونَ ما بالغارِ مِنْ أَرِمِ (٤)
ظَنُّوا الحَمامَ وظَنُّوا العَنْكَبُوتَ على ... خيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ ولَمْ تَحُمِ
وِقايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضاعَفَةٍ ... مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عالٍ مِنَ الأُطُمِ (٥)
ما سامَنِى الدَّهْرُ ضَيْماً وَاسْتَجَرْتُ به ... إلاَّ وَنِلْتُ جِوارًا منــهُ لَمْ يُضَمِ
ولا الْتَمَسْتُ غِنَي الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ ... إلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ
لاتُنْكِرِ الوَحْيَ مِنْ رُؤْياهُ إنَّ لَهُ ... قَلْبًا إذا نامَتِ العَيْنانِ لَمْ يَنَمِ (٦)

---

(١) تشم: تنظر.　(٢) الوفق: الموافق، أى المماثل.　(٣) د: بالهجير.
(٤) لم يرما: لم يبرحا. وأرم على وزن كتف: العلم والأثر.　(٥) الأطم: الحصون.
(٦) يقول: إن رؤيا النبى فى المنام هى وحى من عند الله.

وذاكَ حينَ بُلوغٍ مِنْ نبُوَّتِهِ ... فليسَ يُنكَرُ فيهِ حالُ مُحتَلِمِ (١)
تَبارَكَ اللهُ ما وحْىٌ بِمُكتَسَبٍ ... وَلا نَبِىٌّ عَلَى غَيبٍ بِمُتَّهَمِ
كَمْ أبرَأَتْ وَصِبًا باللّمْسِ راحَتُهُ ... وأَطلَقَتْ أرِبًا مِنْ رِبقَةِ اللَّمَمِ (٢)
وأحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ ... حتى حَكَتْ غُرَّةً فى الأعْصُرِ الدُّهُمِ (٣)
بعارِضٍ جادَ أَوْ خِلْتَ البِطاحَ بها ... سَيْبٌ مِنَ اليَمِّ أَوْ سَيلٌ مِنَ العَرِمِ (٤)
دَعْنِى وَوَصْفِىَ آياتٍ لهُ ظَهَرَتْ ... ظُهورَ نارِ القِرَى لَيلاً عَلَى عَلَمِ
فالدُّرُّ يَزْدادُ حُسْنًا وَهوَ مُنْتَظِمٌ ... وَليسَ يَنقُصُ قَدْرًا غيرَ مُنْتَظِمِ
فما تَطاوَلُ آمالُ المَديحِ إلى ... مافيهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلاقِ والشِّيَمِ (٥)
آياتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثَةٌ ... قَدِيمَةٌ صِفَةَ المَوْصوفِ بالقِدَمِ (٦)
لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمانٍ وَهْىَ تُخْبِرُنا ... عَنِ المعادِ وعَنْ عادٍ وعَنْ إرَمِ
دامَتْ لَدَيْنا فَفاقَتْ كلَّ مُعْجِزَةٍ ... مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جاءَتْ ولَمْ تَدُمِ
مُحَكَّماتٌ فما تُبقِينَ مِنْ شُبَهٍ ... لِذِى شِقاقٍ وما تَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ
ماحُورِبَتْ قَطُّ إلّا عادَ مِنْ حَرَبٍ ... أَعْدَى الأعادى إليها مُلْقِىَ السَّلَمِ
رَدَّتْ بَلاغَتُها دَعْوَى مُعارِضِها ... رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجانى عنِ الحُرَمِ
لها مَعانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ فى مَدَدٍ ... وفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِى الحُسْنِ والقِيَمِ

(١) المحتلم الذى يرى الحلم فى النوم ، فحلم النبى كما يقول وحى لا ينكر .

(٢) الوصب : المريض . والأرب : المحتاج . والربقة أصلها الحبل . واللمم : الجنون .

(٣) السنة الشهباء : المجدبة .

(٤) أوخلت : أى إلى أن خلت . والبطاح : جمع أبطح ، وهو مسيل الماء . والسيب : الجرى . والعرم : الوادى

(٥) تطاول إلى كذا : طلب الوصول إليه . (٦) محدثة : إنزالها محدث .

فما تُعَدُّ وَلا تُحْصَى عَجائبُها ... ولا تُسامُ عَلَى الإكثارِ بالسَّأَمِ
قَرَّتْ بها عَيْنُ قارِيها فَقُلْتُ لهُ ... لقد ظَفِرتَ بِحَبْلِ اللهِ فاعْتَصِمِ
إنْ تَتْلُها خيفَةً مِنْ حَرِّ نارِ لَظَى ... أطْفَأْتَ نارَ لَظَى مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ
كأنَّها الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوجوهُ به ... مِنَ العُصاةِ وقد جاءوه كالحُمَمِ
وَكالصِّراطِ وكالميزانِ مَعْدِلَةً ... فالقِسْطُ مِنْ غَيرِها فى الناسِ لَمْ يَقُمِ
لا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ راحَ يُنكِرُها ... تَجاهُلًا وهْوَ عَينُ الحاذقِ الفَهِمِ
قد تُنكِرُ العينُ ضَوْءَ الشَّمْسِ من رَمَدٍ ... ويُنكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ منْ سَقَمِ
يا خيرَ منْ يَمَّمَ العافُونَ ساحَتَهُ ... سَعْيًا وفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ (١)
وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ ... وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَى لِمُغْتَنِمِ
سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إلى حَرَمٍ ... كما سَرَى البَدْرُ فى داجٍ مِنَ الظُّلَمِ
وَبِتَّ (٢) تَرْقَى إلى أنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً ... مِنْ قابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ
وَقَدَّمَتْكَ جَميعُ الأنبياءِ بِها ... والرُّسْلِ تَقْديمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ
وَأنتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّباقَ بِهِمْ ... فى مَوْكِبٍ كُنْتَ فيهِ صاحِبَ العَلَمِ
حتى إذا لَمْ تَدَعْ شَأْوًا لِمُسْتَبِقٍ ... مِنَ الدُّنُوِّ وَلا مَرْقًى لِمُسْتَنِمِ (٣)
خَفَضْتَ كُلَّ مَقامٍ بالإضافَةِ إذْ ... نُودِيتَ بالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ (٤)
كَيْما تَفُوزَ بِوَصْلٍ أيِّ مُسْتَتِرٍ ... عَنِ العُيُونِ وَسِرٍّ أيِّ مُكْتَتِمِ

---

(١) العافون : طلاب الرزق . و الأينق : النياق . والرسم : التى ترسم : الأرض أى تعلمها .

(٢) د : فظلت .   (٣) المستنم : طالب الرفعة إلى السنام، وهو أعلى الشىء .

(٤) بالإضافة إلى مقامك . والرفع الارتفاع وفيه تورية برفع الإعراب عند النحاة .

فَحُزْتَ كلَّ فَخَارٍ غيرِ مُشْتَرَكٍ   وَجُزْتَ كلَّ مَقامٍ غيرِ مُزْدَحَمِ
وَجَلَّ مِقْدارُ ما وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ   وعَزَّ إدْراكُ ما أُوليتَ مِنْ نِعَمِ
بُشْرَى لَنا مَعْشَرَ الإسْلامِ إنَّ لنا   مِنَ العِنايَةِ رُكْناً غيرَ مُنْهَدِمِ
لَمَّا دَعا اللهُ داعِينا لِطَاعَتِهِ   بأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ
راعَتْ قلوبَ العِدا أنباءُ بِعثَتِهِ   كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غَفْلًا مِنَ الغَنَمِ
ما زالَ يَلقاهُمُ في كلِّ مُعْتَرَكٍ   حتى حَكَوْا بالقَنا لَحْماً على وضَمِ (١)
وَدُّوا الفِرارَ فكادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ   أَشْلاءَ شالَتْ مَعَ العِقْبانِ والرَّخَمِ
تَمْضِي اللَّيالِي وَلا يَدْرُونَ عِدَّتَها   مالَمْ تَكُنْ مِنْ لَيالِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ
كأَنَّما الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ ساحَتَهُمْ   بِكلِّ قَرْمٍ إلَى لَحْمِ العِدا قَرِمِ (٢)
يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فوقَ سابِحَةٍ   يَرْمِي بِمَوجٍ مِنَ الأَبطالِ مُلْتَطِمِ (٣)
مِنْ كلِّ مُنْتَدِبٍ للهِ مُحْتَسِبٍ   يَسْطو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلكُفْرِ مُصْطَلِمِ (٤)
حتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإسلامِ وهْيَ بِهِمْ   مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِها مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ
مَكْفُولَةً أَبَدًا مِنهمْ بِخَيْرِ أَبٍ   وخيرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ (٥)
هُمُ الجِبالُ فَسَلْ عنهمْ مُصادِمَهُمْ   ماذا رأَى منهمُ في كلِّ مُصْطَدَمِ
وسَلْ حُنَيْناً وسَلْ بَدْرًا وَسَلْ أُحُدًا   فُصُولُ حَتْفٍ لهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ (٦)
المُصْدِرِي البِيضَ حُمْرًا بعدَما وَرَدَتْ   مِنَ العِدا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ (٧)

---

(١) الوضم : كل خشبة يقطع عليها اللحم .

(٢) القرم : السيد . والقرم : بالتحريك شدة الشهوة إلى اللحم .   (٣) السابحة : الخيل .

(٤) المنتدب: المجيب .   (٥) التأيم : فقدان الزوج .   (٦) الوخم : الوباء .

(٧) اللمم : جمع لمة وهي الشعر إذا جاوز الأذن .

وَالكاتِبينَ بِسُمْرِ الخَطِّ ماتَرَكَتْ ... أقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

شاكِى السِّلاحِ لهمْ سِيمى تُمَيِّزُهُمْ ... والوَرْدُ يَمتازُ بالسِّيمى عَنِ السَّلَمِ (١)

تُهْدِى إليكَ رِياحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ ... فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فى الأكمامِ كلَّ كَمِى

كأنَّهمْ فى ظُهُورِ الخيلِ نَبْتُ رُبًا ... مِنْ شَدَّةِ الحَزْمِ لامِنْ شِدَّةِ الحُزُمِ (٢)

طارَتْ قلوبُ العِدا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا ... فما تُفَرِّقُ بينَ البَهْمِ والبُهَمِ (٣)

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ ... إنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فى آجامِها تَجِمِ

وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غيرَ مُنْتَصِرٍ ... بهِ ولا مِنْ عَدُوٍّ غيرَ مُنْقَصِمِ (٤)

أَحَلَّ أُمَّتَهُ فى حِرْزِ مِلَّتِهِ ... كاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأشبالِ فى أَجَمِ

كَمْ جَدَّلَتْ كلماتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ ... فيهِ وكم خَصَمَ البُرْهانُ مِنْ خَصِمِ (٥)

كفاكَ بالعِلْمِ فى الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... فى الجاهليَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فى اليُتُمِ

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ ... ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فى الشِّعْرِ والخِدَمِ

إذْ قَلَّدانِىَ ما تُخْشَى عَواقِبُهُ ... كَأَنَّنِى بِهِما هَدْىٌ مِنَ النَّعَمِ (٦)

أَطَعْتُ غَىَّ الصِّبا فى الحالَتَيْنِ وَما ... حَصَلْتُ إلَّا عَلَى الآثامِ والنَّدَمِ

فياخَسارَةَ نَفْسٍ فى تِجارَتِها ... لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بالدُّنيا ولَمْ تَسُمِ (٧)

---

(١) السيمى : العلامة . السلم : نوع من الشجر .

(٢) الحزم : قوة الثبات . والحزم جمع حزام : وهى مايشد به سرج الفرس ونحوها .

(٣) البهم جمع بهمة : وهى السخلة . والبهم جمع بهمة ، وهى الشجاع . (٤) المنقصم : المنقطع .

(٥) جدل : صرع . والجدالة : الأرض . والجدل : كثير الجدال . خصمه : غلبه . والخصم : شديد الخصومة . (٦) الهدى : ما يهدى إلى الحرم ليذبح .

(٧) سام البائع السلعة : عرضها للبيع . وسامها المشترى : طلب شراءها .

وَمَنْ يَبِعْ آجِلًا منهُ بِعاجِلِهِ ... يَبِنْ لهُ الغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ (١)
إِنْ آتِ ذَنباً فما عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ ... مِنَ النبيِّ ولا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ
فإِنَّ لِي ذِمَّةً منهُ بِتَسْمِيَتِي ... مُحمدًا وَهْوَ أَوْفَى الخَلْقِ بالذِّمَمِ
إِنْ لمْ يَكُنْ في مَعادِي آخِذًا بيَدِي ... فَضْلاً وإِلَّا فَقُلْ يا زَلَّةَ القَدَمِ
حاشاهُ أنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكارِمَهُ ... أَوْ يَرْجِعَ الجارُ منهُ غيرَ مُحتَرَمِ
وَمُنْذُ أَلزَمْتُ أفكاري مَدائِحَهُ ... وَجَدْتُهُ لِخَلاصِي خيرَ مُلْتَزِمِ
وَلَنْ يَفُوتَ الغِنَى منهُ يَدًا تَرِبَتْ ... إِنَّ الحَيا يُنْبِتُ الأزهارَ في الأَكَمِ (٢)
وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيا التي اقْتَطَفَتْ ... يَدَا زُهَيْرٍ بما أَثْنَى عَلَى هَرِمِ
يا أكرَمَ الرُّسْلِ مالِي مَنْ أَلُوذُ به ... سِواكَ عندَ حلولِ الحادِثِ العَمَمِ (٣)
وَلَنْ يَضِيقَ رَسولَ اللهِ جاهُكَ بِي ... إِذا الكَريمُ تَحَلَّى باسْمِ مُنْتَقِمِ (٤)
فإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها ... وَمِنْ عُلومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ (٥)
يانَفْسُ لاتَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ ... إِنَّ الكَبائِرَ فِي الغُفْرانِ كاللَّمَمِ (٦)
لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُها ... تأْتِي عَلَى حَسَبِ العِصْيانِ فِي القِسَمِ
يا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجائِي غيرَ مُنْعَكِسٍ ... لَدَيْكَ واجعَلْ حِسابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ (٧)
وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ ... صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوالُ يَنْهَزِمِ
وائْذَنْ لِسُحْبِ صلاةٍ منكَ دائمةٍ ... عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ (٨)

---

(١) السلم في البيع: هو البيع المؤجل الدفع. (٢) تربت: افتقرت. والأكم جمع أكة: وهي الربوة.
(٣) الحادث العمم: يوم القيامة، لأن هوله يعم الخلق. (٤) تحلى: اتصف. والمنتقم: من أسماء الله
(٥) ضرة الدنيا: هي الآخرة. (٦) اللمم: صغار الذنوب.
(٧) المنخرم. المنقطع. (٨) المنهل: السائل بشدة. والمنسجم: السائل بهدوء ورفق.

ما رَنَّحتْ عَذَباتِ البانِ ريحُ صَبًا ... وأطْرَبَ العِيسَ حادِى العِيسِ بالنَّغَمِ (١)

وقال [عفا الله عنه (٢) من الكامل] :

عَرِّجْ بِرامَةَ إنها لَمَرامِى ... وبجيرةٍ فيها عَلَىَّ كِرامِ (٣)

نَزَلوا العَقيقَ فأدْمُعِى شَوْقًا إلى ... تلكَ الرُّبا مِثْلُ العَقيقِ دوامِ (٤)

ما لِلدِّيارِ وَلِلْمُحِبِّ كأنَّما ... مُزِجَتْ حمائمُها لهُ بحِمامِ (٥)

عَهْدِى بها وكأنَّ مُنْهَلَّ الحيا ... دَمْعِى وَمُصْفَرَّ البَهارِ سَقامِى (٦)

وشَذَا الخُمامُ عَلَى الثُّمامِ (٧) وما لِمَنْ ... مَرَّ الصِّبا وحَكَتْهُ عُودُ ثُمامِ

وذُهِلْتُ لا أدْرى بما أنا مائلٌ ... بِشَذا نَسيمٍ أوْ بِشَدْوِ حَمامِ

نَمَّ الوُشاةُ بِنا ألا إنَّ الهَوَى ... لَمْ يَخْلُ مِنْ واشٍ ولا نَمَّامِ

وتَحَدَّثوا أنِّى سَلَوْتُ هَواكُمُ ... كيفَ السُّلُوُّ مِنَ الزُّلالِ الطَّامِى (٨)

وَضَرَبْتُمُ بَيْنِى وَبينَ جَمالِكُمْ ... حُجُبًا مِنَ الإجْلالِ والإعظامِ

وَقَضَتْ مَهَابَتُكُمْ بِتَرْكِ زِيارَتِى ... مَنْ ذَا يَزُورُ الأُسْدَ فى الآجامِ

وَلَوَ انَّنِى حاوَلْتُ نَقْضَ عُهودِكُمْ ... لأَبَى جَمالُكُمُ وَحِفْظُ ذِمامِى

ما ضَرَّكُمْ جبْرُ الكسيرِ وحَسْبُهُ ... ما يَلْتَقِى فى الجَبْرِ مِنْ آلامِ (٩)

وَلقد خَلَوْتُ بِذِكْرِكُمْ ولِعَبْرَتى ... بِتَسَهُّدٍ فى الجَفْنِ أىُّ زِحامِ

وَقرأْتُ سُلْوانَ السَّلامِ فليسَ مِنْ ... رَوْمٍ لهُ مِنِّى وَلا إشْمامِ (١٠)

قَسَمًا بِحُسْنِكُمُ المَصُونِ وإنَّهُ ... عندَ المُحِبِّ لأَكْبَرُ الأقسامِ (١١)

لأُعَفِّرَنَّ بِأَرْضِكُمْ خَدِّىَ مِنْ ... مَمْشَى المَها وَمَراتِعِ الآرامِ (١٢)

---

(١) رنحت : أمالت. وعذبات البان : أغصانه. والعيس : الإبل البيض. (٢) ما بين القوسين زيادة فى ت.

(٣) رامة : موضع. ومرامى : طلبتى وبغيتى. (٤) العقيق : موضع بظاهر المدينة، و العقيق الثانية : خرز أحمر. دوام : كالدم. (٥) بحمام : بموت.

(٦) منهل الحيا : منصب المطر. (٧) الثمام : نوع من الشجر.

(٨) الزلال : العذب الصافى البارد من الماء. والطامى الكثير. (٩) ت يتقى فى الخبر من إيلام.

(١٠) روم : طلب. إشمام : قرب ودنو. وهما من مصطلحات القراء. (١١) ت . أوكد.

(١٢) المهى : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية. الآرام : جمع رئم، وهو الظبى الخالص البياض.

وَلَأَبكِيَنَّ عَلَى زَمانٍ فاتَنِي ... مِنكُمْ بَعَيْنَىْ عُرْوَةَ بنِ حِزامِ[١]
وَلَأُهْدِيَنَّ إلى الوَزِيرِ وآلِهِ ... دُرَّ المدائحِ فِى أَجلِّ نِظامِ
هُدِىَ الأَنامُ بِهِمْ إلَى طُرُقِ العُلا ... لَمَّا غدَوْا[٢] فى الفَضْلِ كالأَعْلامِ
صانَ النَّدَى أعْرَاضَهُمْ وزهَتْ بهمْ ... فكأَنما الأَزْهارُ في الأَكامِ[٣]
وتأَثَّلتْ لِلدِّينِ والدنيا بهمْ ... عَلْيا تُخَلِّقُ جِدَّةَ الأَيامِ[٤]
وَحَمَى الوَزِيرُ الصاحِبُ بن مُحَمَّدٍ ... جَنَباتِها مِنْ رَأْيِهِ بِحُسامِ
لَمَّا أصَابَ بها مَقاتِلَ لِلْعِدا ... عَلِمُوا بأَنَّ القَوْسَ فى يَدِ رامِ
اللهُ وفَّقَهُ فَوَفَّقَ كُلَّ ما ... يَنْوِيهِ مِنْ نَقْضٍ وَمِنْ إبْرامِ
فكأَنَّما الأَقدارُ فى تَصْرِيفِها ... مُنْقادَةٌ لِمُرادِهِ بزِمامِ
وَصَلَ النَّهارَ بِلَيْلِهِ فى طاعَةٍ ... وصَلاتُه مَوْصُولَةٌ بِصِيامِ
كُحِلَتْ بِتَقْوَى اللهِ مُقْلَتُهُ التِى ... لَمْ تَكْتَحِلْ أَجفانُها بِمَنامِ
يُمْسِى ويُصْبِحُ طاوِيًا أَحْشاءُهُ ... كَرَمًا عَلَى سَغَبٍ وحَرِّ أُوَامِ[٥]
عَجَبًا لهُ يَطْوِى حَشاهُ عَلَى الطَّوَى ... وَتَحُضُّهُ التَّقْوَى على الإطْعامِ
نَزَعَتْ[٣] وما هَمَّتْ بهِ النفْسُ التى ... نَزَعَتْ عنِ الشَّهَواتِ نَزْعَ هُمامِ[٦]
فَتَنَعَّمُ الأَرواحِ ليسَ بمُدْرَكٍ ... إلَّا بتَرْكِ تنعُّمِ الأَجْسامِ
قَرَنَ الوزارَةَ بالوِلايَةِ فهْوَ فِى ... حِلٍّ مِنَ التقْوَى وَمِنْ إحْرَامِ[٧]

---

(١) د : على الزمان فإننى ، وهذه رواية ت . (٢) د : غدا . الأعلام : جمع علم، وهو العلامة والجبل والراية . (٣) د : الآكام. (٤) تأثلت : تأصلت . تخلق : تبلى .
(٥) سغب : جوع . أوام شدة العطش . (٦) د : دعنه . ونزعت نفسه عن الشيء : أى رغبت عنه .
(٧) أى أنه حل فى التقوى وأحرم بها .

فاقَتْ مَناقِبُهُ العُقُولَ فَوَصْفُهُ ما ليسَ يُدْرِكُ في قُوَى الأَفهامِ
فَقَرائحى فِيما أَتَتْ مِنْ مَدْحِهِ كالنَّحْلِ يَأْتِى الزَّهْرَ بالإِلْهامِ
أَوَما تَراها رِيقُها يُحْلِي الجَنَى وبِناؤُها في غايَةِ الإِحْكامِ
وَإِذارَعَتْ كَرَمَ المَكارِمِ أَخْرَجَتْ شَهْدَ المَدائِحِ فيهِ سُكْرَ مُدامِ
تَكْسُو مَحاسِنُه المَديحَ جلالَةً فَيَجِلُّ فِيها(١) قدرُ كلِّ كَلامِ
يَهْتَزُّ لِلْمَجْدِ اهتزازَ مُثَقَّفٍ كَرَماً وَيُنْتَدَبُ انْتِدابَ حُسامِ(٢)
كَلِفٌ بإِسْداءِ الصَّنائِعِ مُغْرَمٌ لا زالَ ذا كَلَفٍ بها وغَرامِ(٣)
يَرْتاحُ إِنْ سُئِلَ النَّوالَ كَأَنَّما وَرَدَتْ عليهِ بِشارَةٌ بِغُلامِ
تَفْدِيهِ أَقْوامٌ كأَنَّ وُجُوهَهُمْ عِنْدَ السُّؤالِ صَحائِفُ الآثامِ
كَمْ بَيْنَ ذِكْرِ الصَّاحِبِ بنِ مُحَمَّدٍ فينا وذِكْرِ أُولئكَ الأَقوامِ
شَوْقاً لِما مَسَّتْ أَنامِلُهُ فَيا هَوْنَ النُّضارِ وَعِزَّةَ الأَقْلامِ
أَكْرِمْ بأَقْلامٍ غَدا قَسْمِى بِها مِنْ كُلِّ خيرٍ أَوْفَرَ الأَقْسامِ
فَكَمِ ارْتَزَقْتُ بِغَيْرِها لِضَرُورَةٍ فَكَأَنَّما اسْتَقْسَمْتُ بالأَزْلامِ(٤)
وَعَكَفْتُ آمالِي عَلَيْها جاهِلاً فَكَأَنَّما عَكَفَتْ عَلَى الأَصْنامِ
وَرَجَعْتُ عنها آيِسًا فَكَأَنَّما رَجَعَ الرَّضِيعُ مُرَوَّعًا بِفِطامِ(٥)
زانَ الوجُودَ بِخَمْسَةٍ سَمَّاهُمُ مِنْ أَحْمَدٍ وَمُحَمَّدٍ بِأَسامِ
فَتَشابَهَتْ أَسماؤُهُمْ وَصِفاتُهُمْ وَغَنُوا عَنِ التَّعْرِيفِ بالأَعْلامِ
فَثَناهُ واحِدِهِمْ ثَناهُ جَمِيعِهِمْ في الفَضْلِ لِلتَّفْخِيمِ وَالإِدْغامِ
مِثْلُ الثُّرَيَّا وَهْيَ عِدَّةُ أَنْجُمٍ يَدْعُونَها بالنَّجْمِ لِلإِعْظامِ

---

(١) ت : فيه . (٢) مثقف : الرمح المستوى. ينتدب : يدعى . حسام : سيف .

(٣) الصنائع : جمع صنيعة، وهى المعروف . (٤) استقسم : طلب القسم . والأزلام : جمع زلم، وهو السهم والقدح . (٥) د : آسيا . وهذه رواية ت .

أَبَنِى عَلِىٍّ كُلُّكُمْ حَسَنٌ أَتى ... فِى الفَضْلِ مَنْسُوبٌ لِخَيْرِ إمامِ
فُتِحَتْ بِهِ سُنَنُ العُلا وفُرُوضُها ... فكأنَّهُ تكبيرةُ الإحْرامِ
وكأنَّكُمْ فى فَضْلِكُمْ رَكَعاتُها ... مَخْتُومَةً بِتَحِيَّةٍ وَسَلامِ
إنَّ العُلا لَمْ تَسْتَقِمْ إلَّا بِكُمْ ... يا خَمْسَةً كَدَعائِمِ الإسْلامِ
أَنتم أَناملُها وليسَ لها غِنى ... عَنْ خِنْصِرٍ منكُمْ وَلا إبْهامِ
أَنتم قُوَى الإدْراكِ مِنْ إحْساسِها ... لَمْ تَفْتَقِرْ مَعَكُمْ إلى استفهامِ
وَلَكُمْ بأَصْحَابِ العَباءَةِ نِسْبَةٌ ... تَبَعِيَّةٌ بِتَناسُبِ الإقْدامِ (١)
حامَيْتُمُ عنهمْ وحامَوْا عنكمُ ... إنَّ الكَرِيمَ عَنِ الكَرِيمِ يُحامِى
فاللهُ حَسْبُكَ يا مُحَمَّدُ صاحِبًا ... وَمُؤازِرًا فى رِحْلَةٍ وَمُقامِ
يا مَنْ أعارَ البَدْرَ مِنْ أَوْصافِهِ ... حُسْنَ المُحَيَّا والمَحَلَّ السَّامِى
جَعَلَ الإلٰهُ بِكَ الخَمِيسَ مُبارَكَ الـ ... ـحَرَكَاتِ فى الإنْجادِ وَالإتْهامِ
مُتَنَقِّلًا مِثْلَ البُدُورِ وسائرًا ... بِنَداكَ فى الآفاقِ سَيْرَ غَمامِ
جادَتْ عَلَى سُكانِ مِصْرَ غُيُومُهُ ... وَدَهَتْ صَواعِقُهُ فِرَنْجَ الشامِ
صَدَقَتْ سواحِلَهُمْ بُرُوقُ سُيُوفِهِمْ ... وتعاهَدَتْ منها حِصادَ الهامِ
وَعَقَدْتَ رأْيَكَ فيهمُ فَلَقِيتَهُمْ ... فَرْدًا بِجَيْشٍ لايُطاقُ لُهامِ (٢)
أَطْفَأْتَ نِيرانَ الوغَى بِدِمائِهِمْ ... ولها بِقَرْعِ النَّبْعِ أَىُّ ضِرامِ (٣)
وَأَذَقْتَ بالرُّمْحِ الصَّمِيمِ كُماتَها ... طَعْمَ الرَّدَى والصَّارِمِ الصَّمْصامِ (٤)
ولَبِسْتَ فيها سابغاتِ عزائمٍ ... تُغْنِى الكُماةَ عَنِ ادِّراعِ اللَّامِ (٥)
فُتِحَتْ بِهِمَّتِكَ القِلاعُ وحُصِّنَتْ ... فأَبى تَناوُلُها عَلَى المُسْتامِ

---

(١) أصحاب العباءة (هم النبى صلى الله عليه وسلم، والإمام على، والحسن، والحسين، وفاطمة) سموا بذلك لأن النبى دعاهم وغطاهم بعباءة ، فنزلت فيهم آية « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » . (٢) لهام : عظيم . (٣) ه : بقعر .

(٤) الصميم : الخالص . كماتها : شجعانها . الردى : الموت . والصمصام : الذى لا ينثنى .

(٥) سابغات : جمع سابغة ، أى طويلة وافية . ادراع : لبس الدرع . واللام : جمع لامة ، وهى الدرع . ويقال بالهمز أيضا .

لِلّٰهِ أقلامُ الوزيرِ فإنّها نَظْمُ العُلاَ وَمَفاتِحُ الإظْلامِ
نَسَجتْ بُرودَ بلاغتيْهِ وَأبْدَتِ الْـــإبْداعَ فى الآســادِ والآجامِ
فالنَّظْمُ مِثْلُ جَواهِرٍ بِقَلائِدٍ والنّثْرُ مِثْلُ أَزاهِرٍ بِكِمامِ
وَإذا نَظَرْتَ إلى مواقِعِ نَقْشِها فى الطِّرْسِ قلتَ أَخِلَّةُ[1] الرَّمّامِ
وَرِثَتْ مَكارِمَهُ بَنُوهُ فَحَبَّذا كَرَمُ السَّجَايا مِنْ تُراثِ كِرامِ
ما كانَ إلَّا الشَّمْسَ فَضْلا أعْقَبَتْ مِنْ وارِثيهِ بِكلٍّ بَدْرِ تَمامِ
أَوَ لَيْسَ أحْمَدُ بَعْدَهُ ومُحَمَّدٌ بَلَغا مِنَ العَلْياءِ كُلَّ مَرامِ
فَلْيَهْنِ هذا أنَّ هذا صِنْوُهُ وَكِلاهُما لِأَبيهِ حَدُّ حُسامِ
ضاهَتْكُما فى المَكْرُماتِ بَنُوهُما والشِّبْلُ فيما قيلَ كالضِّرْغامِ
بأبيهِ كُلٌّ يَقْتَدِى وَبِعَمِّهِ مِنْ أكْرَمِ الآباءِ وَالأعْمامِ
مَوْلاىَ زَيْنَ الدِّينِ يامَنْ جُودُهُ كَنْزُ العُفاةِ ومُهْلِكُ الإعْدامِ
أمّا مَقامُكَ فى الصَّـــلاحِ فإنَّهُ فيما عَلِمْناهُ أَجَــلُّ مَقامِ
بِمَ زادَ عَنْكَ أبو يَزيدَ[2] وقدغَدَتْ مِصْرٌ مُفَضَّلَةً عَلَى بِسْطامِ
لَمّــا عَمِلْتَ[3] بمــا عَلِمْتَ مُراقِباً لِلّٰهِ فى الإقْــدامِ والإحْجامِ
طَوَّحْتَ بالدُّنيا وقُلْتَ لها الْحَقِى بِمَعاشِرِ الوُزراءِ وَالحُــكّامِ

---

(١) الأخلة : هى النقوش التى ترسم على الثياب بالتطريز .

(٢) هو طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامى ، ولد فى قريته بسطام بخراسان سنة ١٦١ واختلف فى تاريخ وفاته فقيل سنة ٢٣١ أو ٢٣٤ وذكر ابن خلكان أنه توفى سنة ٢٦١ أو ٢٦٤ هـ وكان زاهدا متصوفا.

(٣) د : لما عملت بما عملت .

وَنَسِيتَ ما لَمْ يُنْسَ مِنْ لَذَّاتِها ... وَعَدَدْتَها مِنْ جُمْلَةِ الآثامِ

مَوْلايَ عُذْراً في القَرِيضِ فليسَ لِي ... في النَّظْمِ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ إلْمامِ

لوْ لم أَرُضْ عَقْلِي بِمَكْتَبِ صِبْيَةٍ ... حَمِيَتْ عَلَيَّ عَوارِضُ البِرْسامِ (١)

ما زِلْتُ أَرْغَبُ أَنْ أَكونَ مُعَلِّماً ... فيكونَ فَضْلِي مُكْمِلَ الإعْلامِ

قدْ صارَ كُتَّابِي وَبَيْتِيَ مِنْ بَنِي ... غَيْرِي (٢) وأبنائي كَبُرْجِ حَمامِ

أَعْطَيْتُهُمْ عَقْلِي وآخُذُ عَقْلَهُمْ ... فأَبِيعُ نوري منهمُ بِظَلامِ

لوْ أَنَّ لِي عَنْ كلِّ طِفْلٍ منهمُ ... أوْ طِفْلَةٍ شاةً مِنَ الأَنْعامِ

لَضَرَبْنَ اللامْثالِ لابنِ نِفايَةٍ ... مِنْ كَثْرَةِ الأَبْقارِ والأَغْنامِ

وَبَلِيَّتِي عِرْسٌ بُلِيتُ بِمَقْتِها ... والبَعْلُ مَمْقُوتٌ بغَيْرِ قِيامِ

جَعَلَتْ بإِفْلاسِي وَشَيْبِيَ حُجَّةً ... إذا صِرْتُ لاخَلْفِي ولا قُدَّامِي

بلغَتْ مِنَ الكِبَرِ العِتِيِّ (٣) ونَكَّسَتْ ... فِي الخَلْقِ وَهْيَ صَبِيَّةُ الأَرحامِ

إنْ زُرْتُها في العامِ يَوْماً أَنْتَجَتْ ... وَأَتَتْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ بِغُلامِ

أَوَ هذهِ الأَولادُ جاءَتْ كلُّها ... مِنْ فِعْلِ شَيْخٍ ليسَ بالقَوَّامِ

وَأَظُنُّ أَنَّهمُ لِعُظْمِ بَلِيَّتِي ... حَمَلَتْ بِهِمْ لاشَكَّ في الأَحْلامِ

أَوَ كُلَّ ما حَلِمَتْ به حَمَلَتْ به ... مَنْ لِي بأَنَّ الناسَ غيرُ نِيامِ

ياليْتَها كانَتْ عَقِيماً آيِساً ... أَوَ لَيْتَنِي مِنْ جُمْلَةِ الخُدَّامِ

أَوَ لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ تَزْوِيجِي بها ... لو كُنْتُ بِعْتُ حلالَها بِحَرامِ

---

(١) البرسام : كلمة فارسية أطلقها العرب على التهاب الصدر . (٢) عرس : زوجة .
(٣) د : غير . (٤) د : الفتى .

أوَ لَيتَنِي بعضُ الذينَ عرَفتُهُمْ ... ممَّنْ يُحَصِّنُ دينَهُ بِغُلامِ
كيفَ الخلاصُ مِنَ البَنِينَ ومِنهُمُ ... قومٌ وَرايَ وَآخَرُونَ أمامِي
لَمْ يُرْزَقِ الرِّزْقَ المُقيمَ بِأَهْلِهِ ... فَشَكَوْا عَنا بُعْدِي وَفَقْرَ مُقامِي
فارَقْتُهُمْ طَلَباً لِرِزْقِهِمْ فلا ... صَرْفِي يَسُرُّهُمُ وَلا اسْتِخْدامِي
مَنْ كانَ مِثْلِي لِلْعِيالِ فإنَّهُ ... بَعْلُ الأَرامِلِ أَوْ أَبُو الأَيْتامِ
أَصْبَحْتُ مِنْ حَمْلِي هُمُومَهُمُ عَلَى ... هَرَمِي كَأَنِّي حامِلُ الأَهْرامِ
فإنْ اعْتَذَرْتُ لَهُمْ عَنِ التَّقْصِيرِ فِي ... مَدْحِي الوَزِيرَ فَحُجَّةُ الأَقْدامِ
كالشَّيْبِ يُغْدِقُ بالهُمُومِ ذَنُوبَهُ ... والذَّنْبُ فيهِ لِكَثْرَةِ الأَعْوامِ (١)
لا بَلْ رَكِبْتُ لَهُمْ جَوادَ خَلاعَةٍ ... ما زالَ يَجْمَحُ بِي بِغَيْرِ لِجامِ
إنِّي امْرُؤٌ ما مَدَّ عَيْنَ خَلاعَتِي ... طَمَعٌ لِدِينارٍ وَلا دِرْهامِ
وَإذا مَدَحْتُ الأَكْرَمِينَ مَدَحْتُهُمْ ... بِجَوائِزِ الإِعْزازِ والإِكْرامِ
فاصْفَحْ بِحِلْمِكَ عَنْ قَوافِيَّ التي ... حَظِيَتْ لَدَيْكَ بِأَوْفَرِ الأَقْسامِ
إنْ يُحْيِي جُودُكَ لِي أَبا دُلَفٍ غَدا ... حَيًّا لَهُ فَضْلِي أَبا تَمَّامِ

وقال يهجو جماعة سرقوا حمارته :

أَرَى المُسْتَخْدَمِينَ مَشَوْا جَمِيعًا ... عَلَى غَيْرِ الصِّراطِ المُسْتَقِيمِ
مَعاشِرُ لَوْ وَلُوا جَنَّاتِ عَدْنٍ ... لَصارَتْ مِنْهُمُ نارَ الجَحِيمِ
فَما مِنْ بَلْدَةٍ إلَّا ومِنْهُمْ ... عَلَيْها كُلُّ شَيْطانٍ رَجِيمِ (٢)
فلَوْ كانَ النُّجُومُ لَها رُجُومًا ... إنْ خَلَتِ السَّماءُ مِنَ النُّجُومِ

---

(١) يغدق : يملأ . الذنوب : الدلو .
(٢) الرجوم : ما يرجم به .

وقال أيضا لما دخل إلى المَحَلَّة وعزموا[١] عليه بنو عَرَّام على دخول الحمام فأدخلوه ، فقال :

كُونُوا[٢] مَعِي عَونًا عَلَى الأَيَّامِ لاتَخْذُلُونى يابَنِى عرَّامِ
إنْ كانَ يُرْضِيكُمْ وحاشا فضلَكُمْ ضُرِّى[٣] فحَسْبِى زَلْقَةُ الحَمَّام

وقال وكتب بها للجناب العالى السابق ، يبسط له فى حق القاضى عماد الدين أبى طلحة [رحمهم الله أجمعين[٤]] :

ما فِى الزَّمانِ جَوادٌ يُرْجَى لِدَفْعِ العَظائمْ[٥]
وَلا لِنَيْلِ مُرادٍ ولا لِبَذْلِ المَكارِمْ
سِواكَ ياخَيرَ والٍ يُدْعَى ويا خَيْرَ حاكِمْ
انْظُرْ بِحَقِّكَ حالِى فأنتَ بالحالِ عالِمْ
إنَّ العِمادَ أرانا بأنّهُ الْيَوْمَ صائِمْ
وَليسَ يَرْجُو ثَوابًا وَلا يَخافُ مآثِمْ
وليسَ يَخْفَى عليه أنْ لاصِيامَ لِظالِمْ
وصَوْمُنا فى اتِّباعٍ لهُ صِيامُ البَهائمْ
فَخُذْ لنا اليَوْمَ منهُ غَداءَنا وهْوَ راغِمْ

(١) د : وعزموا . (٢) ت : كانوا. (٣) د : ضربى .
(٤) ما بين القوسين : زيادة فى ت . (٥) العظائم : الشدائد .

وقال :

سارَتِ العِيسُ يُرَجِّعْنَ الحَنِينا وَيُجَاذِبْنَ مِنَ الشَّوْقِ البُرِينا[1]
داميات مِنْ حَفًى أَخفافُها تَقْطَعُ البِيدَ سُهُولًا وحُزُونا
وَعَلَى طُولِ طَواها حُرِمَتْ عُشْبَهَا المُخْضَرَّ والماءَ المَعِينا
كلما جَدَّ بها الوَجْدُ إِلَى غَايَةٍ لَمْ تَدْرِها إِلَّا ظُنُونا
قُلْتُ لِلْحَادِي أَعِذْ أَشْواقَها بالسُّرَى إِنَّ مِنَ الشَّوْقِ جُنُونا[2]
آهِ مِنْ يَوْمٍ بِهِ أَبْكِي دَمًا إِنَّ لِلْعِيسِ وَلِي فِيهِ شُؤُونا
أَسَرَتْ أَلْبَابَنا لَمَّا سَرَتْ تَحْمِلُ الحُسْنَ بُدُورًا وغُصُونا
كلُّ سَمْرَاءَ وما أَنْصَفْتُها فَضَحَتْ سُمْرَ القَنا لَوْنًا وَلِينا
أَعْدَتِ القَلْبَ فُتُورًا وضَنًى لَيْتَهَا مِنْ وَسَنٍ تُعْدِي الجُفُونا[3]
ثَغْرُها الدُّرِّيُّ مِنْ أَنْفاسِهِ مِسْكُ دارِينَ وَخَمْرُ الأَنْدَرِينا[4]
أَخَذَتْ قَلْبِي وَصَبْرِي والكَرَى يَوْمَ بَيْعِي النَّفْسَ مِنها أَرَبُونا[5]
لا أَقالَ اللهُ لِي مِنْ حُبِّها بَيعَةً يَوْمًا وَلاَ فَكَّ رُهُونا[6]
صاحِبِي قِفْ بِي فإِنِّي لم أَجِدْ لِي عَلَى الوَجْدِ وَلا الصَّبْرِ مُعِينا
وَسَلِ الرَّبْعَ الذِي سُكَّانُهُ رَحَلُوا عنهُ عساهُ أَنْ يُبِينا
نَسَخَتْ آياتِهِ أَيْدِي البِلَى فأَرَتْ عَيْنِيَ منهُ الصَّادَ شِينا[7]

---

(١) يرجعن : يرددن . والبرين : جمع برة ، وهى حلقة توضع فى أنف البعير ، ويشد بها الزمام .
(٢) أعاذه : حماه بالتعاويذ التى تقرأ على المجانين ليفيقوا : أى جعل السرى مكان التعاويذ .
(٣) الوسن : النعاس . (٤) الأندرين : موضع بالشام . (٥) الأربون : العربون .
(٦) أقال البيع : فسخه .
(٧) الصاد شكله يشبه البيت المعمور ، والشين شكله يشبه البيت الخرب .

وَجَنوبٌ وَشَمَالٌ جَعَلا ... تُرْبَهُ فِي جَبْهَةِ الدَّهْرِ غضونا
فَثَرَاهُ وَحَصَاهُ أَبَدًا ... يَفْضُلانِ المِسْكَ وَالدُّرَّ الثَّمِينا
سَحَبَتْ فِيهِ الصَّبا أَذْيالَهَا ... بِمَدِيحِى لِإِمامِ المُرْسَلِينا
أَحْمَدَ الهادِى الَّذِى أُمَّتُهُ ... رَضِيَ اللهُ لَها الإِسلامَ دِينا
كانَ سِرًّا فِى ضَمِيرِ الغَيْبِ مِنْ ... قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ كَوْنٌ أَوْ يَكُونا
تَشْرِقُ الأَكْوانُ مِنْ أَنْوارِهِ ... كُلَّمَا أَوْدَعَها اللهُ جَبِينا[1]
أَسْجَدَ اللهُ لَهُ أَمْلاكَهُ ... يَوْمَ خَرُّوا لأَبِيهِ ساجِدِينا
ودَعَا آدَمُ باسْمِ المُصْطَفَى ... دَعْوَةً قالَ لَها الصِّدْقُ أَمِينا
فَتَلَقَّى آدَمٌ مِنْ رَبِّهِ ... كَلِماتٍ هُنَّ كَنْزُ المُذْنِبِينا
وَبِهِ جَنَّاتُ عَدْنٍ رُفِعَتْ ... عَلَمًا أَبْوابُها لِلْمُسْلِمِينا
ودُعُوا أَنْ تِلْكُمُ الدارُ لَكُمْ ... فادْخُلوها بِسَلامٍ آمِنِينا
وَبِهِ نُوحٌ دَعا فِى فُلْكِهِ ... فَأَغاثَ اللهُ نوحًا والسَّفِينا
وَأَغاثَ اللهُ ذَا النُّونِ بِهِ ... بَعْدَ ما أَغْرَى بِهِ فِى البَحْرِ نُونا[2]
وَشَفَى أَيُّوبَ مِنْ ضُرٍّ كَمَا ... سَرَّ يَعْقُوبَ وَقد كانَ حَزِينا
وَخَلِيلُ اللهِ هَمَّتْ قَوْمُهُ ... أَنْ يَكِيدُوهُ فَكانُوا الأَخْسَرِينا
وَبِنُورِ المُصْطَفَى إِطْفاءَ ما ... أَوْقَدُوهُ وَتَوَلَّوْا مُدْبِرِينا
وَجَدَتْهُ أَنْبِياءُ اللهِ فِى ... كُلِّ فَضْلٍ واجِدًا مايَجِدُونا

---

(١) الجبين : ناحية الجبهة ، وهما جبينان ، عن يمين الجبهة وشمالها . والمراد به هنا كل جد من أجداد الرسول .
(٢) النون : الحوت .

مَصْدَرُ الرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ فلا عَجَبٌ أنْ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينا
خَتَمَ اللهُ النَّبِيِّــينَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَجْبُلَ مِنْ آدَمَ طِينا
فَهْوَ فِي آبائِهِمْ خيرُ أبٍ وَهْوَ فِي أبنائِهِمْ خيرُ البَنِينا
قد عَلَا بالرُّوحِ والجِسْمِ عُلاً رَجَعَتْ مِنْ دونِها الرُّوحَ الأَمِينا
وَرَأَى مِنْ قابِ قوسَيْنِ الَّذِي رُدَّ مُوسَى دُونَه مِنْ طُورِ سِينا
وَوَجِيهاً كانَ مُوسَى عِنْدَهُ مِثْلَما قد كانَ جِبْرِيلُ مَكِينا
صَلَوَاتُ اللهِ ذِي الفَضْلِ عَلَى رُسُــلِ اللهِ إلينا أَجْمَعِينا
أكْرَمُ الخلْقِ هُمُ الرُّسْــلُ لنا وَأبو القاسِمِ خيرُ الأَكْرَمِينا
فتعالَى مَنْ بَرَا صُورَتَهُ مِنْ جَمَالٍ أُودِعَ الماءَ المَهِينا
وَاصْطَفَى مَحْتِدَهُ مِنْ دَوْحَةٍ أنْبَتَتْ أفْنانُها عِلْماً ودِينا
مِنْ أُناسٍ جانَبَتْ أحْسابُهُمْ طُرُقَ الذَّمِّ شِمالاً ويَمِينا
ما رَأَيْنا كَرَمَ الأخْلَاقِ فِي غَيْرِ ما يَأْتُونَهُ أَوْ يَدَّعُونا
يَغْضَبُ المَوْتُ إذا ما غَضِبُوا وَإذَا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونا
مَعْشَرٌ صانَهُمُ اللهُ لِأَنْ يُودَعُوا مِنْ أحمدَ السِّرَّ المَصونا
هَذَّبَ السُّؤْدُدُ أخلاقَهُمُ فَلَهُمْ مِنْ شَرَفٍ ما يَدَّعُونا
عَجَبًا والمُصْطَفَى الشَّمْسُ الَّذِي ظَهَرَتْ أنوارُهُ لِلْمُبْصِرِينا
شَهِدَ الكُفَّارُ بالغَيْبِ لَهُ وَأتاهُمْ فإِذَا هُمْ مُبْلِسونا[1]

---

(١) الإبلاس : الانكسار والحزن ، يقال أبلس فلان : إذا سكت غما .

أَغْلَقُوا بابَ الهُدَى مِنْ دُونِهِمْ بَعْدَ ما كانُوا بِهِ يَسْتَفْتِحُونا
وَعَمُوا عنــهُ فلا وَاللهِ ما تَنْفَعُ الشَّمسُ لَدَى القَوْمِ العَمِينا
وَأتاهُمْ بِكِتابٍ أُحْكِمَتْ منــه آياتٌ لقَوْمٍ يَعْقِلونا
سَمِعَتْهُ الإِنسُ وَالجِنُّ فما أنــكَرُوا مِنْ فَضْلِهِ الحقَّ المُبِينا
عَجَزُوا عَنْ سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَهُمُ الْيَوْمَ له مُسْتَسْلِمُونا
قال لِلْــكُفَّارِ إذْ أفْحَمَهُمْ بالتَّحَدِّى مالــكُمْ لاتَنْطِقُونا
قَصَّ ما يَأْتى عليهمْ مِثْلَمَا قَصَّ أَخْبارَ القُرُونِ الأَوَّلينا
وَأتَتْ أخْبارُهُ في حِكَمٍ فتَأَمَّلْها ثِمــارًا وَفُنُونا
قَسَمَ الرَّحْمَــةَ فِي قُرَّائِهِ وَعَذابَ الخِزْىِ فِي المُسْتَقْسِمِينا(١)
مالَهُ مِثْــلٌ وَفى أَمْثالِهِ أبَدًا مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينا
رَحِمَ اللهُ بِهِ الخلْقَ وَكَمْ أَهْلَكَ اللهُ بآياتٍ قُرُونا

وقال على لسان مسجد الشيخ عبد الظاهر ، إلى الملك الصالح ؛ وكان قد أخرج ثلاثة آلاف دينار صدقة على طلبة المدارس ، وفرض أمرها إلى الفقيه بهاء الدين المِسْرَدى ، ففوض أمرها إلى والده الشهاب ، رحمه الله تعالى :

لَيْتَ شِعْرِى مامُقْتَضَى حِرْمانى دُونَ غَيْرِى والالْفُ لِلرَّحمٰنِ
أتَرَانى لا أَسْتَحِقُّ لِــكَوْنى جامِعاً شَمْلَ قارِئِى القرآنِ

---

(١) المستقسمون : هم كفار قريش ، وكانوا يستقسمون بالسهام ، أى يضعون ويقولون أفعل أولا أفعل ، ويعملون بما يظهر لهم مهما كانت نتيجته .

أَمْ لِكَوْنى فِى إثْرِ كُلِّ صَلاةٍ بِىَ يُدْعَى لِدَوْلَةِ السُّلْطانِ
وبِأَىِّ الأَسْبابِ يُعْطَى مَكانٌ صَدَقاتِ السُّلطانِ دُونَ مَكانِ
حُمِلَتْ مِنْ عَطائِهِ أَلْفُ دِينا رٍ إِلَيْنا مِنْ بَعْدِها أَلْفانِ
ما أتاني منها ولا الدِّرْهَمُ الفَرْ دُ وَهذا حقيقَةُ العُدْوانِ
زَعَمَ ابنُ البَهاءِ أنَّ عطايا الْـمَلِكِ الصَّالِحِ العَظِيمِ الشَّانِ
ما كَفَتْ سائِرَ المدارِسِ أوْ ضُمَّ إليها مِنْ مالِها دِرْهَمانِ
وَلَعَمْرِى لَقَدْ تَوَفَّرَ نِصْفُ الْـمالِ مِنها وَرَاحَ فى النِّسْيان
إنْ أَكُنْ ما أَقولُهُ مِنه دَعْوَى فاطلُبُونى عليه بالبُرْهانِ
أوَ ما كانَ عِدَّةَ الفقَها ألْـفُ فَقِيهٍ مِنْ بَعْدِها مِئَتانِ
فاحْسُبوها بِمُقْتَضَى الصَّرْفِ دِينا رًا وَرُبْعاً لِلْجِلَّةِ الأَعْيانِ
تَجِدُوها أَلفاً وَخَمْسَ مِئاتٍ غَيْرَ ما خَصَّها مِنَ النُّقْصانِ (١)
والبِخاسِ الَّذِى أُضِيفَ إلَى النَّـفَقَةِ وَالبَخسِ مِنْ يَدِ الْوَزَّانِ
أنا لا أنْسُبُ البَهاءَ عَلَى ذا لِكَ إلاَّ لِقِلَّةِ الإِيمانِ
هُوَ وَلَّى أَهْلَ الخِيانَةِ فيها وَتَوَلَّى الجَوادِ كالخَوَّانِ (٢)
كُلَّما جاءَتِ الدَّنانيرُ يَنْـقَضُّ عليها البَهاءُ كالشَّيْطانِ
مَدَّ فيها يَدَ الخيانَةِ فامْتَدَّ إليه بالذَّمِّ كُلُّ لِسانِ

(١) جاء تحت هذا البيت ما نصه : وهو منع الغياب منها ومن حوصص أيضا أو ضمه موضعان (شرح البيت الأخير) كانت ورقة عدة الفقهاء ألفا ومائتى طالب فأخروا عنهم النفقة حتى خرج من خرج من المدرسة أيام البطالة، فنقص من العدة . وقوله : ومن حوصص يعنى طلبة المدرسة . ابن سكرى كان أعطى كل طالب ستة . وسلما ومن ضمه موضعان ، أى يكون اسم الطالب فى مدرستين وثلاثة، فيعطى عن أحدهم وينزل عن الباقى . (٢) ت : هؤلاء أهل الخيانة فيها .

وَلعَمْرِى لَوِ اتَّقَى اللهَ فى السِّـــرِّ اتَّقَتْهُ الأَنامُ فى الإعْلانِ

وَعَلَى كلِّ حالَةٍ أَحْمَدُ اللَّـــهَ الَّذِى مِنْ سُؤالِهِ أَعْفانى

فلقَدْ حَلَّ فى المَدارِسِ فى الأَخْـــذِ كَثْرَةُ الأَذَى وَالهَوانِ

وَأُزِيلَتْ بالسَّبِّ أَعْرَاضُ مَنْ فيـــها فما قامَ الرِّبْحُ بالخُسْرانِ

كيفَ أنْسَى قَوْلَ الشِّهَابِ جِهارًا قَبَّحَ اللهُ كلَّ ذِى طَيْلَسانِ

خَدَعُونا واللهِ مِمَّا يَمُدُّو نَ أكُفًّا كَكِفَّةِ المِيزانِ

آهِ واضَيْعَةَ المَساكِينِ إن وُلِّـــىَ أَمْرَ الطَّعامِ فى رَمَضانِ

وقال يهجو عامل أُشوان :

انظُرْ بحَقِّكَ فى أمرِ الدَّواوِينِ فالكلُّ[1] قد غيَّرُوا وضْعَ القوانِينِ

لَمْ يَبْقَ شَىءٌ عَلَى ما كُنْتَ تَعْهَدُهُ إلَّا تَغَيَّرَ مِنْ عالٍ إلَى دُونِ

الكاتِبُونَ ولَيْسُوا بالــرامِ فما منهمْ على المالِ إِنْسانٌ بمَأْمُونِ

والكُلُّ جَمْعاً بِبَذْلِ المالِ قد خَدَمُوا وما سَمِعْنَا بهذا غيرَ ذا الحِينِ

فَهُمْ على الظَّنِّ لا التَّحْقيق بَذْلُهُمُ وما تَحَقُّقُ أمرٍ مِثْلَ مَظْنُونِ

نالوا مناصِبَ فى الدُّنيا وأخرَجَهُمْ حُبُّ المَناصِبِ فى الدُّنيا[2] على الدِّينِ

قد طالَ ماطُرِدُوا عنها ومااَنطَرَدُوا إلَّا وقَوْمٌ عليها كالذَّبابِينِ

وَطالما قُطِّعَ أَذْنابُ الكِلابِ لَهُمْ[3] فاسْتُخْدِمُوا بَعْدَ تَقْطِيعِ المَصارِينِ

---

(١) ساقطة من د . (٢) ت : على الدين . (٣) ت : بهم : بدلا من لهم .

قَدْ يَنفَعُ النَّاسَ حَتَّى الحَشُّ مِنْ غَرَضٍ   وَغَيْرُهُ مِنْ رَيَاحِينٍ وَبَشْنِينِ[1]
ضُمَّانُ رِيحٍ بِطَيْرٍ فَوْقَ طَائِرِهِمْ   يَطِيرُ وَالرِّيحُ شُيَّاعٌ بِمَضْمُونِ
لَوْ أَمْكَنَ القَوْمَ وَزْنُ المَالِ لَا تَّخَذُوا   لَهُ المَوَازِينَ مِنْ بَعْدِ القَبَابِينِ
وَمَسْحَهُمْ لِلسَّمواتِ العُلَى افْتَعَلُوا   فِيهَا كَمَا يَفْعَلُ المَسَّاحُ لِلطِّينِ
وَلَمْ يُبَالُوا بِرَجْمِ الغَيْبِ مِنْ أَحَدٍ   كَلَّا وَلَا بِرُجُومٍ لِلشَّيَاطِينِ
عَزُّوا وَأَكْرَمَهُمْ قَوْمٌ لِحَاجَتِهِمْ   مَا نَالَهُمْ بَعْدَ ذَاكَ العِزِّ مِنْ هُونِ
وَطَاعَنُوا النَّاسَ بِالأَقْلَامِ وَاسْتَلَبُوا   مِنْهُمْ بِهَا كُلَّ مَعْلُومٍ وَمَكْنُونِ
وَمِنْ مَوَاشٍ وَأَطْيَارٍ وَآنِيَةٍ   وَمِنْ زُرُوعٍ وَمَكْيُولٍ وَمَوْزُونِ
لَهُمْ مَوَاقِفُ فِي حَرْبِ الشُّرُورِ كَمَا   حَرْبُ البَسُوسِ وَحَرْبُ يَوْمَ صِفِّينِ
لَا يَكْتُبُونَ وُصُولَاتٍ عَلَى جِهَةٍ   مُفَصَّلَاتٍ بِأَسْمَاءٍ وَتَبْيِينِ
إِلَّا يَقُولُونَ فِيمَا يَكْتُبُونَ لَهُ   مِنَ الحُقُوقِ وَمَاذَا وَقْتُ تَعْيِينِ
فَاسْمَعْ وَكَاسِرْ وَحَسِّ الرِّيحَ يَا فَطِنًا   فَلَسْتَ أَوَّلَ مَقْهُورٍ وَمَغْبُونِ
هُمُ اللُّصُوصُ وَمِنْ أَقْلَامِهِمْ عُتُلٌ   بِهَا يَسَفُّونَ أَمْوَالَ السَّلَاطِينِ
وَكُلُّ ذَلِكَ مَصْرُوفٌ وَمَصْرِفُهُمْ   لِلشَّيْخِ يُوسُفَ أَبِي هَبْصٍ بْنِ لَطْمِينِ
وَلِلشَّرَابِ وَتَبْيِيتِ الخُطَّاءِ بِهِ   يَجْلُو العُقَارَ بِأَجْنَاسِ الرَّيَاحِينِ
وَلِلعُلُوقِ وَأَنْوَاعِ الفُسُوقِ مَعًا   وَلِلْخُرُوقِ الكَثِيرَاتِ التَّلَاوِينِ
وَلِلْبِغَالِ الوَطِيَّاتِ الرِّكَابِ تَرَى   غِلْمَانَهُمْ خَلْفَهُمْ فَوْقَ البَرَاذِينِ

(١) الحش بفتح الحاء : النخل القصير الناقص النمو . البشنين : نوع من الأزهار .

وَ لِلْمَنَادِيلِ فِى أَوْساطِ مَنْ مَلَكُوا ... وَ لِلْمَنَاطِقِ فِيهَا وَالْهَمايِينِ
وَ لِلرِّبَاعِ [(١)] العَوَالِى الِارْتِفاعِ بِنا ... وَ لِلْبَسَاتِينِ تُنْشَا وَالدَّكَاكِينِ
وَ لِلْفِجَاجِ وَ حُمْلانِ النِّعَاجِ وَأَطْيَارِ الدَّجاجِ وَأَنْوَاعِ السَّمامِينِ
وَلِلشَّبارِى [(٢)] وَ لِلْأَنْطاعِ تُفْرَشُ فِى ... تَمُّوزَ فَوْقَ رُخَامٍ فِى الأَوَاوِينِ
وَ لِلْمَجَالِسِ فِى أَوْساطِها خَرَكٌ [(٣)] ... وَلِلطَّنَافِسِ فِى أَيَّامِ كانُونِ
وَلَسْتُ [(٤)] أَحْصُرُ أَلْوَاناً لِأَطْعِمَةٍ ... تَفَنَّنَ الْقَوْمُ فِيها كُلَّ تَفْنِينِ
وَ لِلْمَلابِسِ كَمْ ثوْبٍ مُلوَّنَةٍ ... فِيهَا العِرَاقِى مَعَ الهِنْدِىِّ وَالْبُونِى [(٥)]
وَكَمْ ذَخَائِرَ مَا عِنْدَ الْمُلُوكِ لَها ... مِثْلٌ فَمِنْ مُودَعٍ سَقْفاً وَمَدْفُونِ
وَكَمْ مجالِسِ أُنْسٍ عُيِّنَتْ لَهُمُ ... تُنْسِى الهُمُومَ وَتُسْلِى كُلَّ مَحْزُونِ
وَكَمْ حُلِىِّ نِساءٍ لاَ يُثَمِّنُهُ ... مُقَوِّمٌ قَطُّ فِى الدُّنْيا بِتَثْمِينِ
فَقُلْ لِسُلْطَانِ مِصْرٍ وَالشَّامِ مَعاً ... يا قَاهِرًا غَيْرَ مَخْفِىِّ الْبَرَاهِينِ
وَمَنْ يُخَوِّفُ مِنْ سَيْفٍ بِرَاحَتِهِ ... ذَوِى السُّيُوفِ وَأَصْحَابَ السَّكَاكِينِ
اكْشِفْ بِنَفْسِكَ أَسْوَاناً وَمَنْ مَعَها ... مِنَ الصَّعِيدِ بِلاَ قَوْمٍ مَساكِينِ
عُمَّالُها [(٦)] قَدْ سَبَوْهُمْ مِنْ تَطَلُّبِهِمْ ... ما لا يَكُونُ بِمَفْرُوضٍ وَمَسْنُونِ
كُلٌّ تَرَى كاتِباً لِلسُّوءِ يَنْظُرُهُ [(٧)] ... لِنَهْبِهِمْ كَمْ كَذَا [(٨)] عامٍ وَكَمْ حِينِ
سَبَوُا الرَّعِيَّةَ لَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ ... ولا أَمانَةَ لِلْقِبْطِ المَلاعِينِ

---

(١) د : للرياح .
(٢) وللشباذى . والصواب الشبارى جمع شبرية وهى كلمة عامية تطلق على سرير قوائمه من الخشب وسطحه من حبال متخذة من الليف . (٣) خرك : كلمة تركية ، وهى نوع من الأبسطة (٤) د : وليس .
(٥) البونى : نسبة إلى بون ، كورة فى اليمن ، ويفتح الباء بلدة بإفريقية .
(٦) د : عاملى (٧) تظلمهم . (٨) ت : يرى .

لاَ تَأْمَنَنَّ عَلَى الْأَمْوَالِ سَارِقَهَا ⁂ ولا تُقَرِّبْ عَدُوَّ اللهِ والدِّينِ
وخلِّ غَزْوَ هلاكو[1] وَالفرَنْسِ مَعًا ⁂ وانْهَضْ بِفُرْسانِكَ الغُرِّ المَيامِينِ[2]
واغْزُنَّ عامِلَ أَسْوَانَ تنالُ بِهِ ⁂ جَنَّاتِ عَدْنٍ بِإِحْسانٍ وَتَمْكِينِ
وكُلَّ أَمْثالِهِ فى القِبْطِ اُغْزُهُمُ ⁂ فالغَزْوُ فِيهِمْ حَلالُ الدَّهْرِ والحِينِ
وَاسْلُبْهُمُ نِعَماً قَدْ شاطَرُوكَ بِها ⁂ كَمَا يُشَاطِرُ فَلَّاحُ الْفَدَادِينِ
فَقَدْ تَوَاطَوْا عَلَى الْأَمْوَالِ أَجْمَعِها ⁂ وَفَذْلَكُوا كُلَّ تِسْعِينٍ بِعِشْرِينِ
وَصانَعُوا كُلَّ مُسْتَوْفٍ إِذَا رَفَعُوا ⁂ لَهُ الحِسابَ بِسُحْتٍ كالطَّوَاعِينِ[3]
وَرَبَّحُوهُ فقالَ الشَّيْخُ وَالدُّنا ⁂ قَسُّ الْقُسُوسِ وَمُطْرانُ المَطارِينِ
مِنَّا لَهُ العُذْرُ فِيما حَلَّ يَقْبَلُهُ ⁂ إِمَّا بِرَسْمِ مِدَادٍ أَوْ لِصابُونِ
وَلِلزُّيُوتِ وَإِيقادِ الْكَنائِسِ كَمْ ⁂ وَلِلدَّقِيقِ المُهَيَّا لِلْقَرَابِينِ
فَذَاكَ فِى الصَّدَقاتِ الجارِياتِ بِهِ ⁂ يُسْحَبْ عَلَى الْوَجْهِ أَوْ يُقْلَبْ بِسِجِّينِ[4]
وَكَيْفَ يَقْبَلُ بِرًّا مِنْ مُصانَعَةٍ ⁂ ومِنْ سحابٍ بِتَحْرِيكٍ وَتَسْكِينِ
وَكَيْفَ يَقْبَلُ مِنْها مِنْ مُصانَعَةٍ ⁂ مِنْ كُلِّ مِسْكِينَةٍ فِيهِ وَمِسْكِينِ
كَمْ هَكَذَا سَرَقُوا كَمْ هَكَذَا ظَلَمُوا ⁂ كَمْ هَكَذَا أَخَذُوا مالَ السَّلاطِينِ
أَتُرْكُ ذَنْبٍ[5] وَسُؤَّالٌ لِمَغْفِرَةٍ ⁂ عِنْدَ الْإِلٰهِ لِقَوْمٍ كالجانِينِ
وَقالَ قَوْمٌ لَقَدَ أَحْصَى مَنالَهُمُ ⁂ وَقامَ فِيها بِمَفْرُوضٍ وَمَسْنُونِ
فَقُلْتُ وَاللهِ مَا وَصْفِى لأَنْشُرَها ⁂ فِيما يَقُومُ بِهِ شَرْحِى وَتَبْيِينِى
وَإِنَّما ذاكَ مَجْهُودِى وَمَقْدُرَتِى ⁂ وَطاقَتِى فِى حِجاناتِ الثَّعابِينِ

(١) فى ص : هلاوون ، وفى ت : هولاوت . (٢) ت : والفرنسى .
(٣) سحت : الحرام . (٤) سجين : واد بجهنم .
(٥) د : فترك ذلب أسوال مغفرة . ت : فترك ذنب ولا سؤال مغفرة ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

وقال :

ثَكِلْتُ[١] طوائفَ المُسْتَخْدَمِينَا   فَلَمْ أرَ فِيهِمُ رَجُلاً أمِينَا
فَخُذْ أخْبارَهُمْ مِنِّى شِفاهاً   وَأنْظِرْنِي[٢] لَأُخْبِرَكَ اليَقِينا
فَقَدْ عاشَرْتُهُمْ وَلَبِثْتُ فِيهِمْ   مَعَ التَّجْرِيبِ مِنْ عُمْرِى سِنِينا
حَوَتْ بُلْبَيْسُ طائِفَةً لُصُوصاً   عَدَلْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ مِئِينا
فُرَيْجِي[٣] والصَّفِيَّ وَصاحِبَيْهِ   أبَا يَقْطُونَ وَالنَّشْوَ السَّمِينا
فَكُتَّابُ الشِّمالِ هُمُ جَمِيعاً   فلا صَحِبَتْ شِمالُهُمُ اليَمِينا
وَقَدْ[٤] سَرَقُوا الغِلالَ وما عَلِمْنا   كما سَرَقَتْ بَنُو سَيْفٍ الجُرُونا
وَكَيْفَ يُلامُ فُسَّاقُ النَّصَارَى[٥]   إذَا خانَتْ عُدُولُ المُسْلِمِينا
وَجُلُّ النَّاسِ خَوَّانٌ وَلٰكِنْ   أُناسٌ مِنْهُمُ لا يَسْتُرُونا
وَلَوْلا ذاكَ ما لَبِسُوا حَرِيرًا   ولا شَرِبُوا خُمُورَ الأنْدَرِينا
ولا رَبَّوا مِنَ المُرْدانِ قَوْمًا[٦]   كَأغْصانٍ يَقُمْنَ[٧] وَيَنْحَنِينا
وَقَدْ طَلَعَتْ لِبَعْضِهِمُ ذُقُونٌ   وَلٰكِنْ بَعْدَ ما نَتَفُوا[٨] ذُقُونا
بِأَيِّ أمَانَةٍ وَبِأَيِّ ضَبْطٍ   أرُدُّ عَنِ الخِيانَةِ فاسِقِينا
ولا كِيسًا وَضَعْتُ عَلَيْهِ شَمْعًا   ولا بَيْتاً وَضَعْتُ عَلَيْهِ طِينا
وَأقْلامُ الجَماعَةِ جائِلاتٌ   كَأسْيَافٍ بِأيْدِى لاعِبِينا
فإنْ[٩] ساوَقْتَهُمْ حَرْفًا[١٠] بِحَرْفٍ   فَكُلُّ اسْمٍ يَحُطُّوا مِنْهُ سِينا

---

(١) فوات الوفيات : نقدت .   (٢) ت : انظر .   (٣) ت : فريجا .
(٤) فوات : فكم .   (٥) د : فتيان .
(٦) فوات : مردا   (٧) فوات : يملن .
(٨) فوات : حلقوا .   (٩) فوات فقد .
(١٠) بدل « فإن » ساوقتهم ، كذا فى الأصل ولعلها ساومتهم . وفى رواية الوفيات : ساوفتهم بالفاء .

ولا تَحْسَبْ حِسابَهُمُ صَحِيحاً فإن بخصْمِهِ الدَّاءَ الدَّفِينا
أَلَمْ تَرَ بَعْضَهُمْ قَدْ خانَ بعْضًا وعَنْ فِعْلِ الصَّفا سَلَّ المَكِينا
وَلَمْ يَتَقاسَمُوا[1] الأَسفالَ إلَّا لأَنَّ الشَّيْخَ مَا احْتَمَلَ الْغُبُونا
أَقامُوا[2] فى البِلادِ لهُمْ جُباةً لِقَبْضِ مُغَلِّها كالمُقْطَعِينا
وَ إنْ كَتَبُوا لِجُنْدِىٍّ وُصُولاً عَلَى بَلَدٍ أَصابَ بِهِ كَمِينا
وَما نَقْـدِيَةُ السُّلْطانِ إِلَّا مَعَ المُسْتَخْدَمِينَ مُجَرَّدِينا
فَـكَمْ رَكِبُوا لِخِدْمَتِهِمْ نهارًا وَلَيْـلاً يَسْأَلُونَ وَيَضْرَعُونا
وكَمْ وَقَفُوا بأَبْوَابِ النَّصَارَى عَلَى أَسْيافِهِمْ مُتَوَكِّئِينا
وَلَمْ يَنْفَعْهُمُ البَرْطِيلُ[3] شَيْئًا وما ازْدَادُوا بِهِ إِلَّا دُيُونا
كأَنَّهُمُ نِساءٌ مَاتَ بَعْـلٌ لَهُ وَلَدٌ فَوُرِّثْنَ الثُّمَيْنا[4]
وقَدْ تَعِبَتْ خُيُولُ الْقَوْمِ مِمَّا يَطُوفُونَ الْبِلادَ وَيَرْجِعُونا
عذَرْتُهُمُ إِذَا باعُوا حَوالا تِهِمْ بالرُّبْعِ لِلْمُسْتَخْدَمِينا
وَأَعْطَوْهُمْ بِها عِوَضاً[5] فَكانُوا لِنِصْفِ الرُّبْعِ فِيهِ خاسِرِينا
أَمَوْلَانا[6] الوزِيرَ غَفَلْتَ عَمَّا يُهِمُّ مِنَ الـكِلابِ الخائِنِينا
أَتُطْلِقُ جامِكِيَّاتٍ[7] لِقَوْمٍ وتُنْفِقُ فَىْءَ قَوْمٍ آخَرِينا
فلا تُهْمِلْ أُمورَ المُلْكِ حَتَّى يَذِلَّ الجُنْدُ لِلْمُتَعَمِّمِينا
فَهَلْ مَلَـكُوا بأَقْلامٍ قِلاعًا وَهَلْ فَتَحُوا بأَوْرَاقٍ حُصُونا

---

(١) ت : ولم يتقاسم . الأسفال : هكذا فى الأصل ولعلها الأسغال بالغين ، جمع سغل بفتح فسكون أو سغل على وزن كتف ومعناه : المتخدد المهزول .

(٢) ت : وقاموا . (٣) البرطيل : الرشوة .

(٤) الثمينا : تصغير الثمن وهو ما يخص الزوجة ذات الأولاد من ميراث زوجها .

(٥) ت : عرضا . (٦) فوات : أمولاى. (٧) جامكيات: كلمة فارسية معناها معاشات .

وَمَنْ قَتَلَ الفَرَنْجَ أَشَدَّ قَتْلٍ   وَمَنْ أَسَرَ الفَرَنْسِيسَ اللَّعِينا
ومنْ خاضَ الهواجِرَ وَهْوَ ظامٍ   إِلَى أَنْ أَوْرَثَ التَّتَرَ المَنُونا
ولاقُوا المَوْتَ دُونَ حريمِ مِصْرٍ   وَصانُوا المَالَ مِنْهُمْ وَالْبَنِينا
وَلَمْ تُؤْخَذْ كما أُخِذَتْ دِمَشْقٌ   ولا حُصِرَتْ كَمَيًّا فارِقِينا
وَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِأَخْذِ مَالٍ   مِنَ الأَتْرَاكِ وَالْمُتَجَنِّدِينا(١)
وَمَنْ لَمْ يَدَّخِرْ فَرَسًا جَوَادًا   لِوَاقِعَةٍ وَلا سَيْفًا ثَمِينا
فَبَعْدَ المَوْتِ قُلْ لِي أَىُّ شَىْءٍ   لَهُ فِي بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينا
إِذَا أُمَنَاؤُنَا قَبِلُوا الْهَدَايا   وَصَارُوا يَتْجَرُونَ وَيَزْرَعُونا
فلِمْ لا شاطَرُوا فِيما اسْتَفَادُوا   كما كانَ الصَّحَابَةُ يَفْعَلُونا
وَكُلُّهُمُ عَلَى مَالِ الرَّعَايا   وَمالِ رُعَاتِهِمْ يَتَحَيَّلُونا
تَحَيَّلَتِ(٢) الْقُضَاةُ فَخَانَ كُلٌّ   أَمانَتَهُ وَسَمَّوْهُ الْامِينا
وَكَمْ جَعَلَ الْفَقِيهُ الْعَدْلَ ظُلْمًا   وَصَيَّرَ بَاطِلاً حَقًّا مُبِينا
وما أَخْشَى عَلَى أَمْوَالِ مِصْرٍ   سِوَى مِنْ مَعْشَرٍ يَتَأَوَّلُونا
يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ لَنا حُقُوقٌ   بِها وَلَنَحْنُ أَوْلَى الآخِذِينا
وَقَالَ الْقِبْطُ إِنَّهُمُ بِمِصْرَ الْـ   ـمُلُوكُ وَمَنْ سِوَاهُمْ غَاصِبُونا(٣)
وحَلَّتِ الْيَهُودُ بِحِفْظِ سَبْتٍ   لَهُمْ مَالَ الطَوَائِفِ أَجْمَعِينا
فلا تَقْبَلْ مِنَ النُّوَّابِ عُذْرًا   ولا النُّظَّارِ فِيما يُهْمِلُونا

---

(١) د : المستخدمينا .   (٢) د : تفقهت .

(٣) هذا البيت ورد فى وفيات الوفيات هكذا :

وقال القبط نحن ملوك مصر   وإن سواهم هم غاصبونا

فلا تَستأْصِلِ الاموَالَ حَتَّى ... يَكُونُوا كلُّهُمْ مُتَوَاطِئِينا
وَإِلَّا أيُّ مَنْفعَةٍ بِقَوْمٍ ... إِذَا استَحْفَظْتَهُمْ لاَ يحْفَظُونا
أَليْسَ الآخِذُونَ بِغيْرِ حَقٍّ ... لِمَا فَوْقَ الْكِفَايَةِ خَائِنِينا
وَأَنَّ الْكَانِزِينَ المَالَ مِنْهُمْ ... أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَا
تَوَرَّعَ مَعْشَرٌ مِنْهُمْ وَعُدُّوا ... مِنَ الزهَّادِ وَالْمُتَوَرِّعِينَا
وَقِيلَ لَهُمْ دُعاءٌ مُسْتَجَابٌ ... وَقَدْ مَلَئُوا مِنَ السُّحْتِ البُطُونا
فلا تَقْبَلْ عَفافَ المَرْءِ حَتَّى ... تَرَى أَتْبَاعَهُ مُتَعَفِّفِينا
ولا تُثْبِتْ لهُمْ عُسْرًا إِذَا مَا ... غَدَتْ أَلْزَامُهُ مُتَمَوِّلِينا
فإِنَّ الأَصْلَ يَعْرَى عَنْ ثِمَارٍ ... وَأَوْرَاقٍ وَيَكْسُوها الْغُصُونا
فإِنَّ قَطائِعَ الْعُرْبَانِ صَارَتْ ... لِعُمَّالٍ لهَا ومُشَارِفِينا
فوُلِّيَ أَمْرَها ابْنُ أَبِي مُلَيْحٍ ... فأَصْبَحَ لا هَزِيلَ وَلاَ سَمِينا
وناطَحَ وَهْوَ أقْرَعُ كلَّ كَبْشٍ ... فَكَيْفَ وَقَدْ أصابَ لهُ قُرُونا
وَقَدْ شَهِدَتْ بِذَاهِلْبا سُوَيْدٍ ... وَهِلْبا بَعْجَةٍ[1] حَرْبًا زَبُونا
وكَمْ رَاغَتْ لِبَغْلَتِهِ شِمالًا ... وكَمْ رَاغَتْ لِبَغْلَتِهِ يَمِينا
وَلَوْلاَ ذَاكَ مَا وَلَّوا فِرَارًا ... مِنَ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ لِطُورِسِينا
إِذَا نَثَرُوا الدَّرَاهِمَ فِي مَقامٍ ... ظَنَنْتَ بِهِ الدَّرَاهِمَ يَاسَمِينا
إِذَا جَيَّشْتَ[2] جَيْشًا فِي غَزَاةٍ ... تَرَى كُتَّابَهُمْ مُتَبَاشِرِينا

---

(١) هلبا سويد وهلبا بعجة : بلدتان من أعمال بلبيس .

(٢) ت : جهزت .

وَإِنْ رَجَعُوا لأَرْضِهِمُ(١) بخَيْرٍ فَلَمْ تَرَ كاتِبًا إلَّا حَزِينا
وَقَدْ ثَبَتَتْ عَداوَتُهُمْ فَمَيِّزْ بِعَيْنِكَ مَنْ يَكُونُ لَهُ مُعِينا
ولَمَّا أنْ دُعُوا لِلْبابِ قُلْنا بأَنَّ القَوْمَ لاَ يَتَخَلَّصُونا
وكانُوا قَدْ مَضَوْا وَهُمُ عُرَاةٌ(٢) فَجاءوا بَعْدَ ذَلِكَ مُكْتَسِينا
وصارُوا يَشْكُرُونَ السِّجْنَ حَتَّى تَمَنَّى النَّاسُ لَوْ سَكَنُوا السُّجُونا
فقُلْتُ لَعَلَّكُمْ فِيهِ وَجَدْتُمْ بِطُولِ مُقامِكُمْ مالًا دَفِينا
فقالُوا : لا وَلٰكِنَّا أسَأْنا بأَنْفُسِنا وَخالَفْنا الظُّنُونا
وَقُلْنا : المَوْتُ ما لابُدَّ مِنْه فَماذَا بَعْدَ ذٰلِكَ أنْ يَكُونا
فلَمْ نَتْرُكْ مِنَ الأَقْوالِ شَيْئًا وخاطَرْنا وجِئْنا سَالِمِينا
نُحِيلُ عَلَى الْبِلادِ بِغَيْرِ حَقٍّ أُناسًا يَعْسِفُونَ وَيَظْلِمُونا
وَإِنْ مَنَعُوا تَقَوَّلْنا عَلَيْهِمْ بأَنَّهُمُ عُصَاةٌ مُفْسِدُونا
وَجَهَّزْنا وُلاَةَ الْحَرْبِ لَيْلاً عَلَى أنْ يَكْبِسُوهُمْ مُصْبِحِينا
فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ وَصُلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينا
فَجِئْنا بالنِّهابِ وَبالسَّبايا وجاءوا بالرِّجالِ مُصَفَّدِينا
وَجِنٌّ مَشَارِفٍ(٣) بَعَثُوا شُهُودًا فإنَّ مِنَ الوُثُوقِ بِهِمْ جُنُونا
وَمَنْ أَلِفَ الخِيانَةَ كَيْفَ يُرْجَى لَهُ أنْ يَحْفَظَ اللِّصَّ الْخَئُونا
وما ابنُ قُطَيَّةٍ(٤) إلَّا شَرِيكٌ لهُمْ فى كُلِّ مَا يَتَخَطَّفُونا

(١) ت : أرضهم . (٢) د : وهم . (٣) ت : مشاف .
(٤) قطية : بلدة فى مديرية الشرقية بالقرب من الصالحية .

أغارَ عَلَى قُرَى فَاقوسَ مِنهُ ... بِجوْرٍ[1] يَمنَعُ النَّوْمَ الجُفُونا
وَجاسَ خِلالَهَا طُولًا وَعَرْضًا ... وغادَرَ عالِيًا مِنْها حُزُونا
فَسَلْ أذْنِينَ[2] وَالبَيْرُوقَ عَنْهُ ... وَمَنْزِلَ حَاتِمٍ وسَلِ الْعَرِينا
فَقَدْ نَسَفَ التِّلالَ الْحُمرَ نَسْفًا ... وَلَمْ يَتْرُكْ بِعَرْصَتِهَا جُرُونا
وَصَيَّرَ عَيْنَهَا حِمْلًا وَلٰكِنْ ... لِمَنْزِلِهِ وَغَلَّتَهَا خَزِينا
وَأَصْبَحَ شُغْلُهُ تَحْصِيلَ تِبْرٍ ... وكانَتْ رَاؤُهُ مِنْ قَبْلُ نُونا
وَقَدَّمَهُ الَّذِينَ لَهُمْ وُصُولٌ ... فَتَمَّمَ نَقْصَهُ صِلَةُ اللذِينا
وفى دَارِ الْوِلايَةِ[3] أىُّ نَهْبٍ ... فَلَيْتَكَ لَوْ نَهَبْتَ النَّاهِبِينا
ومافِرْعَوْنُ[4] فِيها غَيْرَ مُوسَى ... يَسُومُ الْمُسْلِمينَ أَذًى وهُونا
إِذَا أَلْقَى بِهَا مُوسَى عَصَاهُ ... تَلَقَّفَتِ الْقَوَافِلَ والسَّفِينا[5]
وَفِيهَا عُصْبَةٌ لا خَيْرَ فِيهِمْ ... عَلَى كُلِّ الْوَرَى يَتَعَصَّبُونا
وَشاهِدُهُمْ إِذَا اتُّهِمُوا يُؤَدِّى[6] ... عَنِ الْكُلِّ الشَّهَادَةَ وَالْيَمِينا
وَمَنْ يَسْتَعْطِ بِالأَقْلامِ رِزْقًا ... تَجِدْهُ عَلَى أَمانَتِهِ ضَنِينا[7]
وَلَسْتُ مُبَرِّئًا كُتَّابَ دَرْجٍ ... إِذَا اتُّهِمَتْ لَدَىَّ النَّاسِخُونا
فَهاكَ قَصِيدَةً فى السِّرِّ مِنِّى ... حَوَتْ مِنْ كُلِّ وَاقِعَةٍ فُنُونا

---

(١) ت : بجود . د لجور (٢) د : أزنين (٣) فوات : الوكالة
(٤) هذا الشطر ورد فى فوات الوفيات هكذا : فقام بها يهودى خبيث
(٥) ت : السنينا (٦) د : بقيوا . ت : بقيت. (٧) ظنينا

وقال لما سُرقت حمارته :

قُلْتُ لَكُمْ عِنْدَ السُّرَّاقِ مَبلَغٌ أخذِى عَنِ المَذْكُورِ مامَعْناهُ
لاَ تجْعَلُونى فى الْحَمِيرِ كَناظِمٍ سَرَقَتْ يَداهُ فقُطِّعَتْ أُذْناهُ

فى بَعْضِ[٢] تواريخ مصر أن الملك الظاهر عين أربعة قضاة. لكل مذهب قاضيا ؛ فنظم البوصيرىُّ هذه الأبيات :

غَدا جَامعُ ابنِ العاصِ كهفَ أَئِمَّةٍ فلِلهِ كَهفٌ لِلأئمَّةِ جَامِعُ
لَقَدْ سَرَّنَا أنَّ القُضاةَ ثَلاثَةٌ وأنكَ تَاجَ الدِّينِ لِلْقَوْمِ رَابعُ
بهِمْ بِنْيَةُ الْإِسْلامِ صَحَّتْ وكيفَ لا تَصِحُّ وهُمْ أرْكَانُهَا والطَّبائِعُ
فَهمْ رُخَصًا أَبْدَوْا لنا وَعَزَائِمًا هُدِينا بِها فَهْىَ النُّجُومُ الطَّوَالِعُ
فَلاَ تَبتَئِسْ إنْ وَسَّعَ اللهُ فى الْهُدَى مذاهِبَنا بالعِلمِ واللهُ واسعُ
تفَرَّقَتِ الآرَاءُ وَالدِّينُ واحِدٌ وكُلٌّ إلى رَأْيٍ مِنَ الحَقِّ رَاجعُ
فَهذَا اخْتِلافٌ جرَّ لِلْخَلْقِ راحَةً[١] كما اخْتَلَفَتْ فى الرَّاحَتَيْنِ الأصابعُ

القصيدة المُضَرِيَّة فى الصلاة على خير البرية[٣] :

يارَبِّ صَلِّ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ وَالأَنْبياوَجميعِ الرُّسْلِ مَاذُكِرُوا
وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الهَادِى وَشِيعَتِهِ وَصَحْبِهِ مَنْ لِطَىِّ الدِّين قَدْنَشَرُوا
وَجاهَدُوا مَعَهُ فى اللهِ وَاجْتَهَدُوا وهاجَرُوا ولَهُ آوَوْا وَقَدْ نَصَرُوا
وَبَيَّنُوا الفَرْضَ وَالمَسْنُونَ وَاعتَصَبُوا للهِ وَاعتَصَمُوا باللهِ وَانتَصَرُوا

---

(١) هكذا فى الأصل .
(٢) هذه القصيدة وردت فى « ت » ولم ترد فى د : ولذلك وضعتها فى نهاية الديوان
(٣) نقلتها عن المجمعة الكبرى فى القصائد الفخرى طبع تركيا ص ٧٠ .

أَزْكَى صَلاَةٍ وَأَنْمَاهَا وَأَشْرَفَهَا يُعَطِّرُ الْكَوْنَ رَيًّا نَشْرِهَا العَطِرُ
مَفْتُوقَةً بِعَبِيرِ الْمِسْكِ زَاكِيَةً مِنْ طِيبِهَا أَرَجُ الرِّضْوَانِ يَنْتَشِرُ
عَدَّ الْحَصَى والثَّرَى والرَّمْلِ يَتْبَعُهَا نَجْمُ السَّمَاءِ ونَبْتُ الْأَرْضِ والمَدَرُ
وَعَدَّ مَاحَوَتِ الْأَشْجَارُ مِنْ وَرَقٍ وَكُلِّ حَرْفٍ غَدَا يُتْلَى وَيُسْتَطَرُ
وَعَدَّ وَزْنِ مَثَاقِيلِ الْجِبَالِ كَذَا يَلِيهِ قَطْرُ جَمِيعِ المَاءِ والمَطَرُ
وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالأَسْمَاكِ مَعْ نَعَمٍ يَتْلُوهُمُ الْجِنُّ وَالْأَمْلَاكُ وَالْبَشَرُ
والذَّرُّ والنَّمْلُ مَعْ جَمْعِ الحُبُوبِ كَذَا والشَّعْرُ والصُّوفُ والْأَرْيَاشُ والْوَبَرُ
وما أَحاطَ بِهِ الْعِلْمُ المُحِيطُ وَمَا جَرَى بِهِ الْقَلَمُ المَأْمُونُ وَالْقَدَرُ
وعَدَّ نَعْمَائِكَ اللَّاتِي مَنَنْتَ بِهَا عَلَى الخلائِقِ مُذْ كانُوا وَمُذْ حُشِرُوا
وعَدَّ مِقْدَارِهِ السَّامِي الَّذِي شَرُفَتْ بِهِ النَّبِيُّونَ والأَمْلاكُ وافْتَخَرُوا
وَعَدَّ ما كانَ فِي الأَكْوَانِ يَاسَنَدِي وما يَكُونُ إِلَى أَنْ تُبْعَثَ الصُّوَرُ
فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ يَطْرِفُونَ بِهَا أَهْلُ السَّمٰوَاتِ والْأَرَضِينَ أَوْ يَذَرُ
مِلْءَ السَّمٰوَاتِ والأَرَضِينَ مَعْ جَبَلٍ والْفَرْشُ والعَرْشُ والكُرْسِيُّ ومَاحَصَرُوا
ما أَعْدَمَ اللهُ مَوْجُودًا وَأَوْجَدَ مَعْـــدُوماً صَلَاةً دَوَاماً لَيْسَ تَنْحَصِرُ
تَسْتَغْرِقُ الْعَدَّ مَعْ جَمْعِ الدُّهُورِ كَمَا يُحِيطُ بِالْحَدِّ لا تُبْقِي ولا تَذَرُ
لا غَايَةً وَانْتِهَاءً يَاعَظِيمُ لَهَا ولا لَهَا أَمَدٌ يُقْضَى وَيُنْتَظَرُ
مَعَ السَّلَامِ كَمَا قَدْ مَرَّ مِنْ عَدَدٍ رَبًّا وضاعِفْهَا والفَضْلُ مُنْتَشِرُ
وَعَدَّ أَضْعَافِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عَدَدٍ مَعْ ضِعْفِ أَضْعَافِهِ يَامَنْ لَهُ الْقَدَرُ
كَمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى سَيِّدِي وكَمَا أَمَرْتَنَا أَنْ نُصَلِّيَ أَنْتَ مُقْتَدِرُ
وَكُلُّ ذٰلِكَ مَضْرُوبٌ بِحَقِّكَ فِي أَنْفَاسِ خَلْقِكَ إِنْ قَلُّوا وَإِنْ كَثُرُوا

يَارَبِّ واغفِرْ لِتَالِيها وسامِعِها ... وَالمُرْسَلِينَ جَمِيعاً أَيْنَمَا حَضَرُوا
وَوَالِدِينَا وَأَهْلِينا وَجِيرَتِنَا ... وَكُلُّنَا سَيِّدِى لِلْعَفْوِ مُفْتَقِرُ
وَقَدْ أَتَتْ بِذُنُوبٍ لا عِدَادَ لَهَا ... لٰكِنَّ عَفْوَكَ لا يُبْقِى ولا يَذَرُ
والهَمُّ عَنْ كُلِّ ما أَبْغِيهِ أَشْغَلَنِي ... وقَدْ أَتَى خاضِعاً والقَلْبُ مُنْكَسِرُ
أَرْجُوكَ يَارَبِّ فِي الدَّارَيْنِ تَرْحَمُنا ... بِجَاهِ مَنْ فِي يَدَيْهِ سَبَّحَ الحَجَرُ
يَارَبِّ أَعْظِمْ لَنا أَجْرًا ومَغْفِرَةً ... لِأَنَّ جُودَكَ بَحْرٌ لَيْسَ يَنْحَصِرُ
وكُنْ لَطِيفاً بِنَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ ... لُطْفاً جَمِيلاً بِهِ الأَهْوَالُ تَنْحَسِرُ
بالمُصْطَفَى المُجْتَبَى خَيْرِ الأَنَامِ وَمَنْ ... جَلَالَةً نَزَلَتْ فِي مَدْحِهِ السُّوَرُ
ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى المُخْتَارِ ما طَلَعَتْ ... شَمْسُ النَّهَارِ وما قَدْ شَعْشَعَ القَمَرُ
ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أَبِى بَكْرٍ خَلِيفَتِهِ ... مَنْ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ لِلدِّينِ يَنْتَصِرُ
وَعَنْ أَبِى حَفْصٍ الفَارُوقِ صاحِبِهِ ... مَنْ قَوْلُهُ الفَصْلُ فِي أَحْكَامِهِ عُمَرُ
وَجُدْ لِعُثْمَانَ ذِى النُّورَيْنِ مَنْ كَمُلَتْ ... لَهُ المَحَاسِنُ فِي الدَّارَيْنِ وَالظَّفَرُ
كَذَا عَلِيٍّ مَعَ ابْنَيْهِ وَأُمِّهِمَا ... أَهْلِ العَبَاءِ كَمَا قَدْ جَاءَنَا الخَبَرُ
سَعْدٌ سَعِيدُ بْنُ عَوْفٍ طَلْحَةٌ وَأَبُو ... عُبَيْدَةٍ وَزُبَيْرٌ سادَةٌ غُرَرٌ
وَالآلِ وَالصَّحْبِ والأَتْبَاعِ قاطِبَةً ... ما جَنَّ لَيْلُ الدَّيَاجِى أَوْ بَدَا السَّحَرُ

القصيدة المحمدية للإمام البوصيرى(١) :

مُحَمَّدٌ أَشْرَفُ الأَعْرَابِ والعَجَمِ ... مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يَمْشِى عَلَى قَدَمِ
مُحَمَّدٌ باسِطُ المَعْرُوفِ جَامِعَةً ... مُحَمَّدٌ صاحِبُ الإِحْسَانِ والكَرَمِ

---

(١) نقلتها عن المجمعة الكبرى المتقدم ذكرها .

مُحمدٌ تاجُ رُسْلِ اللهِ قاطِبَةً ... مُحَمَّدٌ صادِقُ الأَقْوالِ والكَلِمِ
مُحمدٌ ثابِتُ المِيثاقِ حافِظُهُ ... مُحَمَّدٌ طَيِّبُ الأَخْلاقِ والشِّيَمِ
مُحمدٌ حُبِيَتْ بالنُّورِ طِينَتُهُ ... مُحَمَّدٌ لَمْ يَزَلْ نُورًا مِنَ القِدَمِ
مُحمدٌ حاكِمٌ بالعَدْلِ ذُو شَرَفٍ ... مُحَمَّدٌ مَعْدِنُ الإِنْعامِ وَالحِكَمِ
مُحمدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ مِنْ مُضَرٍ ... مُحَمَّدٌ خَيْرُ رُسْلِ اللهِ كُلِّهِمِ
مُحمدٌ دِينُهُ حَقٌّ النَّذِيرُ بِهِ ... مُحَمَّدٌ مُجْمَلٌ حَقًّا عَلَى عَلَمِ
مُحمدٌ ذِكْرُهُ رُوحٌ لأَنْفُسِنَا ... مُحَمَّدٌ شُكْرُهُ فَرْضٌ عَلَى الأُمَمِ
مُحمدٌ زِينَةُ الدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا ... مُحَمَّدٌ كاشِفُ الغُمَّاتِ وَالظُّلَمِ
مُحمدٌ سَيِّدٌ طابَتْ مناقِبُهُ ... مُحَمَّدٌ صاغَهُ الرَّحْمٰنُ بِالنِّعَمِ
مُحمدٌ صَفْوَةُ البارِي وخِيرَتُهُ ... مُحَمَّدٌ طاهِرٌ ساتِرُ التُّهَمِ
مُحمدٌ ضاحِكٌ لِلضَّيْفِ مَكْرُمَةً ... مُحَمَّدٌ جارُهُ واللهِ لَمْ يُضَمِ
مُحمدٌ طابَتِ الدُّنْيَا بِبِعْثَتِهِ ... مُحَمَّدٌ جاء بالآياتِ والحِكَمِ
مُحمدٌ يَوْمَ بَعْثِ النّاسِ شافِعُنَا ... مُحَمَّدٌ نُورُهُ الهادِي مِنَ الظُّلَمِ
مُحمدٌ قائِمٌ لِلّهِ ذُو هِمَمٍ ... مُحَمَّدٌ خاتِمٌ لِلرُّسُلِ كُلِّهِمِ

القصيدة الهائية للإمام البوصيري[1] :

الصُّبْحُ بَدَا مِنْ طَلْعَتِهِ ... وَاللَّيْلُ دَجا مِنْ وَفْرَتِهِ
فَاقَ الرُّسُلَا فَضْلاً وَعُلاَ ... أَهْدَى السُّبُلَا لِدَلاَلَتِهِ
كَنْزُ الكَرَمِ مُوْلِي النِّعَمِ ... هَادِي الأُمَمِ لِشَرِيعَتِهِ

(١) نقلتها عن المجمعة المتقدم ذكرها .

أذكى النسب أعلى الحسب ... كلُّ العرب في خدمته
سعت الشجر نطق الحجر ... شُقَّ القمر بإشارته
جبريل أتى ليلة أسرى ... والربُّ دعاه لحضرته
نال الشرفا والله عفا ... عمَّا سلفا من أُمّته
فمحمّدنا هو سيّدنا ... فالعزُّ لنا لإجابته

أبيات وقصائد للبوصيريّ وردت في فوات الوفيات .

قال فيمن اسمه عَمْرو ، وعلى عينيه فص :

سمَّوْه عَمْرًا فصحَّفْنا اسمه عُمَرًا ... فبيَّن الدهرُ منّا موضع الغلط
فأصبحت عينه غينًا بنقطتها ... وطالما ارتفع التصحيفُ بالنُّقَط

وقال من قصيدة أولها :

أهوَى والمشيبُ قد حال دُونه ... والتَّصابي بعد المشيب رُعونهْ
أبت النفسُ أن تُطيع وقالتْ ... إنَّ حُبِّي لا يدخلُ القنِّينهْ
كيف أعصي الهوى وطينةُ قلبي ... بالهوى قبل آدمٍ معجونهْ
سلبتهُ الرُّقادَ بيضةُ خدرٍ ... ذاتُ حُسْنٍ كالدُّرَّة المكنونهْ
سُمْتُها قُبْلةً تُسَرُّ بها النفـ ... ـسُ فقالتْ كذا أكونُ حزينهْ
قلتُ لابُدَّ أن تسيري إلى الدَّ ... ارِ فقالتْ : عسى أنا مجنونهْ
قلتُ سيري فإنّني لكِ خيرٌ ... من أبٍ راحمٍ وأمٍّ حنونهْ
أنا نعمَ القرينُ إن كنتِ تبغيـ ... ـنَ حلالاً وأنتِ نعمَ القرينهْ
قالت: اضربْ عن وصلِ مثلي صفحًا ... واضربِ الخلَّ أو يصير طحينهْ
لا أرى أن تمسَّني يدُ شيخٍ ... كيف أرضى به لطشتي مشينهْ

قُلْتُ : إِنِّى كَثِيرُ مَالٍ فقالَتْ   هبكَ أَنْتَ المُبَارِزُ القَارُونَهْ
سَيِّدِى لا تَخَفْ عَلَىَّ خُرُوجاً   فِي عَرُوضِي فَفِطْنَتِي مَوْزُونَهْ
كُلُّ بَحْرٍ إِنْ شِئْتَ فِيهِ اخْتَبِرْنِي   لا تُكَذِّبْ فَإِنَّنِي يَقْطِينَهْ

وقال، وكتب بها إلى بعض الأصحاب :

قُلْ لِعَلِيِّ الَّذِى صَدَاقَتُهُ   عَلَى حُقُوقِ الْإِخْوَانِ مُؤْتَمَنَهْ
أَخُوكَ قَدْ عَوَّدَتْ طَبِيعَتُهُ   بِشَرْبَةٍ فِي الرَّبِيعِ كُلَّ سَنَهْ
والآنَ قَدْ عَفَّنَتْ عَلَيْهِ وَقَدْ   هَدَّتْ قُوَاهُ وَجَفَّفَتْ بَدَنَهْ
وَعاوَدَتْ يَوْمَهَا زِيارَتَهُ   وما اعْتَرَاهَا مِنْ قَبْلِ ذَاكَ سَنَهْ
وعادَ عِنْدَ القِيامِ يَحْمِلُها   بِرَاحَتَيْهِ كَأَنَّهَا زَمِنَهْ
جِئْتُ بِهَا لِلطَّبِيبِ مُشْتَكِياً   وَدَمْعَتِي كالْعَوَارِضِ الهَتِنَهْ
فقالَ عُدْلِي إِذَا احْتَمَيْتَ وَكُلْ   فِي كُلِّ يَوْمٍ دَجَاجَةً دَهِنَهْ
كَيْفَ وُصُولِي إِلَى الدَّجَاجَةِ والـ   ـبَيْضَةُ عِنْدِي كَأَنَّها بَدَنَهْ
جَزَاكَ رَبِّى إِذَا انْسَهَلْتُ بِمَا   شَرِبْتُ عَنْ كُلِّ خَرْيَةٍ حَسَنَهْ

وقال فيمن على عينيه بياض :

انْظُرْ بِحَمْدِ اللهِ فِي   عَيْنَيْهِ سِرًّا أَىَّ سِر
طَمَسَ الْيَمِينَ بِكَوْكَبٍ   وسَيَطْمُسُ الْيُسْرَى بِفَجْرِ

وقال فى الشيخ(١) زين الدين الرَّعاد :

لَقَدْ عابَ شِعْرِى فِي البَرِيَّةِ شاعِرٌ   ومَنْ عابَ أَشْعارِى فلابُدَّ أَنْ يُهْجَا
وَشِعْرِى بَحْرٌ لا يُوَافِيهِ ضِفْدَعٌ   وَلا يَقْطَعُ الرَّعَّادُ(٢) يَوْماً لَهُ لُجَّا

---

(١) كان يعمل خياطا بالمحلة ويقول الشعر .
(٢) في كلمة « الرعاد » تورية ، فهى اسم للشاعر، واسم لنوع من السمك.

أبيات للبوصيرى وجدتها على الورقة الأولى من كتاب « الفاضل، من إنشاء الفاضل » ، لابن نباتة مخطوط رقم ٧٠٦٥ أدب ـ المكتبة الأزهرية بالقاهرة .

فِدَاوُكَ مَنْ إِذَا رُمْتُ امْتِنَاناً عَلَىَّ لَهُ أَبَى إِلَّا امْتِنَاعَا
فَلَا عِنْدِى لَهُ نِعَمٌ تُجَازَى وَلَا لِى عِنْدَهُ ذِمَمٌ تُرَاعَى
أُبَاسِطُهُ وَأَحْذَرُهُ كَأَنِّى أُمَارِسُ مِنْ خَلَائِقِهِ السِّبَاعَا
فلا أَنَا آمِنٌ مِنْهُ ضِرَارًا ولَا هُوَ آمِلٌ مِنِّى انْتِفَاعَا
فَلَسْتُ أَوَدُّهُ إِلَّا رِيَاءً وَلَيْسَ يَوَدُّنِى إِلَّا خِدَاعَا
أَضَعْتُ حُقُوقَهُ وأَضاعَ حَقِّى فيالَكِ صُحْبَةً ذَهَبَتْ ضَيَاعَا

وقال يمدح أبا العَبَّاسِ المُرْسِى . وهذه الأبيات وردت فى كتاب لطائف المِنَن « فى مناقب(١) أبى العباس المرسي وشيخه أبى الحسن » تأليف ابن عطاء الله السكندرى .

أَمَّا المَحَبَّةُ فَهْىَ بَذْلُ نُفُوسِ فَتَنَعَّمِى يا مُهْجَتِى بالبُوسِ
بَذَلَ المُحِبُّ لِمَنْ أَحَبَّ دُمُوعَهُ وَطَوَى حَشَاهُ عَلَى أحرِّ رَسِيسِ(٢)
صَدِّقْ وَقُلْ مَنْ لَمْ يَقُمْ كَقِيَامِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْهُ امْرُؤٌ بِجُلُوسِ
قَبِلَ الإِلٰهُ تَقَرُّبِى بِمَدِيحِهِ وَتَوَجُّهِى لِجَنابِهِ المَحْرُوسِ
رُمْتُ المَسِيرَ إِلَيْهِ أَعْجَزَنِى السُّرَى وَأَبَاحَنِى مَرْآهُ غَيْرَ يَئُوسِ
أَكْرِم بِيَوْمِ الأَرْبَعَاءِ زِيَارَةً لَكَ إِنَّهُ عِنْدِى كَأَلْفِ خَمِيسِ
كُلُّ اتِّصالاتِ السَّعِيدِ سَعِيدَةٌ بِمَثَابَةِ التَّثْلِيثِ وَالتَّسْدِيسِ

---

(١) انظر هامش لطائف المنن للشعرانى (الجزء الثانى ص ٢٦ ط الميمنية بمصر) .

(٢) الرسيس : ابتداء الحمى .

شَرَفاً لِشَاذِلَةٍ وَمرْسِيةٍ سَرَتْ ... لَهُما الرِّيَاسَةُ مِنْ أَجَلِّ رَئِيسِ
ما إِنْ نَسَبْتُ إِلَيْهِما شَيْخَيْهِما ... إِلَّا جَلَوْتُهُمَا جِلَاءَ عَرُوسِ

وقال[1] :

تَجَنَّبْ أحاديثَ الحَسُودِ فواجِبٌ ... تَجَنُّبُهُ فِيما يَقُولُ وَيَفْعَلُ
وَكُلُّ حَسُودٍ ما عَدَتْهُ مَلامَةٌ ... وَكُلُّ لَئِيمٍ ما عَلَيْهِ مُعَوَّلُ
مَتَى قال عَنِّى السُّوءَ عِنْدَكَ إِنَّهُ ... كَذاكَ يَقُولُ السُّوءَ عَنْكَ وَيَنْقُلُ

وقال[2] فِى المركَب التى فوق الإمام الشافعى :

بِقُبَّةِ قَبْرِ الشَّافِعِىِّ سَفِينَةٌ ... رَسَتْ مِنْ بِنَاءٍ مُحْكَمٍ فَوْقَ جُلْمُودِ
وَمُذْ غاضَ طُوفانُ العُلُومِ بِمَوْتِهِ اسْـ
تَوَى الفُلْكُ فِى ذَاكَ الضَّرِيحِ عَلَى الجُودِىْ

وفى[3] كتاب السلوك للمقريزىّ ما نصه :

واتفق أيضا أن الشيخ شرف الدين البوصيرىّ رأى فى منامه قبل أن يخرج الأشرف إلى عكاّ قائلا ينشده :

قَدْ أَخَذَ المُسْلِمُونَ عَكّاً ... وَأَشْبَعوا الكافِرِينَ صَكّا
وساقَ سُلْطَانُنَا إِلَيْهِمْ ... خَيْلاً تَدُكُّ الجِبَالَ دَكّاً
وَأَقْسَمَ التُّرْكُ مِنْذُ سارَتْ ... لاَ تَرَكُوا لِلْفِرَنْجِ مُلْكا

---

(١) هذه الأبيات وردت فى نسب البوصيرى للسيوطى ، مخطوط ، رقم ٥٠٣٧ — أدب ورقة رقم ١٨٧ دار الكتب بالقاهرة وفى كتاب المقفى للمقريزى لوحة رقم ٢٥١ مخطوط رقم ٥٣٧٢ تاريخ دار الكتب .
(٢) الجزء الأول : القسم الثالث ص ٧٦٦ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٩
(٣) خطط المقريزى ج ٢ ص ٢٩٩ ط بولاق بمصر .

ولما مات[1] الصاحب فخر الدين، ولد الصاحب بهاء الدين، المشهور بابن حنا فى المحرم سنة ٦٧٢ وأنزل فى لحده، قام البوصيرى وأنشد :

نَمْ هَنِيئاً مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ ... بِجَمِيلٍ قَدَّمْتَ بَيْنَ يَدَيْكَا
لَمْ تَزَلْ عَوْنَنَا عَلَى الدَّهْرِ حَتَّى ... غَلَبَتْنَا يَدُ الْمَنُونِ عَلَيْكَا
أَنْتَ أَحْسَنْتَ فِى الحَيَاةِ إِلَيْنَا ... أَحْسَنَ اللهُ فِى الْمَمَاتِ إِلَيْكَا

فتباكى الناس، وكان لها محل كبير ممن حضر :

ومن[2] قوله، وكان قد أشيع أنه مات :

عاشَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ الْبُوصِيرِىْ ... وَحياةُ الكِلَابِ مَوْتُ الْحَمِيرِ
عاشَ قَوْمٌ مُذْ قِيلَ إِنِّىَ قد مِتُّ ... فَماتُوا قَبْلِى بِوَخْزِ الصُّدُورِ
لَسْتُ مِمَّنْ يَمُوتُ أَوْ يَقْدُمُونِى ... وَأُبَكِّى عَلَيْهِمُ فِى الْقُبُورِ
وَصَحِيحٌ بِأَنَّنِى كُنْتُ قَدْ مِتُّ ... وأحْيانِىَ جُودُ هَذَا الوَزِيرِ

ومن[3] قوله، وكان الملك الظاهر قد أمر بكسر أوعية الخمر، وشدد فيها .

نَهَى السُّلْطانُ عَنْ شُرْبِ الْحُمَيَّا ... وَصَيَّرَ حَدَّهَا حَدَّ الْيَمَانِىْ
فَما جَسَرَتْ مُلُوكُ الجِنِّ مِنْهُ ... لِخَوْفِ الْقَتْلِ تَدْخُلُ فِى الْقَنانِىْ

ومن[4] قوله يمدح الأمير سنجر الشجاعى الذى أشرف على بناء المدرسة المنصورية والمارستان المنصورى سنة ٦٨٤ هـ

أَنْشَأْتَ مَدْرَسَةً ومَارِسْتانَا ... لِتُصَحِّحَ الأَجْسامَ وَالأَبْدَانَا

---

(١) خطط المقريزى ج ٢ ص ٢٩٩ ط بولاق بمصر .

(٢، ٣، ٤) منقولة عن كتاب المقفى للمقريزى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣٧٢ تاريخ تصوير شمسى مجلد رقم ٢ من لوحة ٢٥٠ – ٢٥٣ .

وكان[1] له صديق يعرف بالحشاء، له غلام حبشي مليح الصورة . وكان شخص يدعى سليمان المفتش يحب ذلك العبد ، فحذره البوصيرىّ من سليمان المذكور، وقال له ما بلغه من خبر حبه للعبد . فقال له : أنا عبدى شيطان، ما أخاف عليه، فقال البوصيرىّ :

كَمْ قُلْتُ لِلأَكْرَمِ الْحَشَّاءِ أَنْصَحُهُ   بِأَنَّ عَبْدَكَ مُحْتَاجٌ لِلَقَّانِ
فقالَ عَبْدِىَ عِفْرِيتٌ فَقُلْتُ لَهُ   إِنِّى أَخافُ عَلَيْهِ مِنْ سُلَيْمانِ

وبات مَرَّةً بالقرافة فى رُفْقة فيهم رجل اسمه مسافر ، فدب ليلا على صبى اسمه النجم . فقال البوصيرىّ :

مُسافِرٌ سارَتْ أَحادِيثُهُ   ما بَيْنَ كُلِّ العُرْبِ والعَجَمِ
سَرَى عَلَى النَّجْمِ وَلا غَرْوَ فِى   مُسافِرٍ يَسْرِى عَلَى النَّجْمِ

انتهى ما وجدناه من شعر البوصيرى مفرقا فى الكتب

(١) نقلا عن المصدر السابق فى ص ٢٣٢ .

البوصيرى فى كتب التراجم

— ١ —

فوات الوفيات — تأليف محمد بن شاكر الكتبى

المتوفى سنة ٧٦٤ هـ

الجزء الثانى ص ٢٥٦ — ٢٦١ ط بولاق سنة ١٢٨٣ هـ

محمد بن سعيد بن حَمَّاد بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجىّ . كان أحد أبويه من أبوصير ، والآخر من دَلاص ، فركبت له نسبة منهما . وقيل الدلاصيرى ، لكنه اشتهر بالبوصيرىّ . كان يعانى صناعة الكتابة والتصرُّف، و باشر الشرقية بِبُلْبَيْس، وله تلك القصيدة المشهورة التى نظمها فى مباشرى الشرقية التى أولها :

نَقَدْتُ طَوائِفَ المُسْتَخْدَمِينَا   فَلَمْ أرَ فيهِمُ رَجُلا أَمِينا

الخ . . .

وهى طويلة إلى الغاية ، وقد اختصرت من أبياتها كثيرا ، وله فيهم غير ذلك . وشعره فى غاية الحسن واللطافة ، عذب الألفاظ ، منسجم التركيب . وقال فيمن اسمه عمرو ، وعلى عينه فصّ .

سَمَّوْهُ عَمْرًا فَصَحَّفْنا اسْمَهُ عَمَرًا   فَبَيَّنَ الدَّهْرُ مِنَّا مَوْضِعَ الغَلَطِ

الخ . . .

وقال فيه من قصيدة أولها :

أهوَى والمَشيبُ قدْ حَالَ دُونَهْ والتَّصَابى بَعْدَ المَشيبِ رُعونَهْ

الخ . . .

وقال رحمه الله من قصيدة أولها :

يأيُّها المَوْلَى الوَزِيرُ الَّذِى أيَّامُهُ طائِعـــةٌ أمْرَهْ

الخ . . .

وقال وقد كتب بها إلى بعض الأصحاب :

قُلْ لِعَلِيٍّ الذى صَدَاقَتُهُ على حُقُوقِ الإخوانِ مُؤتَمَنَهْ

الخ . . .

قال الشيخ تقيّ الدين بن سيد الناس: كانت له حمارة استعارها منه ناظر الشرقية، فأعجبته فأخذها وجهز له ثمنها مائتى درهم ، فكتب على لسانها إلى الناظر :

المملوكة حمـارة البوصيرىّ

يأيُّها السَّيِّدُ الَّذِى شَهِدَتْ أخلاقُهُ لى بأنَّه فاضِلْ

الخ . . .

فردها الناظر إليه ، ولم يأخذ الدراهم منه .

وقال فيمن على عينيه بياض :

انظُرْ بِحَمْدِ اللهِ فِى عَيْنَيْهِ سِرًّا أىَّ سِرْ

الخ . . .

وقال فى الشيخ زين الدين بن الرَّعاد :

لَقَدْ عابَ شِعْرِى فى البَرِيَّةِ شاعِرٌ وَمَنْ عابَ أَشْعارِى فلاَ بُدَّ أَنْ يُهْجا

الخ . . .

وللبوصيرىّ فى مدائح النبىّ صلى الله عليـــه وسلم قصائد طنانة ، منهـا قصيدة مهموزة أولها :

كَيفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الْأَنْبِياء . . . .

وقصيدة على وزن بانت سعاد ، وأولها :

إِلَى مَتَى أَنْتَ بِاللَّذَّاتِ مَشْغُولُ وَأَنْتَ عَنْ كلِّ ما قَدَّمْتَ مَسْئُولُ

وقصيدته المشهورة بالبردة التى أولهـا :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانٍ بِذِى سَلَمِ مَزَجْتَ دَمْعاً جرَى مِنْ مُقْلةٍ بِدَمِ

قال البوصيرىّ : كنتُ قد نظمت قصائد فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها ما كان اقترحه علىّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير . ثم اتفق بعد ذلك أن أصابنى خِلْطُ فالِـج أبطل نصفى ، ففـكرت فى عمل قصيدتى هذه البردة ، فعملتها ، واستشفعت به إلى الله فى أن يعافينى ، وكررت إنشادها ، وبكيت ودعوت، وتوسلت ونمت ، فرأيت النبىّ صلى الله عليه وسلم، فمسح على وجهى بيده المباركة، وألقى علىّ بردة، فانتبهت ووجدت فىّ نهضة، فقمت وخرجتُ من بيتى ، ولم أكن أعلمت بذلك أحدا ، فلقينى بعض الفقراء ، فقال لى : أريد أن تعطينى القصيدة التى مدحتَ بها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقلت : أيَّها ؟ فقال : التى أنشأتها فى مرضك ، وذكر أوّلها ، وقال : والله لقد سمعتها البارحة وهى تنشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتمايل وأعجبته ، وألقى على من أنشدها بردة ، فأعطيته إياها ، وذكر الفقير ذلك ، وشاع المنام، إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين بن حنا ، فبعث إلىّ ، وأخذها ، وحلف ألَّا يسمعها إلا قائما حافيا مكشوف الرأس ،

وكان يحب سماعها هو وأهل بيته ، ثم إنه بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقى الموقع رمد ، أشرف منه على العمى ، فرأى فى المنام قائلا يقول له : اذهب إلى الصاحب ، وخذ البردة ، واجعلها على عينيك ، فتعافى بإذن الله عز وجل . فأتى إلى الصاحب ، وذكر منامه ، فقال : ما أعرف عندى من أثر النبىّ ، صلى الله عليه وسلم بُرْدة ، ثم فكر ساعة وقال : لعل المراد قصيدة البردة التى للبوصيرىّ . يا ياقوت ! افتح الصندوق الذى فيه الآثار، وأخرج القصيدة التى للبوصيرىّ ، وأت بها ، فأتى بها ، فأخذها سعد الدين ، ووضعها على عينيه، فعوفى . ومن ثم سميت البردة ، والله أعلم .

— ٢ —

المقفى للمقريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ

مصور . المجلد الأول ، لوحة رقم ٢٥٠ — تاريخ ٥٣٧٢

دار الكتب المصرية

محمد بن سعيد بن حماد بن تحسن بن أبى سرور بن حيان بن عبد الله بن ملاك بن صنهاج . وقيل محمد بن سعيد بن حماد بن تحسن بن عبد الله بن حَيَّانىّ الحبنونىّ الصنهاجىّ ، أبو عبد الله شرف الدين الدلاصىّ المولد ، المغربىّ الأصل ، البوصيرىّ المنشأ ، صاحب القصيدة المعروفة بالبردة .

أصله من قلعة حَمَّاد، ببلاد المغرب، من قبيل يقال لهم بنوحَبْنون، بحاء مهملة، ثم باء موحدة، بعدها نون وواو ، ثم نون على وزن زيدون .

وكان أبوه من ناحية بوصير ، وأمه من ناحية دَلاص ، فركب لنفسه منهما نسبا ، وقال : الدلاصيرىّ ، واشتهر بالبوصيرىّ .

ومولده بناحية دَلاص ، فى يوم الثلاثاء أول شوال سنة ست وقيل سنة عشر ، وقيل سبع وستمائة ، فبرع فى النظم ، وتخصّص بالوزير زين الدين يعقوب بن الزبير، وانقطع إليه بمصر، وصار مفتوحا عليه،فاتفق أنه أصابه فالج أبطل نصفه، وتعطل مدة، بحيث عجز عن الانقلاب فى الفرش من جانب إلى آخر . فلما أمضّه ذلك، عزم على نظم قصيدة فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستشفع بها إلى الله تعالى ، عساه ينجيه مما به ، فنظم القصيدة التى تعرف بالبردة وأولها :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِى سَلَمٍ مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

وكرر إنشادها مرارا ، وتشفع إلى الله سبحانه؛ بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فى إزالة كربه ، وأكثر من البكاء والدعاء ، ونام فرأى رسول الله، صلى الله عليه وسلم فى منامه ، وكأنه يمسح بيده المقدسة على مابه من الوجع ، ثم ألقى عليه بردة ، فانتبه وقد عُوفى مما به من فَوْره ، وخرج من منزله ، وكان ماتقدم ذكره سرا فيما بينه و بين الله، سبحانه ، لم يُطْلِع عليه أحدا من الناس ، فلقيه بعض الفقراء وقد خرج من بيته وقال له : أريد أن تعطينى القصيدة التى مدحت بها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : وأىّ قصيدة تريد ؟ فإنى مدحته صلى الله عليه وسلم بقصائد كثيرة، فقال التى أنشأتها فى مرضك، التى أولها :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانٍ بِذِى سَلَمِ ... ...

والله لقد سمعناها البارحة، وهى تُنْشَد بين يدى من صُنِعت فيه، ورأيته،صلى الله عليه وسلم، يتمايل عند سماعها، كتمايل القضيب الرَّطْب ، وأعجبته ، وألقى على من أنشدها بردة . فأعطاه القصيدة ، وشاع المنام بمصر، حتى بلغ الصاحب الكبير بهاء الدين على بن محمد بن حنا ، فانتسخها ، ونذر أن لايسمعها إلا وهو قائم مكشوف الرأس ، فسمعها كذلك ، وأُعْجِب بها ، وتَبَرك هو وأهله بسماعها ، وشاع ذلك بين الناس ، فاتفق أن سعد الدين الفارقىّ موقِّع الصاحب رَمِد رمدا شديدا أشفى منه على العمى ، فرأى فى منامه كأنه يقال له : اذهب إلى الصاحب بهاء الدين ، وخذ منه البردة ، وضعها على عينيك، تبرأ من وقتك . فلما أتاه ، وقص عليه مارأى

قال : والله ماعندى من آثار النبىّ صلى الله عليه وسلم بردة ، وفكر ساعة ثم قال : لعل المراد قصيدة البردة ، فنحن نتبرك بها ، وأمر عبده ياقوت أن يقول للخادم : افتح صندوق الآثار، وأخرج القصيدة من حق العنبر ، وأت بها ،فلما جاءت وضعها الفارقىّ على عينيه، وقرئت عليه ، وكان الشفاء ، فسميت من حينئذ البردة ، واشتهرت بديار مصر والشام والمغرب والحجاز واليمن،شهرة لامزيد عليها ، وزادوا فى تعظيمها ، حتى عملوها تميمة تعلق على الرءوس ، وزعموا فيها مزاعم كثيرة من أنواع البركة ، وهم على ذلك إلى يومنا هذا .

وكان البوصيرىّ شيخا مختصر الجرم ، وفيه كرم ، وله شِعْر فائق . قال فيه فتح الدين محمد بن سيد الناس : هو أحسن شعرا من الجزار والورّاق .

وكان يعانى صناعة الكتابة الديوانية ، ويتصرف فى المباشرات ، وباشر فى الشرقية ببلبيس ، ورمى المباشرين بأوابد ، ومات فى يوم [(1)] سنة خمس وتسعين وستمائة ، بالمارستان المنصورىّ فى القاهرة . ومن شعره :

تجَنَّبْ أحاديثَ الحسودِ فَوَاجِبٌ تَجَنُّبُهُ فيما يقولُ ويَفعَلُ

الخ . . .

وقال فى المركَب التى فوق رقبة الإمام الشافعى رحمة الله عليه [تقدم ذكر ماقاله فى شعره] .

وذكره الشهاب أحمد بن فضل الله ، فى كتابه مسالك الأبصار وقال : حكى لى شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود ، رحمه الله ، قال : كان البوصيرىّ على غزارة فضله ، ممقوتا، لإطلاق لسانه فى الناس بكل قبيح ، وذكره لهم بالسوء فى مجالس الأمراء والوزراء . قال : وكنت أشتهى أن أراه ، وأتمنى قدوم مصر للقياه ، فلما نقلت إلى مصر فى الأيام الأشرفية ، سألت عنه فى الطريق قبل دخول البلد ، فقيل لى إنه مات ، وكان قد مرض مرضة طويلة، أغمى عليه فيها ، فشُنِّع عليه أنه مات ، وطارت هذه الشناعة ، واستقرت فى كثير من النفوس .

(1) بياض فى الأصل .

قال : فأسِفت على فوات لقائه ، ثم لم يمض على إلا مدة ، حتى طرق علىّ الباب ، فقلت : من أنت ؟ فقال : البوصيرىّ . فشرعت أردد السؤال لأستثبته ، إلى أن قال : كأنه قيل لك إنى مت ! فقلت : قد قالوا هذا ؛ فأنشدنى بديها :

عاشَ بَعْدَ مَوْتِهِ البُوصِيرِىْ وَحَياةُ الـكِلاَبِ مَوْتُ الحَمِيرِ

إلى أن قال :

وصَحِيحٌ بِأَنَّنِى كُنْتُ قَدْ مِـتُّ وَأَحْيانِىَ جُودُ هذا الوَزِيرِ

فقلت له الحمد لله على بقائك وسلامتك . ثم أدخلته الدار،فتحادثنا وشكا إلىّ فاقةعظيمة، وضرورة زائدة . فقلت له : أتقول إن جود هذا الوزير أحياك ، وهذه شكواك ، فقال : أحيانى بتجبره بها،ولا الفَعَلَة الصَّنْعة الـكتاب : فقلت : دع هذا ،وكمل على هذه الأبيات فى مدح الوزير ، لأعرضها لك عليه ، فلعلها تـكون سببا لإحسانه إليك . ففعل وكان كما قلت .

قال : وأما البردة ؛ فحـكى لى غير واحد ممن أثق به : أن رجلا كان من الـكتاب بمطابخ السكر السلطانىّ بمصر ، مُغْرًى بكتابة هذه القصيدة،يعنى البردة ، مغرما بها ، ولا يزال يذكر عظيم النفع لها ، وأنه ما استشفى بها أحد ، إلا شُفِىَ واستغنى بها عن الدواء ، وكان له رفيق نصرانى معاند يهزأ به إذا قال مثل هذا ، ولا يقدر أن يتكلم ، إلى أن حصل لابن صغير له رمد ،كاد يذهب بعينيه . فأتاه غلام له يحمله ، فوقف وهو فى مكان مباشرته ، والنصرانىّ إلى جانبه ، فلما رآه أبوه ، قال للغلام : اذهب إلى الـكحال،فأره له،ودعهيكحله . فرأى النصرانىّ أن قد جاءه وقت الـكلام . فقال : لاحاجة إلى الـكحال ! يكفيه البردة فغضب المسلم ، وقال : نعم يكفيه البردة ! والله لاطببته بغيرها . خذ يا غلام هذه البردة،وضعها على عينيه، ولاتـكحله ،ودعه يأكل ما أراد ، ودفعها إليه . فأخذه الغلام ، وذهب به ، وكان ذلك يوم السبت . فلما أصبح بكرة يوم الأحد ، نظر إليه أبوه فرأى الحمرة قد تَقَشَّعت ، وصفت

حمرة عينيه ، وسكن مابه ، فحمله وأتى به النصرانىّ فى كنيسته ، وقال . انظر كيف ترى نفع البردة ! فوجَم النصرانىّ ، ولم يتكلم . فلما كان يوم الاثنين زال ما كان بالصغير ، حتى كأنه لم يكن ، فأتى به أبوه النصرانىّ ، فقال له : انظر كيف هو اليوم ؟ فقال النصرانىّ : لاشك بعد عِيان ، وأسلم وحسن إسلامه ، ثم كان أشد الناس كَلَفا بها .

وكان الملك الظاهر قد أمر بكسر أوعية الخمر ، وشدد فيها ، فقال :

نَهَى السُّلْطَانُ عَنْ شُرْبِ الْحُمَيَّا   وصَيَّرَ حَدَّها حَدَّ الْيمَانى

الخ ...

فبلغت السلطان ، فقال : لو كنت أجتمع بشاعر لاجتمعت به . ولما عمر المدرسة المنصورية والمارستان بالقاهرة، أكثر الشعراء فى وصفها ، ومدحوا الأمير سنجرَ الشجاعىّ متولى عمارتها . فمن أنشده البوصيرىّ ، قصيدة أولها :

عَمَّرْتَ مَدْرَسَــة ومارَسْتانَا   لِتُصَحِّحَ الأَدْيانَ وَالأَبْدَانَا(١)

فقال له حسبك فى هذا كفاية . ولم يسمع تتمة القصيدة استحسانا للبيت، وظل يومه كله ينشده ويترنم به ، وأجزل جائزته ، وهى كلها طنانة ، قد ذكرتها عند ذكر المدرسة المنصورية فى كتاب الاعتبار بذكر الخطط والآثار . وقد أورد الصفدىّ هذا البيت فى ترجمة عثمان ابن سعيد بن تولو ، وإنما هو للبوصيرىّ . وله فيه أخرى أولها :

جِوارك من جَور الزمان يجيرُ   وبشرك للراجى نداك يشــيرُ

ومنها فى وصف ذلك :

بَنَى ما بَنَى كسرى وما قَلْبُ مُؤْمِنٍ   يُباهى بِهِ فيما بَنَاهُ كَفُورُ

وكان له صديق من الكتاب ، يعرف بالأكرم الحشَّاء ، له عبد حبشى مليح الصورة ،

---

(١) ورد أمام هذا البيت بالهامش ما نصه : « وهذه القصيدة التى ذكر المترجم مطلعها إنما هي للسراج عمر بن الحسين الوراق ، وهى مذكورة فى ديوانه بخطه وليست للبوصيرى » .

وكان شخص يعرف بسليمان المفتش يحب ذلك العبد ، فحذره البوصيرىّ من سليمان المذكور ، وقال له ما بلغه من خبر حبه للعبد ، فقال له : أنا عبدى شيطان ، ما أُخاف عليه ، فقال :

كَمْ قُلْتُ لِلأكْرَمِ الحَشَاءِ أَنْصَحُهُ بأَنَّ عَبْدَكَ مُحْتَاجٌ لِلقَانِ

الخ . . .

وبات ليلة بالقرافة فى رفقة فيهم رجل اسمه مسافر ، فدب ليلا على صبىٍّ اسمه النَّجْم . فقال :

مُسَافِرٌ سارَتْ أَحَادِيثُهُ ما بَيْنَ كلِّ العُرْبِ والعُجْمِ

الخ . . .

وحكى أنه كان قليل المعرفة بصناعة الكتابة ، وكان يباشرها ، ويبغض طائفة الكتاب ، ويضطر إلى أن يعاشرها ، ولا يزال رزقه مقتَّرًا ، ويرى الكتاب فى النعمة يتقلبون ، فقال :

نَقَدْتُ طَوَائِفَ المُسْتَخْدَمِينا فَلَمْ أَرَ فِيهِمُ رَجُلاً أَمِينا

وهى طويلة .

— ٣ —

المنهل الصافى لابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤هـ — مخطوط رقم ١١١٣ تاريخ دار الكتب المجلد الثالث ورقة رقم ١٥٨ — ١٦٠

البوصيرى ناظم البردة

محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حيانى بن صنهاج بن هلال ؛ الشيخ الأديب الشاعر شرف الدين أبو عبد الله الصنهاجىّ ، صاحب القصيدة الموسومة بالبردة :

« أمن تذكر جيران بذى سلم »

مولده ببهشيم ، من أعمال البهنسة ، فى يوم الثلاثاء مستهلّ شوال سنة ثمان وستمائة . ونشأ بدلاص . وكان أحد أبويه من بوصير والآخر من دلاص ، فركب له نسبة منهما ، وقال : الدلاصيرىّ ، ولكن ما اشتهر إلا بالبوصيرىّ . وكانت له أشياء مثل هذا يركبها من لفظتين، مثل قوله فى كساء له : كساط ، فقيل له : لماذا تسميه بذلك ؟ قال : لأنى تارة أجلس عليه ، وتارة أرتدى به ، فهو كساء وبساط . وأهل العلم تسمى هذا النوع منحوتا ، كقولهم عبشمىّ : نسبة إلى عبد شمس، وحضرمىّ : نسبة إلى حضرموت .

قال البوصيرىّ : كنت قد نظمت قصائد فى مدح رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم اتفق بعد ذلك أنه أصابنى فالج أبطل نصفى ، ففكرت فى عمل قصيدتى هذه البردة ، فعملتها واستشفعت به إلى الله ، عز وجل ، فى أن يعافينى ، وكررت إنشادها ، وبكيت وتوسلت به ، ونمت ، فرأيت النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فمسح وجهى بيده الكريمة ، وألقى علىّ بردة ، فانتبهت ووجدت فىّ نهضة ، فخرجت من بيتى ، ولم أكن أعلمت بذلك أحدا ، حتى لقينى بعض الفقراء ، فقال : أريد أن تعطينى القصيدة التى مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أيها ؟ فقال : التى أنشأتها فى مرضك ، وذكر أولها ، وقال : والله لقد سمعناها البارحة وهى تنشد بين يدى رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، ورأيته ، صلى الله عليه وسلم، يتمايل، وأعجبته وألقى على من أنشدها بردة ، فأعطيته إياها ، وذكر الفقير، ذلك فشاع المنام إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين بن حنا وزير الملك الظاهر بيبرس ، فبعث إلى واستنسخها ، ونذر أن لايسمعها إلا قائما حافيا مكشوف الرأس ، وكان يحب سماعها هو وأهل بيته ، ثم بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقانى الموقّع رمد ، أشرف منه على العمى ، فرأى فى المنام قائلا يقول له : اذهب إلى الصاحب، وخذ البردة، واجعلها على عينيك، تعافى بإذن الله تعالى ، وذكر منامه . فقال الصاحب : ماعندى من أثر النبىّ، صلى الله عليه وسلم ، شىء يقال له البردة ثم قال : لعل المراد قصيدة البوصيرىّ . ياياقوت! قل للخادم يفتح صندوق الآثار ويخرج القصيدة من حُق العنبر ، و يأت بها . فأخذها فوضعها على عينيه فعوفيت ، ومن ثم سميت البردة .

قلت والبردة حقيقة هى قصيدة كعب بن زهير، التى أنشدها كعب بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم :

« بانَتْ سُعادُ فقَلْبي اليَوْمَ مَتْبُولُ »

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدىّ : أخبرنى الشيخ الإمام العلامة أثيرُ الدين أبو من لفظه بعد ما أملى على نسبه : هو كما ذكرناه ، قال : أصله من المغرب ، من قلعة حماد قبيلة يعرفون ببنى حبنون ، بحاء مهملة ، وباء موحدة ونونين بينهما واو ، على وزن زيدور قال : وولد كما ذكرناه . ثم قال : وأنشدنى لنفسه ما قاله فى الشيخ زين الدين بن رعّاد :

لَقَدْ عابَ شِعْرِى فى البَرِيَّةِ شاعِرٌ ... وَمَنْ عابَ أشْعارِى فَلابُدَّ أنْ يُهْجَا

فَشِعْرِىَ بَحْرٌ لايُوافِيهِ ضِفْدَعٌ ... ولا يُدْرِكُ الرّعادُ يَوْماً لَهُ لُجَّا

ثم قال: قال الشيخ أثير الدين : كان البوصيرىّ مختصر الجرْم ، وفيه كرم . قلت: وأظن وفاته كانت فى سنة ست وتسعين أو سبع وتسعين وستمائة . وله فى مديح النبىّ صلى الله عليه وسلم عدة قصائد طنانة ، منها قصيدة مهموزة ، أولها :

كَيفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الأنْبِياء ... يا سَمَاءً ما طَاوَلَتْها سَماء

وأبياتها تزيد على أربعمائة بيت . وقصيدة على وزن بانت سعاد ، أولها :

إلَى مَتَى أنْتَ باللَّذَاتِ مَشْغُولُ ... وأنتَ عَنْ كلِّ ما قَدَّمْتَ مَسْئُولُ

انتهى . وقيل كان للبوصيرىّ حمارة ، فاستعارها منه ناظر الشرقية فأعجبته . فأخذها ، وجهز له ثمنها مائتى درهم ، فكتب على لسانها إلى الناظر : المملوكة حمارة البوصيرىّ ، تنشد :

[قد مرت الأبيات فى قافية اللام]

فلما وقف الناظر على الأبيات ردها عليه ، ولم يأخذ الدراهم . انتهى .

بحمد الله وحسن توفيقه والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ، قد تم طبع :

« ديوان البوصيرى »

بتحقيق الأستاذ محمد سيد كيلانى

مصححا بمعرفة لجنة من العلماء برياسة الشيخ أحمد سعد على

بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده

القاهرة فى { ٢٦ ذى القعدة ١٣٧٤ هـ / ١٦ يوليو ١٩٥٥ م }

(١٩٥٥/٣٠٠٠/٧/٤٥)

ملاحظ المطبعة: محمد أمين عمران — مدير المطبعة: رستم مصطفى الحلبى